منبر الإسلام

مع العدد
المنتخب من السنة النبوية الشريفة
"الفردوس" مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٥ قرش

العدد ٦ ـ السنة ٣٣ ـ جمادى الآخرة ١٣٩٥ ـ يونيو ١٩٧٥

منبر الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة

كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ٦ - السنة ٣٣
جمادى الآخرة ١٣٩٥

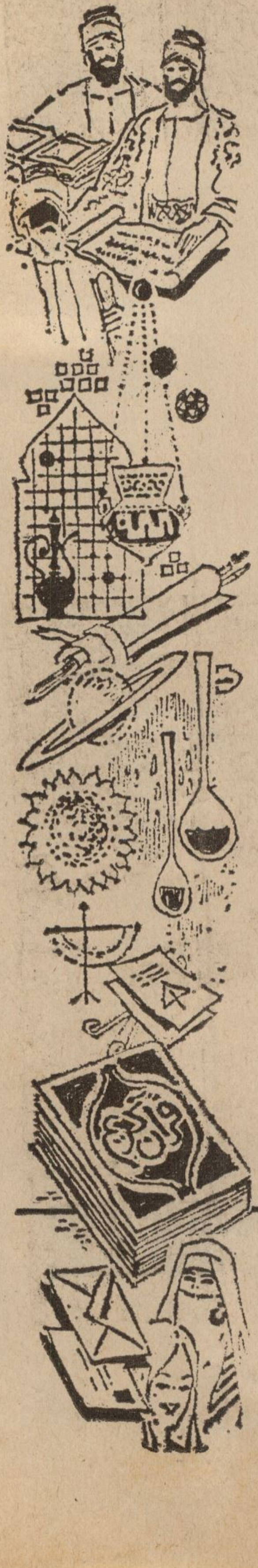

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

● العالم يشارك شعب مصر وقائده المظفر الرئيس المؤمن محمد انور السادات بافتتاح القناة فى ٥ يونيو سنة ١٩٧٥

● تفسير سورة البقرة ..... الاستاذ أحمد حسين

● انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .... الشيخ عبد الجليل عيسى

● التوبة والكبائر .... الدكتور أحمد الحوفى

● العلم فى القرآن .... الدكتور أحمد حسنين القفل

● دعم الجبهة الاسلامية يسد الطريق أمام الاستعمار ... الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

● مفاهيم ومبادىء فى الاقتصاد الاسلامى .... الدكتور شوقى اسماعيل شحاتة

● اضواء على التصوف الاسلامى .... الشيخ محمود هاشم

● طريق النور .... الاستاذ أحمد زين

● الاعجاز العلمى للسنة النبوية .... الدكتور عبد الرزاق نوفل

● المسلمون قوة دولية خطيرة الاستاذ صبرى أبو المجد

● رسالة الدعوة الاسلامية وأهداف العمل الوطنى ... الدكتور حامد محمد شعبان جمعة

● المواقف والمخاطبات ..... الاستاذ أحمد بهجت

● منهج الاسلام فى تربية الشباب .... الشيخ منصور عبيد

العنوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ــ تلغرافيا : الاسلام ــ القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ــ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين ..

معالم الطريق

العالم

يحتفل مع شعب مصر

وقائده الرئيس المؤمن

محمّد أنور السادات

بافتتاح قناة السويس

٥ يونيو ١٩٧٥

الرئيس أنور السادات يحيى — من على ظهر المدمرة ٦ اكتوبر — الجماهير التى احتشدت فوق السفن فى ميناء بور سعيد

استقبال شعبى حافل لبطل العبور

فى مهرجان لم تشهد له قناة السويس مثيلا منذ يوم افتتاحها أعادت مصر فى الخامس من يونيو ١٩٧٥ الملاحة العالمية الى شريان المواصلات الدولى مؤكدة وفاءها للحضارة الانسانية ورغبتها الاكيدة فى التيسير على الشعوب .

وخلال كلمة قصيرة وجهها الرئيس السادات الى العالم من فوق المنصة التى اقيمت على مدخل القناة الشمالى على شكل سفينة فرعونية أكد الرئيس هذا المعنى ، مذكرا العالم فى نفس الوقت ان مصر مصممة على واجبها نحو الارض المحتلة وحقوق فلسطين .

وقائد سفينة النصر

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

وقد وصل الرئيس أنور السادات الى بور سعيد فى طائرة هليكوبتر هبطت به فى العاشرة صباحا فى الاستاد الرياضى للمدينة حيث كان فى استقباله الفريق أول محمد الجمسى نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية ، والوزراء وقادة القوات المسلحة .

وعزفت الموسيقى السلام الجمهورى ثم استعرض الرئيس وهو يرتدى البدلة البحرية للقائد الاعلى ، حرس الشرف الذى اصطف فى أرض الاستاد .

نصف مليون مواطن يحيون الرئيس

واستقل الرئيس سيارة مكشوفة والى يساره السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية الذى ارتدى ملابس الطيران والى يمينه الفريق الجمسى

وعلى الرغم من أن تعداد بور سعيد يبلغ ٣٦٠ ألف نسمة ، الا أن ضعف هذا العدد كان فى استقبال الرئيس حيث توافد آلاف المواطنين من مدن القناة وباقى المحافظات القريبة للمشاركة .

ووسط الكتل البشرية الهائلة على جانبى الطريق خرج موكب الرئيس من أرض الاستاد مارا بشارع ٢٣ يوليو ثم ميدان المحافظة أكبر ميادين المدينة ، فامتداد شارع ٢٣ يوليو ثم شارع صلاح سالم حيث مبنى هيئة قناة السويس المطل على الميناء بينما كانت آلاف الجماهير تهتف بحياة بطل العبور .. صاحب القرار على حين حملت المئات من أقواس النصر لافتات الترحيب التى تحيى قائد ٦ اكتوبر .

وفى العاشرة والثلث وصل الرئيس حيث كان فى استقباله المهندس مشهور أحمد مشهور وكبار رجال الدولة والمسئولون فى الهيئة .

الرئيس السادات يرد التحية من فوق ظهر المدمرة ٦ اكتوبر وبجواره ولى عهد ايران .

وفى السرادق الكبير الذى أقيم على شكل سفينة فرعونية رست على رصيف الميناء جلس الى يمين الرئيس على المنصة الرئيسية ولى العهد الايرانى يرتدى بدلة صيفية بيضاء ، والى يساره المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب والسيد ممدوح سالم رئيس الوزراء والفريق أول محمد الجمسى .

٥ يونيو يتحول الى يوم سعيد

وبعد تلاوة آى الذكر الحكيم ألقى الفريق أول الجمسى كلمة قال فيها :

« فى ذكرى الخامس من يونيو الذى كان يرمز لعدة سنوات الى النكسة التى حلت بالبلاد .. وفى هذه المناسبة التاريخية .. مناسبة اعادة افتتاح قناة السويس للملاحة ، فاننا نتذكر بكل اعتزاز كلمة حق أنت قائلها أمام مجلس الشعب وهى « ان القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة ١٩٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها . ان هذه القوات لم تعط الفرصة لتحارب دفاعا عن الوطن وعن شرفه وعن ترابه ولم يهزمها عدوها ولكن قهرتها الظروف التى لم تعطها الفرصة لتقاتل » .

واليوم وقد تحول يوم ٥ يونيو من يوم حزين الى يوم سعيد .. ففيه يشهد العالم كله احدى النتائج العملية لانتصار القوات المسلحة فى اكتوبر ١٩٧٣ التى كان لكم — بالوثائق التاريخية — فضل اعطائها الفرصة لتحارب دفاعا عن الوطن وشرفه وترابه وهيأتم لها أفضل الظروف لتحقيق النصر .

كما أن هذا اليوم يذكرنا بالاعباء التى تحملها الشعب ماديا ومعنويا منذ نكسة يونيو حتى انتصار اكتوبر فهى أعباء فادحة لا يتحملها الا شعب يضحى فى سبيلها ويؤمن بالحرية ...

والان وقد تم تطهير قناة السويس فان ذلك يعنى بالنسبة لنا نحن رجال القوات المسلحة ان مهمتنا ستظل قائمة فى حماية مدن القناة وتأمين الملاحة فيها ضد اى اعتداء .. كما أن مسئوليتنا ستظل قائمة حتى يتم استكمال تحرير الارض العربية وتعود الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

والقوات المسلحة تتقدم لقائدها الاعلى بكل الحب والولاء بالعهد .. ان تظل للوطن درعا وسيفا بالجهد والعرق مهما كان العناء .. وبالدم والروح مهما كان الفداء .

واسمحوا لى يا سيادة الرئيس أن أقدم لكم وثيقة تسليم قناة السويس من الادارة العسكرية الى الادارة المدنية اعتبارا من الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم رجاء التصديق عليها » .

الرئيس يوقع الوثيقة التاريخية

ثم تقدم للرئيس وثيقة تاريخية بتسليم القناة من الادارة العسكرية الى الادارة المدنية ، فوقعها الرئيس ، ثم سلمها الفريق الجمسى الى المهندس مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس ، وخلال ذلك كانت المدمرة « ٦ اكتوبر » تطلق ٢١ طلقة تحية لهذه المناسبة التاريخية كما أطلقت السفن والبواخر الموجودة فى الميناء صفاراتها .

القناة تواصل رسالتها للشعوب

ثم ألقى الرئيس السادات الكلمة التالية :

بسم الله ..

سجل التاريخ الحديث أن قناة السويس أغلقت أكثر من مرة آخرها فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ نتيجة العدوان الاسرائيلى على أرض مصر وسلامتها . لكن باذن الله وبتوفيق

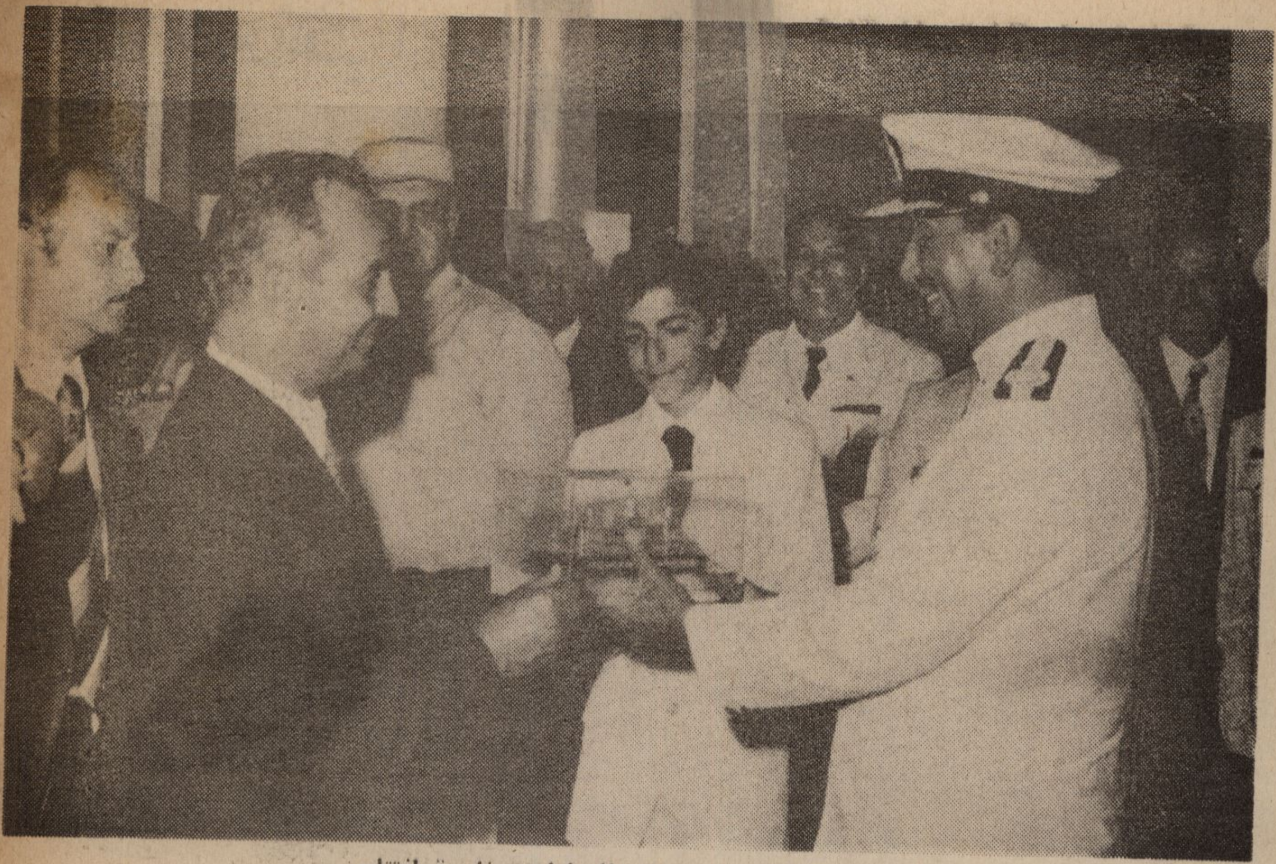

هدية تذكارية للرئيس محمد أنور السادات بمناسبة افتتاح
قناة السويس من المهندس مشهور أحمد مشهور .

منه وأمام العالم أجمع . أعلن ان قناة السويس المصرية قد تم تطهيرها كاملة من العدوان الاسرائيلى بعد العبور المجيد فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ومعارك التحرير والكرامة ، وأصبح طبيعيا أن يكمل هذا الشريان المصرى الحيوى مسيرة العبور فى سبيل سعادة الاسرة الانسانية ورخائها .. وان يواصل رسالته العالمية فى الربط بين أطراف العالم كلها وتعميق التبادل والتفاعل بين الامم والشعوب .

ان ابن هذه الارض الطيبة الذى شق القناة بعرقه ، ودموعه ، همزة للوصل بين القارات والحضارات ، وعبرها بأرواح شهدائه الابرار لينشر السلام والامان على ضفافها ، يعيد فتحها للملاحة من جديد كما أنشأها أول مرة .. رافدا للسلام وشريانا للازدهار والتعاون بين البشر .

واذ يقدم الشعب العربى فى مصر هذه المبادرة فى اطار اسهامه الحضارى ورسالته العالمية فانه يذكر الشعوب الصديقة بأن أجزاء غالية من ترابه مازالت ترزح تحت يد الاحتلال الاجنبى وأن شعبنا بأسره لا يزال يعانى النفى الجبرى والقهر الغاشم على أرضه .

فالى جميع القوى المناضلة من أجل سلام العالم ورخائه .. ومن أجل التقدم الانسانى الكبير .. تهدى مصر هذه الخطوة من جانبها وفاء وتيسيرا على الشعوب الصديقة وكافة القوى المحبة للسلام .

ومصر اذ تواصل عطاءها الانسانى تكرر أنها مصممة على القيام بواجبها المقدس نحو أرضها والارض العربية الطاهرة التى لا زال العدو يحتلها فى الجولان وسيناء وفلسطين .. ونحو الحقوق العربية المغتصبة وسلام على العالمين .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

هدايا للرئيس من شعب بور سعيد

وبعد انتهاء الرئيس من كلمته توجه ومرافقوه الى داخل مبنى هيئة القناة لقضاء فترة راحة قصيرة .. حيث قدم ممثلو شعب بور سعيد بعض الهدايا الرمزية له .. فقدم محافظ بورسعيد طبقا من الفضة يحمل عهدا من شعب المدينة ان يكون خلف

مصر تعيد الملاحة فى القناة وفاءً للحضارة والإنسانية

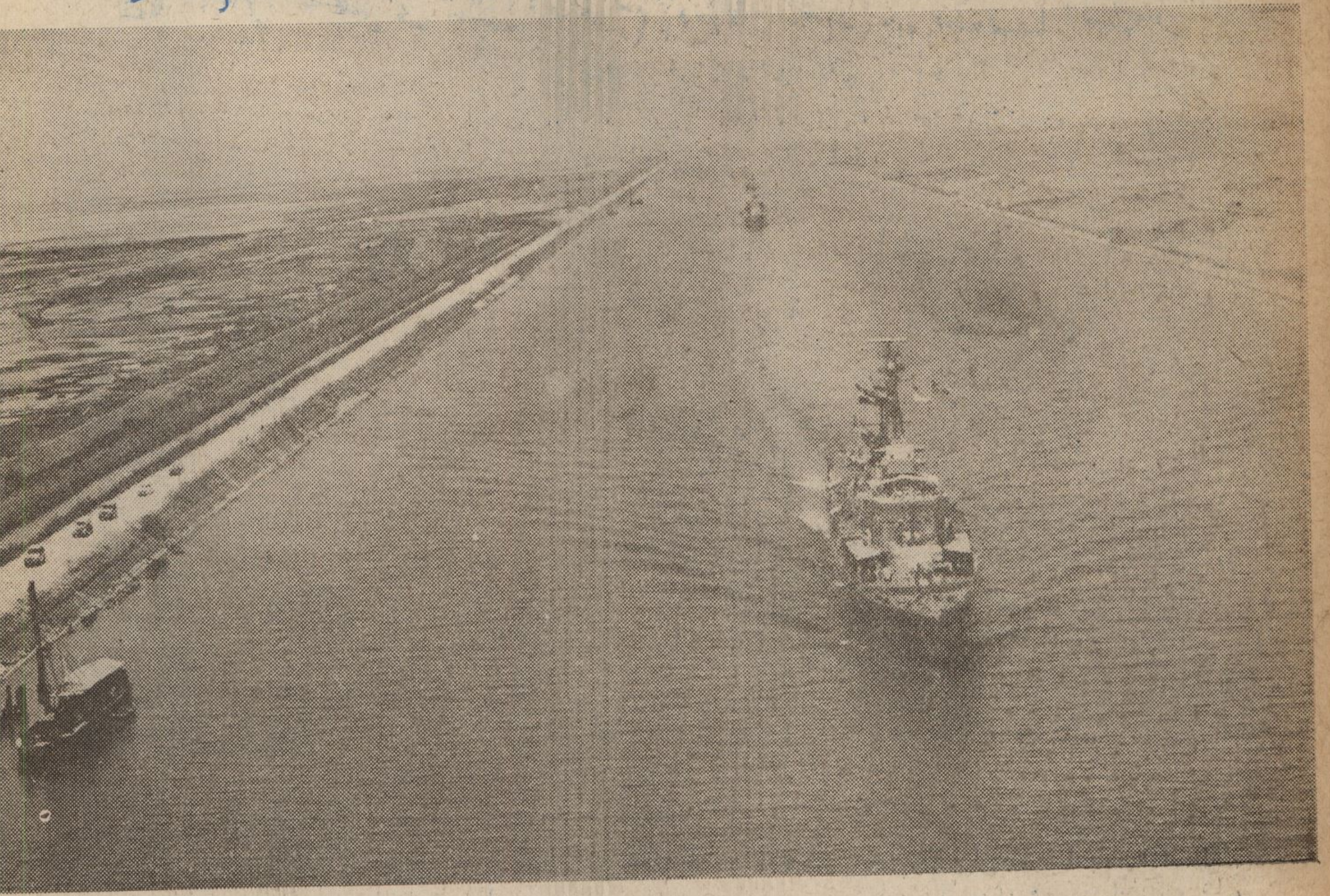

اول قافلة رمزية تعبر القناة منذ ٨ سنوات تتقدمها القاطرة المصرية مارد .

الرئيس فى معارك التحرير والتعمير ، وقدم أمين الاتحاد الاشتراكى درع بور سعيد والذى يتوسطها النسر المصرى يمسك بخطاب كتب عليه « ٥ يونيو » الى جانب نقوش لمبانى المدينة بعد أن عادت اليها الحياة ، ورسم للقناة رمزا لقرار الرئيس واعلانه افتتاحها .

وقدم أمين عمال المحافظة هدية رمزية من العمال الى قائدهم وبطلهم ، وقدم أمين الشباب وثيقة كتبها شباب بور سعيد بالدم أن يكونوا جندا للرئيس .

الرئيس يخرج لتحية الجماهير

ودخل الرئيس مبنى الهيئة الذى كان قد ازدان بآلاف من الاعلام الصغيرة ، بينما كانت تحلق فى السماء طائرات الهليكوبتر وأسراب الحمام الابيض رمزا للسلام .

وفى نفس الوقت كانت تطوف فى الميناء مظاهرة شعبية بحرية بالمراكب الشراعية اشترك فيهـا عشرات الالاف من شباب مدن القناة وعمالها يهتفون بحياة بطل العبور ومسترد القناة ، بينما ارتفعت صفارات اللنشات والبواخر الراسية ابتهاجا بهذا اليوم التاريخى .

وقام الرئيس السادات الى شرفة الهيئة ليطل على الميناء ويحيى شباب البحر الذين انطلقت حناجرهم تهتف بحياته وحياة مصر .. ووقف الى جواره فى الشرفة ولى عهد ايران .

وكانت المدمرة « ٦ اكتوبر » قد أخذت وضع الاستعداد ، بينما استعدت الباخرة « الحرية » لتكون ثانية السفن التى تعبر القناة بعد افتتاحها .

موكب الرئيس يعبر القناة

وبعد فترة الاستراحة القصيرة توجه الرئيس السادات وكبار المدعوين ليستقلوا لنشا فى طريقهم الى المدمرة « ٦ اكتوبر » .. وبدأت موسيقى حرس الشرف فى عزف موسيقاها بينما تطايرت أسراب

إننى أشعر فى هذا اليوم بميلاد جديد لشعبنا البطل

الحمام الابيض .. وبعد استعراض حرس الشرف وعزف السلام الجمهورى استقل الرئيس اللنش ومعه الامير رضا بهلوى والسيد حسنى مبارك نائب الرئيس والسيد ممدوح سالم رئيس الوزراء والفريق الجمسى .

وصعد الرئيس الى المدمرة « ٦ اكتوبر » يحيط به كبار رجال الدولة وتوجه الى مقدمتها .. وتحرك الموكب البحرى ليعبر القناة فى طريقه الى الاسماعيلية ، وصحب الرئيس على المدمرة الامير رضا بهلوى والسادة حسنى مبارك وممدوح سالم والفريق الجمسى والمهندس مشهور أحمد مشهور وبعض قادة القوات المسلحة وعدد من الضباط وصف الضباط والجنود الحاصلين على نجمة سيناء وعدد من جرحى أبطال ٦ اكتوبر ، وقادة وحدات دول الدعم العربى التى اشتركت فى حرب اكتوبر من السودان والجزائر وفلسطين ، و ٢٠ صحفيا يمثلون رؤساء تحرير الصحف المصرية وصحافة العالم اختيروا من بين مئات الصحفيين الذين شهدوا الاحتفال .

وأعقبت « ٦ اكتوبر » الباخرة « الحرية » يستقلها رئيس مجلس الشعب ووكيلاه ، والامين الاول للجنة المركزية ، ونواب رئيس الوزراء ، والوزراء ووزراء الدفاع العرب الذين يشتركون فى الدفاع تعبيرا عن التضامن العربى ، والقادة العسكريون من الدول التى أسهمت بجهدها فى تطهير القناة .

وخلف الحرية هناك الطراد الامريكى ليتل روك وعليه قائد الاسطول الامريكى السادس الذى جاء ليشارك فى الاحتفال .

وضم الموكب السفينة « سوريا » يستقلها السفراء والملحقون العسكريون العرب والاجانب و ٣٠ من رجال الاعلام ، ثم الباخرة « عايدة » يستقلها رجال التجارة والملاحة الدوليون الذين دعتهم الهيئة مشاركة فى الاحتفال وباعتبار أن الخبراء الامريكيين قد ساهموا فى تطهير القناة مجانا . وانتهت القافلة بثلاثة لنشات مسلحة للحراسة .

وتحرك الركب .. حيث عبرت المدمرة « ٦ اكتوبر » المقلة للرئيس فى بداية رحلتها بوابتين

البواخر تشق عباب الماء فى قناة السويس وقد ازدانت باعلام مصر وامتلات بالجماهير التى شاركت فى المهرجان البحرى العظيم .

بحريتين عائمتين فى ميناء بور سعيد ازدانتا باعلام مصر وهيئة القناة ورسوم فرعونية .. معلنة بذلك بدء الملاحة فى القناة .

اول قافلة بحرية منذ ٨ سنوات

وبعد موكب الرئيس .. عبرت القناة أول قافلة رمزية منذ ٨ سنوات تتقدمها القاطرة المصرية « مارد » احد ى القطع البحرية التابعة لهيئة القناة والتى تساعد فى عمليات الملاحة .

وظلت القافلة تتبع موكب الرئيس حتى الاسماعيلية ثم واصلت طريقها الى البحيرات المرة حيث توقفت فيها لتواصل عبور القناة مع أول ضوء اليوم فى طريقها الى السويس فالبحر الاحمر .

فى الطريق الى الاسماعيلية

وفى اللحظة التى تحرك فيها الموكب تحول ميناء بور سعيد الى مهرجان بحرى كبير حيث اطلقت جميع السفن المنتظرة عبور القناة صفاراتها تحية للرئيس ، كما خرج صيادو بور سعيد فى مراكبهم المزينة بالاعلام ، وصور الرئيس مشتركة فى هذا المهرجان البحرى الرائع يغنون على انغام المزامير البلدية « .. **مرحبا ياسادات ، .. اهلا .. بطل العبور وفاتح القناة** » .

وفى الساعة ١١ر٢٧ : وصلت المدمرة « ٦ اكتوبر » الى اول مدخل القناة مجتازة البوابة التى صممت على شكل قوس ضخم فرعونى تصحبها مجموعة من اللنشات التى أوصلتها الى المدخل .

وفى الساعة ١٢ر٠٥ : وصلت المدمرة الى أول موقع من نقاط خط بارليف فى القطاع الشمالى من الجبهة ، وهى نقطة الكيلو [١٠] حيث اصطف جنود الموقع لتحية الرئيس على الضفتين الشرقية والغربية وخرج الرئيس لتحية جنود الموقع من فوق ظهر المدمرة .

وفى الساعة ١٢ر٢٦ : وصلت مدمرة الرئيس الى أول محطة لارشاد السفن التابعة لهيئة القناة حيث زينت بالاعلام واصطف عليها عدد من المواطنين خرجوا لتحية الرئيس ونقل « راصد » المحطة مصطفى محمد تسعيد أول اشارة لاسلكية الى ادارة تحركات الهيئة مع وصول الموكب الى أول نقطة ارشاد من نقاط القناة الاحدى عشرة .

وفى الساعة ١٢ر٤٥ : وصلت المدمرة الى النقطة الثانية من خط بارليف عند الكيلو [١٩] .

وفى الساعة ٢ر٢٠ : وصلت المدمرة الى القنطرة غرب حيث كان فى انتظارها آلاف من المواطنين الذين التهبت مشاعرهم بالهتاف لقائد التحرير وقد زينوا المدينة بأقواس النصر وبلافتات الترحيب .

الوصول الى الاسماعيلية

وفى حوالى الساعة الرابعة و ٤٥ دقيقة وصل ركب الرئيس الى الاسماعيلية .. حيث كان فى استقباله موكب بحرى ضخم من الزهور فى بحيرة التمساح والصيادون يترنمون بالاغانى الشعبية على السمسمية ، تعبيرا عن فرحتهم بعودة الملاحة فى القناة .

وضاقت المدينة بأبنائها وعشرات الالاف من ابناء المحافظات المجاورة الذين وفدوا اليها للمشاركة فى استقبال الرئيس وضيفه الامير رضا بهلوى .. وارتفعت اقواس النصر فى الشوارع والميادين ، ولافتات الترحيب ببطل النصر .. صاحب قرار العبور

وما أن دخلت المدمرة « ٦ اكتوبر » بحيرة التمساح حتى أحاط بها موكب الزهور الشعبى ورافقتها حتى وصلت الى مرسى الميناء بالاسماعيلية .

وكان فى استقبال الرئيس بالمرسى حرس شرف من طلبة الكلية الحربية ، وكبار القادة العسكريين واللواء أحمد كمال القلعاوى محافظ الاسماعيلية واللواء فؤاد عزيز غالى قائد الجيش الثانى الميدانى

وبعد استعراض حرس الشرف استقل الرئيس السادات وولى عهد ايران سيارة مكشوفة من المرسى مارا بشارع كوبرى مالا ، فشارع محمد على حيث وقف عشرات الالاف من أبناء المدينة وطلبة وطالبات المدارس يحيون الرئيس ويهتفون باسم مصر والسادات . حتى وصل الموكب الى مبنى الارشاد .

ازاحة الستار عن اللوحة التذكارية

وفى مبنى الارشاد ووسط الجماهير التى احتشدت خارجة تحيى القائد تقدم طفل وطفلة الى الرئيس بمجرد هبوطه من السيارة المكشوفة .. وقدما باقات الزهور اليه وللامير رضا بهلوى .

وبعد أن صافح الرئيس كبار المسئولين والعاملين فى هيئة القناة فردا فردا .. قام بازاحة الستار عن اللوحة التذكارية التى أقيمت بمناسبة اعادة فتح القناة وقد كتب عليها :

« **بسم الله الرحمن الرحيم — جمهورية مصر العربية — هيئة قناة السويس — بعون الله وتوفيقه تفضل السيد الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الاعلى للقوات المسلحة بفتح قناة السويس للملاحة الدولية يوم الخامس والعشرين من جمادى الاولى عام ١٣٩٥ هجرية — الموافق الخامس من يونيو عام ١٩٧٥ ميلادية والحمد لله رب العالمين** » .

فى السويس

وفى اليوم الثانى من احتفالات القناة ، ومن فوق منصة اقيمت فى السويس على الطرف الجنوبى للقناة ، اعطى الرئيس السادات اشارة المرور لاول قافلة تعبر القناة من الجنوب مختتما بيوم السويس زيارته التاريخية لمنطقة القناة .

دراسات قرآنية

تفسير سورة البقرة

الآيات من ١٨٩-١٩٥

- كيف يجب أن نفهم «ما فرطنا فى الكتاب من شئ»
- حرص القرآن على تأكيد أن الإسلام ليس دين طقوس
- القتال فى الإسلام للدفاع عن النفس والعقيدة
- مبدأ المعاملة بالمثل أهم قوانين الحرب
- «ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة» وكيف فهمها المسلمون المتأخرون

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

« يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون • وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين • فان انتهوا فان الله غفور رحيم • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين • الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين • وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين •

يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج •

الاهلة : جمع هلال ، وهو الجزء المضىء من القمر كما يرى من فوق سطح الارض فى أول الشهر العربى.

مواقيت للناس والحج : أى هى معالم زمنية يستطيع البشر بواسطتها أن يؤقتوا بها أحوالهم المعاشية وشئونهم التعبدية كفريضة الحج ، وقد سبق بدء الصيام به فى شهر رمضان وتوقيته بظهور هلال الشهر التالى **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته •**

ليس كتاب علم بذاته

مع أن الله سبحانه وتعالى قال لنا فى القرآن الكريم « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » فليس معنى ذلك أنه كتاب جغرافيا أو طبيعة أو فلك ... الخ انه كتاب الكون كله ، بكل نواميسه وظواهره وعناصر مقوماته ، بما فى ذلك الانسان . وقد سبقت الاشارة الى ذلك كله فى معرض الوعظ والارشاد الى عظمة الله وقدرته ووحدانيته ، وترك للناس أن يتدبروا فى هذه الاشارات الى السنن والظواهر والقوانين الى حيث تصل اليه عقولهم بما يعود عليهم بالنفع ، وهو ما يختلف من حين لاخر .

فالعلم ينقض اليوم ما اعتبره بالامس حقا وسوف ينقض غدا بعض ما نعتبره اليوم حقائق علمية .

خذ على سبيل المثال أن البشر ظلوا يتحدثون قرونا على أن الارض ثابتة والشمس هى التى تدور حولها ، وكان هذا هو العلم ، ثم انقلب العلم وأصبحت الشمس ثابتة والارض هى التى تدور حولها ، ونحن نعلم اليوم

أن كلتيهما يدور، فليس بشىء ثابت ابدا « **وكل فى فلك يسبحون** » .

الاجسام الطافية والاخف والاثقل من الهواء

ويوما ما كان يستحيل عند العلماء ان يطفو فوق سطح الماء الا جسم بطبيعته اخف من الماء ولو قال احد ان سفنا مصنوعة من الحديد سيكون باستطاعتها أن تمخر عباب الماء لعد مجنونا او على اقل تقدير جاهلا وكذلك الشأن بالنسبة للطيران حيث ظن ان لا يطير الا ما هو اخف من الهواء ومن هنا بدأت فكرة الطيران على اساس « البالون » الى ان اصبحت الطائرة اليوم ما اصبحت اليه .

وليس ذلك الا نموذجا لما يتكرر فى اى فرع من فروع العلم ، ففى الطب على سبيل المثال عالج الاطباء بأمر من الامور ثم عالجوا بنقيضه وكان ذلك فى وقته يسمى علما ، كما يسمى آخر ما انتهوا اليه علما كذلك .

نهج القرآن الكريم

سقنا هذه المقدمة بين يدى تفسير هذه الاية التى نحن بصددها .

ففى بعض الروايات ان اليهود اوعزوا بسؤال سيدنا محمد عن هذا الموضوع ، على ان الاشهر وما رددته كتب البلاغة بخاصة ، يقولون فى سبب نزول هذه الاية انمعاذ بنجبل وآخر سألارسول الله صلى الله عليه وسلم قالا : « **يارسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد** » فنزلت هذه الاية . والسؤال كما نرى يدور حول ما علمونا اياه فى المدارس تحت عنوان اوجه القمر .

ومن هنا جاء اهتمام كتب البلاغة بهذاالموضوع فهم يعتبرون رد القرآن الكريم عن هذا السؤال بما أجاب به هو أسلوب الحكيم ، فحيث يدور السؤال حول معرفة الطبيعة والعلة جاء الجواب يتحدث عن الحكمة لانها هى الشىء المفيد والذى يجب ان يهتم به السائل .

ولنا نص القرآن الكريم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاهلة اما ما هو نص السؤال فعلم ذلك عند الله وندع لائمة البلاغة ابحاثهم مكتفين باستخراج ما يدل عليه القول .

تحديد الزمن عن طريق القمر

الف الناس فى وقتنا الحاضر التقويم الشمسى ، وبالتالى تصوروا تفوق التقويم الشمسى ، ناسين انهم لا يستطيعون تمييز الايام فى ظل هذا التقويم الا بمعونة الدولة وحساباتها ، اما التقويم القمرى فهو الاسلوب الوحيد الذى يمكن الفرد العادى ان يعرف بمجرد النظر الى القمر فى الليل فى اى يوم هو من أيام الشهر وايام السنة ، حيث ينتقل القمر فى ابراج السماء المختلفة ، ولهذه الحقيقة اشار القرآن الكريم بقوله « **والقمر قدرناه منازل** » . والذى يعنينا من ذلك كله ان لا يتصور متصور ان قياس الزمن بطريق القمر هو أمر قد عفى عليه الزمن ؟ بل ان القمر كان وسيبقى بالنسبة للرجل العادى من بنى البشر حيث يستطيع ان يرى نور القمر هو ادق واكمل أسلوب لتحقيق الزمن

وقد بقى ان نلفت النظر الى ان الزمن هو شىء خاص بالانسان جاء نتيجة حياته المحدودة على الارض وحاجته الى قياس فترة زمنية لفعل هذا الشىء او ذاك على ظهر الارض ، واليوم وبعد ان خرج من نطاق الارض فان هذا التوقيت الشمسى الذى يستعمله الان لابد ان يطرأ عليه التغيير ، ولعل هذا يكشف لنا عن دقة التعبير القرآنى من ان « الاهلة » **مواقيت للناس والحج** .

واذا كانت الاية الكريمة قد اختصت الحج فذلك اشعار بأهميته من ناحية ، وارتباطه ارتباطا وثيقا بحالة القمر فى السماء وتلك مسألة لا يستطيع ان يتبينها بوضوح الا من حج أكثر من مرة ، فايا كان حجه فى اى فصل من فصول السنة « صيفا او شتاء .. الخ » فسوف تكون ليلته فى المزدلفه « المشعر الحرام » واحدة فى كل الاحوال وعلى مر الاعوام والدهور ، أى ان أى مسلم قد حج منذ رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ان يرث الله الارض يستطيع ان يكون متأكدا وهو فى المزدلفه فى ليله العاشر من ذى الحجة ان عينيه اذ تقعان على السماء والقمر انه ينظر الى ما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحسب انه لا يوجد فى الكون كله شيئا آخر نستطيع أن نقطع به مثل هذا الامر وصدق الله العظيم وهو يقول لنا عن « الاهلة » اى القمر « هى مواقيت للناس والحج » .

وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى

ويعود القرآن الكريم ليؤكد قاعدة الاسلام الرئيسية من ان الاسلام ليس دين طقوس مما شرحناه بالتفصيل عند اية « **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** » .

واذا كانت الاية السابقة قد نزلت ردا على من بداوا يلغطون « **ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها** » فقد نزلت هذه الاية الكريمة لترد على عادة كان يمارسها اهل المدينة عندما يحرمون للحج تصورا منهم ان ذلك من « البر » حتى نزلت هذه الاية تصحح لهم هذه الفكرة الخاطئة .

روى البخارة بسنده عن البراء ، قال : كانوا اذا احرموا فى الجاهلية ، أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله « **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** » الاية

وذكر ابن جرير عن الزهرى فى سبب ذلك انهم كانوا يتحرجون من الدخول من الباب من اجل ان سقف الباب يحول بينهم وبين السماء .

ولكن البر من اتقى

ونزلت هذه الاية الكريمة تبين لهم خطأ ذلك وان البر الحق هو التقوى ، والتقوى هنا يجب أن تفسر بنفس التحديد الذى ورد فى الاية السابقة « **ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر ..** » الاية

وأتوا البيوت من أبوابها

فليس البر ان تخالفوا طبائع الاشياء فقد أعدت أبواب البيوت لتكون المدخل الطبيعي اليها فلا تدخلوا بيوتكم الا من ابوابها ، وقد سرى هذا الجزء من الاية الكريمة فى المجتمع الاسلامى سريان الروح فى الجسد فأصبحت مثلا شائعا ومعلما من معالم الحضارة الاسلامية وهو أن تعالج الامور على وجهها الصحيح ، وأن يدخل من مداخلها الطبيعية الصحيحة .

واتقوا الله لعلكم تفلحون

أى فاجعلوا تقوى الله بمعنى الابتعاد عن نواهيه والاقبال على كل ما يرضيه باطاعة أوامره هى شغلكم الشاغل رجاء ان تنجحوا وتفلحوا فى الدنيا والاخرة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .

وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم

بهذه الاية الكريمة يشرع القرآن الكريم فى وضع القواعد الاساسية لتنظيم حالة الحرب وهى الوجه الثانى لحياة المجتمع البشرى فهو اما أن يكون فى حالة سلام أو حالة حرب ، وما يعرف اليوم باسم القانون الدولى يحاول عبثا أن يصل الى بضع قواعد تتبعها المجتمعات والدول فى حالة الحرب ولكن هيهات ان يتوصلوا الى شىء من ذلك فالاقوياء دائما يفعلون ما يقدرون عليه مادامو مطمئنين الى قوتهم وأن ليس فى استطاعة أحد أن يردعهم .

ولكن القرآن الكريم وهو شرعة السماء أراد أن يجنب المسلمين هذا الانحراف والطغيان فوضع لهم سلسلة من القواعد والمبادىء التى تضيق من نطاق الحرب وتجعلها قاصرة على الدفاع عن النفس ولما كانت العقيدة هى أعظم مقومات النفس فقد أصبح الدفاع عنها جزءا لا يتجزأ من الدفاع عن النفس .

الحرب فى الاسلام

ولقد بحثت موضوع الحرب فى الاسلام فى رسالة كاملة تفضل بنشرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فليرجع اليها من يريد التفصيل .

وقد كررنا من قبل ان الاسلام لا يصادر الغرائز لأنها سر الحياة وقد أرادها الله على هذه الصورة وانما هو يهذبها وينظمها بأن يضع لها الحدود والضوابط ، وعلى رأس الغرائز كلها غريزة حب البقاء ، والحرب عندما تكون دفاعا عن النفس والعقيدة تكون تعبيرا سليما عن هذه الغريزة ، ومن هنا قررها الاسلام ولكنه وضع لها الحدود التى تعمل فى دائرتها وأول هذه القواعد وحجر الزاوية هى هذه الاية الكريمة .

« **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم** »

فالحرب ليست فقط مشروعة بل هى واجب مفروض بشرطين :

١ – أن تكون فى سبيل الله ، أى عن الحق .

٢ – أن يبدأكم العدو بالقتال معتديا عليكم وعلى مقدساتكم ويكفى أن يبدأ العدوان فى أى وقت ليكون حق الرد لدفع العدوان قائما أبدا .

ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

ولكى لا يجعل الله كون المسلمين لا يقاتلون الا اذا قوتلوا موضع شك جاء بالنص الصريح « **ولا تعتدوا** » ويتصور بعض الناس ، أن الاسلام شرع الحرب وسيله لنشر الاسلام وهو ما ردده فى وقت ما أعداء الاسلام مع ان الله سبحانه وتعالى يقول : « **لا اكراه فى الدين** » ويتمسك أقوام بما ورد فى آية اخرى سنقول الرأى فيها فى حينه وحسبنا الان دلالة الاية التى نحن بصددها وهو أن الله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين أمرا أن يقاتلوا من قاتلهم ، وينهاهم عن أن يعتدوا اى ان يكونوا هم البادئين بالقتال . وهذا المعنى لا يستفاد فقط من صريح التعبير ولكنه يستفاد من الايات التالية التى تؤكد ما قيل عن مناسبة نزول هذه الايات مما سيرد علينا ، ولكننا نريد أن تنتهى من تحديد ما نفهمه من قوله تعالى « **ولا تعتدوا** » فقد اراد بعض المفسرين أن يفسرها على ضوء وصايا النبى صلى الله عليه وسلم لقواده عندما كان يبعث بهم الى حرب ، ان لا يقتلوا الشيوخ والاطفال والنساء والمرضى ولكن ذلك كله مشروط بأن لا يشترك هؤلاء فى القتال بالفعل ، فاذا شاركوا فقد دخلوا فى عموم الاية « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم** » ومن هنا فنحن ممن لا يذهبون فى تفسير « **ولا تعتدوا** » الى هذا المعنى وانما نفسرها تبعا لما سبقها وما سوف يتلوها من انها تعنى ان لاتكونوا بادئين بالخصومة التى تفضى الى القتال ووصايا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هى أوامر يتعين اتباعها فى كل الاحوال ولكن الكلام هنا يدور على من يبدأ القتال .

ان الله لا يحب المعتدين

وهذا تأكيد من الله سبحانه وتعالى وتشديد وتغليظ انه لا يحب المعتدين فالحرب ضرورة قد اقتضتها ظروف الدفاع عن النفس والعقيدة على ما سوف تشرح الايات التالية فاذا لم تنشأ هذه الضرورة يصبح الكف عن الحرب والقتال هو الاصل وهو الاساس « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** » .

واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم

ثقفتموهم : وجدتموهم .

ومناسبة هذه الايات كنا ذكرنا بالتفصيل المقدمات التى أدت اليها وذلك فى تفسير سورة الفتح التى نزلت بمناسبة صلح الحديبية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قصد مكة ومعه الصحابة « ١٥٠٠ » وذلك للعمرة وكان ذلك فى احد الشهور المحرمة فى العام السادس من الهجره ولكن قريشا أخذتهم العزة بالاثم فتصدوا لسيدنا محمد وحالوا بينه وبين الدخول الى مكة وكاد ينشب القتال بين المشركين والمسلمين ، وبايع المسلمون سيدنا محمدا « بيعة الرضوان » مما سجلته سورة الفتح وذكرناه بالتفصيل وانتهى الامر

الى عقد صلح الحديبية وبموجبه اتفق الطرفان على أن يرجع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه عامهم هذا فلا يدخلون مكة على ان يعود فى السنة التالية فيخلى له المشركون مكة ثلاثة ايام ليدخلها الرسول ومن معه يزورون البيت ويعتمرون .

وحل الموعد المضروب فى العام السابع للهجرة لما اشتهر فى السيرة النبوية باسم « عمرة القضاء » ولكن قبل أن تتم العمرة بالفعل جرى التساؤل بين المسلمين حول سيدنا محمد ماذا يكون الموقف اذا نكثت قريش بعهدها وحاولت ان تصد المسلمين عن المسجد الحرام بالقوة ، أيردون على القوه بالمثل وما هو حكم الشرع فى هذه الحالة وسيكون القتال فى الشهر الحرام فى المسجد الحرام فنزل الشرع يرد على تساؤلهم ويبين لهم حدود واجبهم

واقتلوهم حيث ثقفتموهم

وكشأن القرآن يلخص فى كلمات أقل من القليل ناموس اى ظاهرة من ظواهر الكون وقد كانت الحرب مذ كانت وستبقى الى ابد الابدين بكل علومها وفنونها وتجاربها تتلخص فى قانون واحد وهو « كسر شوكة العدو » ولما كان الانسان والعقل الانسانى هو المصدر الاول والاكبر للحرب فقد دارت كل فنون الحرب وعلومه لتدمير شخص العدو ، وكل ما أخترعه الانسان من اسلحة او سوف يخترعه يهدف فى الدرجه الاولى لتدمير الانسان ، هذا القانون الاساسى للحرب هو ما يلخصه القرآن الكريم فى هذه الكلمات الثلاث « **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** » فالاسلام هو دين السلام ، والسلام هو غاية كل مسلم « **تحيتهم فيها سلام** » والمسلمون يتبادلون التحية باعلان السلام ، فاذا أبى اعداء المسلمين الذين لا يمكن الا ان يكونوا اعداء للبشرية إلا الحرب ، تصبح الحرب لا مناص منها ، ومتى قامت الحرب فليس الا قانون واحد وهو أن تدمر قوة عدوك ، فتقتله حيث كان وأنى كان حتى يستسلم بعد أن تكسر شوكته وعندها يبدا الاسلام بأخص خصائصه وهو السلام على ما سوف يعرض لنا سواء فى هذه الايات أو آيات قادمة .

ارادة القتال

والاصرار على تدمير العدو بقتله اذا لزم الامر والاستعداد بالموت لتحقيق هذه الغاية اذا لزم الامر كذلك هو ما يمكن ان نسميه « بارادة القتال » التى ما توفرت فى جماعة الا عزت وسادت ، وما فقدت الا ذلت وهانت وقد تراوح حظ الجماعة الاسلامية بين الرفعة والهبوط بمقدار ما توفرت فيهم أو تخلفت « ارادة القتال » . فعندما كانت متحققة بالكامل على عهد النبى صلوات الله عليه وسلامه وفى عهد خلفائه الراشدين فقد فتح المسلمون دنيا ذلك الزمان ابتداء من سور الصين شرقا حتى مياه المحيط الاطلسى غربا ، وعبرت جيوشهم المضيق الفاصل بين افريقيا وأوروبا واستقروا فى أسبانيا ونفذوا الى غرب فرنسا ، وعندما ضعفت ارادة القتال فى الغرب وقويت فى شرق اوروبا على يد الاتراك وصلوا فى زحفهم حتى أسوار فيينا ، وضعفت ارادة القتال عند المسلمين وانتقلت الى معسكر أعداء المسلمين فعمل القانون الالهى عمله وهو أن يهون ويذل من فقد روح القتال عن نفسه وعقيدته .

واليـــوم

اذا كنت قد أصبحت ممتلئا بالتفاؤل واليقين بمستقبل المسلمين الزاهر فذلك لما أراه من عودة ارادة القتال عند المسلمين فى كل مكان ، والامثلة كثيرة بحيث تكفى الاشارة اليها ، وذلك فى الوقت الذى فقد فيه أعداء المسلمين ارادتهم على القتال .

وأخرجوهم من حيث أخرجوكم :

واذا كان قانون تدمير العدو هوغاية كل حرب فان القرآن الكريم يقرر بعد ذلك قانونا آخر من قوانين ممارسة الحرب للوصول الى غايتها وهو قانون « المعاملة بالمثل » .

واذا كانت الاية الكريمة تشير الى وضع خاص وهو اخراج مشركى قريش للمسلمين من مكة ، فان الايات التالية لن تلبث ان تؤكد مبدا المعاملة بالمثل وتعمقه وتوسعه .

والفتنه اشد من القتل

الفتنة ، من الفعل فتن .

ومعناه اللغوى الاحراق .

يقال : فتن الرغيف اى أحرقه وفتن الذهب والفضة اى اذابهما لتميز معدنيهما وقد استعملها القرآن الكريم بهذا المعنى الحسى كما استعملها بمعنى الاختيار والبتلاء من مثل قوله تعالى « **انما نحن فتنه فلا تكفر** » .

ومن هنا لا نوافق على قول من قال انها تعنى هنا « **الشرك** » فلا الاصل اللغوى للكلمة ولا استعمالات القران الكريم تفيد هذا المعنى عن قرب او بعد بل ان سياق الايات وما تهدف اليه ينفيه على وجه القطع واليقين فهو يطلب من المسلمين أن يقاتلوا المشركين اذا تعرضوا لهم وليس لانهم مشركون .

والمعنى المقصود هو الرد على سؤال من تساءل كيف يقاتلون فى الشهر الحرام عند المسجد الحرام ؟ فجاء القرآن الكريم يذكر بأن ذلك لن يكون الا باعتباره معاملة بالمثل ، بل بما هو اقل واخف من المثل ، فكيف يقاس القتل الذى يفقد وعى الانسان عند الضربة القاتلة بما تعرض له المسلمون الاوائل قبل الهجرة حيث كانت تنهال صنوف من التعذيب والتنكيل على من أسلم وبخاصة ممن كانوا ارقاء مثل بلال ، مما امتلا به تاريخ الدعوة الاسلامية قبل الهجرة ، وقد كان التعبير المجمع والمتفق عليه هو تسمية هذا الذى يحيق بالمسلمين أنه « فتنة » .

فعندما يقول القرآن الكريم فى هذا الموضع بالذات « **والفتنة اشد من القتل** » لا يكون لها سوى معنى واحد وهو ما أصاب المؤمنين الاوائل من عذاب .

لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه .

قدمنا ان العرب فى الجاهلية وقد كادوا يفنون بعضهم بعضا ، لاذوا بالمبدأ السماوى الذى لم يعلموا مصدره ، وهو ان تكون لهم بضعة شهور فى السنة « أربعة » لا يحاربون فيها ، وأن يكون القتال فى المسجد الحرام حراما على طول السنة .

وجاء الاسلام يعزز هذا المبدأ ويؤكده ، فجعل عدة الشهور عند الله اثنى عشر منها « اربعة حرم » وقرر حرمة المسجد الحرام على سبيل الدوام .

ومن هنا كان الحرج الذى استشعره المسلمون ان يدور بينهم وبين المشركين قتال فى الشهر الحرام عند المسجد الحرام ، فجاء لهم القرآن الكريم بشرعة الحرب الاسلامية ، فالمسلمون لا يبداون العدوان ابدا ، فلن يكونوا هم الذين يحاربون فى الشهر الحرام ، وانما هم يذهبون الى مكة لتأدية العمرة بناء على اتفاق سابق ، فاذا ابى المشركون الا الحرب ، فعليهم وحدهم تقع مسئولية اهدار الشهر الحرام .

وينطبق ذلك بطبيعة الحال على الحرب عند المسجد الحرام ، ولكن القرآن الكريم يشدد على المسلمين ان لا يكونوا هم البادئين باى حال من الاحوال ، اى يفرض ان المشركين بداوا القتال بالفعل خارج مكة أو حتى داخلها ، فيتعين على المسلمين أن لا يتعرضوا لهم داخل المسجد ، فاذا أصروا على القتال حتى داخل المسجد المكى ، فعلى المسلمين ان يمضوا فيما شرعه الله لهم ، وهو ان يقاتلوا ، وفى كل الاحوال ، من يقتلهم ، بل ويشتدوا عليهم يكونوا عبرة لغيرهم . فلا يعتدون على المسلمين ، ومن هنا قال القرآن الكريم :

فان قاتلوكم فاقتلوهم .

ويظهر التشديد فى كلمة « فاقتلوهم » اى انه اذا بلغ « الفحش » بالكفار ان يبداوكم بالقتال داخل المسجد الحرام ، فلا تترددوا لحظة فى ان تقتلوهم ، اذ يصبح شأنهم فى ذلك شأن « العقرب » الذى لا علاج له الا بالقتل .

ونحن نفهم تماما لماذا استعمل القرآن الكريم فى قول الاية « **وقاتلوا فى سبيل الله** » الذين يقاتلوكم أما هنا فالصورة قد تغيرت واصبح الامر قاطعا فى وجوب قتلهم ، ذلك ان المسلمين لا يمكن ان يدخلوا المسجد الحرام الا نتيجة أمر من اثنين :

الاول ـ اما ان يكون المشركون قد حاربوا بالفعل وانهزموا واستطاع المسلمون ان يصلوا الى المسجد الحرام فابتدأ المشركون الحرب من جديد .

الثانى : ان يكونوا قد تظاهروا بالسماح للمسلمين بدخول الحرم ثم حاولوا أن يغدروا بهم .

وفى كلتا الحالتين فان قتال المشركين لا يعدو ان يكون جريمة لا عقاب عليها الا « بالقتل » وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله : **كذلك جزاء الكافرين** .

اى أن القتل هو عقاب المجرمين ممن يعتدون على حرمات الله فيحاربون فى المسجد الحرام ، ويغدرون بالامنين .

فان انتهوا فان الله غفور رحيم .

هذا هو المبدأ الخاص بالحرب الاسلامية فهى اذا كانت مشروعة فلانها ضرورة تقاس بسببها ، فاذا زال السبب زالت الضرورة على الفور ، فقد اذن الله بالقتال فى الشهر الحرام عند المسجد الحرام ، اذا عاند المشركون وركبوا رؤوسهم وابوا الا قتال المسلمين ، أما اذا انتهوا وانصاعوا الى الحق ، فلا انتقام منهم أو عقاب على ما سبق من أعمالهم ، فان الله سبحانه وتعالى ليس غفورا فحسب ، بل ورحيم ايضا ، وعلى عباده المؤمنين به ان يتصفوا بصفاته ، وهو ما فعله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالفعل عندما دخل مكة فاتحا ، عندما خاطب قريشا بقوله :

ـ **ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟**
ـ **خيرا ما أنت الا أخ كريم .**
ـ **اذهبوا فأنتم الطلقاء .**

هذه هى روح الاسلام وسماحته تنبض بها كل آية من آيات القرآن ، انظر وهو يعود ليفسر للمسلمين لماذا امرهم بالقتال :

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

اى اننى اذا كنت آمركم بقتالهم اذا قاتلوكم فذلك لكسر شوكتهم وتدمير قوتهم فلا يعودون قادرين على فتنة المؤمنين بتعذيبهم وبتلانهم كما كانوا يفعلون ويصبح الطريق حرا آمنا امام « دين الحق » دين عبادة الله الواحد الاحد وليس عبادة الاصنام والاوثان وشتى صنوف الشرك .

فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين .

وكما تحدد سبب القتال بعامة وانه لكف المشركين عن قتال المؤمنين ، فضلا عن فتنتهم ، فقد تحدد كذلك وجوب الكف عنهم ، اذا كفوا من ناحيتهم « انتهوا » ومما هو جدير بالملاحظة تعبير القرآن بلفظ « العدوان » وصفا لمجازاة الظالمين وهو أسلوب بلاغى من أساليب العرب اتبعه القرآن الكريم وهو تكرار اللفظ « المكروه » حيث ينقلب الى عكس مفهومه الظاهر بعد ان يضاف الى جانب الحق أو الله ، مثل ما سوف يرد فى الاية التالية :

« **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه** » ذلك انه اذا وصف الفعل الاول بأنه اعتداء فان دفع الاعتداء لا يكون اعتداء وهو ما يقتضيه الحال ، وقد تكرر ذلك فى القرآن الكريم .

ـ **انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا .**
ـ **ومكروا ومكر الله .**

وتعالى الله عن الكيد والمكر ، ولكنه أسلوب العرب يسمونه « المشاكلة » نزل القرآن الكريم يخاطبهم به ليكون اوقع فى التأثير وامعن فى التحدى عندما

يعجزون عن محاكاته مع انه بلسانهم وطبقا لاساليبهم ، يقول الشاعر الجاهلى :

الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلين

فمن هذا القبيل تعبير القرآن الكريم « **فلا عدوان الا على الظالمين** » فما يعامل به الظالمون لكف عدوانهم لا يكون عدوانا وهذا مستفاد من وقوعه على الظالمين وذلك كله اخذا بالقاعدة « نفى النفى اثبات » ، فالرد على العدوان بالعدوان يكون حقا . وصدق الله العظيم اذ يقول « **انا أنزلناه قرآنا عربيا** » ، ومن هنا كانت الاحاطة باللغة العربية عند نزول القرآن ضرورى لادراك بلاغته واعجازه .

الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص مبدأ المعاملة بالمثل .

وينتهى القرآن الكريم الى صياغة هذا الذى دعا اليه الى تقرير قاعدة عامة من قواعد الحرب وهى المقابلة بالمثل وليس هناك ما يضع حدا لتصاعد أعمال الوحشية فى الحرب الا الخوف من المعاملة بالمثل ، وقد رأينا مصداق ذلك فى الحروب التى عاصرناها وما نعيش فيه الان ، فقد امتنع الطرفان المتحاربان على سبيل المثال فى الحرب العالمية الثانية عن استخدام الغازات السامة مع قدرتهم على استعمالها خوفا من المعاملة بالمثل ، وليس يمنع اليوم قيام حرب نووية الا الخوف كل من الطرفين من المعاملة بالمثل .

فالمعاملة بالمثل هى قاعدة أساسية فى الحروب ، ومن هنا فقد علمها الله لجماعة المسلمين الى يوم القيامة ، وقد رأينا فيما سبق مبدأ القصاص فى الجرائم « **النفس بالنفس ...** » الاية .

والقاعدة تنسحب على كل مظاهر الحياة فى السلم والحرب على السواء .

فاحترام الاشهر الحرم « ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب » أمر واجب وحتمى شريطة ان يتمسك به الطرف الاخر ، أما ان يتصور متصور أن يكون بقدرته ان ينتهك الشهر الحرام فيقاتل فيه وهو مطمئن الى ان الطرف الاخر لن يقاتل حتى لا ينتهك الشهر الحرام ، فان ذلك يكون بمثابة دعوة للاشرار الذين لا يرعون الحرمات أن ينقضوا على الاخيار فى الاشهر الحرم وهم آمنون مطمئنون ، انهم سيفعلون بهم ما يشاءون .

للحيلولة دون هذا الوضع الشاذ غير المعقول نزل القرآن الكريم يعلم المؤمنين ان احترام الاشهر الحرم بمعنى التوقف عن القتال فيها مشروط بالتزام الطرف الاخر للمبدأ والا فـ « **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** » .

والقصاص هو المقابلة بالمثل ، جاء فى القرآن الكريم :

- **ولكم فى القصاص حياة .**
- **والحرمات قصاص .**
- **والجروح قصاص .**

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .

ولا يفتأ القرآن الكريم يوضح ويؤكد ويعمق مبدأ المقابلة بالمثل باعتباره حجر الزاوية فى التقليل من شرور الحرب ومخاطرها ، وقد تحدثنا فيما تقدم عن أسلوب القرآن الكريم لاستعمال ذات اللفظ « للمشاكلة » حيث يختلف المعنيان ، فدفع الاعتداء هو غير الاعتداء ، ولكن اللفظ استعمل للتعبير عن الفعل ورد الفعل ، وقد وقف البعض طويلا أمام عبارة « **بمثل ما اعتدى عليكم** » واجهدوا انفسهم كثيرا فى ايجاب التماثل بكل دقة ، وهو أمر متعذر ان لم يكن مستحيلا ، فليس فى الطبيعة كلها أمران يتطابقان من كل وجه ، فيجب تفسير المماثلة بصورتها العامة ، فانتهاك حرمة الشهر يقابله انتهاك حرمة الشهر ، والقتال يقابله القتال ، وازهاق الروح يقابله ازهاق الروح .

والمهم فى الحرب هو اخضاع العدو ، ودفعه الى الاستسلام ، فان فعل وتحقق النصر للمسلمين فهنا تبدأ أخلاقيات الاسلام وآدابه وسنة رسوله ، وقد رأينا كيف عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مشركى قريش بعد أن أظفرهم ودخل مكة فاتحا .

وقد حدث فى تاريخ الاسلام عندما فتح الصليبيون بيت المقدس أن خاضت خيولهم فى دماء المسلمين واقاموا من جثثهم وجماجمهم جبالا ، فلما أن اظفر الله صلاح الدين بالصليبيين ودخل بيت المقدس فاتحا ، حقن دماء الصليبيين وعاملهم بالرأفة والرحمة حتى لقد سمح لمن يريد أن يغادر المدينة فى سلام ان يفعل بعد دفع مبلغ زهيد جدا « ديناران » الامر الذى جعل بعض معاصريه ينتقدونه على هذه الفعلة ، ولكن التاريخ اثبت بعد ذلك ان هذا التصرف الرحيم السمح من جانب صلاح الدين كان هو الذى كسر حدة الحروب الصليبية ، فلم يقم لهم بعدها قائمة فقد بدد تصرف صلاح الدين كل الدعايات الكاذبة ضد المسلمين .

وهكذا يجب أن يفهم روح الامر الالهى الذى يتضمنه النص .

واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين .

وليس أدل على ذلك من أنه سبحانه وتعالى يعود فيذكر المؤمنين أن أصل الاصول الذى يجب أن يحكم المؤمن فى كل تصرفاته هو تقوى الله ، وتقوى الله هو الخوف منه وخشيته ، وتجنب عذابه باتباع اوامره واجتناب نواهيه ، ولكن التقوى أصبحت كلمة جامعة تشع صفات الكمال كلها .

وهى هنا تختم هذه الايات التى تتحدث عن القتال ومقتضياته ، لتذكر المسلمين أن يجعلوا الله نصب أعينهم فى كل ما يعملون .

وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بـأيديكم الى التهلكة .

الانفاق فى سبيل الله : كل انفاق من اجل نصرة الحق والخير والمعروف ، هو انفاق فى سبيل الله ، ولكن النص على الانفاق فى مجال الحديث عن الحرب وقواعدها ومبادئها هو اشارة لعصب الحروب وهو المال ، فاذا كانت الحرب تتطلب فى الدرجة الاولى أناسا امتلاوا بالايمان فهم فى حاجة فى الدرجة الثانية الى المال اللازم لشراء الاسلحة أو صنعها والانفاق على كل ما يحتاجه الجيش من زاد وعتاد ، ومن هنا فقد اعتبر الله سبحانه وتعالى أن الجهاد فى سبيله كما يكون بالنفس فانه يكون بالمال كذلك ، بل ان القرآن الكريم قدم دائما ذكر المال على النفس :

- انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بـأموالكم وانفسكم « التوبة ٤١ » .

- وتجاهدون فـى سـبيل الله بـأموالكم وانفسكم « الصف ١١ » .

- لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم « التوبة ٨٨ » .

وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم ، فلا يكاد يذكر الجهاد فى سبيل الله الا ويكون الحديث عن أن ذلك يتحقق بالنفس والمال ويقدم ذكر المال على النفس وذلك مسايرة للطبيعة البشرية فقد تجد الف مجاهد على استعداد أن يبذلوا ارواحهم فى سبيل الله ولكنك لن تجد الا واحدا فقط يبذل كل ماله . وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما احتاج مالا للانفاق على الجيش الذاهب الى تبوك ، كان سيدنا أبو بكر الصديق هو الوحيد الذى جاءه بكل ماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « **هل ابقيت شيئا لعيالك** » فرد بقوله « **ابقيت الله ورسوله** » .

والذى يهمنا فى هذا المقام أن القرآن الكريم ما فتىء يدعو الى بذل الاموال من اجل الجهاد ، فعندما يأمر هنا بالنفقة فى سبيل الله وهو بصدد التحدث عن الحرب ، يجب أن تفسر على ضوء مقتضيات الحال وحدث الشأن بالنسبة

ولا تلقـوا بايديـكم الـى التهلـكة .

فهذا الجزء من الاية الكريمة مرتبط أشد الارتباط بالجزء السابق عليها وهو الدعوة الى الانفاق ، والاية كلها مرتبطة بالحرب والقتال ، وهى تحذير للمسلمين فى كل زمان ومكان انهم اذا قصروا فى الانفاق الدائم والمستمر على الاستعداد للحرب والجهاد فى سبيل الله ، فان من شأن ذلك أن يعود عليهم بالهلاك والبوار ، وهو ما حدث فى التاريخ بالفعل ، فقد هان المسلمون وذلوا عندما تهاونوا فى شأن الاستعداد للحرب وبخلوا بأموالهم أن ينفقوها فى سبيل الله حتى أصبحت بلادهم فى يوم من الايام نهبا مباحا .

ان الكثيرين يتصورون أنه اذا كانت أوربا قد غلبت المسلمين على أمرهم يوما فذلك بفضل تفوقهم العلمى والالى ، أو ما يطلقـون عليـه بـاسم العصر « التكنولوجيا » ؟ وهؤلاء ينسون انه عندما شرع أعداء المسلمين فى التفوق عليهم لم يكن عندهم هذا الذى نسميه اليوم « تكنولوجيا » ، فقد كان العلم والتفوق الحضارى لا يزال فى العالم الاسلامى ، ولكن الذى حدث أنهم تهاونوا فى أمر الله لهم فتوقفوا عن الانفاق للاستعداد للحرب والقتال ، وحيث يأمرهم بالاعداد والحذر واليقظة ، غفلوا عن ذلك كله واقبلوا على ملذاتهم وشهواتهم ، فكان أن تحقق أمر الله فيهم ، فهلكوا أى هلكوا معنويا بضياع استقلالهم ، فضلا عن عزتهم وحضارتهم ، واليوم وقد بدأ المسلمون يثوبون الى رشدهم وينفقون ما ينفقون فى الاستعداد للحرب والقتال فى سبيل الله ، فالمستقبل مشرق ومزدهر باذن الله .

هذا النظر فى تفسير الاية يؤيده ما أوردته كتب الحديث « أبو داود والترمذى والنسائى وآخرون » « **عن يزيد بن ابى حبيب عن اسلم ابى عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو ايوب الانصارى فقال ناس القى بيده الى التهلكة . فقال أبو أيوب نحن أعلم بهذه الاية انما نزلت فينا : صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الاسلام وظهر اجتمعنا معشر الانصار فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الاسلام وكثر اهله وكنا قد آثرناه على الاهلين والاموال والاولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع الى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » فكانت التهلكة فى الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد .**

فانظر يارعاك الله ، كيف جهل المسلمون « عندما نكسوا على رؤوسهم » كل ذلك واتخذوا جملة « **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** » لتكون ذريعة يتذرعون بها لكل نقائص الحياة فيرضون بالذل والمهانة والصغار ، ويتوقفون عن كل أمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويبخلون ، وكل ذلك بدعوى أنهم يصدعون بأمر الله « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكه** » وغنى عن البيان ان الامر الالهى يطبق فى عمومه شريطه أن يطبق تطبيقا صحيحا فلا يمتنع انسان على سبيل المثال عن انفاق المال فى سبيل الله بزعم أن ذلك يؤدى الى التهلكة مع أن فعل ذلك كما رأينا هو الذى ادى وسيظل يؤدى الى التهلكة .

واحسنوا ان الله يحب المحسنين .

وختمت الاية الكريمة بالدعوة الى الاحسان أعلى مراتب الطاعات ، مما سنفصله فى مناسبة قادمة ، وحسبنا أن نذكر الان الحديث الجامع المانع لخير الدنيا والاخرة وهو التفسير الذهبى لهذه الاية ، فقد نطق به سيد المرسلين : « **ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه** » .

يتبع

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

مصيبة حيث اعبرت نقل عن عالم جليل
تستحق الإعادة مرات
م

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

بينما اخذت انقب فى بطون الكتب باحثا عن الاثار الجليلة لاختيار رب العزة لخاتم النبيين ليكون رحمة للعالمين ، واذا بى أعثر على مجموعة من آثار ذلك جاء بها العالم الجليل شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

جاء بها فى ثنايا كتبه القيمة [بدائع الفوائد] و [الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان] و [زاد المعاد فى هدى خير العباد [، وكلها زاخرة بالعلم الغزير ، والعقل المنير ، والبحث عن آثار هذا الرسول الكريم المبعوث رحمة للعالمين .

فمن ذلك بيانه لما شرعه الله تبارك وتعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدهم اذا اراد تحية اخيه [السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [. قال رحمه الله : ما هي الحكمة فى اقتران الرحمة والبركة بالسلام ؟

الجواب : انه لما كان الانسان لا سبيل له الى انتفاعه بالحياة الا بثلاثة اشياء ، أحدها سلامته من الشر ومن كل ما يضار حياته وعيشه . والثانى حصول الخير له . والثالث دوامه وثباته له . فانه بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة ، شرعت التحية متضمنة للثلاثة ، فقوله سلام عليكم يتضمن السلامة من الشر ، وقوله ورحمة الله يتضمن حصول الخير ، وقوله وبركاته يتضمن دوامه وثباته ، كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره .

وقد عرف بهذا فضل هذه التحية وكمالها على سائر تحيات الامم ، ولهذا اختارها الله لعباده ، وجعلها تحيتهم بينهم فى الدنيا وفى دار السلام ، أى الجنة ، قال تعالى : [**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**] آية ١٠ من سورة يونس . وقد بان لك انها من محاسن الاسلام وكماله ، فاذا كان هذا فى فرع من فروع الاسلام وهو التحية التى يعرفها الخاص والعام ، فما ظنك بسائر محاسن الاسلام وجلالته وعظمته وبهجته التى شهدت بها العقول والفطر حتى انها من اكبر الشواهد واظهر البراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكمال دينه وفضله

وشرفه على جميع الاديان ؟ وأن معجزته فى نفس دعوته ، فلو اقتصر عليها كانت آية وبرهانا على صدقه ، وانه لا يحتاج معها الى خارق ولا آية منفصلة ، بل دينه وشريعته ودعوته وسيرته من اعظم معجزاته عند الخاصة من امته حتى أن ايمانهم به انما هو مستند الى ذلك والايات فى حقهم مقويات بمنزلة تظاهر الادلة . ومن فهم ذلك انفتح له باب عظيم من ابواب العلم والايمان ، بل من ابواب الجنة العاجلة يرقص القلب فيه طربا ويتمنى أنه له الدنيا وما فيها .

هذا من بعض محاسن الشريعة وما فيها من الحكم البالغة والاسرار الباهرة التى هى من أكبر الشواهد على كمال علم الرب سبحانه وتعالى وحكمته ورحمته وبره بعباده ولطفه بهم وما اشتملت عليه من بيان مصالح الدارين والارشاد اليها وبيان مفاسد الدارين والنهى عنها وانه سبحانه لم يرحمهم فى الدنيا برحمة ولم يحسن اليهم احسانا أعظم من احسانه اليهم بهذا الدين القيم وهذه الشريعة الكاملة ، ولهذا لم يذكر فى القرآن لفظة المن عليهم الا فى سياق ذكرها كقوله : [**لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين**] وقوله : [**يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين**] . فهى محض الاحسان اليهم والرأفة بهم وهدايتهم الى ما به صلاحهم فى الدنيا والاخرة ، لا أنها محض التكاليف والامتحان الخالى عن العواقب الحميدة والغايات التى لا سبيل اليها الا بهذه الوسيلة ، فهى لغاياتها المجربة المطلوبة بمنزلة الاكل للشبع ، والشرب للرى ، وملامسة النساء لطلب الولد ، وغير ذلك من الاسباب التى ربطت بها مسبباتها بمقتضى الحكمة والعزة ، فلذلك نصب هذا الصراط المستقيم وسيلة وطريقا الى الفوز الاكبر والسعادة ، ولا سبيل الى الوصول اليه الا من هذه الطريق ، كما لا سبيل الى دخول الجنة الا بالعبور على الصراط . فالشريعة هى حياة القلوب وبهجة النفوس ولذة الارواح ، والمشقة الحاصلة فيها ، والتكليف وقع بالقصد الثانى كوقوعه فى الاسباب المفضية الى الغايات المطلوبة ، لا أنه مقصود لذاته ، فضلا عن أن يكون هو المقصود لا سواه ، فتأمل هذا الموضع ، وأعطه حقه من الفكر فى مصادرها ومواردها ، يفتح لك بابا واسعا من العلم والايمان ، فتكون من الراسخين فى العلم ، لا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون .

كما أن هذه الشريعة آية شاهدة له على ما وصف به سبحانه نفسه من صفات الكمال ، فهى آية شاهدة لرسوله بأنه رسول حقا وانه أعرف الخلق ، واكملهم ، وأفضلهم ، وأقواهم الى الله وسيلة ، وانه لم يؤت عبد مثل ما أوتى ، فوالهفاه على كل مساعد على سلوك هذه الطريق واستفتاح هذا الباب ؟ والانفضاء الى ما وراءه ولو بشطر كلمة .

فانفق انفاسك فيما شئت ، فان تلك النفقة مردودة بعينها عليك ، وصائرة لا سواها اليك ، وبين العبد وبين السعادة والفلاح صبر ساعة لله عز وجل .

وما هى الا ساعة ثم تنقضى ويذهب هذا كله ويزول ولقد أطلنا ولكن لما أملنا ، فان قلبا فيه ادنى حياة يهتز اذا ذكر الله ورسوله ويود أن لو كان المتكلم كله السنة تالية ، والسامع كله آذانا واعية ، ومن لم يجد قلبه طاهرا فليشتغل بما يناسبه ، فكل ميسر لما خلق له ، وكل يعمل على شاكلته .

وكل امرىء يهفو الى من يحبه
وكل امرىء يصبو الى ما يناسبه

ثم قال رحمه الله

ما الحكمة فى اضافة الرحمة والبركة الى الله تعالى ، وتجريد السلام عن الاضافة ؟

جواب ذلك ان السلام لما كان اسما من اسماء الله تعالى استغنى بذكره مطلقا عن الاضافة الى المسمى قال تعالى فى آية ٢٣ من سورة الحشر « **لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن** » ، واما الرحمة والبركة فلو لم يضافا الى الله لم يعلم رحمة من ؟ ولا بركة من تطلب ، فلو قيل السلام عليكم ورحمة . وبركة . لم يكن فى هذا اللفظ اشعار الفاعل بالراحم المبارك . الذى تطلب الرحمة والبركة منه ، فقيل رحمة الله وبركاته ليدرك من أول وهلة أنها من الله وحده .

ثم قال رحمه الله

واما الحكمة فى افراد السلام والرحمة وجمع البركة ، فجوابه ان السلام اما مصدر محض ، فهو شىء واحد فلا معنى لجمعه ، واما اسم من أسماء الله فيستحيل أيضا جمعه ، فعلى التقديرين لا سبيل الى جمعه ، واما الرحمة فمصدر أيضا بمعنى العطف والحنان فلا تجمع ايضا ، والتاء فيها بمنزلتها فى الخلة والمحبة والرقة ليست للتحديد . وأما البركة فانها لما كان مسماها كثرة الخير واستمراره شيئا بعد شىء ، كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر ، فهو خير مستمر يتعاقب الافراد على الدوام شيئا بعد شىء ، كان لفظ الجمع اولى بها لدلالته على المعنى المقصود بها ، ولهذا جاءت فى القرآن كذلك فى قوله تعالى « **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** » آية فأفراد الرحمة وجمع البركة ، وكذلك فى السلام فى التشهد السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

وقال رحمه الله

ما السر فى كون السلام فى آخر الصلاه ، والتكبير فى اولها ؟

أما اختتام الصلاة به فانه قد جعل الله لكل عبادة تحليلا منها ، فالتحليل من الحج بالرمى للجمار ، وكذلك التحلل من الصوم بالفطر بعد الغروب ، فجعل السلام تحليلا من الصلاة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « **تحريمها التكبير وتحليلها التسليم** » وتحريمها هنا هو بابها الذى يدخل منه اليها ، وتحليلها بابها الذى يخرج به منها ، فجعل التكبير باب الدخول والتسليم باب الخروج لحكمة بديعة بالغة يفهمها من عقل عن الله والزم نفسه بتأمل محاسن هذا الدين العظيم .

وتوضيح ذلك أنه لما كان المصلى قد تخلى عن الشواغل ، وقطع جميع العلائق ، وتطهر وأخذ زينته وتهيأ للدخول على الله ومناجاته ، شرع له أن يدخل عليه دخول العبيد على الملوك ، فيدخل بالتعظيم والاجلال ، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا المعنى وهو قول الله أكبر ، فان فى اللفظ من التعظيم والتخصيص والاطلاق فى جانب المحذوف المجرور بمن كان يقول أكبر من كل كبير مثلا كما سيأتى قريبا مما لا يوجد فى غيره ، ولهذا كان الصواب أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه ، ولا يؤدى معناه ، ولا تنعقد الصلاة الا به . فجعل هذا اللفظ واستشعار معناه ، والمقصود به باب الصلاة الذى يدخل العبد على ربه منه ، فانه اذا استشعر بقلبه أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال استحيى منه ان يشغل قلبه فى الصلاة بغيره فلا يكون موفيا لمعنى الله أكبر ، ولا مؤديا لمعنى اللفظ ، ولا اتى البيت من بابه ، بل الباب عنه مسدود . وهذا باجماع السلف أن ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها وحضره بقلبه .

والمقصود انه قبيح بالعبد ان يقول بلسانه الله أكبر وقد امتلا قلبه بغير الله ، فلو قضى حق الله اكبر واتى البيت من بابه لدخل وانصرف بانواع التحف والخيرات . فهذا الباب الذى يدخل منه المصلى وهو التحريم .

وأما الباب الذى يخرج منه فهو باب السلام المتضمن أحد الاسماء الحسنى ، فيكون مفتتحا لصلاته باسمه تبارك وتعالى ، ومختتما لها باسمه ، فيكون ذاكرا لاسم ربه أول الصلاة وآخرها ، مع ما فى اسم السلام من الخاصية والحكمه المناسبة لانصراف المصلى من بين يدى الله ، فان المصلى مادام فى صلاته بين يدى ربه فهو فى حماه الذى لا يستطيع أحد أن يضره ، بل هو فى حمى من جميع الافات والشرور ، فاذا انصرف من بين يديه تبارك وتعالى ، ابتدرته الافات والبلايا والمحن ، وتعرضت له من كل جانب ، وجاءه الشيطان بمصائده وجنده ، فهو متعرض لانواع البلايا والمحن ، فاذا انصرف من بين يدى الله مصحوبا بالسلام ، لم يزل عليه حافظا من الله سبحانه وتعالى الى وقت الصلاة الاخرى ، وكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدى ربه بسلام يستصحبه ، ويدوم له ، ويبقى معه .

قال رحمه الله تعالى قولهم الصلاة معناها الرحمة باطل من وجوه أحدهما أن الله سبحانه وتعالى غاير بينهما فى قوله [**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**] آية ١٥٧ من سورة البقره والثانى أن طلب الرحمة طلب لكل مسلم والصلاة تختص بالنبى صلى الله عليه وسلم واهل بيته ولهذا منع كثير من العلماء الصلاة على شخص معين غير النبى صلى الله عليه وسلم فلا يقال الصلاة على عمر ولا على ابى بكر ولا على خالد بن الوليد ولم يمنع أحد من الترحم عليهم ،

وقول بعض العلماء ان الصلاة من العباد معناها الدعاء مشكل من وجوه ، أحدهما أن الدعاء يكون بالخير والشر والصلاة لا تكون الا فى الخير والثانى أن فعل [دعوت] يتعدى فى الخير باللام وفى الشر بعلى فيقول دعوت لفلان بالخير ودعوت على فلان يريد بالشر ، الثالث ان فعل الدعاء يقتضى داعيا ومدعوا ومدعوا له ، يقول الرجل دعوت الله لك بخير وفعل الصلاة لا يقتضى ذلك فلا يقال صليت الله لك فدل ذلك على أن ليس معنى الصلاة الدعاء . واذا كان الامر كذلك فكيف اذا أمرنا الله بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فنقول اللهم صل ونكون بذلك قد امتثلنا أمر الله تعالى .

حل كل هذه الاشكالات العالم الجليل ابو القاسم السهيلى رحمه الله حيث قال معنى لفظ الصلاة فى كل تصرفاته يرجع الى معنى الحنو والعطف . والعطف اذا نسب لله معناه الرحمة والعطف واذا نسب للعباد كان معناه طلب الرحمة من الله فصح أن يقول سبحانه صلوا عليه أى اعطفوا عليه بطلب الرحمة له .

وقال رحمه الله تعالى فى شرح قوله تعالى [ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] آية ٥٦ سورة الاحزاب .

ان قيل ما الحكمة فى تأكيد الامر بالسلام على النبى [ص] بالمصدر [تسليما] دون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فلم يقل [صلوا] عليه صلاة الجواب أن التأكيد واقع على الصلاة كالسلام ايضا لكن اختلفت جهة التأكيد وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى اخبر فى أول الاية بصلاته تعالى على نبيه وكذا بصلاة ملائكته مؤكدا هذا الاخبار بحرف [ان] الدال على تأكيد وقوع الصلاة من الله سبحانه وتعالى وملائكته مخبرا عن الملائكة بصيغة الجمع المضاف اليه تعالى وهذا يفيد عموم الملائكة جميعا فاذا استشعرت نفوس الخلق أن شأنه صلى الله عليه وسلم عن الله وملائكته بهذه المنزلة الرفيعة بادرت بالصلاة عليه وان لم تؤمر بها فاذا أمرت بها بقوله تعالى [صلوا عليه] .

لم يحتج الى تأكيد الامر ، بل اذا جاء مطلق الامر سارعت النفوس الى موافقة الله وملائكته فى الصلاة

البقية ص ٢٤

التوبة والكبائر

الدكتور أحمد الحوفي

ما الكبائر ؟

لقد جاء ذكرها فى آيتين هما قوله تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلا كريما » ، وقوله سبحانه « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم » .

فهل الكبائر هى الذنوب الكبار التى توعد الله مرتكبيها بعذاب شديد ووضع لها حدا للعقاب ، مثل الزنا والسرقة والقتل ؟

والفواحش هى الذنوب الكبار نفسها ، وقد ذكرت فى الاية الثانية بعد الكبائر من عطف الخاص على العام ؟ .

أما اللمم فهى الذنوب الصغار التى لم يتوعد الله فاعليها ولم يضع لها عقوبة محددة . فلنرجع الى بعض كتب التفسير لنلم المامة عاجلة بما قال المفسرون .

أما الزمخشرى فانه قال ان الكبائر هى المعاصى الكبار التى نهى الله عنها والرسول ، وعن على رضى الله عنه : الكبائر سبع : الشرك ، والقتل ، والقذف ، والزنا ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة . وزاد ابن عمر : السحر ، واستحلال البيت الحرام . وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع ، قال ابن عباس : هى الى سبع مائة أو الى سبعين أقرب ، لانه لا صغيرة مع الاصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار [الكشاف ١ — ٢٦٤] .

وأما ابن كثير فانه قال : الكبائر هى كبائر الاثام التى نهيتم عنها ، ونقل من الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .**

ونقل حديثا آخر يزيد على هذه : والانقلاب الى الاعراب بعد الهجرة .

وقال ابن كثير ان النص على هذه السبع بأنهن كبائر لا ينفى ما عداهن الا عند من يقول بمفهوم اللقب وهو ضعيف عند عدم القرينة ، ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم المفهوم .

ثم أورد أحاديث كثيرة أخرى تعين الكبائر بأنها تسع ، وتذكر ذنوبا فى محل ذنوب ، مثل عقوق الوالدين الذى يبكيهما ، والالحاد فى المسجد الحرام ، وشهادة الزور «تفسير ابن كثير ١ — ٤٨٠ — ٤٨٧»

مرتكب الكبيرة

ما حكم من يرتكب كبيرة من الكبائر ؟
أما اذا تاب فان الله عز وجل قد وعد مرات بأنه يتقبل توبته ، ويكفر عنه سيئاته .

وأما اذا لم يتب وهو قادر على التوبة ، فقد اختلفت فيه أحكام الفرق الاسلامية اختلافا توجزه هذه الالمامة .

١ - الزيدية - من الشيعة - يعتقدون أنه مخلد فى النار ، وهم فى هذا متفقون مع المعتزلة ، لان رئيسهم زيد بن على كان وثيق الصلة بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة « الملل والنحل للشهرستانى ١ - ١٣٧ . وأدب السياسة فى العصر الاموى للدكتور احمد الحوفى ٦١ » .

٢ - الخوارج بعامة يكفرون تارك الفرائض ومرتكب الكبيرة ، ويعتقدون انه مخلد فى النار مستدلين بآيات من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** ! ، وقوله سبحانه : « **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » . وقوله تعالى : « **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون** » . فجعل تارك الحج كافرا ، وجعل الفاسق المصر على فسقه اليائس من رحمة الله كافرا ، وجعل الذى يحكم بغير ما انزل الله كافرا ، ومرتكب الكبيرة قد حكم بغير ما انزل الله .

وهكذا تأولوا آيات كثيرة بما يعزز عقيدتهم «شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢ - ٣٠٧ وأدب السياسة ١٠٦ » . وبلغ التضييق والتعصب بفرقة الازارقة الى حد أنهم كفروا من عداهم من المسلمين جميعا ، وعدوهم كالمشركين لا تحل ذبائحهم ولا الزواج منهم ، ولا ارثهم او توريثهم ، ولا قبول شهادتهم ، واستحلوا قتالهم لانهم مثل عبدة الاوثان لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف

بل انهم كفروا اخوانهم الازارقة الذين يقعدون عن القتال مع قدرتهم عليه ، واستحلوا قتلهم .

واوجبوا الخروج على أئمتهم اذا ارتكبوا هفوة .
ولم يعترفوا بخلافة بنى أمية ، ولم يطيعوا أمرهم ، لانهم مرتكبون للكبائر « الملل والنحل ١-١٠٩ والفرق بين الفرق للبغدادى ٦٢ ومروج الذهب للمسعودى ٢ - ٣٩ وأدب السياسة ٩٦ » .

اما النجدات - من الخوارج - فانهم يقضون على مرتكب الكبيرة وعلى مرتكب الصغيرة بما قضى به الزيدية ، وهو انه كافر اذا أصر على المعصية ، مؤمن اذا لم يصر « الملل والنحل ١ - ١١٠ والفرق بين الفرق ٦٨ ومروج الذهب ٢ - ١٩١ وأدب السياسة ٩٩ » .

وأما الاباضية - من الخوارج - فقد رأوا أن مرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن ، فهو كافر بالنعمة لا بالملة ، كافر كفر نعمة لا كفر شرك ، جاء فى خطبة رئيسهم عبد الله بن يحيى باليمن بعد أن استولى عليها : من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، وكرر زعيم من زعمائهم هو ابو حمزة هذه العقيدة فى خطبة له بالمدينة المنورة « الفرق بين الفرق ٨٢ والاغانى ٢٠ - ٥٨ ، ١٠٥ وأدب السياسة ١٠٠ » .

وأما الصفرية - من الخوارج - فان الكبائر عندهم نوعان : نوع يحد مرتكبه كالسرقة والزنا والقذف ، ونوع لا حد له لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف .

أما النوع الاول فمرتكبه ليس كافرا ولا مشركا ، وانما يسمى باسم الجريمة التى ارتكبها ، يسمى سارقا أو زانيا أو قاذفا ، وأما النوع الثانى فان مرتكبه كافر مخلد فى النار . « الملل والنحل ١ - ١٢٣ والكامل للمبرد ٣ - ٢٩١ وتاريخ الطبرى ٧ - ٥٧ وأدب السياسة ١٠٢ » .

٣ - فاذا ما تجاوزنا تشديد الخوارج وتضييقهم الى راى المرجئة وجدناهم لا يقضون على مرتكب الكبيرة بانه من أهل الجنة أو من أهل النار ، لانهم يتركون الحكم عليه لله تعالى ، ويرجئون حاله الى يوم القيامة ، ومعنى هذا أنهم يعطونه الامل فى المغفرة ، لانهم يدينون بأنه لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

وقد قصروا الايمان على الاعتقاد بالقلب ، ورأوا أن اداء الفرائض كالصلاة والصيام ليس جزءا من الايمان ، وان الذى يرتكب كبيرة لا يخرج من الايمان ، بل ان المعصية لا تضر مع الايمان ، ولهذا لم يكفروا عليا وعثمان وطلحة والزبير ومعاوية واتباعهم والخارجين عليهم ، ولم يوافقوا الخوارج فى تكفيرهم للامويين ومحاربتهم « الملل والنحل ١ - ١٢٥ ونقد العلم والعلماء لابن الجوزى ١٠٢ وأدب السياسة ١٢٥ » .

٤ - أما المعتزلة فيقولون ان مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا وليس كافرا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، ومخلد فى النار ، لان الايمان خصال خير اذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا ، وهو اسم مدح ، ومرتكب الكبيرة فاسق لم يستكمل خصال الخير ، ولم يستحق اسم المدح ، فلا يسمى مؤمنا ، ولكنه ليس بكافر مطلق ، لان الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، لا وجه لانكارها ، لكنه مخلد فى النار . « الملل والنحل ١ - ٨٤ ومروج الذهب ٢ - ١٩٠ » .

٥ - وأما أهل السنة ففى اعتقادهم ان مرتكب الكبيرة عضو فى الجماعة الاسلامية له ما لها وعليه ما عليها ، وان أصحاب الجمل وصفين مسلمون ، الا أن على بن أبى طالب كان على الحق ، وكان خصومه على الباطل ، فهم ثائرون لا كفار .

وهم يستدلون بالايات القرآنية الكثيرة التى وعد الله تعالى فيها التائبين بالمغفرة ، ووعد بأن يغفر ما

يشاء لمن يشاء الا الشرك ، ويستدلون أيضا بأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم : **اذا اسلم العبد فحسن أسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها – قدمها – وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مئة ضعف ، والسيئة بمثلها الا أن يتجاوز الله عنها « فتح المبدى ١ ـ ٦٩ »** .

ويكفى أن نسوق مثالا موجزا من تأويل المعتزلة والسنية لاية قرآنية كريمة ، ففى تفسير قوله تعالى : **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »** .

ذكر الزمخشرى أن قوله تعالى « **جزاء بما كانوا يعملون** » حسم أطماع المتمنين .

وعلق ابن المنير الاسكندرى بقوله : يشير الى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصى موعود بالجنة ولابد من دخوله اياها ، وفاء بالوعد الصادق ، وان أحدا لا يستحق على الله بعمله شيئا .

فلما وجد الزمخشرى « **جزاء بما كانوا يعملون** » اغتنم الفرصة فى الاستشهاد على معتقد القدرية – المعتزلة – فى أن الاعمال أسباب موجبة للجزاء ، ولا دليل فى ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم : **لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة** .

فهذا الحديث يوجب حمل الاية على وجه يجمع بينها وبينه ، وذلك اما أن تحمل الاية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم فى الجنة ، فانه على حسب الاعمال ، وليس بذاك ، فان المذكور فى الاية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها .

واما أن تحمل – وهو الظاهر والله أعلم – على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ، ووعده يجب أن يكون حقا وصدقا ، صارت الاعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات ، فعوملت فى هذه العبارة معاملتها ، والمقصود تأكيد صدق الوعد فى النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالاجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه ، والله أعلم . « الكشاف وهامشه ٣ ـ ٢٢١ » .

٦ – والحق أن القضية لا تستدعى هذا الاختلاف الجسيم ، ولا تقتضى ذلك التشدد الذى حمل الخوارج لواءه ، ولكنها اتصلت بالسياسة اتصالا وثيقا ، فكان الاسلامية ممثلة لاتجاهها السياسى « الملل والنحل ١ ـ الخلاف وكانت الخطورة ، وكانت آراء الفرق ٥٢ والمنية والامل للمرتضى ٦ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١٢ ـ ١٦٦ ـ ١٦٨ وأدب السياسة فى العصر الاموى ١٤١ » .

فانه بعد الحرب التى نشبت بين على ومعاوية وسالت فيها دماء غزيرة ، وأزهقت فيها ارواح كثيرة . تنبه بعض المسلمين الى أن هذه الحرب ارتكبت فيها كبيرة من كبائر هى قتل النفس المسلمة بغير حق ، فمن الذى يحتمل وزر هذه الكبيرة ؟ أهو على أم معاوية ؟

وسواء أكان هذا أم ذاك فما حكم الذى اشعل الحرب وأحرق فى لظاها عشرات الالوف من المسلمين ؟

أهو مسلم باق على اسلامه ؟

أهو كافر برىء منه الاسلام ؟

أهو مجهول المصير أمره موكول الى الله ؟

أهو فى منزلة وسط بين الكفر والايمان ، فهو فاسق ليس مسلما خالصا ولا كافرا خالصا ؟

اختلف المفكرون المسلمون فى هذا كله ، ونشأت الفرق الاسلامية ، وكان من مظاهر اختلافها ما سبق فى تأويل الايات القرآنية الكريمة .

ثم اتسع الخلاف وامتد فاشتمل على كثير من الموضوعات . لكن الجدير بالذكر ان هذه الفرق – وان نشأت نشأة سياسية – لم تنشئها الدولة الاموية أو قوة ما فى العصر الاموى ، بل نشأت بذاتها استجابة للاحداث والاحوال التى شاعت فى الامة آنذاك ، ولم يسلم من نارها قطر من اقطار الاسلام .

بقية مقال « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

عليه [ص] فلم يحتج الامر الى تأكيد الفعل بالمصدر بأن يقول صلوا عليه صلاة ولكن السلام لما خلق من هذه المعانى وجاء فى حيز الامر المجرد حسن تأكيده بالمصدر [تسليما] ليدل على تحقيق المعنى وتثبيته فلما حصل التكرير فى الصلاة بلفظ الخبر فى قوله [يصلون] وطلبا فى قوله [صلوا] حصل التكرير فى السلام أيضا فى قوله [سلموا] ومصدرا فى قوله [تسليما] فتساوى الامران فى مطلق التأكيد وان اختلفت جهته وهذا من أسرار الكتاب العزيز الذى أعجز العرب الذين نزل بلسانهم .

كتاب كل هذه تعاليمه وأسرار عظمته واعجازه وكونه رحمة للعالمين لا يعرض عنه الا محروم غلبت عليه شقوته فلم يظلم الا نفسه قال تعالى [ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها] آية ٥٧ سورة الكهف وقال تعالى مخاطبا رسوله [ص] [وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا] آيات ٩٩ ، ١٠٠ و ١٠١ من سورة طه ونسأل الله دائم التوفيق .

العلم فى القرآن

وجها لوجه

سليمان وجنوده أمام نملة !

الدكتور أحمد حسنيه القفل

— ٢ —

٤ ـ ولقد كان من أجناد سليمان أيضا الخيول المسومة ، كثير أعدادها قوية أجسامها تأمل قول الله تعالى :

« اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق » .

ويتضح من ذلك بجلاء أن سليمان كان يستعرض خيوله المطهمة فى آخر النهار ، وأنه كان يحب هذا العرض كثيرا لدرجة أنه قد ينسيه أحيانا تذكر مولاه اذ هو ولوع باستعراضها من أولها الى آخرها ، ويظل مشوقا الى هذه الرؤية والمشاهدة حتى تغيب عنه حتى اذا فعلت فغابت طلب اعادة العرض من جديد ، ويغلبه الشوق الى رؤيتها فلا يلبث أن يمسح عليها مسحة الحب والرحمة والاشفاق وخاصة على سوقها واعناقها ، وهذا ما يفعله حاليا الفرسان بخيولهم لاشعارها بالحنان والعطف اللذين يقابلهما الحصان الاصيل بالطاعة والاستكانة لسيده والتفانى فى خدمته حتى ليقتحم به ساحات القتال فى غير ماهيبة ولا وجل . واذا كانت الخيل فى أعقابها الخير فتأمل قول الله وقسمه بها حين تستخدم فى المعارك وحين يحمى وطيسها ويتطاير شررها :

« والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا .. »

انها لشهادة حق فى خير الخيل وأهميته ، ولقد جئت بهذا الاستشهاد استنكارا لما ورد فى التفاسير «من اهلاك سليمان لها لانها انسته ذكر الله أو لما ورد من تأخير الشمس عن غروبها ليلحق صلاته .. الخ » .. مما لا يتفق مع جلال الاية وما ترمى اليه من حسن واشراق يتضح منه الرحمة المتبادلة بين الانسان والحيوان وكيفية الرفق به والاحسان اليه .

والله سبحانه الذى يقول عن سليمان « نعم العبد » هو سبحانه الذى أشرب قلب سليمان حب الخيل وأعطاه اياها ومن ثم ، فقد أحبها سليمان حبا مصدره ذكر ربه الذى وهبه اياها ، ليكون بها رحيما ، وفى معاملتها رقيقا .

٥ ـ أما أجناد سليمان من الانس فقد كان منهم « العالمون » الذين لا يرقى الى مستوى علمهم علماء اليوم ، بل واشك كثيرا فى أن يشق غبارهم علماء الغد . فعلم اليوم ، بل وعلم الغد ، تشرئب أعناقهما الى مثل ما فعل أحد جلسان سليمان وهو « الذى عنده علم من الكتاب » . ولا أشك أيها القارىء الكريم انك ستشاطرنى الرأى حين تتأمل قول الله تعالى بشأن احضار عرش بلقيس ، ملكة سبأ :

« قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم ! .

لا عجب أن يكون هذا هو فضل العلم وقوته على ما عداه ، ولا عجب أن ترد قوة العلم وفضله نبى الله الى فضل الله ونعمته بلا بطر ولا عنجهية ولا افتراء ، ولا عجب أن يكون ذلك مدعاة لشكر الله والسجود لآلائه مع أن ربى غنى كريم .

وفى التفاسير : أن الذى عنده علم من الكتاب هو « آصف بن برخيا » ويقال انه ابن خالة سليمان [على خلاف فى ذلك] وكان آصف هذا

صديقا يحفظ « اسم الله الاعظم » الذى اذا سئل به أعطى ، واذا دعى به أجاب . وقالت عائشة رضى الله عنها : قال النبى صلى اللهعليه وسلم : « ان اسم الله الاعظم الذى دعا به آصف بن برخيا : ياحى ياقيوم » .

هذا هو جيش سليمان وهؤلاء هم أجناده ، لك أيها القارىء الكريم أن تتصور مبلغ قوته ، وكمال تكوينه ، وهذا ما استطعت أن أدركه من ثنايا آيات الذكر الحكيم ، وربما ما خفى من أسراره وما حباه الله به من مكنونات كان أعظم .

مثل هذا الجيش بحذافيره تستوقف قائده « نملة » لتحاوره ، ويلاحظ :

أ - أن النمله كانت « مهذبة » بل غاية فى « الادب واللطف » . فقد توجهت بحديثها الى نبى أو بنات جنسها فقالت كما يحكى ذلك القرآن الكريم :

« قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » .

١ - لقد خافت النملة الرائدة او القائدة على أتباعها من أضرار يمكن أن تحيق بها او تتوقعها فامرتها بالابتعاد عن مواطن الريب وهذا احساس نبيل من « رئيس لمرءوسيه » أو من « قائد لاتباعه » فعليه أن يبصرهم بمواطن الخطر قبل وقوعه .

٢ - لم تتهم النملة سليمان ولا جيشه بالبطش والقهر ، والبطر والعجرفة ، اعتمادا على القوة الخارقه للقائد وللجنود ، ولكنها قالت لهم عبارتها الرقيقه اللطيفة « وهم لا يشعرون » ، وهذا معناه أن أى ضرر قد يحدث من هذا الجيش الى ملا النمل انما هو غير مقصود ولا متعمد .

٣ - انها لم تامر النمل بالانتشار بعيدا عن الجيش فهى لاتدرك قدره ولا يمتد بصرها لمعرفة مداه ، وقد لا تعرف كنهه ولكنها أمرت اتباعها بالدخول الى « مساكنهم » فهى مخابئهم المأمونة العواقب ، وتكون بذلك قد أخذت بالاحوط .

وهذه التصرفات الحكيمة من جانب النملة ، وهذا السلوك الطيب من ناحيتها ، وسليمان الذى يفهم منطق الحيوان يرى ويعجب من اسرار الله فى أضعف مخلوقاته ، هنا يبتسم ضاحكا من قولها ، ثم يفكر ويقدر فتتجلى له صورة عدد من النمل امام جيش يملك قوة بلا حدود ، واجنادا لا يحصرها العد ، تختلف أجناسها وتتباين امكاناتها ، وهنا لا يملك القائد المؤمن أمام هذه الصورة الفريدة الا أن يقول كما يحكى القرآن الكريم :

« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » .

انها لمصادفة عربية رتبها الحق تبارك وتعالى حتى لا تبطر القوه صاحبها فيبطش ويظلم بغير حق ، وحتى لا يشعر الضعيف بانه مهيض الجناح مكسور الخاطر ، وليعلم الانسان وجدير به ان يعلم ، ان الله « خلق فسوى ، وقدر فهدى » وأن كلا ميسر لما خلق له .

ويطيب لنا أن نسجل هنا ما ورد فى التفاسير لطرافته « وما قاله البعض من ان سليمان سأل النمله « لم حذرت النمل ؟ احفت ظلمى ؟ أما علمت انى نبى عدل ؟ فلم قلت : يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ فقالت النملة « اما سمعت قولى « وهم لا يشعرون » ؟ مع انى لم أرد حطم النفوس [الاجساد] وانما اردت حطم القلوب خشيه أن يتمنين مثل ما أعطيت اويفتتن بالدنيا ويشغلن بالنظر فى ملكك عن التسبيح والذكر » .

فقال لها سليمان : عظينى . فقالت النمله اما علمت لم سمى ابوك « داود » ؟ قال : لا . قالت : لانه داوى جراحه فؤاده . هل علمت لم سميت « سليمان » ؟ قال : لا . قالت : لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامه صدرك . ثم قالت : أتدرى لم سخر الله لك الريح « قال : لا . قالت : أخبرك ان الدنيا كلها ريح . ومن هنا تبسم ضاحكا من قولها . متعجبا ثم مضت النملة مسرعة الى قومها . . انتهى - القرطبى » .

أما ما ورد فى التفاسير بشأن « اسم النملة » ومقدار حجمها وما حملته من هدية الى سليمان وما الست من « شعر » فى حضرته فهو كلام لا يستحق التسجيل ولا يغدو أن يكون بعضا من الاسرائيليات التى تشوه من جلال التفسير الحقيقى لاى الذكر الحكيم وحبذا لو طهرت التفاسير منها .

ب - هل للنمل لغة ومنطق ؟ .

لغه النمل على الصوره الذى حاورت بها النملة سليمان يدركها العلم وربما لن يدركها مستقبلا فهى معجزة اختص بها الله سليمان ليعرف منطق الحيوان. لكن العلم يثبت حاليا أن النمل تستطيع افراده ان تتفاهم وأن تستجيب لتوجيهات وخطط تلحظها أو تفهمها « من افراد اخرى . ولنتأمل معا الملاحظات الاتيه [علما بان النمل يعيش كالنحل معيشة اجتماعية فى طوائف] :

١ - حين تنشط عاملات النمل [الشغالة] وحين تجد فى اداء ما يناط بها من أعمال لصالح الطائفة التى تنتمى اليها ، فانها تمشى فى صفوف منتظمة جدا ومتسقه بعضها عاد وبعضها رائح فى همه ودأب . ولكى تحافظ الافراد على هذا النظام البديع فان من يدحطها عن كثب يجد أنها « تتفاهم » بقرون استشعارها التى تتماس بلطف « كمن يسر الى اخيه شيئا وعلى عجل » وبذلك « يخطط الغادى الرائح ذهابا وايابا » وبذلك ينتظم « خط السير » كما لا يضل فرد هدفه ، وكأن هناك « برنامج مرسوم » .

واذا أردت أن تكتشف هذه الحقيقة فما عليك الا تقتل عددا من الافراد على امتداد عشر سنتيمترات من الصف مثلا فسوف تجد أن عقد النظام ينفرط ولكن الى حين وذلك حتى يتم التفاهم من جديد . ولو قطعت قرون الاستشعار تجريبيا لكثير من الافراد ثم تركت فانها تعجز عن الانتظام فى تكوين الصفوف هذه . والفحص المجهرى لقرن الاستشعار فى الحشرات عامة قد كشف عن وجود أعضاء وتراكيب حسية يمكن ان تؤدى باحكام هذه المهام [وهى فى صورة شعيرات حساسة او خلايا تشغل مساحة متميزة على قرن الاستشعار » .

٢ ـ النملة من القوة بحيث تستطيع أن تحمل وزنا قد يفوق وزن جسمها . وحين تعثر نملة على غنيمة تستحق أن تنقلها الى جحرها فانها ان استعصت على حملها فان النملة تستدعى معها أترابها للمساعدة والمؤازرة فى جر الغنيمة . ومن يشاهد عاملات النمل تمارس هذه العملية فانه يعجب لذلك عجبا شديدا . يعجب لتصميم الافراد على التعاون كما يعجب لانها جميعها تتفق على الاتجاه فهى تجر الثقل فى اتجاه واحد بحيث لا تتعارض القوى ولكنها تتفق . وتعجب أكثر حين تفكر كيف تنشد النملة العون فيسارع اليها المجيبات عن طيب خاطر .

٣ ـ والنمل من أكثر الحشرات نجاحا فى التغلب على الظروف الصعبة التى تعترضه ولهذا فانه واسع الانتشار اذ يوجد تقريبا فى كل بيئة تصلح لحياة الحيوانات الارضية الاخرى كما انه يفوقها فى تعداد افراده .

والنمل حشرة من حشرات غشائيات الاجنحة] هيمينوبترا] ومن فصيلة [فور ميسيدى] وجميع انواع النمل ـ والمعروف منه حاليا يزيد على ٣٥٠٠ نوع ـ حشرات اجتماعية بمعنى أن كل نوع يعيش فى عش يضم افراد تعرف بالمستعرة او الطائفة وتتكون كل مستعمرة من ملكة ـ غالبا واحدة ـ وبضعة ذكور وعددا يختلف قلة وكثرة من الشغالات [العاملات] والملكة أكبر الافراد حجما وهى فى العادة مجنحة ولكن أجنحتها تتقصف عقب طيران الزفاف [التزواج أو التلقيح] . والملكة هى الوحيدة التى تضع البيض الذى تتجدد به أفراد المستعمرة جيلا بعد جيل . أما الذكور فأفراد مجنحة تموت عقب تلقيح الملكات مباشرة . والشغالات اناث عقيمات لا أجنحة لها وهى التى تؤدى جميع الخدمات التى تتطلبها المستعمرة .

٤ ـ أما مساكن النمل فهى عبارة عن اعشاش يمكن أن تصنع فى أى مكان فقد توجد فى حفر أو دخولات فى أجزاء النبات ـ سوقه وورقه وثماره ـ وبعض أنواع النمل ـ كالنمل النجار ـ يحفر فى الخشب أنفاقا متشابكة ليعيش فيها ولكن الغالبية العظمى من أعشاش النمل يحفرها فى التربة وهذه تتفاوت حجما فمنها الصغير البسيط ومنها الكبير وهذه قد تتميز بنظام هندسى وتخطيط منظم اذ تتكون من دهاليز وانفاق قد تمتد لعدة أقدام تحت سطح الارض وتخيلها حجرات بعضها يتخصص للحضانة وتربيتها وبعضها لتخزين الطعام وبعضها لاغراض أخرى وقد يضطر النمل الى نقل حضنته من حجرة لاخرى او من عش لاخر حسب مقتضيات الظروف والاحوال .

ويتفاوت عدد الافراد فى المستعمرة تفاوتا كبيرا حسب الظروف السائدة وحسب النوع فقد تضم المستعمرة أعدادا قليلة أو قد تضم الالاف من الافراد . وتعيش الملكة فى المستعمرة لعدة سنوات وقليلا ما يوجد أكثر من ملكة واحدة فى العش الواحد تحت الظروف الطبيعية أما الشغالات فوظيفتها بناء العش ورعاية الصغار وجمع الغذاء الى غير ذلك من الخدمات فى العش .

٥ ـ وتتباين عادات التغذية فى النمل فبعض أنواعه تعيش على الانسجة الحيوانية حية أو ميتة والبعض يتغذى على انسجة نباتية والبعض يتخذ من الفطر [نباتات دنيئة] طعاما أو يرتشف الرحيق أو يمتص عصارة النبات . ويشيع تبادل الغذاء بين الافراد فيعطى المتخم به للمحروم منه ـ وحبذا لو قلده فى ذلك الانسان .

٦ ـ وللنمل وسائل عديدة يدافع بها عن نفسه فأغلب الانواع يمكنها أن تلسع غريمها اوتعضه عضا مؤلما وهناك انواع قليلة لها القدرة على قذف مواد كريهه الرائحة منفرة من فتحة الشرج قد تقذفها بعيدا مسافة بضعة أقدام .

٧ ـ ترى أى نوع من النمل كان له شرف مكالمة نبى الله سليمان ؟

لا يعرف العلم بالتحديد أى انواع النمل كانت تعاصر سيدنا سليمان لكن العلم يعرف حاليا أن النمل يمثل آلافا من الانواع تندرج تحت عشرات من الاجناس تمثل فصيلة النمل [فورميسيدى] ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر :

١ ـ النمل الحربى أو نمل الجيش [من فصيلة دوريلينى ومعظمهم انواع استوائية وهو نمل رحال يمشى فى صفوف واضحة ويغير على الحشرات الاخرى فيفترسها وملكاته عديمة الاجنحة .

٢ ـ نمل الحصاد أو نمل الزراعة [من جنس بوجوتونوميرمكس وجنس فيدول] يتغذى على بذور النباتات والمحاصيل وقد يختزنها فى أحشائه الهضمية .

٣ ـ نمل الفطر سمى بذلك لاختيار غذائه من الفطر الذى يربيه كمزارع نقية فى حجرات خاصة ـ جنات الفطر ـ داخل أعشاشه ومن عجب ان الملكة اذا اضطرت لهجر عشها فانها تأخذ معها كمية من هذا

الفطر لتبدأ زراعته فى عشها الجديد ، حرصا منها على الحصول عليه اذ ربما تفشل فى ذلك عند الطلب .

٤ - النمل الفرعونى وهو شائع فى المنازل وهو صغير لونه أصفر فاتح .

٥ - النمل النجار [من جنس كامبونوتس] ويضم أنواعا كبيرة الحجم وتحفر أنفاقا متصلة فى الخشب ذات أنظمة خاصة .

٦ - نمل الحقل الصغير [من جنس لازيس] وله القدرة على بناء روابى كثيرة يتخذ منها عشاشه

٨ - هل تتسع مساكن النمل لضيوف من غيره ؟

سجلت الابحاث ان عشاش النمل يمكن أن تضم نحو الفين من الضيوف أغلبها من مفصليات الارجل واكثرها حشرات من عمليات الاجنحة [نحوا من ١٢٠٠ نوعا] . ولضيوف النمل صور شتى :

١ - ضيوف تسعى الى الحصول على طعام مما يجمع النمل وقد تجنح بها الشراهة فتقتنص من النمل ما يمرض منه .

٢ - ضيوف تعيش مع النمل دون ان يلحظها اما لصغرها أو مشيها الوئيد وقد تتبع هذه الضيوف المستعمرة اذا عزمت على الرحيل لعش اخر .

٣ - قد يتجرأ الضيف على مضيفة لدرجة انه يلعق جسمه أو ينتهز تبادل الفردين لغذاء بينهما فينتهز الفرصة للحصول على نصيب طوعا أو كرها .

٤ - أما « الضيوف الحقيقيون » فهى أنواع من حشرات غمديات الاجنحة غالبا ما تفوز بتقدير المضيف واحترام ذلك لانها تلتحم بالنمل التحاما حتى أنها اصبحت محورة من حيث لون الجسم وشكل أجزاء الفم وقرون الاستشعار وتركيب الغدد الى درجة تقربها كثيرا من صورة النمل ومن ثم ، فانها تشاطر النمل الغذاء دون خوف أو وجل [دون حياء] وتفرز الضيوف هذا « الصنف من الغذاء » للمضيف تقديرا لكرم الضيافة .

أيها القارىء الكريم : هل أمكن من خلال العرض العلمى السابق أن تدرك الى اى مدى هدى الله النمل ويسره لما خلق له ، فتصرف هذا المخلوق الصغير « بذكاء » ، واستطاع أن يكيف حياته « بحكمة » . أرجو أن أعرض نماذج أخرى من تصرفات النمل السلوكية فوق ما سبق :

١ - قد يتقاسم العش الواحد نوعان من النمل ويعيشان فيه بسلام شريطة أن تظل كل طائفة منهما مستقلة بأحوالها ، وكأنهما يطبقان المثل الشعبى [كل واحد فى حاله] .

٢ - وعلى عكس ما سبق ما لاحظه بعض الباحثين من أن نوعا كبيرا من النمل كان يسكن عشا قريبا من عش نوع صغير من النمل . وقد اتضح له أن شغالات النمل الكبير كانت تعمل كمينا لشغالات النحل الصغير وحين تقع هذه فى « الفخ » فانها تجبر على تسليم الغنائم صاغرة ، وربما لا تفوز من الغنيمة بالاياب .

٣ - تعشق أنواع من النمل الافرازات الحلوة التى ترشح من غدد فى حشرات المن والمعروفة « بالندوة العسلية » فتتخذها لها طعاما . ولهذا فان هذه الانواع من النمل تجبر حشرات المن هذه على أن تعيش معها فى عشها بل انها لتهيىء « لبقرتها الحلوب » هذه النباتات المناسبة لغذائها فى مراعى أو « جنات » فى حجرات من العش ثم تضع المن عليها بنفسها وترعاه أجمل رعاية الى درجة أن النمل قد يجمع بيض المن ليحتفظ به ولا يضره حتى يتسنى له أن يفقس فى الوقت والميعاد المناسب .

٤ - أما النمل خازن العسل فحكايته ان افرادا من شغالات بعض أنواع النمل تقيم فى العش لا تبرحه وتستقبل زميلاتها الحاملات للرحيق فتجمعه منها وتخزنه فى أجسامها التى تنتفخ من جراء ما تجمع لتصبح أضعاف حجمها . لكنها لا تصنع بنفسها ما تصنع جشعا وانما تكون بمثابة خزانات حية توزع ما جمعت على أفراد المستعمرة حين تكون الحاجة ماسة الى ذلك [تموين مخزن] .

٥ - أما النمل صانع العبيد فله حكايات هو الاخر النمل صانع العبيد من جنس [بوليرجس] يعتمد كلية على خدمه وحشمه . أما كيف يتم ذلك : فان الملكة الملقحة من هذا الجنس حين ترغب فى تكوين مستعمرة لها فانها لا تكلف نفسها مشقة اختيار وحفر عش مستقل بها . لكنها تقصد عشا لنوع آخر من النمس حتى اذا دخلته بدأت اولا بقتل الملكة غريمتها وعندئذ لا تلبث شغالات الملكة المقتولة ان تدين بالولاء للملكة الغازية لكن هذه تأكلها الريب والشكوك ولا يخدعها المظهر فتبدأ بعد ذلك فى قتل الشغالات جميعا أما عذارى المستعمرة - وهى تلك الافراد الساكنة التى لم تشهد المعركة أو تحسها على ما يبدو - فان الملكة الغازية تربيها على الولاء والطاعة لها حتى اذا بلغت أجبرت على كل الانشطة المختلفة فى العش من تربية لحضنة سيدتها والخروج لجمع الغذاء .. الخ أما الشغالات التى تنتمى الى الملكة صاحبة السيادة فتتفرغ للقتال .

٢ - قد تجنح ملكة نمل الى ان تدخل عش طائفة أخرى لنوع آخر ثم تقتل ملكته وبذلك توطد صداقتها مع شغالات العش الاصيلة ولكن لفترة محدودة تضع أثناءها البيض وتربى جيلا لها يحل محل الشغالات الاصلية التى لا تتجدد نظرا لموت ملكتها وبذلك يصبح العش بعد حين ملكا خالصا للملكة الغازية .

٣ - هناك نوع من النمل صانع العبيد يعرف بالنمل سارق الدم الاحمر [**فورميكا سانجوينا**] يوجد فى أورية وأمريكا الشمالية . وهذا النوع يستعبد نوعا آخر مشابها هو [**فورميكا فاسكا**] وتبدأ عملية الاستعباد بأن يعد النوع الاول جيشا من شغالاته يمشى الهوينى حتى اذا عثر على عش للنوع الثانى دخله غازيا لكنه يسبى العذارى فقط دون غيرها

البقية ص ٤١

تطوّر الإنسان في القرآن

لم يتحدث القرآن الكريم ، عن شيء ، بعد التوحيد ، كما تحدث عن تطور الكائنات ، والاكوان • وتطور الانسان والحيوان ، وتطور الجمادات والجماعات • أبدأ في هذا وأعاد ، وضرب الامثال ، وساق المواعظ ، وبين الادلة والشواهد • حتى حق القول بأن الاسلام هو دين التطور •

وهو كذلك لانه خاتمة الاديان وخلاصتها ، جاء مصدقا لما سبقه منها ومهيمنا على كل ما دعت اليه ، من أصول العقائد ،وهو كذلك لانه رسالة من عند الله ، وبيان من رب العالمين الى عباده أجمعين •

ولما كان خلق الله ، سائرين نحو الكمال ، اذ قضت بذلك مشيئته ، فلابد أن يكون قانون هذا الكون الذى نعرفه ، او الذى يجب علينا أن نعرفه ، هو التطور • لان الجمود هو ضد التطور ، والتطور هو سبيل وسنة الحياة التى ابدعها الله تعالى ، فلا بد أن تقرع كتب الله قلوب الناس وأسماعهم ، الدعوة الملحة المضطردة المستمرة الى تأمل مظاهر هذا التطور ، ودلائله : وشواهده ، وسيره الدائب ، وحركته الموصولة ، فى كل ما يضمه هذا الكون البديع من أدنا المخلوقات الى أكبرها ، من الجامد فيها الى الحى ، ومن البسيط الى المركب ، ومن الظاهر للاعين الى الخفى الذى يتضح للعلماء ورثة الانبياء وحدهم بالوسائط من مجاهر وأدوات للكشف ، تتطور هى بدورها وتدق ، وتنفذ الى أعمق أعماق البحر : وأبعد أجرام السماء ، وأخفى خفايا الانسان ، فى بدنه : خليته الاولى ، وفى نفسه : عقله وأعصابه •

الأستاذ فتحى رضوان

[ختام]

ولقد كان الابناء – على ما سبق القول – من البشر – لفرط حرصهم على الجمود ، واستنامتهم اليه ، ورضائهم به ، عن كسل من جهة ، وعن خوف من الجديد من جهة ثانية ، وعن جهل من جهة ثالثة • فأعداء الانسان الكبار ، لا يتجلون ولا يظهرون على مدى تاريخه ، الا كما يظهرون فى محاربتهم للتطور ، وكفرهم به ، وعجزهم عن تبين آيات الله الكبرى ، التى تتجلى فيه ، وتتبدى عن سبيله •

ومن ثم ، فقد لعن القرآن الكريم خصوم التطور ، وأعداءه ، فى مواضع كثيرة منه ، مرت الاشارة اليها ، ولكن لا تزال بقية منها كقوله تعالى : « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » [البقرة] •

« **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله : والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا : أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** ! [المائدة] •

ولم يغير شيء فى حياة الناس ، ويدعوهم الى التطور ، وطورهم بالفعل ، مثل الدين ، ولما كان الدين الاسلامى هو خاتمة هذه الاديان ، وخلاصتها ، وآخر ما ارتضاه الله تعالى لعباده ، بعد أن شبوا عن الطوق ، وعرفوا سبيل البحث عن اسرار الله فى كائناته ومخلوقاته ، وفى أنفسهم وفى الافاق ، فقد كان دين التطور حقا • وبكل معانى هذه الكلمة •

دعا اليه وعلم الناس اياه ، ووضع أيديهم على صوره ، وكشف لهم آثاره ، وحثهم على كشف قوانينه ، وحذرهم من تجاهله ، والوقوف فى وجهه ، ثم ضرب للبشرية جمعاء مثلا فى تطوير الانسان ، فى اقل القليل من الزمن • فى ثلاثة وعشرين سنة ، قلنا انها لا تزيد عن عمر شاب واحد فى مطلع حياته ، أن ينقل امة من حضيض الجهل فعلا الى أعلى عليين من المعرفة ، وحب تحصيلها ، والايمان بها ، وتقديم سدنتها ، والعاملين فى حقولها ودروبها ، على كل من سواهم من بنى آدم • فقال الله تعالى فى حقهم : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » ، وقال ، « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة ، وأولو العلم** » فساوى بين شهادته تعالى ، وشهادة الملائكة ، وشهادة العلماء ونظم هذه الشهادات جميعا فى سلك واحد •

وارتفع بها من الدرك الاسفل من التخلف الاجتماعي الذى كانت اكبر مظاهره فرقة ، لا أمل فى نفى بواعثها ، ولا رجاء فى انقاذ المترد ين فى حمأتها ، مع عصبية متأججة ، وحمية متوهجة ٠

أما الفقر ، وجدب الارض ، وانقطاع الموارد ، فحدث عنه ، كما حدث عنه التاريخ فأطال الحديث ٠

وقد فعل هذا الدين فى هذه الامة المتفرقة الفقيرة المتنافرة الامية ، ما لم تفعله حركة أخرى ، فى الشرق ولا الغرب ، فى القديم ولا الحديث ، فقد سادت الدنيا المعروفة فى أيامه ، لا بقوة السلطة ، وسيادة الحاكم فقط ، بل بالجامعات والمعاهد ، ودور البحث ، وندوات المناظرة والمكتبات والوراقين ، ونسخ المؤلفات وترجمتها وتصحيحها والتعليق عليها والاضافة اليها ٠

وكان كل شىء يتم فى هذا الدين بسرعة خاطفة : الجيوش تنطلق ، وكأن البوادى قد طويت تحتها ، والمسافات قد زالت أمامها ، فالانتقال مثلا من المدينة ، عاصمة المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البحرين ، كان يستنفد من الوقت ، فى ذلك العهد المنير ، أكثر مما يحتاج الانسان اليه ، لينتقل من المدينة الى نيويورك فى العصر الحديث ، قبل الاهتداء الى الطائرة والانتفاع بها ٠٠

من أين جاءت كل هذه الدفعة ، وكيف تحققت ٠ ؟ ٠ **لقد جاءت من الايمان بوجوب التغيير : وبامكان تحقيقه فى آن ٠**

والحق أن الله تعالى ، كره للمسلمين ، أن تصيبهم آفة الجمود ، لان الجمود ، قرين الموت والهلاك ٠

ولقد حدثنا التاريخ ، عن الامم التى جمدت وتحجرت ، واستظهر المؤرخ الانجليزى الكبير ، هذه الظاهرة ، المهلكة ، فى كتابه العظيم : ملخص تاريخ العالم ، فضرب للامم المتحجرة [اليهود] مثلا ، وقد رد محنة اليهود ، وانعزالهم فى المجتمع الرومانى ، ثم فى المجتمع الاوروبى كله بعد ذلك الى قوله : ينحدر اليهود الاشكنازيون [الغربيون] من اليهود الذين اغتنموا فرصة فتح الرومانيون أبواب أوروبا فحققوا أرباحا من ممارسة تجارة التجزئة فى مقاطعات ما وراء الالب شبه الهمجية وتضاعفت محنة هؤلاء باعتناق الامبراطورية الرومانية المسيحية ، ثم انهيارها ، اذ اصبحوا يعانون من تعصب الكنيسة المسيحية ومن ازدراء البرابرة ، اذ لا يستطيع الهمجى أن يحتمل مشاهدة مقيم غريب يحيا حياة منعزلة ويحصل على ربح بفضل التبادل التجارى الذى كان الهمجى يفتقر الى المهارة اللازمة لممارسته بنفسه ، فاندفع المسيحيون الغربيون مسيرين بهذه المشاعر الى اضطهاد اليهودى ، طالما لا غنى لهم عنه ، ثم طردوه بمجرد ما احسوا بقدرتهم على الاستغناء عنه ٠

« وفى داخل المسيحية الغربية الاخذة فى الانتشار طفق اليهود يطردون من بلد بعد آخر ، كلما بلغت الشعوب الغربية المتعاقبة مستوى معينا من الكفاية والاقتصاد ، ثم انتقل الى الحديث عن اليهود فى أسبانيا والبرتغال فى ظل الحكم الاسلامى ، وهى عبارة تصلح أن تكون شاهدا على معنيين سأدير عليهما الكلام حالا ، فى شأن عقيدة التطور أو مذهبه ٠

قال توينبى :

« يفسر ضعف حدة الروح اليهودية » الذى نلاحظه بين مهاجرى طائفة السفاردية من أسبانيا والبرتغال ، بحياتهم السابقة فى دار السلام ، ففى فارس وفى المقاطعات الرومانية التى استولى عليها العرب فى نهاية الامر ، وجد أصحاب التشتت اليهودى أنفسهم فى مركز أسعد نسبيا ، بل أنه من المؤكد أن وضعهم فى عهد الخلافة العباسية لم يكن أقل ملاءمة لهم من وضع اليهود فى الوقت الحاضر فى تلك البلاد الغربية [انجلترا ، فرنسا] التى تحرر فيها اليهود فى وقتنا هذا ٠ ان المصيبة التاريخية التى حلت بالسفارديم [يهود المشرق] بانتقال شبه جزيرة ابيمياز [**اسبانيا** والبرتغال] ، تدريجيا من المسلمين الى المسيحيين الغربيين ، وهو الانتقال الذى تم فى نهاية القرن الخامس عشر وقتما عرض عليهم غزاتهم المسيحيون أن يختاروا بين أمور ثلاثة : الابادة ، أو الطرد ، أو اعتناق المسيحية » ولسنا فى صدد الحديث عن اليهود ، ودورهم فى تاريخ العالم ، ولا مقارنة بين تسامح الاسلام لهم ، وابادة المسيحية لهم ، وانما نريد أن نستخلص من هاتين الفقرتين ، كيف أن محنة اليهود أصلا ، هى محنة الجمود ، والانغلاق ، وكره التطور ، فقد أبى اليهود الا أن يقفوا فى وجه تيار التطور ، فلا هم استطاعوا أن يمسكوا بزمام القوى الدافعة فى سير الامم ، كما فعل المسلمون ، حينما بلغوا الغاية من الايمان والتطور والاقتناع بأحكامه ، والانتفاع بسنته ، ولا هم فعلوا فعل المسلمين ، حينما آدال عليهم الزمان ، وسلبهم أسباب قوتهم وهبط بهم الى أمم من الدرجة الثانية فالثالثة فلم يتحولوا قط الى مجتمعات منعزلة ، وان كاد هذا الاتجاه المدمر ، يبدو فى بعض جماعاتهم ولفترات من تاريخهم ، ولكن الجرعة التى تناولها المسلمون الاوائل من حب الحياة الرفيعة ، وفهم مقتضياتها والنزول على هذه المقتضيات ، أعانهم على مواجهة ضغط تيارات الزحف الاستعمارى على بلادهم وثقافتهم ، وهم فى أشد حالات الضعف ٠ فان جهاد المسلمين وكفاحهم ضد الغزو الغربى ، ولا سيما فى القرنين الثانى عشر والتاسع عشر ، يكاد لا يصدق ، اذ لم تنقض فترة من الزمن الا وكان للمسلمين هبات رائعة فى وجه الغزاة ، الذين كانوا فى أكثر الاحوال نسخا متكررة

من التتار . فما فعلته فرنسا فى شمال افريقيا ، وما فعلته هولندا فى اندونيسيا ، وما فعلته بريطانيا فى الهند ، ومصر والسودان ، هى عمليات شبيهة بما فعله الفرنجة والجرمان فى الامبراطورية الرومانية وولاياتها .

ولكن كفاح عبد القادر الجزائرى فى الجزائر ، وعبد الكريم فى الريف ، وما فعلته ثورات المسلمين فى الهند ، يدل دلالة واضحة على أن المسلمين أمة حية ، حتى حينما تبدو عليها أمارات الموت .

ولان الله كره للمسلمين أن يجمدوا فقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفاؤه من بعده ، ثم الائمة من بعدهم ، الوسائل والسبل ، التى تبقى الدين حيا ، غضا ، قادرا على مواجهة ما يأتى به الايام من صور جديدة للحياة ، والعلاقات الانسانية والنشاط البشرى فى صوره المختلفة .

ولما كانت شريعة المسلمين هى شريعة شاملة ، تحكم علاقات الانسان بربه ، وعلاقات الانسان بأهله ، وعلاقات الانسان بغيره ، وعلاقات الانسان بالحاكم ، وعلاقات الانسان بالبيئة ، فقد كان الابقاء على مرونتها واتساع مداها ، الضمان الاكبر لبقاء المسلم ، خلية حية فعالة مؤثرة مستجيبة لتحديات الزمان ، موجهة لها .

لقد كان السبيل الى استمرار الحياة للشريعة الاسلامية ، وبالتالى للمجتمع الاسلامى ، هو ما تواصى على تسميته المسلمون [بالاجتهاد] . وهو لفظ صغير فى معناه كبير جدا فى مدلوله ، ونطاقه ، ومعانيه ، ووسائله . الاجتهاد فى كلمة هى سلاح المسلم فى وجه الجمود الذى قد يهدده ، والكسل العقلى والروحى الذى قد يدمره .

وقد بين الشهر ستانى دواعى هذا الاجتهاد فقال فى كتابه « **الملل والنحل** » :

« ان الحوادث والوقائع ، مما لا تقبل الحصر والعدد ، ويعلم قطعا أنه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص اذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، ولما كان ما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، علم قطعا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل واقعة اجتهاد .

ولا خلاف بين علماء المسلمين ، ومؤرخى فقه الشريعة الاسلامية ، وتاريخها ، أن خلفاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد اجتهدوا ، ولكن جميع هؤلاء — ومعهم من أنكر أن لرسول الله اجتهادا قد أقروا بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أجاز الاجتهاد فقد روى عنه انه سأل معاذ بن جبل وهو يوفده الى قضاء اليمن : **كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ فقال معاذ : اقضى بكتاب الله فان لم اجد فبسنة رسول الله ، فان لم أجد اجتهد رأيى** » ففرح الرسول صلى الله عليه وسلم ، لهذه الاجابة ، أن وجد من صحابته ، أن يهتدى الى هذا النهج المتدرج السليم ، الذى ينتهى باعمال الرأى .

ولكن فى علماء المسلمين من يذهب الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهد ، وان ذلك كان شأن جميع الانبياء عليهم السلام ، قبله . فقد أورد الاستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه القيم « اجتهاد الرسول » عن ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والاهواء والنحل » :

« قد يقع من الانبياء قصد الشىء ، يريدون به وجه الله تعالى فيوافق خلاف مراد الله تعالى ، وأنه تعالى لايقرهم على شىء من هذا أصلا ، بل نبههم الى ذلك أثر وقوعه منهم ، ويظهره لعباده ، وربما عاتبهم على ذلك بالكلام ، كما فعل نبينا صلى الله عليه وسلم ، فى أمر زينب ، وقصة ابن أم مكتوم ، وربما عاتبهم ببعض المكروه فى الدنيا ، كالذى أصاب آدم ويونس عليهما السلام » .

أما فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الجليل نفسه فيقول فى الكتاب ذاته :

« ذكرنا من الامثلة والشواهد ما يدل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ، متنوعا حسب طبيعة الانسان ، فرأيناه اجتهد وعبر عن اجتهاده بالقول مرة ، والعمل والفعل أخرى ، واقرار رأى بعض صحابته ، او عدم اقراره ثالثة » .

والاجتهاد منه اذن مؤكد الوقوع ، سواء أكان عن طريق القرآن الكريم أو السنة الصحيحة .

اما اجتهاد صحابة رسول الله الكبار ، الذين ولوا أمر المسلمين بعده ، أى خلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فأمر ثابت ، ولا خلاف عليه ، واجتهاد عمر رضى الله عنه ، فى حق المؤلفة قلوبهم ، وقطع يد السارق ، وايقاع الطلاق ثلاثا ، طلاقا بائنا ، بعد أن كان يعد طلاقا رجعيا ، أى تحل للمطلق معاشرة زوجته بعده ، واجتهاد على فى حد القذف ، وقياسه على حد الشرب وهكذا .

ولكن حينما مضت الايام وتشابكت مصالح المسلمين ، باتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وظهور مصالح جديدة ، فقد تواضع فقهاء المسلمين على طرق عديدة لاستنباط الاحكام الجديدة ، وانزالها على ما

يجد من الأمور ، مستندين فى ذلك الى أصول الاحكام الثابتة فى الشريعة الاسلامية ، ألا وهى القرآن والسنة النبوية ، ثم ما أجمع عليه بعد الرسول عليه السلام صحابته السابقون الى الايمان والجهاد والصحبة .

هذه الطرق هى بعد الاجماع ، القياس ، وهو فى اصطلاح الاصوليين تسوية واقعة لم يرد نص بحكمها فى الحكم الذى ورد به النص لتساوى الواقعتين فى علة هذا الحكم ، كحرمان القاتل من ارث من قتله ، فقد قاسوا الموصى له ، على الوارث فحرموه من ارث الموصى .

والقياس طريق من طرق الاجتهاد ولا خلاف عليه ، ولكن ما لبث الفقهاء والاصوليون ، أن أضافوا اليه طرقا جديدة كالاستحسان والاستصحاب والعرف ، وشرع من قبلنا ، وكلها طرق تنتهى الى غاية واحدة ، هى بعث الحياة فى الشريعة ، بوصلها بما يجرى فى حياة الناس ، وحملها على مواجهة المصالح الجديدة ، بعد انعام النظر ، وإمعان الفكر ، للاهتداء الى الحكم الصالح المتفق ، مع ما وصلت اليه أمور الناس ، وقد استطاع المسلمون الاوائل بعد الفتوحات الكبرى ، واتصالهم بمجتمعات لم يسمعوا عنها ، ولم يعرفوا شيئا عن أسلوب حياتها ، وقواعد أحكامها ، ومناهج حكوماتها ، أن يبسطوا دينهم عليها بالدعوة والرفق والموعظة الحسنة ، والقدوة الكريمة ، دون أن يجدوا فى أحكام دينهم ، ولا فيما جاء فى قرآنهم ، ولا فى سنة نبيهم ، ما يحول دون هذا التعامل الميسر ، مع أعوان يختلفون عن العرب والمسلمين - كما قلنا ، فى أكثر الامور . وبذلك ضمن المسلمون لانفسهم مزايا التطور ، واستمروا ينافسون سواهم لا فى السيادة وحدها ، بل فى تحصيل العلوم والفنون واتقانها والاضافة اليها ، وتنويعها والارتقاء بها ، وعقد المناظرات والمحاضرات واقامة الندوات بين علماء ينتسبون الى لغات غير العربية والى أديان غير الاسلام ، والى مناطق قاصية بعيدة لم يصل اليها العربى ، لا زائرا ولا سائحا ، ولا غازيا أو فاتحا .

وقد قال الدكتور عبد الرزاق السنهورى الفقيه المصرى المعاصر ، فى الرد على الذين توهموا أن ما كان من تطور وسائل وطرق استنباط الاحكام ، كان لعهد محدود ، هو عهد ازدهار الحضارة الاسلامية ، وأن ذلك العهد زال وانقضى ، ولم تعد الشريعة ، ولا فقهاؤها ولا كتبها ، ووراثاتها القديمة قابلة للتطور ، ولا قادرة على مصاحبة ما جد للانسان الحديث من صور لا تنتهى فى كل درب وفرع من فروع الحياة ، اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية قال :

« وقد توهم بعض الباحثين من المستشرقين وغيرهم أن هذه المصادر ليس فيها من المرونة والخصوبة ، ما يكفل حركة تشريعية متجددة ، وقوانين وأحكاما تتطور مع أحوال الناس ، وتساير الازمان المتعاقبة ، وتلائم البيئات المختلفة ، والذى أوهمهم هذا الوهم أنهم رأوا أن النصوص التشريعية فى القرآن والسنة معدودة ، والوقائع التى شرعت أحكامها وقائع محدودة ، وقدروا أن الشارع الاسلامى لابد أن يكون قد راعى فى تشريع ما شرعه من الاحكام لتلك الوقائع حال الامة ومقتضيات البيئة وما يصلح لبيئة ربما لا يصلح لاخرى ، ورأوا أن الادلة الاخرى لا يصدر عنها التشريع فيما لا نص فيه أدلة غير ممهدة للاهتداء بها وعلماء المسلمين أحاطوها بأمور من القيود والشروط والالتزامات ضيقت نطاقها وسدت أبوابها وجعلتها غير عملية .

وقد نقل هذا الكلام الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فى رسالته القيمة « مصادر التشريع الاسلامى فيما لا نص فيه » فاسترسل يقول :

وأنا التمس بعض العذر لهؤلاء المتوهمين فيما توهموه لان نواحى الخصوبة والمرونة فى النصوص التشريعية فى القرآن والسنة نواح دقيقة لا يحيط بها الا من استقرأ تلك النصوص وراض عقله على الاستدلال بها ، وأنعم النظر فى جملتها وتفصيلها ، ولان نواحى الخصوبة والمرونة فى سائر الادلة الشرعية قد غطاها علماء المسلمين ببحوث لفظية واختلافات جدلية وشروط وقيود ذهبت بمرونتها ، وحالت دون الاهتداء بها ، واشتد تحجر هذه المصادر وزاد تراكم الاتربة عليها بسد باب الاجتهاد وايجاب تقليد مجتهد من الائمة الاربعة لان هذا عطل استعمال مصادر التشريع فى الاستنباط وجمدها وعين الماء اذا لم يردها الواردون يغيض ماؤها والاسلحة اذا لم تستعمل يعلوها الصدأ » .

وفى هذا كله ، دليل حى ، على أن التطور الذى هو سنة الحياة ، والذى هو مذهب الاسلام ، ومنهجه ، فى الدعوة والاحكام وسياسة أمور الدين والدنيا ، هو فى الوقت نفسه ، ولهذا السبب ذاته ، سر قوة الاقوياء ، وسر ضعف الضعفاء وقلة حيلهم . ولقد عرف الغزاة الذين أخذوا على المسلمين دنياهم من أقطارهم ، وسدوا عليهم المنافذ من جهاتها ، بذلوا أقصى ما استطاعوا من جهد ، ليصرفوا المسلمين عن كتابهم والتأمل فيه والاهتداء الى حقائقه الكبرى ، ولما كان هذا الكتاب داعيهم الدائم وحاويهم الساحر أن يتطوروا مع الزمن ويسبقوه الى غايته ، فقد خمدت عقولهم ، فخمدت غرائزهم ، واصبح الاجتهاد شاقا عليهم ، فلما ألفوا نبذ هذا الاجتهاد وسد منافذه ، راحوا يلتمسون الاعذار الواهية الموجبة لتركه فقالوا ضمن ما قالوا - أن

حكام المسلمين أناس خلت قلوبهم من خشية الله وامتلات نفوسهم بحب الدنيا ، وقد اصطنعوا فقهاء ليسوا من الدين ولا من التقوى ولا من العلم فى شىء ، وهؤلاء اصبحوا يقبلون من الحاكم مايأمر به ، ولو خالف الشرع ، وما يرتضيه ، ولو أهدر المصلحة ، وقد ينصحون المسلمين بما لا يرضى عنه الله ، ولا الرسول ، ويصبح من الزمن فقها مأخوذا به ، مرضيا عنه ، فيقوم الى جانب الدين الصحيح ، دين فاسد ، وقد يختلط الامر على الناس ، لشدة بعدهم عن الدين ، وعجزهم عن فهم لغته فيأخذون الدين الفاسد ، ويعضون عليه بالنواجذ .

وهذه حجة لا تقبل ، اذ لم يكبر شأن هذا الطراز الفاسد والمفسد من مجتهدى الحكام وفقهاء السلطة ، الا لان الفقهاء القادرين على الاجتهاد ، المالكين لعدته ، قد أمسكوا عن هداية الضالين ، ونصح السادرين ، ورد الشاردين ، ولو واجهوا العلم الزائف بالعلم الصحيح للقف حيات وثعابين المضلين ولدبت الحياه فى شريعة المسلمين الغراء ، ولو وجد المسلمون فى ضوئها طرقا لمنازلة اعدائهم ، فى حلبات السياسة والحرب ، والاقتصاد والاجتماع ، فالقوة لا تأتى للاجساد ، الا عن طريق عقل يعى . وقلب يدرك ، ونفس تتأمل فيما حولها .

لقد ضرب القرآن الكريم المثل الاكبر للمسلمين ليدركوا معه ، انهم خلقوا ليغيروا أنفسهم ، فيما قص عليهم قصة آدم اذ فضله الله سبحانه وتعالى على الملائكة ، فقد آثره وخصه بالخلافة مع أنه يخطىء ويفسد ويسفك الدماء ، لانه يعلم ، ولانه بفضل علمه يجتهد ، ولانه بفضل اجتهاده يتطور ، أما الملائكة فبفضل كمالهم لا يحسون حاجة للاجتهاد ، ولا باعثا على الاستنباط .

ولقد قال البيضاوى فى تفسيره أن ابليس كان أول من استعمل القياس ولجأ الى الاستنباط حينما أمره الله بالسجود لادم فأبى ، فلما سأله ربه ما منعك الا تسجد لادم «قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين » ولكن ليس هذا طعنا فى القياس ، ولا الاستنباط ، وانما هو دليل على أن القياس لايصح الا اذا كمل علم من يلجأ الى القياس ، ومن خلت نفسه من المصلحة أو الشهوة . فابليس أبى عن استكبار ، لا عن اقتناع أدت اليه البديهة السليمة ، ولا الفطرة الصحيحة . ثم يبتى أن القرآن الكريم ، هو وحده الذى أورد هذا الجدل ، ليكون دليلا على أن القرآن هو دين الاجتهاد ، من أوسع أبوابه وكل وسائله .

ولم تتجرد فكرة الالوهية ، عند المسلمين من كل تجسيد ، ومادة ، لترفع لترتفع من أمام العقل الانسانى ، القيود التى تحد من حريته وانطلاقه ، فتجسيد الفكرة فى شخص أو شىء ، يحدد من نطاقه ، ويحرمها من ترامى آفاقها ..

على المسلمين الذين علمهم دينهم كل هذا ، أن يعودوا الى مناهجه ، فيسابقوا فى دنيا ، جعلها الله لهم فسيحة ، صدق الله تعالى اذ قال لمن يستكينون للظلم والخسف وسوء الحال :

« ألم تكن أرض الله واسعة » ؟؟

الفاتحة معجزة القرآن

فى حقيقة المعرفة والوجود والمصير

الأستاذ محمد العفيفى

مصطلح يوم الدين « عنوان كبير لمصطلحات النهاية الحتمية للكون الذى نعيش فى رحابه . وتحت هذا العنوان هناك « اليوم الاخر » وهناك « يوم القيامة » .

ويكفى أن ندرك بعد المصطلحات القرآنية فى الاعجاز ، ونحن نعلم الان معا أن « اليوم الاخر » مرتبط فى القرآن كله بالايمان بالغيب .

انه دعوة مفتوحة الى الايمان .

والايمان فى القرآن العظيم أيضا ، مدخل للعلم الجامع ، الذى تندرج تحته العلوم الجزئية ، أو العلوم التجريبية الداخلة فى حدود الخبرات المشاهدة .

أما « يوم القامة » فهو التجربة الواقعية ، لهول عظيم ، سيقوم كل شىء فيه ، انتظارا لمصيره المحتوم .

هكذا جاء ذكر « يوم القيامة » فى آيات القران جميعا ، كما جاء ذكر « اليوم الاخر » ، وكلاهما فى اطار من الغاية الجامعة التى يرد فيها ذكر « يوم الدين » .

يقول الله تعالى :

« **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين** » . البقرة الاية ٨ .

الايمان اذن ليس قولا ، انما هو علم وعمل ، وضرورة فى بناء المعرفة والعلم ، لا قيام لهما الا به .

ولكن المهم هنا ان القرآن كله موحد لهذا المصطلح القرآنى للغاية التى نزل من اجلها ، يقول تعالى :

[**من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم**] . البقرة الاية ٦٢ .

ويقول سبحانه :

« **ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر** » . البقرة الاية ٢٣٢ .

وتظل وحدة المصطلح فى القرآن كله اساسا راسخا ، لفهم القرآن وتدبره وتفسيره والتحليق فى آفاق علومه ومعجزاته .

أما « يوم القيامة » ، فهو مصطلح قرآنى ، يحمل لنا – كما تقدم – الواقع الهائل الذى هو كائن لا محالة فى هذا اليوم .

يقول الله تعالى على الذين قطعهم التكبر عن الايمان فى الحياة الدنيا :

« **ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة** » البقرة الاية ٢١٢ .

ويقول سبحانه :

« **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما** » الاسراء الاية ٩٧ .

لقد عموا فى الحياة الدنيا عن رؤية آثار صنع الله فى خلقه ، وهذه الرؤية هى التجربة العلمية ، التى لا تتم بغير ايمان بالغيب ، أى استحضار لعلم سابق على التجربة يشد أزرها ، ويمكن لها فى أسباب الرسوخ ، فجزاؤهم يوم القيامة أن يحشروا عميا .

ولقد بكموا فى حياتهم الدنيا فلم ينطقوا فيها بالحق كلمة ومشاهد وآثارا ووقائع ، فجزاؤهم ان يحشروا بكما يوم القيامة .

ولقد صموا فى حياتهم الدنيا فلم يشهدوا ان السمع فى التجربة العلمية الصحيحة ، لاستماع الكلام ، والكلام تجريد لوقائع غيبية ، فلابد من الايمان بالغيب ، صم كل واحد منهم عن هذه

الحقيقة ، فكان حقيقا أن يحشر يوم القيامة بين الصم .

ويطول الكلام لو بحثنا معا عن مصطلحات « الاجل المسمى» و « العصر » و « الحين »و « الامة » وغيرها كما جاءت كلها بدلالاتها العلمية الدقيقة فى آيات الكتاب المبين ، وكل منها يبين علاقاتنا بالزمن .

وانه لمن دقائق الحس اللغوى النافذ الى اغوار الحقيقة ، أن تضمن اللغة العربية لفظ « الامة » معنى « الحين » .

وفى القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى :

« وادكر بعد أمة » أى بعد حين . يوسف الاية ٤٥ .

وقوله تعالى :

« ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه » هود الاية ٨ .

والامة المعدودة ، تعادل اصطلاح « الاجل المسمى » فى القرآن الكريم .

ولكن تضمين لفظ الامة معنى الفترة او الحين فيه جمع لعلاقات المجتمعات الانسانية المتعاقبة بالزمن . وتضمين لنتيجة الحركة الحادثة من اتصال المادة بالزمن .

ومشكلة الزمن فى تاريخ الفكر البشرى ، مشكلة على جانب عظيم من الاهمية ، ومن التعقيد والصعوبة . ومع ورود مشكلة الزمن ضمن المصطلحات القرآنية الاساسية ، فى فاتحة الكتاب، ومع أن الرسول الاعظم صلوات الله عليه ، قد عالج مشكلة الزمن فى حديث كريم من جوامع كلمه صلوات الله عليه ، فقال فيما يرويه صحيح البخارى ويرويه كذلك صحيح مسلم .

[لا تسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر] . فان كبار المفسرين لم يشتهر عنهم انهم عالجوا هذه المشكلة فى تفسيراتهم لفاتحة الكتاب معالجة فلسفية ، تبين أن القرآن العظيم » قد حل هذه المعضلة الفكرية ، مع عجز الانسان فى تاريخه الفكرى كله عن حلها . اذ ان هذا معناه كما تقدم من قبل :

ان .. الحق .. وقد جاء القرآن العظيم محيطا بالاجل المسمى أى الحدود المحدودة فى علاقاتنا بالاجال المسماة أى الحدود المحدودة فى علاقاتنا بالحياة غير المحدودة .

وواضح أن الحدود من شأننا نحن المخلوقين ، ومن شأن كل مادة حادثة وان البقاء الابدى من صفات الله .

فالدهر اذن صفة من صفات الله ، كما عده العلامة محيى الدين بن العربى اسما من اسماء الله تعالى .

والحركة متصلة بالاجل المسمى ، فى وجود مادة الكون ووجود الاحياء ودليل ذلك قوله تعالى : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » .

[وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين] .

فالرزق هو اداة الحياة ووقودها لكل مادة وذرة وخلية ، وكل منه اداية أى مخلوق ذو حركة ،وكل ذى حركة ذو أجل مسمى اى علاقة بالزمن .

أما المستقر والمستودع فبهما الحياة يتبعها الموت الى حين .

وخلق السموات والارض فى ستة أيام ، معناه خلق المادة من العدم ، بصلة تمت بين احاطة الله وبين خلق الماء ولولا هذه الاحاطة ما كان للماء أن يخلق ، أما الصلة بوحدة القياس وهى الايام ، فذلك متصل بخلق الكواكب التى تدور فيكون فى دورانها حساب لعلاقات المخلوقات بالزمن ، وهو فى حقيقته تزامن أى اتصال للمخلوقات ، بالحياة المستمرة الابدية ، وهذه الحياة من أمر الله تعالى .

ان الله تعالى هو الواحد الحق الذى لا شريك له وهذا هو الحق الخالص فى حقيقته .وفى تحقيق المخلوقات به ، وفى التجريدات الفكرية على اطلاقها .

وتحقق المخلوقات بوحدانية الله معناه ان الحق فعل فى الخلق وهدف له . يقابله فى المخلوقات «الاجل المسمى» الذى قدره الله تعالى لكل ذرة من ذرات الكون ، منذ كان الكون بعد خلقه من العدم دارت من الايدرجين ، ارتقعت فى مضمار الخلق برحمة من الله فاجتمعت الذرات والخلايا والاعضاء فى شخصيات ، وكان خلق الشخصيات المفردة التى لا تتكرر ، دلائل رائعة لوحدانية الخالق لانها به توحدت ، وله وحدت ، أى اعترفت بوحدانيته ووجوده السابق لكل وجود سبقا مطلق لا بداية له ولا نهاية .

ثم ان فى خلق الشخصيات آية على وجه الحق ، فى التكليف الالهى بالعبادة ، بعد ان كان تفرد كل منها واقعا تجريبيا يضاف الى ما سبق اثباته بالبرهان القاطع ، من حتمية عبادتها لله بتوحدها به ، وتوحيدها له . ولا يعطل الانسان هذا الحق الا

باستغلال منحة الحرية المحدودة التى منحها الله له ؟ فى محنة الجحود .

وحقيقة خلق ذرات الايدروجين من العدم ، ثم توحيدها فى شخصيات ، يؤكد ما يكون من أمر البعث ، وهو كذلكم توحيد لما فرقه الموت [**افعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد**] ق الاية ١٥

ويعمق القرآن العظيم حقيقة علاقاتنا بالزمن فى أمثال قوله تعالى :

[**ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى**] الروم : الاية ٨

فالله هو الحق ، واسمه تعالى فى الاشياء هو احاطته بها ، انه وسائلنا التى من الله بها علينا لندرك ما نطيق من الحقيقة ، كما حدثنا القرآن العظيم ، عن أشياء أعظم من قدرتنا على الادراك مثل الكرسى الذى وسع السموات والارض ، والعرش الذى كان على الماء قبل خلق السموات والارض .

والجديد هنا فى شأن الزمن ان هذا الفعل الماضى « كان » يدل على تغير وعلاقة ماضية بالزمن فى اشخاص المخلوقات وحدها ، ولولا اتصالها باحاطة الله بها ، ما تم لها الخلق .

لذلك كله جمع الله تعالى بين الحق وبين الاجل المسمى وبين خلق الاشياء ، لندرك ان الاجل المسمى يعنى ان ما نعنيه بالزمن ، حينما نطلق لفظه على ما قطعنا ، من أشواط فى رحلات الحياة ، انما هو التزامن وليس هو الزمن على حقيقته .

اما الحق فهو اطلاق الاحاطة ، الالهية بالمخلوقات جميعا ، مع جبر هذه المخلوقات على الخير والاتصال والتكامل ، فى واقع كونى محسوب فيه كل شىء .

هذا موضوع قضية خطيرة لم يحلها الفكر البشرى ابدا ، هى قضية الحركة ، وقد ظنها المفكرون أيضا ، هى والزمن شيئا واحدا ، ولاشك فى ان القرآن وهو يقدم لنا وجه الحق فى ذلك قد تضمن تشريحا كبيرا للحياة كلها ولاجزاء المادة ومعرفة وجودها ومصيرها

وسواء علينا ان نتدبر حقيقة ، الاحاطة الالهية ، بالمخلوقات جميعا فى نور اسمه الاعظم « الحى القيوم » أو نور اسمه تعالى « الحق » أو نور اسمه تعالى [الباقى] .

فقد تبينا من جمع « الحق » مع الاجل المسمى فى قضية الخلق ، اى قضية الوجود والتغير ، ان هناك خضوعا للمخلوقات متمثلا فى آجالها المسماة ، وان هناك مطلقا لا يحده حد وهو ما نطيق ان ندرك من « الحق » الذى يضبط كل شىء ويحيط به .

والاطلاق من حقائقه الوجود الواجب أو الوجود الابدى بلا بداية ولانهاية .

فالحق اذن من معانيه وحقائقه ، الخلود والبقاء بلا حدود . والاشياء الحادثة ـ حادثة ـ لانها ذات آجال مسماة .

هنا يتضح لنا ان الحركة ـ المتصلة ـ بالحادثات . انما هى سعيها الى مصيرها المحتوم ، كما أراده الحق ، وعلمنا من أمره ما علمنا .

فقوله تعالى اذن « **مالك يوم الدين** »

هو أوضح غايات حركة الكون والحياة .

ولقد حدث فى عرضنا لهذه القضية شىء من التكرار ولكنه تكرار تفرضه ظروف القضية ذاتها ، وما تحوى من فروع نجهد معا فى معرفتها ، ومازال فى قوله تعالى [**مالك يوم الدين**] .. بحث لابد منه لتحقيق حقيقة الزمان وحقيقة المكان ، رغم التكرار الذى لم يكن منه مفر .

وعملا بفكرة المصطلح القرآنى ، فان مصطلح « يوم الدين » يندرج تحته مصطلح قرآنى له أهميه كبيرة ، فى قضية الزمان والمكان ، وهى نفسها قضية الوجود والتغير ، وقضية المعنى الشامل والمشاهد المادية فى الكون .

وهذا المصطلح هو ، الاجل المسمى ، الذى نجتزىء به وحده نزولا على القدرة المحدودة ، فى هذا البحث الذى لو اتصل بجميع المصطلحات القرآنية المختصة بالزمان والمكان لما وسعته مجلدات وأسفار .

وقد ورد ذكر « **الاجل المسمى** » فى سياق هذه القضية فى آيتين اولاهما تربطنا بالزمان والمكان ، والثانية تربطنا بالفهم العميق لوحدانية الله تعالى .

ونكتفى الان بدراسة الاية الاولى وهو قوله تعالى :

« **او لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** ! الروم الاية ٨

وفى هذه الاية الكريمة يرتبط الزمان بالمكان فى النفس الانسانية ، على أساس ان المكان هو المادة التى تبدأ من مادة جسد الانسان ، وتنتهى بمادة الكون فى تفصيلاتها وشمولها ، وعلى أساس ان الزمان ليس هو الذى نقسمه اقساما ، فى اى آله لقياس الزمن ، وقد تكون هذه الالة من صنع الانسان ، أو تكون هى الشمس التى تدور حولها الارض وتسجل زوايا متداخلة من الليل والنهار ، أو ينعكس ضوء الشمس على القمر فاذا هو كرة من النور ، ويحسب الحاسبون تعاقب الشهور والسنين بحساب شمسى أو قمرى .

ليس الزمن هو هذه الاقسام التى نقيس بهاالزمن ، فالزمن هو الاطلاق والخلود ، وهو غير قابل للقياس وانما الذى نقيسه فى الحقيقة هو عمر الكون الذى يثبت العلم الحديث ان له بداية وان له نهاية .

وقد بدأت الاية الكريمة بذكر التفكر الانسانى ، ثم ذكرت خلق الكون بالحق وبأجل مسمى ، فجمعت الى الانسان فى حالة تفكره بالخلق الذى خلقه الله بالحق ، أى باحاطة الله تعالى ، بالمعادلات الكيميائية والطبيعية التى كان فى اتصال ذراتها برحمة الله ، وجود الكون ومن فيه وما فيه بالحق ، بعد ان خلق الله تعالى ذرات الايدروجين من العدم ، ثم مد لها فى اسباب الوجود ، فتوحدت اشخاصا بقدرة الله الخالق وهو الحق فى ذاته وصفاته ، وعرفت خالقها سبحانه فوحدته باستحقاقه للتوحيد ، ويتبع ذلك ان لكل مخلوق من مادة أو حيوان حقا فى الحياة ، يحسه بحكم الخلق بالحق ، فيظل يشعر به ويدافع عنه تجاه علاقاته ، بكل ما هو خارج حدود شخصيته ، التى ضمن لها الحق سبحانه ، حقوقا معنوية ، ومادية ، تجاه الاخرين ، وجعلها تبعا لذلك شخصية متكاملة لا تتكرر بمادتها وانما تتكرر بعبادتها لله ، فهى مادة غير مفصلة - فى ذاتها حتى اذا اتصلت بمسئوليتها شخصية انسانية مكلفة ، فصل الله كل شىء تفصيلا اى حدد - تجاهها - لكل شخصية من خلقه على اختلاف الخلق ، سواء كان مادة أو حيوانا او انسانا او نباتا ، وجودها المستقل وعلاقاتها الذاتية والغيرية ، على مستوى المادة والمعنى والهدف جميعا ، فلزمها فى تحقيق حقوقها علاقات ذاتية فيها الغيب متصل بالشهادة ، لان الانسان لا يرى قلبه وخلايا دمه ، وان دلت التجارب القاطعة أن فى صدر كل انسان قلبا ، وأن فى أعراقه خلايا دم ، يسمع نبض كل منهما فى تجريدات صوتية لا ريب فيها .

ومن ذلك ندرك أن التزامن أو الاجال المسماه مختلفة من آجال الخلايا الى أجل كل شخصية انسانية الى آجال الكوكب الذى نعيش فيه وهو الارض ، الى أجل المجموعة الشمسية الى أجل الماء الذى تم منه الخلق ، وتتصل الغيوب فى تجاوب رائع مع اجزاء المادة الكونية ، فى انشودة للحقوق المتشابكة بين اجزاء الكون جميعا ، ومنها حقوق الاتصال الذاتى على مستوى المادة . ومنها حقوق الاتصال الغيرى على هذا المستوى أيضا ، ومنها حقوق الاتصال الغيبى ، الذى لا يتحقق الا بتجريدات صوتية تبلغ الانسان بوجوده .

هذه الاجزاء أو تلك ، من مادة الكون ، غير الخاضعة للرؤية او التجربة الحسية على اختلافها، فيكون السمع دليلا عليها ، وعونا لحواس الانسان الاخرى على تحصيل العلم . وتحقيق حق الاتصال بمختلف وسائله .

ولولا هذا الاتصال ؟ الذى يحيط به علم سابق للخلق هو علم الله تعالى ما قامت للحياة قائمة .

وما كان لهذا الكون الرائع ان يتصل بعضه ببعض ، ونحن نعلم ان قوة الترابط بين البروتونات والنيوترويات فى الذره هى التى تحدث طاقة التفجير الهائلة ، عند تفجير الذرة أو التفريق بين هذه وتلك ، وهذا فى الحقيقة احتجاج صارخ على قطع ما أمر الله به أن يوصل .

ونحن نستخلص من ذلك أيضا أن الاجال المسماه ، يحد بعضها بعضا ، كما يحد بعض المادة بعضا .

وعلى هذا فان الغيوب وهذا هو الجديد فى هذه الاضافة التى أضيفت هنا عن قضية الزمن يحجب بعضها بعضا كما يحجب بعض المادة بعضا والله تعالى هو الحق ، الذى يفصل كل شىء تفصيلا .

ان هذا كله هو التطبيق العملى فى الوجود ، للحق الذى تحقق به الخلق ، واستمرت احاطته بالمخلوقات ، هادية لها فى سبيل الحياة واصلة بين أجزائها صلة صاحب الحق لصاحب الحق ، فى حدود ما يطيق المخلوق من فهم من حق خالقه عليه ، واحاطة خالقه الشاملة الجامعة به وبكل مخلوق سواه ، احاطة استحقاق للعبادة .

وليس صاحب الحق من المخلوقات منشئا للحق ، بل هو مستقبل لصورة تطبيقية له على سبيل النعمة الالهية ، والمدد الذى يمد الله به مخلوقاته فى صميم الوجود ، كما خلقهم من العدم ، فوهبهم الوجود حقا به تحقق الخلق أى خلقوا ووجدوا ، واستحقوا ما استحقوا من دوام اتصالهم بخالقهم اتصال تحقيق للارادة أى اتصال خضوع وعبادة .

ولما كانت الحياة تحقيقا لارادة الخالق ، فهى آثار لرحمة الله ، أى لصلاته وهى فى الوقت نفسه توحد للاشياء بالحق ، وهى متفرقة بالمادة ، ولولا الحق ما اجتمعت فبدت روائع جمالها ، وجوامع حقوقها ، ولولاه ما عرفت الاشياء بمختلفاتها ومتناقضاتها ، ولولاه ما كان لها فى رحلات التغير الموحشة نهاية محمودة ، أو غاية محدودة .

هذا هو وجوب وجود الحق ، وهذه هى احاطته بكل شىء خلقا ورعاية وغاية .

فما بال الاشياء فى حدودها الخاصة ، وحتمية خضوعها لاحاطة الله بها .

هذا هو الامر الذى يقوم على أساس قوله تعالى فى الاية السابقة .. وأجل مسمى .. بعد أن ذكر سبحانه الحق الذى تم به الخلق والرعاية والغاية،

فكان من تمام ذلك أن من الله على المخلوقات بوجود محدود .

و « الاجل المسمى » هو الصفة التى تحدد وجود المخلوقين ، كما بين الحق وجود الخالق ، وليس وجود المخلوق ، وهو وجود عارض محدود كوجود الخالق وهو وجود حتمي واجب ، ليس كمثله وجود ، انه البقاء الابدى بلا بداية ولا نهاية .

ان الله تعالى هو الحى القيوم ، الذى تحتمت له الحياة المطلقة ووجب له الوجود الحقيقى .

ولاشك فى ان تداعى حقوق كل من المخلوقات على غيره ،وتفانى حياة كل منها بذاته ، هذه الحدود والضوابط التى تجعل الجبر محيطا بالحرية ، وتجعل الحرية قطرة فى محيط ، وريشة فى عاصفة ، هى كلها حقائق عملية مستمدة من الحق فى تجارب العلم ونتائج العمل ، كما استمدت المخلوقات حقوقها السابقة الذكر ، لتوجد وتعرف وتصل وتتصل ، وتنعم بنعم الله ظاهرة وباطنة .

غير أن هذه الحدود أيضا وهى تقوم على تفصيلات محددة صارمة تضمن لكل ذرة فى هذا الكون وجودها ومكانها وضرورتها المتصلة بالضرورة الكونية كلها ، بحاجة الى علاقة بأجل مسمى . بحاجة الى صلة بالحق فى حقيقته ، لان هذه الحاجة هى التى تكمل شخصيتها وتحكم حولها وثاق الوجود .

فهناك حتمية اذن لان تكون المخلوقات محتاجة ناقصة متداعية متفانية .

وهناك حتمية محيطة بذلك كله ، هى وجوب وجود الحق فى حقيقته . وهذا هو الله سبحانه وتعالى .

ان الاجل المسمى اصطلاح قرآنى ، يبين لنا فى مواجهة ما ظهر من حقيقة الحق فى الخلق والوجود والمصير ، وجود علاقات لا وجود حقيقة .

ويتجلى وجود العلاقات فى أوضح حقائقه ، فى وجود الانسان .

وذلكم لان الانسان مجبر وحر والكون مجبر فقط .

واذا كان الانسان مجبرا بجسده ، حرا باختياره الجامع لانماط عمله ، فهو مجبر أيضا بضرورات الكون .

وما دمنا قد بلغنا معا هذه النقطة الفاصلة فلنتبين أن « الاجل المسمى » هو أعظم درجات الضرورات الكونية التى ارادها الله تعالى اساسا راسخا للوجود الانسانى ، الوثيق الصلة بالحق ، والحق فى حقيقته هو الله .

الحق سبحانه وتعالى هو الذى وضع الانسان فى الجبر ، وانعم عليه ببعض الاختيار .

وضع الانسان فى الجبر معناه وضعه فى النعمة الخالصة . والرعاية التامة اما الاختيار فهو بين احتمال أن يصل الانسان ما بينه وبين النعمة والرعاية أو يضل الطريق .

والحق سبحانه وتعالى هو الذى جعل الوجود الانسانى محدودا « بالاجل المسمى » . أى حدد علاقات الانسان بالمطلق والانسان جد محدود .

ومن غير الحق أن ندرك حقيقة خالقنا بمقاييس المخلوقين .

وانما الحق كل الحق ، أن ندرك الحق فى حقيقته بالحق فى حقيقته .

وأن نلزم أنفسنا كلمة التقوى ، ونعرف حدودنا فنلزمها ، ونحن نشعر أن لحظة الميلاد التى تربطنا بالحق ، هى نفسها التى تربطنا ، بدبيب الموت فى حياتنا فنحسه مبينا دائما ، ان بدء خضوعنا للحق خضوع عبودية ، هو نفسه بدء تفانينا ، حتى اذا بلغ هذا التفانى غايته ، بقى الحق محيطا بنا بعد الحياة ، فتغيرنا ولم يتغير . فهو معبود موتنا وحياتنا جميعا ، ونحن فى الخضوع والعبودية على كل حال .

ان لحظة التنوير فى التفكر البشرى وهى أعلى درجات التخلص من مادة الجسد . والتجرد فى وحدة فكرية جامعة ، هى نفسها ما تتحدث عنه نظرية النسبية عندما تبلغ الكتلة أعلى درجات سرعتها فتتحول الى صفر ، أى الى لا حدود ، ويصبح زمن هذه السرعة صفرا أى لا زمن أو لا حدود ، والذى جعل النسبية تظن ان بلوغ الصفر عند تناهى السرعة ، هو بلوغ انعدام الزمن ، هو ظنها منذ البداية – أن التزامن هو الزمن ، والحقيقة أن ذلك هو انعدام التزامن أى ظهور خضوع الماديات لخالقها !!

انها هى نفسها لحظة بلوغ الكمال فى الفكر ، أى درجة الهداية فى المعرفة ، ولا يتم ذلك بغير أعلى درجات المعرفة لحقيقة الله ، أى أعلى درجات التحقق بالحق سبحانه ، حيث ظهر ببلوغ السرعة أقصى درجاتها أن المادة محدودة القدرة ، محدودة الطاقة ، وأن لها حدودا تقف عندها ، فتعرف خالقها الذى لا يحده شىء ، ويحيط هو بكل شىء .

والمعرفة على هذا النحو كذلكم هى أعلى درجات العبادة .

هذا كلام سبق ذكره فى هذا السياق ، ولكن هذا التكرار ضرورى لربطه بقوله تعالى :

« مالك يوم الدين »

اذ ينعدم الملك الحقيقى الا له وحده ، وينعدم البقاء الا له وحده !

الحياة مع القرآن

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

ليس أخطر على المجتمعات من المنافقين الذين يظهرون نقيض ما يبطنون ، ويعلنون عكس ما يسرون .. ولامر ما ندرك بعض جوانب الحكمة فيه ، أفاض الله سبحانه فى الحديث عن هؤلاء المنافقين ليكشف سرائرهم ، ويظهر أمام الناظرين خباياهم .. وابرز سماتهم الكذب . ومن ورائه الخيانة والخلف فى الوعد والفجور فى الخصومة .. واذا كان الكذب قبيحا فان أقبح ما فيه ان يكون على اصحاب المبادىء . ومن كذب على الصديقين مرة كذب على غيرهم مرات .. وأقوى ما يفعم به الكاذب فى ادعائه أن تنفى عنه الصدق بالبرهان فى كل أحواله ..

وفى حياتنا نلمس هذا بأحاسيسنا وشعورنا .. فان من كذب على فرد لا يستبعد أن يكذب على الاخرين .. اذ الكذب صفة قائمة بنفس الكذاب ، راسخة فيه ..

ومن الوهم أن نقصر الكذب على المكذوب عليه .. فان من غشك غش جميع الناس .. ومن هنا ورد الحديث :

[**من غشنا فليس منا**] ..

والكذب مناقض للايمان .. لا يجتمعان فى قلب واحد .. وفى الحديث: [**أيكون المؤمن جبانا ؟ .. قال : نعم .. أيكون المؤمن بخيلا ؟ .. قال : نعم .. أيكون المؤمن كذابا ؟ .. قال : لا .. ثم تلا قول الحق « انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله »**] ..

ولما علم المنافقون تناقض الكذب والايمان ـ ادعوا احد النقيضين لينفوا عن انفسهم النقيض الاخر. ادعوا الايمان من مبدئه ونهايته فجردهم الله من أى ايمان[**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين**] ..

ومن دقيق السياق القرآنى انه يسجل دعواهم بالقول، ليبين أن تلك الدعوى لا أساس لها من الصحة . فلم تصدر عن اعتقاد جازم مطابق للواقع ، ناشىء عن دليل ..

ومن هنا كان المفهوم للايمان أنه اعتقاد وقول بالحق ، وسلوك مستقيم مع تعاليم الله ورسوله .. فاذا جربنا من انسان كذبا ـ وجب الحذر منه حتى يحدث توبة تعصمه من الانزلاق مرة أخرى الى الكذب . ويستوى فى التقصير من صدق الكذاب أو كذب الصادق .. فكلاهما مقصر لا يشفع له حسن نية أو صفاء طوية ..

فالمؤمن كيس فطن ، يرى بنور الله ولا ينخدع بهراء القول وطلاء الحديث الذى سرعان ما يبهت عندما يواجهه الواقع ..

وكل صفة فى القلب يفيض اثرها على الجوارح .. ومن لم يتفقد آفات الاعمال بنفسه كان اكثر سعيه ضائعا .. والاخلاق الخبيثة تفوت على صاحبها حياة الابد ، فكانت أخطر مما يفوت حياة الجسد ..

ومن أوهام المنافقين أنهم لا يرون الامور على حقائقها ، ذلك لطمس فى بصائرهم .. فهم يحفرون لغيرهم ثم يقعون فيما يكيدون .. ومن أبرز صفاتهم تبلد الحس وموت الشعور :

[يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون] ..

والمنافق ليست له نية طيبة تشفع له ان أبطأ به عمله .. بخلاف المؤمن فنيته السليمة خير له من عمله الذى يعجز عن القيام به .. والعمل بغير نية عناء ، والنية بغير اخلاص رياء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء ، والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ، وكيف يرجو السلامة من غرس بيده الشوك وعليه مشى .. وأول الداء جرثومة من رغب عن علاجها فتكت به .. ومن تسبب فى تعذيب نفسه ذاق مرارة الالم وحرم أجر الصابرين .. ولا اعتذار لاحد بالقضاء والقدر .. فمن وقع فى المحظور فلا يلومن الا نفسه .. ومن الطبيعى أن اشعال الشرارة يمتد الى ما بعد موضع الاشعال ولا لوم على النار ان أتت على كل شىء . والمسئول من أشعل النار :

[فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون] .

فسنة الله فى الاحياء أن يربط كل نتيجة بسببها ، ويؤاخذ المتسبب لان له اختيارا سيئا ..

والسلوك صورة لحقيقة الانسان ومكنون سره ، لا يزيد فى جمالها أن ترسم على بلور أو حجر ..

فلو جئنا بعمل وجاء الاعاجم بعمل أحسن منه كانوا أولى بسيدنا محمد منا .. والدعاوى الكاذبة لا تقبل من أصحابها ما لم تقم عليها البينات من العمل والبراهين من الفعل :

[واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض ، قالوا : انما نحن مصلحون] ..

فمن غفل عن أصول النظر تاه فى بيداء الفكر .. وأفسد الناس من قدم الشر لنفسه ومنع الخير عن غيره وهو لا يدرى بآفات حسه .. وطوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس ، وعرف نفسه قبل أن يتعرف على غيره .. ومن الامور الفطرية أن المرء ومن يعول أحق بالرعاية ممن هم سوى ذلك . واذا سرتك الحسنة وأساءتك السيئة فأنت مؤمن . واذا لم يكن هناك تمييز بين الضرر والنفع كان الضلال والحيرة :

[ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون] ..

وقد جعل الله اللسان دليلا على ما فى القلب .. ولسان العاقل فى قلبه وقلب الاحمق فى لسانه ، يتهم العقلاء بسوء التدبير وهو لنفسه غير بصير :

[واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون] ..

فقد زعم المنافقون أن أصحاب المبادىء يقبلون على مبادئهم من غير روية ونظر ، ورموهم بخفة فى العقل واضطراب فى التصرف ، فرد الله عليهم بأن أصحاب المبادىء بريئون من تلك التهم الظالمة ، وأن من اتهم امرأ بما ليس فيه ارتد عليه وبال ما رمى به ..

وأخطر الناس عليك من اذا قابلك جاراك ، واذا أدبر عنك عاداك ، يظهر لخصومك الولاء ، ويسخر منك عند الاعداء :

[واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ، انما نحن مستهزئون] ..

ولا ضياع لحق فى دولة تحمى رعاياها بعدالة القانون ، تعطيهم الفرصة كى تقطع الحجة :

[الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون] ..

وأجهل التجار جاهل بالقيمة والعرض والطلب ، يحتكر الردىء ويضيع الجيد ، فأضاع رأس المال ، وأنى له الربح .. والحياة سوق يدخلها جميع الناس ثم يخرجون منها رابحين ان أعدوا أنفسهم لمواجهة ما فى السوق من خير وشر ، أو خاسرين ان أهدروا ملكاتهم وغفلوا عما يجرى حولهم ..

والمنافقون استبدلوا بالطيب الخبيث ، فكانوا الاخسرين أعمالا :

[أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين] ..

وقد صورهم الله بصورة أبرز فيها ما انطوت عليه قلوبهم ليعتبر من كان له قلب ..

وأشد الناس حيرة راغب فيما زهد ، غافل عما قصد ، يسعى لما طلب الى ما منه هرب ..

[مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون] ..

واذا كان خطر السبيل هو الدليل ، فكيف الوصول ولا عقول ؟ :

[صم بكم عمى فهم لا يرجعون] ..

فالمنافق تعطلت فيه وسائل الادراك الحقيقى ، ولم يبد أى استعداد لتصحيح وسائل الادراك فيه ، فحرم الهداية واستحق الحرمان .. ومن عادة المنافق انه يتظاهر ابتغاء الهداية ، فان اقتربت منه زهد فيها ليبقى فى الضلال والحيرة ، لا يستمع لحق ولا ينطق بصدق ، ولا يرى ما يهديه الى الصواب ، وهيهات أن ينال خيرا من كانت به تلك الصفات ..

وهناك صورة أخرى يصور بها الله حال المنافق فى خوفه واضطرابه ، واين الامان لمدلج فى ظلمة الصحراء ومن حوله شظا ودموع السماء تهدده بالسقوط عليه ، فيخاف على نفسه من حسه والاخطار له بالمرصاد :

[أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين] ..

والسائر على هذا الحال يكون هلاكه الاقدام وعذابه الاحجام ، لا يسلب النعمة حتى يرى النقمة ، ومآله الخسران :

[يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ، واذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، ان الله على كل شىء قدير] ..

هذه آيات تحدث الله فيها عن المنافقين ، فكشف خباياهم وفضح أسرارهم . كذبهم فى دعوى الايمان وبين أن المكر السيىء لا يحيق الا بأهله ، وأن القلب المظلم هو بيت الداء ، وأن الكذب هو سبب الدمار والهلاك .. وانه لا يجوز أن ترفض النصيحة زهوا واغترارا فقد يغفل العبقرى عن بعض البدهيات . ومن الحماقة أن يزعم الانسان لنفسه ما يرفعه عن الاخطاء . فخير الناس من اذا ذكر تذكر ، واذا نبه اتعظ واعتبر . ولسوأ الناس حالا ذو الوجهين الذى ليس له مبدأ يركن اليه فيمحصه النقد البناء من أولى الرأى وأصحاب التجارب المخلصين . والفرد فى المجتمع لبنة ، ينتفع بها المجتمع أو يضار . ومن هنا كانت مسئولية الجماعة عن الافراد واتجاهاتهم .. وبصلاح الافراد تصلح المجتمعات ، وبفسادها تفسد :

[واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة]

والعبر تنتزع من الوقائع ، والحياة فرصة يزرع فيها المؤمن ويخشى الفساد . ويقلع الفاجر ويرجو الحصاد . وفى الحديث :

[آية المنافق اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ، واذا أؤتمن خان] ..

وكم تأذى المجتمع الاسلامى من المنافقين ، حتى اقترح بعض الناس قتلهم للخلاص منهم . وأبى نبى الرحمة ليتيح لهم الفرصة . ورجع عن النفاق من استيقظ ضميره ، وبقى عليه من بلى حسه ، وظن المنافقون انهم يمكنهم التمويه حتى أنزل الله :

[أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول] ..

فهناك علامات لا ينبغى أن تغيب عن المؤمن .. والسلوك هو الشاهد على مافى القلب من استقامة أو انحراف . واذا كان الاسلام يعامل الناس بظاهر أحوالهم فما ذلك الا لاتاحة الفرصة حتى يستيقظ الضمير ، وفى ذلك نبل تعاليم الاسلام ونزاهة مقصده .. وصلى الله على معلم الناس الخير ..

بقية مقال « وجها لوجه سليمان وجنوده »

ويأخذها أسيرة الى عشه ولا تتعرض شغالات النوع الثانى للقتل الا اذا أظهرت الامتعاض والمقاومة . أما العذارى الاسيرة فيؤكل بعضها ويربى البعض الاخر لتصبح بعد البلوغ عبيدا لاسيادها تؤمر فتطيع وقد تتعطف عليها الشغالات من الملكة السيدة فتعاونها بعض الشىء اذا أرادت .

أما نمل الامازون فان استعباده لغيره يكون جبريا وقهرا لا خيار معه بمعنى أن العبد يسخر تسخيرا كاملا فى أداء كل الخدمات من حفر للعش ورعاية للصغار دونما مشاركة من غيرها .

أيها القارىء الكريم لله فى خلقه شئون ما رأيك لو أن نبى الله سليمان يعيش معنا اليوم وبعد اجراء البحوث والدراسات السابقة عن النمل ، ترى كيف كان يترجم لنا هذه الاحاسيس ؟ هل كان سيقصر اعجابه على الابتسامة والابتسامة فقط كما فعل حين واجهته نملته مع جنوده ، ثم يردد بعد ذلك الدعاء القرآنى على لسانه « **رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** » .

ترى هل كان يفعل ذلك أم يزيد عليه خشوعا وقنوتا وشكرا ؟ ولماذا لا يخشع لذلك علماء اليوم ؟ بل لماذا يزداد البعض الحادا ؟ وهذه آيات الله تترى بين أيديهم وأمام أعينهم . حسب الذين يخشعون والذين لا يخشعون ، وحسب الذين يلحدون والذين لا يلحدون ان يتأملوا جميعا وبحق قول الله :

« ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير » ..

القرائن

قضايا فكرية في فهم العربية

الدكتور محمود بدري عبد الجليل

قرينة اخرى نتتبعها ... ان المتصدى للنصوص ليدرك أنه يعانى ما يعانى ازاء الشرح ويتفنن فى تخير الالفاظ وانتقاء التعبيرات مستعينا على ذلك بغير اللفظ أحيانا ، ومهما بذل فان الشرح غير المشروح ، والتفسير غير المفسر اذ لا ريب فى أن هناك ما وراء الشرح مما لا يسعفنا ما قيد من معان معجمية لمفرداته او يحيط بايراد اشعاعاته الالفاظ الكاشفة ولا الاشارات المكملة لا بما اليه أراد القائل بل بما قد يكون مراده أيضا ، فيظل احساسه الى جانب هذا بأنه ما زال هناك ما يعتلج فى الصدر منه شىء مما لا يستطيع عنه ابانة شأن الفراء ١٤٤ هـ - ٢٠٧ هـ انه يقرر : « أموت وفى نفسى من حتى شىء »

ذلك هو غصص الطعام وشرق الماء وشجا الحلق الذى يمكن أن نسميه بالحس اللغوى وما اشارة أبى معاذ بشار ١٦٧ هـ الا الدالة على ذلك حين قال :

بكرا صاحبى قبل الهجير
ان ذاك النجاح فى التبكير

ويعترض عليه معترض اذ لم يكن هناك عطف بالواو أو الفاء وهى أمور ربط تناط بالنقلة الجديدة التى اتسمت بالحضارة التى من شأنها البسط والتفصيل ، ولغتها تميل الى هذا البسط ، لكن الحس العربى أملى عليه أن يخرجها كما أرسلها مجملا ذلك بقوله :

« انما بنيتها أعرابية وحشية فقلت ان ذاك النجاح فى التبكير كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت ، بكرا فالنجاح ، كان هذا من كلام المولدين ، ولا يشبه ذاك الكلام ، ولا يدخل فى معنى القصيدة، فقام خلف فقبل بين عينيه» وهو أمر تعده البلاغيون واستحسنوه من الجملة الثانية هى فى مقام العلة من الاولى وهو موضع الفصل عندهم مع تأكيدها وقد ورد بهذا الاسلوب القرآنى : « **وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء** » ٥٣ ك يوسف ١٢ ، فان جملة « ان النفس » تقع من الاولى موقع العلة وهو ضرب يقتضى تأكيد الحكم .

ونجد أيضا مقارنات الطبرى ٣١٠ هـ لتاويلات قول الله تعالى : « **أو لامستم النساء** » ٤٣ م النساء ٤ زائد ٦ م المائدة ٥ ذاهبا الى ما ذهب اليه ابن عباس اذ يقول : « غلب فريق الموالى وأصابت العرب هو الجماع ولكن الله يعف ويكنى » .

واليه ذهب الطبرى وكان من أسباب الكناية أن الله كريم يكنى ما شاء وان الرفث هو الجماع .

اذن ثمة حس وتصور بما هو عرض كاشف عما

بين العرب والموالى من الفروق فى هذا التصور وذلك الحس نجده واضحا فى التشريع الاسلامى أيضا فأبو حنيفة ٨٠ – ١٥٠ هـ مولى ، ومالك ٩٠ – ١٧٩ هـ ، والشافعى ١٥٠ – ٢٠٤هـ ، وابن حنبل ١٦٤ – ٢٤١ هـ عرب ولكل من هذين العنصرين طريقته الخاصه فى فهم النص واستنباط الحكم منه والابانة عن مقاصده وتعليل احكامه، وتحديد أنواع المصلحه التى ينبغى ان يتحراها المشرع ، وقد أدرك القدماء الفرق بين هذين الاتجاهين فسموا الاولين وهم الموالى أهل الراى وسموا الاخرين أهل السنة .

ولحظ الجاحظ ما هو آصل بما هو تقدير لطبيعة العربى من لمحة واشارة اذ سجل ، « ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والاعراب ، اخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى والحذف ، واذا خاطب بنى اسرائيل او حكى عنهم ، جعله مبسوطا وزاد فى الكلام ..

وهى قسمة لها ابعادها من حيث التخير والتناول ، فكم من العرب الف فى ظاهرة الى جوار ما الف كتبا من جانب العجم وتقعيدا وتقنينا واختصارا تكشف عن جانب الحس والطبع الذى عول عليه عمارة بن عقيل فيما يحكيه صاحب الاغانى اذ «أنشد عماره قصيده له فيها « الارياح » والامطار فقال أبو حاتم – سهل بن محمد – السجستانى ٢٥٠ هـ هذا لا يجوز ، **انما هو الارواح ، فقال : لقد جذبنى اليها طبعى ، فقال أبو حاتم : قد اعترضه علمى ، فقال : أما تسمع قولهم : رياح ؟ فقال له أبو حاتم : هذا خلاف ذلك . قال : صدقت ورجع** » وعمارة الذى قيل فيه : « ختمت الفصاحة فى شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل » . لم يكن يدرى أنه بعبارته راجعا الى طبعه صادرا عنه يؤصل أصلا أخذه المحدثون اليوم ليقعدوا ما تراجع عنه : اذ يعد انجذاب الطبع الذى تناسوه واستعاضوا عنه بكلمة التوهم عاملا من عوامل نمو اللغة ، وتكاثر مشتقاتها مما دفع عبد القادر المغربى فكتب الشواهد على قاعدة توهم أصالة حرف مستصدرا من مجمع اللغة العربية قرارا بتأصيل التوهم .

وهو فى الدرس العربى شائع اذ فى النحو مثلا نجد لونا من ألوان العطف اصطلحوا على تسميته فى غير القرآن بالعطف على التوهم ، وفى القرآن بالعطف على المعنى ومن شواهده قرآنا قوله تعالى ، « **انه من يتق ويصبر** » ٩٠ ك يوسف ١٢ ، وقوله تعالى « **فأصدق وأكن من الصالحين** » ١٠ م المنافقون ٦٣ .. وشعرا :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها

بل ان كثيرا من الموضوعات التى شغلت علماء العرب كان الحس فيها مرجعهم بعد طويل جدل ، وهذا هو سبيلهم صدد الاعجاز الذى نعلمه وهو قائم له وجوده المحس فى عدم المقدرة على الاتيان لا بمثله بل بشىء منه ، لكن كيفية الاعجاز لا نستطيع الى التعبير عنها سبيلا ، وعدم الاستطاعة هو الاعجاز اذ لو كان واضح التصور ، محدد المعالم ، ملموس الابعاد لصار فى المتناول ، وما كانت هذى التصانيف المتغايره .. ذلك المجهول المدرك الذى لا يسعف التعبير على تبيانه وليس الى اكتناهه من سبيل عجز يصوره .

وهذا ليس بدعا ، كثير منا يرى التلفاز ويستمتع به اذ يجلس اليه ، لكنه لا يعرف كيفية عمله اذ أن هذا شىء آخر يكون فيه التفاوت ، والله سبحانه وتعالى موجود فى كل زمان ومكان وبالنسبة الى كل منا أقرب من حبل الوريد ، وكلنا يؤمن بهذا تماما عقيدة راسخة ، أما كيفيتها فليس لزاما علينا أن نرهق هذا العقل ونكده بذلك فليس مما يفيد العقيدة فى شىء ، وها هو ذا زكريا عليه السلام يورد انقطاع الاسباب بينه وبين الولد داعيا الله أن يمن عليه به ولم يضره أنه لم يعرف كيفيه ذلك ، فلما أن جاءه ما سال تطلع قائلا :

« **قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر** » ٤٠ م آل عمران ٣ .

« **قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا** » ٨ ك مريم ١٩ .

ولم يرد الله تعالى تبيان ذلك سوى ان قال : « **كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** » ٩ ك مريم ١٩ .

ومن ثم قال ابن خلدون : « هذا هو الاعجاز الذى تقصر الافهام عن دركه وانما يدرك بعض الشىء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربى ، وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه ، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما فى ذلك لانهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه » .

ولعل هذا ما دفع الخطابى ٣٨٨ هـ للحديث عن وجه آخر من وجوه الاعجاز وذلك صنيعه فى القلب لدى السماع وتأثيره فى النفوس مستشهدا بقصة اسلام عمر بن الخطاب مقدما ذلك بقوله : « قلت فى اعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره فى النفوس فانك لا تسمع كلاما غير

القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة الحلاوة فى حال » .

ومن المرويات المتداولة ما سجله ابن رشيق ٤٦٣ هـ صدد الحديث عما يعين على الشعر وعمله وشحذ القريحة له : « ولما ارادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن ، والخلوة الى أن بلغوا مجهودهم ، فلما سمعوا قول الله عز وجل : « **وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين** » سورة هود ٤٤ يئسوا مما طمعوا فيه وعلموا انه ليس بكلام مخلوق » .

وبوساطة الحس لفت عبد القاهر ٤٧١ هـ الى مكان الاستعارة فى العمل الادبى وبين خطرها واهميتها كما اشار الى طبيعة تركيبها ، وأنها تقوم عليه لا على التحليل والتركيب بالقدر الذى عاناه البلاغيون المتأخرون ، فقد ذكر أنها لا تنحل وضرب لذلك أمثلة منها بيت لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذا أصبحت بيد الشمال ومامها

وقول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
وعرى أفراس الصبا ورواحله

وما يذهب اليه يكاد يتفق وما ذهب اليه هربرت اذ يقرر : « ان الاستعارة هى الطريق المضاد ، وهى مركبة من وحدات من الملاحظة تؤلف صورة اخاذة ، بمعنى انها تعبر عن فكرة مركبة لا بطريق التحليل أو التجريد بل بطريق الاحساس المباشر بالعلاقات الموضوعية بين الاشياء » .

وما لنا نذهب بعيدا ونحن لا نستطيع بيان قولهم : « صوت دافىء » .

وان ضاعت بعض معالم هذا الحس الذى تعددت مصطلحاته من طبع وحس ووهم وسليقة وذوق بيد انه فى مكنتنا دفع مناقشتهم لكثير من المسائل التى اثاروها تناولا وصياغة ، اعلاها ما كان لدى الفرق وادناها ما ارتآه ابن رشيق من ضرورة بقاء الاستعارة كما هى على ظاهرها دون تأويل مما هو لدى ابن الاثير .

ونخلص من هذا الى تقدير أن الحس يرفض هذى التعبيرات التى يمثل بها تعليما ما عرض له سيبوية ، أو التفسير الصناعى فيما تشير اليه نقول القسطلانى .

وهناك كثير من القرائن ينبغى أن توضع فى الاعتبار مثل طبيعة الكتب العربية من حيث انها آمال تملى ، وأنها روايات لم يخطها واحد منهم بل هناك المجازون يروون وكان جل ما يعتمدون عليه فى مدارستهم على التلقى والمشافهة وكانت الحافظة عندهم هى المرجع الاول وعليها المعول .

اذن هى ردود على أسئلة ، واجابات على استفسارات قد تكون الاجابة ميدانية .. فلقد حكى عن عضد الدولة — أحد أمراء بنى بويه ٣٧٢ هـ — وقد سأل ابا على الفارسى — الحسن بن احمد ابن عبد الغفار ٣٧٧ هـ — وهما فى الميدان عن نصب المستثنى فى الواجب فقال : انتصب لان التقدير فيه استثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة وهلا قدرت : امتنع زيد فرفعت ؟ فقال له ابو على : هذا الذى ذكرته لك جواب ميدانى ، واذا رجعت ذكرت لك الجواب الصحيح » .

ولعل هذا الذى دفع الفقهاء الى الحديث عن شرائط الفتيا فى الطريق اذا لم يشغله عن الفهم ولا يجوز فيما يكون غامضا .

وهذى قرائن — بما هى الشق الثانى من قوانين التجوز — مانعة من ارادة الموضوع له وبها تكون الدلالة على الظاهر ردا على من زعم ايهام المجاز الكذب هى الصحة للفهم ، محددة غرض المتكلم ونجد فى هذا تحديد المعنى ألفاظ اللبس والابهام بما هو اخفاء أن المراد غير الحقيقة ، والقرينة بها البيان بأن المراد غير الحقيقة ، ولذا فان استعمال المجاز بدونها لا يجوز .

لكن هذى القرائن منها ما يكون مقارنا ومنها ما لا يكون ، فقوله صلى الله عليه وسلم : « **أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا** » جاءت القرينة بعدا بما هى أعظمكن نعمة مما قد يكون جمعا بين الحقيقة والمجاز للعبارة على فترات ، ولقد اجمل الاصوليون ذلك بقولهم : **ان القرينة شرطها الملاحظة وان لم تكن مقارنة فمتى لوحظت تحقق شرط المجاز ومن ثم فلا جمع كما قد يتبادر** .

من أخلاق القرآن

التواصي بالخير

الدكتور أحمد الشرباصي

الوصية هى العهد بامر من الامور ، كى يفعل ، مما فيه صلاح عند الموصى . ووصاه بالشىء : رغب اليه فى ان يفعله ، واوصاه بكذا : عهد اليه به ، وتواصى القوم : أوصى بعضهم بعضا ، والوصية تقترن فى العادة بوعظ لكى يحبب قائل الوصية من يوصيه فى عمل الخير . والتوصية فى الميراث هى ذكر ما يراد فعله فى المال والقرابة بعد الموت .

وفضيلة التواصى بالخير تفيد أن صاحبها قد تعود أن يتقدم بالنصيحة أو وصية الخير الى من يحتاج اليها ، أو من يطلبها : وهو مع هذا أو قبل هذا قد تعود أن يطلب من غيره أن يوصيه وينصحه ويوجهه . وبذلك يكون الانسان ناصحا ومنصوحا ، موصيا وموصى اليه : وبذلك تتحقق فضيلة التواصى بالخير ، لان التواصى معناه ان يوصى بعض القوم بعضا ، اى هم يتبادلون الوصية : فكل منهم معط وآخذ .

واساس فضيلة التواصى بالخير ان يكون المجتمع قائما على التذكير بالخير ، والذدب اليه ، فتكون الوصية بما هو خير شائعة فيه ذائعة ، ومن وراء شيوعها يكون هناك تبادل للوصية ، فيتحقق التواصى بالخير

وهناك من يقبل الوصية ويستجيب لها ، وهذه منزلة من الخير محمودة ، وهناك من يحرص على بذل الوصية لغيره ، وهذه منزلة اخرى من الخير محمودة ، والاكمل الافضل هو ان يتقبل الانسان النصيحة المخلصة ويعمل بها ، وأن يبذل الانسان النصيحة المخلصة لغيره ، فذلك جمع بين الحسنيين

ويكفى الوصية بالخير شرفا وقدرا أن الله تبارك وتعالى قد أوصى عباده ، وتحدث عن الوصايا الالهية أكثر من مرة فى تنزيله المجيد ، فقال فى سورة النساء : « ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حميدا » .

اى اوصيناكم واوصيناهم من قبلكم بتقوى الله واقامة دينه ، والتزام شريعته ، حتى تسعدوا فى الدين والدنيا ، والاولى والاخرة ، وان ابيتم الوصية، واعرضتم عن النصح ، وكفرتم بالله ، وانكرتم نعماه ، فان ذلك لا يضره شيئا بل يضركم انتم ، لان الله غنى عنكم ، وانتم فقراء اليه ، وهو محمود بكل لسان : « وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وهو غير محتاج الى شكركم : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » .

وقد تكرر ذكر الوصية من الله جل جلاله فى القرآن الكريم مرات ومرات .

فى سورة الانعام : « ذلكم وصاكم بـه لعلكم تعقلون » . وفيها قوله : « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » . وفيها : « ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » وكأن الاستجابة للوصية الالهية هى مفتاح العقل والبصيرة ، وباب التذكر المرشد المسعد ، وسبيل التقوى المنجية المعلية .

وفى سورة العنكبوت : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » . وفى سورة مريم على لسان عيسى : « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .

والتوصية بالخير من سنن الانبياء وعادة المرسلين ، ولذلك يقول القرآن الحكيم فى سورة البقرة: « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون»: أى وصى ابراهيم بملة الحق وكلمة الاخلاص: « لا اله الا الله » أو كلمة : « واسلمت لرب العالمين » .. ووصى بها ابراهيم بنيه ، وكذلك فعل يعقوب فى التوصية، فكل منهما قد قال لابنائه : يا

ابنائى ؟ ان الله اختار لكم دين الاسلام فلا تتركوه ؟ فيصادفكم الموت وأنتم تاركوه فتخسروا . أو الزموا الاسلام حتى آخر لحظة في حياتكم حتى تموتوا وأنتم ثابتون عليه ».

ويتحدث القرآن الكريم فى سورة البلد عن صفات الناجين من النار والعذاب ، الفائزين بالنعيم والثواب، فيقول فيما يقول: «**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك اصحاب الميمنة** » . أى عملوا الاعمال الصالحة ، مؤمنين بالله ، مبتغين وجهه، وأوصى بعضهم بعضا بالصبرعلى طاعة الله ، والابتعاد عن معاصيه ، اولاحتمال لما أصابهم ، وأوصى بعضهم بعضا كذلك بالرحمة على الخلق ، فرحموا اليتيم والمسكين والضعيف، أولئك هم أهل اليمين ، أهل اليمن والتوفيق ، فهم يأخذون صحفهم بأيمانهم ويدخلون جنات النعيم ».

ويعلق تفسير الرازى على الاية الكريمة بقوله : « فالمعنى أنه كان يوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان ، والثبات عليه ، أو بالصبر عن المعاصى ، وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن . ثم ضم اليه التواصى بالمرحمة ، وهى أن يحث بعضهم بعضا على أن يرحم المظلوم أو الفقير ، أو يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه ، لان كل ذلك داخل فى الرحمة .

وهو يدل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره على طريق الحق ، ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه .

واعلم أن قوله « **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** » يعنى يكون مقتحم العقبة من هذه الزمرة والطائفة ، وهذه الطائفة هم أكابر الصحابة ، كالخلفاء الاربعة وغيرهم ، فانهم كانوا مبالغين فى الصبر على شدائد الدين والرحمة على الخلق ».

وبالجملة فقوله : « وتواصوا بالصبر » اشارة الى التعظيم لامر الله ، وقوله : « وتواصوا بالمرحمة » اشارة الى الشفقة على خلق الله ، ومدار امر الطاعات ليس الا على هذين الاصلين ، وهو الذى قاله بعض المحققين : ان الاصل فى التصوف أمران : صدق مع الحق ، وخلق مع الخلق .

ثم انه سبحانه لما وصف هؤلاء المؤمنين بين أنهم من هم فى القيامة ، فقال : « أولئك هم أصحاب الميمنة » وانما ذكر ذلك لانه تعالى بين حالهم فى سورة الواقعة ، « وانهم فى سدر مخضوض وطلح منضود » .

ويتعرض تفسير « فى ظلال القرآن » للاية كذلك ، فيشير الى ان الصبر دعامة من دعائم تحقق الايمان ، وأن التواصى به عنوان على تماسك الامة المؤمنة وتكافلها فى اقامة مجتمع الايمان والصبر ، لان أبناء هذه الامة كالجسد الواحد ، أو كالبنيان المرصوص ، يتساندون فى النهوض بالاعباء ، والالتزام بالتبعات ، والاداء للواجبات ، ويتعاونون على البر والتقوى ، ويتنافسون فى الخير والهدى ، فاذا كان كل منهم يتحلى بفضيلة الصبر فى نفسه وذاته ، فهو يسهم مع هذا فى توفير روح الصبر عند أخيه فى الله تبارك وتعالى ، وهو يشارك فى اشاعة روح التعاضد والتساند بين ابناء الامة كلهم ، وهو يتعاون مع اخوته فى الله فى نشر نسمات الرفق واللين والرحمة بين ربوع مجتمعه ، حتى يكون هذا الفرد المؤمن العامل المعاون الراحم من أهل اليمن والامان ، والنجاة والاطمئنان ، فتأتى فى التفسير هذه العبارة :

« **الصبر هو العنصر الضرورى للايمان بصفة عامة ، ولاقتحام العقبة بصفة خاصة ، والتواصى به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته : درجة تماسك الجماعة المؤمنة : وتواصيها على معنى الصبر ، وتعاونها على تكاليف الايمان ، فهى أعضاء متجاوبة الحس ، تشعر جميعا شعورا واحدا بمشقة الجهاد لتحقيق الايمان فى الارض وحمل تكاليفه ، فيوصى بعضها بعضا ، بالصبر على العبء المشترك ، ويثبت بعضها بعضا فلا تتخاذل ، ويقوى بعضها بعضا فلا تنهزم** . وهذا أمر غير الصبر الفردى ، وان يكن قائما **على الصبر الفردى ، وهو ايحاء بواجب المؤمن فى الجماعة المؤمنة ، وهو ألا يكون عنصر تخذيل : بل عنصر تثبيت ، ولا يكون داعية هزيمة ، بل داعية اقتحام ، ولا يكون مثار جزع ، بل مهبط طمأنينة** .

وكذلك **التواصى بالمرحمة ، فهو أمر زائد على المرحمة ، انه اشاعة الشعور بواجب التراحم فى** صفوف الجماعة عن طريق التواصى به : **والتحاض عليه** : **واتخاذه واجبا جماعيا فرديا فى الوقت ذاته : يتعارف عليه الجميع ، ويتعاون عليه الجميع . فمعنى الجماعة قائم فى هذا التوجيه ، وهو المعنى الذى يبرزه القرآن كما تبرزه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاهميته فى تحقيق حقيقة هذا الدين ، فهو دين جماعة ، ومنهج أمة ، مع وضوح التبعة الفردية والحساب الفردى فيه وضوحا كاملا** .

وأولئك الذين يقتحمون العقبة — كما وصفها القرآن وحددها « **أولئك أصحاب الميمنة** » . **وهم أصحاب اليمين كما جاء فى مواضع أخرى ، أو انهم أصحاب اليمن والحظ والسعادة . وكلا المعنيين متصل فى المفهوم الايمانى** » .

ويقول القرآن المجيد فى سورة العصر : « **والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » . اى تحادوا فتبادلوا فيما بينهم الوصية بالحق — وهو ضد الباطل — ولا يوصى بالحق الا من

كان عليما بالحق ، عاملا به ، ثابتا عليه ، فالتواصى بالحق يستلزم أن نعرف الحق ، وأن نؤمن بجمال هذا الحق ووجوبه ، وأن نخضع لهذا الحق فنتبعه ونتمسك به وندافع عنه ، وأن نخلص أخيرا فى هداية غيرنا الى طريقه ، لان الايمان لا يكمل الا اذا أحب المؤمن لاخيه ما يحبه لنفسه .

وتواصوا بالصبر ، والصبر ملكة تجعل صاحبها يحتمل ما يتسع احتماله ، وان يحتمله دون شكوى ، والصبر انواع ، فهناك صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر فى طلب العلم ، وصبر فى الاعداد ، وصبر فى الجهاد ، وصبر على تبعات الواجب ، وصبر فى تعليم الغير ، وصبر عند الغضب ، وصبر ضد شهوات النفس ، وهكذا .

ويلزمنا حين نوصى بالصبر أن نصحح معنى الصبر ، وأن نؤمن بأنه طريق الفوز ، وأن يخلص كل منا فى نصيحة أخيه بالتزام الصبر . فهو لا يكتفى بصلاح نفسه ، بل ينقل الخير الى أخيه فى الاسلام .

ولقد قررت سورة العصر أن جنس الانسان فى خسار ووبال ، ثم استثنت المتصفين بالايمان والعمل ، ثم وصفتهم بعد ذلك - كما يقول الرازى - بانهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون عى ما يخصهم ، بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا ايضا سببا لطاعات الغير ، كما ينبغى أن يكون عليه اهل الدين ، وكما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه يلزمه فى غيره أمور منها الدعوة الى الدين ، والنصيحه ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وان يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

ويقول الامام محمد عبده : « شرط النجاة من الخسران أن تصبر ، وأن توصى غيرك بالصبر ، وتحمله على تكميل قواه بهذه الفضيلة الشريفة التى هى أم الفضائل بأسرها ، ولا يمكنك حمله على ذلك حتى تكون بنفسك متحليا بها ، والا دخلت فيمن يقول ولا يفعل كما يقول ، فلم تكن ممن يعمل صالحات » .

ويتعرض تفسير « فى ظلال القرآن » للتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، فيذكر أنهما عنوان كريم للامه الكريمة المؤمنة ، ذات الشخصية المتميزة المتماسكة ، التى تستطيع بايمانها وعملها الصالح أن تكون طليعة للانسانية الفاضلة وقائدة لها نحو الخير والصلاح : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

واذا كان الاستمساك بالحق عسيرا ، وقد تنوء به همة الفرد من الافراد على النطاق العام ، فان تلاقى الهمم وتجمع العزائم ، وتبادل التواصى بالواجب ، يعين ويشجع ، وما أقل جهد الفرد فى تحقيق الخير العام ، وما أكثره حين ينضام مع جهود سواه هنا وهناك .

وحين تتجه الامة الى اقامة مجتمع الحق والخير ، لابد لها من الصبر ، ولابد لها من احتمال المتاعب والمصاعب ، وحينئذ تتكاثر العزائم الصابرة ، وتتضاعف الايدى الثابتة ، وتتوالى الاقدام الراسخة، فاذا أضيف الى ذلك أن الهدف واحد ، وأن الصف واحد ، وأن الغاية واحدة ، فقد اجتمع للامة الكثير من حوافز الخير وعوامل الاصلاح ، ومن وراء ذلك تتوالى الخطوات الجماعية المخلصة المتساندة الماضية نحو دعم الحق وتأييد الخير .

يقول التفسير : « اما التواصى بالحق والتواصى بالصبر فتبرز من خلالهما صورة الامة المسلمة - او الجماعة المسلمه - ذات الكيان الخاص ، والرابطه المتميزة ، والوجهة الموحدة ، الجماعة التى تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها ، والتى تعرف حقيقة ما هى مقدمة عليه من الايمان والعمل الصالح ، الذى يشمل فيما يشمل قيادة البشرية فى طريق الايمان والعمل الصالح ، فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالامانة الكبرى .

فمن خلال لفظ « التواصى » ومعناه وطبيعته وحقيقته تبرز صورة الامة أو الجماعة المتضامة المتضامنة ، الامة الخيرة الواعية القيمة فى الارض على الحق والعدل والخير ، وهى أعلى وأنصع صورة للامة المختارة ، وهكذا يريد الاسلام أمة الاسلام ، هكذا يريدها أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير ، متواصية بالحق والصبر ، فى مودة وتعاون وتآخ تنضح بها كلمة التواصى فى القرآن » .

وتواصى بالحق ضرورة ، فالنهوض بالحق عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة : هوى النفس ، ومنطق المصلحة ، وتصورات البيئة ، وطغيان الطغاة ، وظلم الظلمة ، وجور الجائرين . والتواصى تذكير وتشجيع واشعار بالقربى فى الهدف والغاية ، والاخوة فى الحب والامانة ، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية ، اذ تتفاعل معا فتتضاعف ، تتضاعف باحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ، ويحبه ولا يخذله ... » .

ويقال قريب من هذا عن الصبر والتواصى به ، لانه يقوى العزيمة ويلد الاصرار على الثبات حتى الانتصار .

ونتنقل من روضة القرآن المجيد الى روضة السنة المطهرة ، فنجد رسول الله عليه الصلاة والسلام يعنى بالنصيحة والوصية ، ففى المسند أن رسول الله أوصى سلمان الخير ، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله ، ولم لا وهو يتلقى من سفير الرحمن جبريل الوصية بعد الوصية ، ومن أمثلة ذلك ما يدلنا عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « **مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ : أوصنى . فقال له : لا تغضب . فكرر مرارا فقال له : لا تغضب .

وفى البخارى عن أبى هريرة أيضا قوله : « أوصانى خليلى بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر » .

وفى البخارى كذلك عن ابن أبى أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصى بكتاب الله » أى أوصى بحفظه حسا ومعنى ، فيكرم ويصان ، ويتبع ما فيه فيعمل بأوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويداوم تلاوته وتعلمه وتعليمه . وحسبنا ان نجد أمام أبصارنا وبصائرنا ، قول رائدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، « الدين النصيحة » ومعنى هذا أن يكون النصح شعار هذه الامة وديدنها ، يقوم به كل قادر عليه ، ويستجيب له كل محتاج اليه ، وهذا هو المفهوم الكريم لمعنى التواصى بالخير .

ومن وراء سيدنا رسول الله جرت عادة الاخيار من صحابته على أن يبذلوا النصيحة المخلصة والوصية الخيرة ، كلما وجدوا لها موطنا ، وهذا مثلا هو عمر الفاروق يوصى الخليفة من بعده فيقول فيما يقول : « أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين : أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالانصار خيرا ، الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفى عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الامصار خيرا ، فانهم ردء الاسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو ، وأن لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم ، وأوصيه بالاعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، أن يؤخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا الا طاقتهم ... » .

ويتحدث أبو حامد الغزالى عن حقوق الاخوة فيقول : « ومن ذلك التعليم والنصيحة ، فليست حاجة اخيك الى العلم بأقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك ، وارشاده الى كل ما ينفعه فى الدين والدنيا ، فان علمته وارشدته ، ولم يعمل بمقتضى العلم ، فعليك النصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل ، وفوائد تركه ، وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والاخرة ، لينزجر عنه ، وتنبهه على عيوبه ، وتقبح القبيح فى عينه ، وتحسن الحسن » .

ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه أحد ، فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة ، وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة ، اذ قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » أى يرى منه ما لا يرى من نفسه ، فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ، ولو انفرد لم يستفد ، كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة .

وقال الشافعى رضى الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن موعظه علانية فقد فضحه وشانه . وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟

فقال : ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم ، وان قرعنى بين الملا فلا .

وقد صدق ، فان النصح على الملا فضيحة ، والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه ، فى ظل ستره ، فيوقفه على ذنوبه سرا ، وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة ، فاذا قارب باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه .

وأما أهل المقت فينادون على رءوس الاشهاد ، وتستنطق جوارحهم بفضائحهم ، فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ، ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر ، فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان » .

ويأتى حديث الصوفية عن التواصى بالخير ، فنجد ذا النون المصرى يقول : « لا تصحب مع الله الا بالمرافقة ، ولا مع الخلق الا بالمناصحة ، ولا مع النفس الا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان الا بالعداوة والمحاربة » .

وقال بعض الشيوخ لرويم الصوفى رحمه الله : أوصنى بوصية .

فقال له : يابنى ، ليس غير بذل الروح ، فان قدرت على ذلك ، والا فلا تشتغل بترهات الصوفية .

وقال رجل لابى بكر البارزى : أوصنى .

فقال له : احذر الفتك ، وعادتك ، والسكون الى راحتك .

وأوصى ذو النون بعض أصحابه فقال له فى نصيحته : يا أخى ، اعلم أنه لا شرف أعلى من الاسلام ، ولا كرم أعز من التقوى ، ولا عقل أحرز من الورع : ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجل من العافية ، ولا وقاية أمنع من السلامة ، ولا كنز أغنى من القنوع ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة ، والرغبة مفتاح التعب ومطية النصب ، والحرص داع الى التقحم فى الذنوب ، والشره جامع لمساوىء الذنوب ، ورب طمع كاذب وأمل خائب ورجاء يؤدى الى الحرمان وارباح يئول الى الخسران

وهذا غيض من فيض ، فما أكثر الوصايا والنصائح والتوجيهات التى تبادلها هؤلاء القوم وفاضت بها كتبهم ومصادرهم .

الا ما أجمل المجتمع حين تعمه روح التواصى بالخير ، ويشيع فيه توجيه النصيحة المخلصة ، وتقبل الوصية النافعة . انه مجتمع الاسلام والايمان وموطن الرضي من الرحمن .

تأملات
في البيان
القرآني

الجملة القرآنية

الدكتور ابراهيم عوضين

كلما ازداد الانسان بالقرآن اتصالا ازداد افتتانه به ، ويتلفت بحثا عن مصدر ذلك الافتتان فلا يجد جانبا أولى بذلك من جانب آخر ، وانما كل ما فيه معجب مدهش ، لان كل ما فيه معجز .

ونحن فى تأملاتنا أو تدبرنا من القرآن انما نخص جانبا من جوانبه ، ندور حوله بالبحث والتأمل ، ذلك هو البيان القرآنى .

والدارس لبيان الجملة القرآنية ، المتأمل فيها ، لا يملك نفسه اذا ما وفق فانكشف له سر من أسرار البناء فى طائفة منها ، لانه بانجلاء ذلك السر أمام فكره يحس باحساس الباحث الكاشف ، فى حين يزداد ايمانه بربانية ذلك الكتاب المبين وسموه على مستوى المخلوق ، وقيامه على الاعجاز الشامل .

ولقد أخذت نفسى ان أتأمل – أولا – الجملة القرآنية المتشابهة التركيب مع غيرها ، بحثا عن سر التوافق والتخالف فيها ، متعرفا فى أثناء ذلك على شىء من أسرار البناء البيانى فيها .

وعلى ما التزمته من منهج فى تأملاتنا السابقة أسير اليوم ، ولسوف نسير ان شاء الله تعالى فى الغد تعرفا وتعريفا بالبيان القرآنى الكريم .

• • •

يلاحظ من يقرأ القرآن الكريم توافقا وتخالفا بين قوله تعالى فى سورة البقرة : « **لا يقدرون على شىء مما كسبوا** » ، وقوله تعالى فى سورة ابراهيم : « **لا يقدرون مما كسبوا على شىء** »

وواضح أن التوافق فى الجملتين موطنه الفاظهما وكلماتهما ، فليس هناك من فارق بين كلمات الجملتين .

وواضح كذلك أن التخالف فيهما راجع الى البناء حيث قدم هنا ما أخر هناك .

ولاشك فى ان مثل هذا لا يمكن أن يمر بدون توقف ، بل لا يصح من دارس أن يتركه يمر بدون وقفة يتأمل فى أثنائها هذا المسلك فى بناء الجملة ، بحثا عن السر الدافع الى ذلك التخالف والتوافق .

ولن يتيسر للمتأمل فى وقفته أن يصل الى السر فيما بين الجملتين من توافق وتخالف الا من خلال نظرة شاملة يلقيها على الجملتين فى موقفيهما ، فلكل جملة مساق ، ومناسبة ، وجو خاص ، هو الذى ينشأ عنه دواعى البناء بيانى على نسق مخصوص .

• • •

والناظر فى جملة البقرة : « **لا يقدرون على شىء مما كسبوا** » يلاحظ انها جاءت فى ضمن آية تصور اولئك الذين يعملون الخير ، لا بدافع حب الخير ، ولكن طلبا للتمدح ومراءاة الناس ، دون ان يخالج الايمان بالله قلوبهم ، أو يكون للاحساس باليوم الآخر وجود فى نفوسهم .

« **يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن**

والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر »
« فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا .

« لا يقدرون على شىء مما كسبوا .
« والله لا يهدى القوم الكافرين » .
فالاية تقدم موقفا من المواقف البشرية ، مبينة راى الدين فيه .

اما الموقف فهو تقديم الصدقة من المستطيع الى غير المستطيع فى ثوب غير ثوبها الذى البسه الله سبحانه اياها حين شرعها ، فقد جعلها عونا للاخذ على مطالب الحياة ، وسبيلا للمعطى الى قلوب الاخرين ، ورباطا وثيقا يشد المجتمع بعضه الى بعض ، ويقيم العلاقة بين افراده على اساس من المحبة والاحترام .

هذه هى الصدقة المشروعة ، وهذا ثوبها الذى يصح ان تلبس غيره ، فاذا البست ثوبا غير هذا الثوب فقدت اهم مقوماتها ، ففقدت كل آثارها المرجوة ، فاصبحت بناء منقوضا من بانيه ، وعملا يبطله من يؤديه .

ومن ثم نهى الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا عن الوقوع فى ذلك الخطأ ، وحذرهم من التردى فى هاويته .

« يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى .. »

ثم اخذت الاية فى التعريف بأولئك الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والاذى ويفقدونها ثمرتها المرجوة منها وذلك قوله تعالى :
« كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر .. »

ثم رسمت صورة بيانية ، تقدم هذا النموذج من الناس من خلال الرؤية القرآنية لواقعهم الذى لابد لهم من الوقوع فيه .

« فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا » .

القرآن الكريم ينظر الى هذا الذى ينفق ما له رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ، فيراه فى صورة غير التى يراه فيها سائر الناس ، فهو يبدو فى تصور القرآن ورؤاه فى صورة حجر أملس صلب ، عليه تراب ، يتوهم من يراه على حالته تلك انه تربة خصيبة اذا اصابها الماء لا تلبث أن تخرج الخير ، وتؤتى الثمار .

ولكنه - وهو على تلك الحقيقة - حين يصيبه الماء ينكشف المغطى ، وتظهر الحقيقة المستورة ، ويبدو مجدبا صلبا ، لا خير يرجى منه ، ولا ثمرة ينتظرها الناس من ورائه .

مثل هذا الصفوان المغطى بالتراب الخادع ، ذلك الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ، فهو ذو [illegible] صلب لا يخشع ، ونفس جامدة لا تلين ولا ترحم ، ومع هذا هو يتزيى بزى المؤمنين البارين الاتقياء .

هذا الرجل لا يتماسك على خداعه هذا وغشه ، ولكنه لا يلبث ان يشق هذا الثوب المستعار ، فيبدو للاعين ما اخفاه ، ويظهر لنفسه على حقيقته ، لا سلطان له على ما اوتيه ، ولا حب له فى قلوب مجاوريه ومعاشريه ، فوفاضه خال لا يملك مما كان تحت يده شيئا ، وعلاقاته بالناس مقطوعة لا يحس لدى أحد منهم اشفاقا به ولا رحمة .

امثال هذا يعودون الى انفسهم فى محاولة يائسة ، ولكن عجزهم يتقرر لديهم فى كل محاولة ، ويتأكد لهم أن قدرتهم محدودة ، وان ما كسبوه خرج من سلطانهم لانهم خدعوا فيه وظنوه شيئا ذا قيمة ، وخدعوا فى قدرتهم فظنوا ان بامكانهم الكثير .

وهكذا مع أول مفاجاة لا يجدون من حولهم معينا ، ويرجعون الى ما كسبوا من مال وسلطان فلا يجدون لديهم القدرة على استبقائه : **« لا يقدرون على شىء مما كسبوا »** ، صغيرا كان ذلك الشىء أو كبيرا ، مالا كان او جاها ، قوة أو سلطانا .. لا شىء من ذلك الذى كسبوه فى ظل حالة الخداع الاولى يقدرون عليه الان بعد ان انكشف المغطى ، وعرف كل شخص على حقيقته .

● ● ●

اما الناظر فى جملة ابراهيم فيلاحظ انها جاءت فى ضمن آيات تصور اولئك المعاندين المكابرين ، الذين لم يستجيبوا فى دنياهم لداعى الحق ، ولم يتركوه وشانه ، فتصدوا له بالايذاء ، وتابعوه بالكيد والظلم والعسف . وتكشف عما ينتظرهم يوم القيامة من جراء ما صنعوا .

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد » .

ثم بعد أن تبين الايات كيفية ارسال الرسل الى قومهم ، والغايه من ذلك ، وموقف بعض الامم من رسلهم ، وكيف ينقلبون عليهم ايذاء وصدا .. بعد

لرشاد

ذلك تقدم لنا الآيات ما أوحى به الله لرسله من دواعى الامل ، ودوافع الاستمرار .

« فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين .
« ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد .

« واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد .
« من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد .
« يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ » .

بعد هذا الوعيد والتهديد بما ينتظرهم يوم القيامة، يقدمهم البيان القرآنى من خلال الصورة التى يراهم عليها ، فهم - كما يراهم فى الاخرة - انقلبت اعمالهم الدنيوية التى اعتزوا بها وارتكنوا اليها ، فاذا بهم لا يجدون فيها مما انتظروه شيئا ، بل كانت وبالا عليهم وخسارا ، فلم تقف خسارتهم فيها عند حد ضياعها وفقدان اثرها المرجو فى مثل هذا اليوم . بل ضمت الى ذلك ان اصبحت مصدر الم وضيق لهم ، فالخساره خسارتان ، خسارة فقدها فى لحظة هو فيها اشد احتياجا اليها ، وخسارة تحولها الى صاحبها وانقلابها عليه وبالا ، وهو امام ذلك كله عاجز العجز كله ، عاجز عن الانتفاع بما كسب ، وعاجز عن تجنب ما يصيبه من جراء ما كسب ، وعاجز عن الهرب مما كسب ، وعاجز عن اى شىء يمكن ان يخفف عنه ويلات ما هو فيه .

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

فاعمالهم تشبه رمادا عصفت به الريح فملأت به الجو ، فأصبح صاحب العمل عاجزا عن الانتفاع به ، عاجزا عن دفع ضره الذى يصيبه ، حتى يكاد يعمى بصره ، ويمنعه التنفس ، ويفقده الحركة .

فعجزه هنا عن ما كسب ، وبسبب ما كسب .
بخلاف عجزه فى سورة البقرة ، فانه هناك عاجز عما كسب .

فكلمة [من] فى البقرة تفيد التبعيض ، وفى ابراهيم تفيد التبعيض والسببية معا .

ولذا لم يصح أن يعبر فى ابراهيم باداة اخرى من ادوات السببية عندئذ ستقدم الجملة ناقصة .

ولم يصح فى ابراهيم أن تكون الجملة على الترتيب الطبيعى الذى قرره النحويون ، لانها عندئذ ستقصر عجز هؤلاء الكافرين على ما كسبوا دون غيره . وهذا لاشك نقص فى التعبير وتصور ، اذ الكافر فى الاخرة لا يقف عند حد ما كسب ، ولكنه يحاول - من شدة الهول - أن ينال ما يشعر أن فيه نجاته ، ولكنه عاجز عجزا تاما . أما فى الدنيا فهو مكابر معاند ، اذ يخيل اليه مع فقد قدرته أنه مازال قادرا على التحرك والانتفاع بما كسب ، مترفعا على الاخرين ، متعاليا عليهم .

ومن ثم كان فقد القدرة فى البقرة - وهى تحكى عجزه فى الدنيا - على شىء مما كسب « **لا يقدرون على شىء مما كسبوا** » .

وكان فقد القدره فى ابراهيم - وهى تحكى عجزه فى الاخرة - مما كسب على شىء « **لا يقدرون مما كسبوا على شىء** »

ومن ثم كانت الفاصلة مختلفة لتناسب ما جاءت خاتمة له .

فهى فى البقرة : « **لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين** » .

وهى فى ابراهيم : « **لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد** » .

فالكافرون فى الدنيا لا يتوقفون عن السعى وبذل الجهد فى محاولة استعادة السيطرة على شىء مما كسبوا ، ولكن دون جدوى فالله لا يهدى القوم الكافرين .

أما الكافرون فى الاخرة فيائسون قانطون ، لا امل يحدوهم ، ولا رجاء يدفعهم الى مواصلة الجهد لاستعادة ما فقدوا من سلطان وقدرة ، بل هم فوق ذلك العجز تائهون مضطربون ، لا يعرفون لهم وجهة ، ولا يبصرون امامهم طريقا ، فاعمالهم حجبت عنهم كل رؤية كأنها رماد اشتدت به الريح فحجب عن الرائين الرؤية . فالضلال ممتد عميق .. « **ذلك هو الضلال البعيد** »

• • •

وبعد .. فأنى لمخلوق - أيا كانت مقدرته التعبيرية ، وايا كان احساسه الفنى - أن يكون على مثل هذا الوعى بأبعاد الموقف ، ومضمون الكلمة ، فيميز موقفا من موقف ، ويختار لكل ما يناسبه اتم المناسبة وادقها ؟ !

« لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

القرآن والأنبياء

الأستاذ محيي الدين عبد السلام بلتاجي

تعرضنا فى الجزء السابق من هذا الحديث الى علاقة الانبياء باقوامهم ، وتحدثنا عن انقسام هذه الاقوام الى قوى يملك من أسباب الحياة الكثير الذى يمكنه من السيطرة على أموره وأمور غيره ، والى من لا يملك من أسباب الحياة الا النذر اليسير الذى يجعله يخلد الى التواضع والرضا وتتطامن نفسه الى ما يسر له من تلك الاسباب ، وبينما أن الوقائع والاحداث بين الانبياء واقوامهم تشهد دائما بأن المعارضين لدعوات السماء كانوا أبدا من الصنف الاول الذى يكاد يملك كل شىء وأن المتلقين لها بالقبول والطاعة هم من الصنف الثانى الذى لا يملك الا القليل واستدللنا لذلك بآيات من الكتاب الحكيم .

واليوم نعرض لموضوعين هامين اشار اليهما القرآن الكريم فى حياة الانبياء ، الاول : يتعلق بحياتهم قبل البعث ، والاخر : يتعلق بحياتهم بعد البعث ، وكلاهما يرتبط بالاخر من حيث ابراز الجانب الخلقى ان اختيروا لهذا الامر الجلل ، امر هداية الناس وتبصيرهم ، وانذارهم وتبشيرهم .

يقول جل وعلا : « **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** » [الحج .

ويقول تبارك وتعالى : « **ان الله اصطفى آدم ، ونوحا ، وآل ابراهيم ، وآل عمران على العالمين** ! [آل عمران] .

ويقول عن ابراهيم عليه السلام : « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين** ! [البقرة] .

ويقول تعالى لموسى عليه السلام : « **انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى** » [الاعراف] .

ويقول لمريم : « **يامريم ان الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين** » [آل عمران] .

ويقول تعالى بعد أن يذكر الانبياء وشيئا من جهدهم وجهودهم : « **وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار** » [ص] .

ومن تلك الايات المبينة فى كتاب الله الكريم نجد ان الله تعالى قد اختار انبياءه من صفوة الخلق ، وان هذا الاختيار لا شك قد وضع الله تعالى له المعايير التى تقوم فى الاساس على الجانب الاخلاقى ، اذ انه من الثابت أن كل من أختير لابلاغ رسالاته الى الناس كان من أكرم عناصر البشر تمثيلا لقيم الخير ، واصفاهم واعلاهم خلقا ، والذى لا شك فيه أيضا ان هذه المعايير لم تقم على اعتبار آخر من جاه أو قوة أو مال وذلك لامرين :

الاول : ان تلك المعايير المادية من مال وجاه انما كانت مما يهب الله لعباده ولو شاء لوهب رسله منها الشىء الكثير هذا فضلا عن أنها ليست المستهدفة من اختيار القدوة .

الثانى : ان الذين كانوا ينفسون على محمد صلوات الله وسلامه عليه فضل هذا الاختيار لم تصل بهم مداركهم الى فهم تلك المعايير الربانية ، فقالوا فى معرض ذلك « **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » [الزخرف] .

اذ لم تكن أفهامهم لتسموا لادراك العلة القائمة خلف الاختيار فنعى القرآن عليهم ذلك فى الاية السالفة . واذا ما تقرر أن المعيار الاخلاقى كان هو الاول والاخر فى موضوع الاختيار الالهى فيمن شرف بحمل الرسالات الى البشر ، فان ذلك يوضح لنا الاطار الذى كانت تدور فيه حياة هؤلاء المختارين قبل البعثه ، فهم صفوة المجتمع الانسانى فى هذا الجانب ، وتلك هى السمة المميزة لهم والتى تجمعهم على صعيد واحد ، والى هذه الاصرة التى تجمع بينهم منذ فجر الحياة واتصال خبر السماء بالارض يشير القرآن الكريم بقوله تعالى : « **ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** » [آل عمران] .

فالانبياء جميعا ممن ذكر القرآن ومن أعرض عنه ينتمون الى أماكن متفرقة أو قريبة وأعصر متباعدة أو متقاربة وأقوام متباينة أو موحدة ، لا تجمعهم الا تلك الاصرة من سمو الخلق ، اذ لم يثبت حتى الان تاريخيا بصورة موثقة فيما وصل اليه البحث التاريخى ، نسبتهم الى قرابة او صلة او نسب تجمع بينهم ، وحتى القرآن حين عرض لهذا لم يجمع بينهم بغير آصرة التقوى والايمان والاحسان وصدق المجاهدة. يقول تعالى : « **اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين**

من ذرية آدم ، وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » [مريم] .

ومن هنا يتبين أن الاصرة التى تجمع بينهم فيما قبل النبوة تكاد تكون امتدادا لتلك التى تجمع بعد النبوة وهى اخوة الاخلاق اولا : ثم اخوة الايمان ، فالاولى مقدمات ممهدات لتلقى الخير ، والاخرى منتهية الى الايمان ، موصول بعضها برباط الخلق الذى هو صنوه ، والذى أعد تلك النفوس الكريمة للعصمة من التردى فى الخطأ وبشر بامكانياتها فى المقدرة التكوينية على الصمود لها وتحملها .

وموضوع العصمة يمثل الشطر الثانى من حديثنا ، ذلك ان العصمة من المنن الالهية التى حبا الله بها من اختارهم للنبوة لكونه قدوة للبشرية فى تجنب المرذول من الفعال ، وتتبع المحمود من الخصال لما يتفق والفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والتى تتواءم مع المثل العليا للمجتمعات باختلاف الامكنة والازمنة ، وهى للانبياء بمثابة الحصانة التى تجعلهم فى مأمن من الانزلاق الى الخطيئة ، وقد تعرض القرآن الكريم فى بعض آية الى أمور تبدو فى ظاهرها متجافية مع ما للانبياء من عصمة الا ان هذه الامور ليست على ما يستفاد من ظاهرها ومن اول تلك الامور ما يعرض له عندما يقص نبأ آدم اذيقول : « **وعصى آدم ربه فغوى** » وذلك حين استجاب للشيطان ، وأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها . وحين يقول : « **الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن اليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ،فلما اثقلتدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون** » .

والايتان تثيران تساؤلين :

الاولُ : كيف يمكن ان يكون العصيان والغى من آدم وهو نبى ؟

الثانى : كيف يجوز من آدم وحواء ان يجعلا لله شركاء ؟

المعروف ان الله قد امر آدم الا يأكل من الشجرة غير ان ابليس اغراه فأكل منها هو وزوجته فأخرجهما الله من الجنة وانزلهما الى هذه الارض فكيف يصح ذلك من نبى معصوم ؟ والجواب أن المعصية ليست متعمدة ، وانما وقعت بسبب النسيان ، والنسيان ليس خطيئة وانما هو عصيان فى الظاهر اسماه الله معصية ، كما ان ذلك قد وقع منه قبل النبوة .

اما الامر الثانى فى قوله تعالى : « **فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون** » فالكلام على حذف مضاف والتقدير « جعل اولادهما » وهم الذرية التى بعد بها العهد فنست الله واشركت به غيره ،والدليل قوله تعالى : « **فتعالى الله عما يشركون** » ولو ان المقصود بذلك آدم وحواء لبقى الضمير كما هو فى صدر الاية ولقال : « فتعالى الله عما يشركان » .

وعندما يثير القرآن ذلك الحوار بين ابراهيم وربه من قوله تعالى : « **واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى** » وهذا يثير بدوره تساؤلين :

الاول : ما هو هذا الاطمئنان الذى ينشده ابراهيم؟

الثانى : هل يمكن أن يكون ابراهيم غير مطمئن القلب بالايمان ؟

الواقع أننا – كى نجيب على هذا – يجب أن ننظر الى ما قبل هذه الفقرة ، وما بعدها ، فابراهيم حينما حاجه الكافر فى ربه قال ابراهيم : « **ربى الذى يحيى ويميت** » اذن فهو يؤمن بالله الذى يحيى ويميت الايمان كله ، وحين سأله المولى جل وعلا : « **أولم تؤمن ؟ قال بلى** » أى نعم أنا مؤمن ، والايمان ما **هو** الا اطمئنان القلب وان كان أعلى من الايمان درجة ، وتلك التى رغب اليها ابراهيم ، اذ الاطمئنان درجة المشاهدة المحسوسة وهو أقرب الى اليقين من الاخبار عن مغيب .

وعندما يثير القرآن مثل ذلك فى قصة يوسف وذلك حيث يقول تعالى : « **ولقد همت به ، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه** » فالشائع عند المفسرين أنها همت به ليضاجعها ، وهم بها قعد منها مقعد الرجل من امرأته ، حتى جاءه جبريل فأخبره بأنه سيكون نبيا وهذا لا يليق بالانبياء فكف . أو أن برهان ربه ان نظر فرأىوجه ابيه يؤنبهعاضا على انامله ، او انه نودى يايوسف انك مكتوب فى ديوان الانبياء فكيف تعمل عمل السفهاء والامر على غير ذلك .

فالواقع أن سياق الايات فى القصة يجلى فى المعنى ، فالايات التى قبل ذلك تقول : « **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب ، وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون** » .

وهذا استعصام منه ، ثم هناك آية أخرى تسجل اعتراف امراة العزيز بهذا الاستعصام هى قوله تعالى ،« **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** » ثم اخرى هى قوله تعالى : « **الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين** » فقد ظنت امراة العزيز أن يوسف خادما كغيره لا يستطيع عصيان امر لسيدته ، فهيئت له اسباب الفاحشة ، فاذا به يستعصم ، ويثور صارخا ، « **معاذ الله انه ربى أحسن مثواى** » اذابها تهم به مؤدبة منتقمة اذ كيف يعصى لسيدته امرا ، وهى واقعة تحت وطأة رغبة عارمة ، واذا به هو يهم بها مدافعا عن نفسه فرارا من المعصية ، أما برهان ربه الذى رآه فهو علامة حضور سيد رب البيت [العزيز] فأنقذ بذلك الموقف ، والا لتضاربا فالهم منها هنا هو اقبال ، والهم منه هو طرد ، يرجع الى ايمان عصمه من السوء .

أما ما جاء بالنسبة لداود من قوله تعالى : « **وظن داود انما فتناه ، فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك** » فما هى تلك الخطيئة التى وقع فيها حتى يطلب المغفرة من الله عنها ؟ وسياق القصة كما ورد فى القرآن كالاتى : ـ

« **وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ، ولا تشطط، واهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال : أكفلنيها وعزنى فى الخطاب ، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم ، وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه ، وخر راكعا واناب ، فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** » .

وبعض المفسرين على ان داود كانت له تسع وتسعين زوجة ، وانه اغرم بزوجة رجل اجنبى فاراد ان ينتزعها ليكمل بها المائة ، فأرسل الله ملكين فى صورة رجلين فى تلك الخصومة تنبيها له حتى يرجع عما يفكر فيه .

وواقع الامر ان القصه على الحقيقة ، وداود ملكا ونبيا له ان يحكم بين الناس بالصفتين غير ان الخصمين دخلا عليه بغير الطريق المعتاد ففزع ظانا انهما ارادا اغتياله ، وقد استغفر ربه عن هذا الظن ، فغفر له ظنه وليس الامر ابعد من ذلك .

أما بالنسبة لما جاء عن سليمان فى قوله تعالى : « **فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ، ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق** » فان المفسرين على ان حبه للخير الهاه عن الصلاه حتى توارت الشمس بالحجاب فامر بردها واخذ فى قتلها بالسيف . وفى ذلك وصم لسليمان بامرين : ـ

الاول : التلهى عن ذكر ربه وهو مالا يقع من نبى،
الثانى : قتل الخيول البريئة المعدة للجهاد دون مسوغ معقول .

والواقع ان ما جاء فى الاية بسياقها هو تكريم له وليس وصما ، فقد عرضت عليه هذه الخيول وكان يحبها لانها عدة الجهاد فى سبيل الله ، ومظهر الخير والنعمة ، فقال : انى أحببت حب الخير الذى منه هذه الخيول حبا ناشئا عن ذكر ربى حتى اذا توارت وحجبت عن عينه أمر بردها عليه مرة ثانية ، وأخذ يمسح بيديه على سوقها وأعناقها تكريما لها .

وانتقل الى موسى الذى اقترف ما تشير اليه الاية من قوله تعالى : « **ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين** » .

فواقعة القتل هنا تؤكد انه قتل غير مقصود ، ولا يعدو ان يكون ضربة عادية فى معركة اختل فيها الميزان فافضت الى موت لم يكن فى حسبان المتقاتلين ولا تقديرهم ، وقد وقع من موسى قبل ان يبعث نبيا ، والدليل على ذلك انه بعد ان بعث الى فرعون قال له فرعون : « **الم نربك فينا وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين ؟ قال : فعلتها اذن وانا من الضالين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين** » .

أما بالنسبة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه فانه قد وردت فى بعض اى القرآن امور تبدو فى ظاهرها مخالفه لعصمه النبوة وما هى فى واقع الامر كذلك ولنوردها أولا لنرد على كل منها .

قوله تعالى : « **وتخشى الناس والله احق ان تخشاه** » وقوله تعالى : « **يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك** » وقوله تعالى : « **ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** » وقوله تعالى : « **عبس وتولى ان جاءه الاعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، واما من جاءك يسعى، وهو يخشى ، فانت عنه تلهى** » .

فهذه الايات فى الظاهر فيها لوم اليه ، واللوم لا يكون الا عن تقصير أو خطيئة ، والتقصير والخطيئة لا يتفقان مع العصمة .

أما الاولى وهى قوله تعالى : « **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** » فهى ترجع الى زواج النبى صلوات الله وسلامه عليه بزينب بنت جحش ، وكانت قبل زوجا لمتبناه زيد بن حارثة وكانت تراه غير كفء لها ، فساءت عشرتها له ، وكثيرا ما اشتكى ذلك للرسول فيقول له : « **امسك عليك زوجك واتق الله** » فلما ضاق بها زيد طلقها ، وزوجها الله لرسوله وكان ذلك تشريعا ، أما الذى كان الرسول يخفيه فهو امر الله له بالزواج منها لا حبه لها كما كان يدعى ،يؤيد ذلك قوله تعالى : « **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** » اى الزمناك بالزواج منها .

اما الثانية : وهى قوله تعالى : « **يا أيها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك** » فالامر فيها ان الرسول كان اذا صلى العصر مر على سائر نسائه فيمكث عند كل واحده وقتا للائتناس ، فدخل عند زينب بنت جحش فشربت عندها عسلا كان اهدى اليها ، وفعل ذلك عدة مرات ، فاتفق نساؤه على ان تقول كل من دنا منها منهن : انى اجد منك ريح المغافير ، وهو نبات حلو الطعم متغير الرائحة ، فلما قالت له عائشة ذلك ، قال لكنى شربت عسلا عند زينب ، فقالت لعل النحل أكل من نبات العرفط وهو

« البقية ص ٦٥ »

ضرورة الحروب فى القرآن الكريم

الحروب : من ضرورات الحياة ، لحفظ التوازن الكونى .
الاوبئة والطواعين ، واثرها فى الكائنات .
الحروب التى يدبرها ويديرها شرار الناس :
تطور آلات الحرب .
جبن المتسببين فى الحروب ، وخوفهم على حياتهم ، وفتك الامراض الفتاكة فيهم !
المخلوقات : المرئية ، وغير المرئية .
توازن الاحياء على وجه الارض .
الانسان : سيد المخلوقات الارضية بلا منازع .
عداوة الحشرات ، وفتك بعضها ببعضها .
النبات ايضا : يسرى عليه قانون التوازن .
الكون — رغم فخامته وعظمته — فى حاجة الى الزلازل والبراكين — رغم عنفها وقسوتها :
جميع ما يحدث فى الكون والكائنات : بحكمة الحكيم العليم ، وبتقدير الرحمن الرحيم ، جل شانه ، وعلا سلطانه :

للأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

يقول المولى سبحانه وتعالى **«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين»** .

يؤخذ من هذه الاية الكريمة : أن الحروب من ضرورات الحياة ، وان بدونها : لا يستقر نظام ، ولا يستتب أمن ، ولا يسود عمران .

فيها يحفظ التوازن الكونى بين المخلوقات ، ولا يبقى على ظهر الارض : سوى من يصلح للبقاء ، ويستأهل الخلافة فيها .

اليست الحرب : من فضل الله سبحانه وتعالى على عبيده « **ولكن الله** ذو فضل على العالمين » .

اللهم الا اذا أراد الجبار القهار للارض الفناء والدمار ، فيشيع فيها الفساد والافساد ، والبغى والفجور ، وتعم الفوضى ، ويسود الاضطراب ، ويمتلك العتاة المتجبرون : فيعبثون فى الارض فسادا وفى أهلها افساد .

وحينئذ يعود الاسلام غريبا كما بدا .

وذلك لينفذ المولى سبحانه وتعالى أمره ، ويقضى قضاءه ، ويرث الارض ومن عليها ، ويقال « لمن الملك اليوم » ويجاب « **لله الواحد القهار** » .

« **ليجزى الذين اساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** » .

هذا : وحاجة الكون الى الحروب : كحاجته الى الاوبئة والطواعين .

اذ لو ترك الكون : بغير حروب ، وبغير أوبئة : لتكدس الناس فوق هذه الارض تكدس الذباب ، ولتكاثروا تكاثر الجراد ، ولاكل بعضهم بعضا : شأن احقر الحيوانات ، وادنى الحشرات .

ولكن شتان بين الحروب التى يحتاجها الكون ، والحروب التى يدبرها الان بعض المخلوقين للبعض الاخر .

فان الاولى : يجب أن تكون لدفع ظلم ، أو رد عدوان — وكثيرا ما يقع الظلم ، ويحيق العدوان — .

أما الثانية فهى حروب : تديرها الان رؤوس خوت من العقل ، وقلوب خلت من الرحمة !

ولا سبب لها سوى حب السيطرة ، والسيادة ، والتوسع ، والطغيان !

هذا وقد تطورت الحروب منذ بدء الخليقة حتى الان .

فقد كانت بادىء ذى بدء : بالعصى والحجارة ، ثم صارت بالمدى والسيوف ، والقسى والرماح .

ثم تطورت الى البنادق والمدافع .

وأخيرا [وليس آخرا] دبر الانسان الشرير : لهلاك نفسه ، ومحو حضارته : القنابل الذرية ، والهيدروجينية ، والكوبالت ، والصواريخ الموجهة ، وما شاكل ذلك من وسائل التخريب ، والهلاك ، والدمار .

ليهدم ما بنته الانسانية فى ملايين السنين ، ويجتاح ما شيدته النفوس الطيبة ، والفطر السليمة : من مدنية وحضارة : بتوجيه من موجد الكون ومنشئه : تعالى شأنه ، وعز سلطانه .

ولو استمرا دعاة السوء والخراب ما هم عليه الان : لحق لنا أن نقول بحق : ان الانسان قد اصبح بلا شك أحقر من الذباب . بعد ان هداه مولاه النجدين ، وفضله على سائر مخلوقاته .

وأحط من الصرصور . بعد ان خلقه خالقه فى أحسن تقويم !

وهذا نهاية الحمق ، وغاية الطيش والجنون . وهو أمر — ان دل على شىء — فلا يدل الا على عقول عفنة . اتلفها الجشع والطمع . وقلوب متحجرة .

افسدتها الانانية وحب الاستعلاء والتجبر .

وحقا ان اعدى اعداء الانسان : هو الانسان نفسه .

ولو خير العقلاء بين هذه الحروب، وتلكم الاوبئة : لاختاروا الاوبئة ، وفضلوها على الحروب .

وذلك لان الحروب : من صنع ضالة الخلائق ، ووحوش البشرية .

والثانية : من صنع الحكيم العليم ، العزيز الرحيم . الذى لا يصدر اعماله الا بحكمة ، ولا ينفذ قضاءه الا برحمة وكل شىء عنده بمقدار . « **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** » .

وترى دعاة الحروب،رغم استعدادهم بتلك القوى الهائلة الفتاكة ، وهذه الادوات المهلكة ، يتميزون بالخور والجبن : يخشون المحن ، ويتوقعون عاديات الزمن . تحيط بهم الاطباء من كل جانب : ليحافظوا على حياتهم : فهذا يعد النبض ،وهذا يختبر الضغط ،وهذا يقيس الحرارة .

وهم — رغم كل ذلك — فى مرض دائم ، وهم ملازم ، ونصب وتعب ، لا نهاية لهما : يخشون الموت : وهو بهم لاحق لا محالة .

ويقول المولى سبحانه وتعالى فى آخر هذه الاية الكريمة « **ولكن الله ذو فضل على العالمين** » فيكفى بعض الناس اذى الحرب ، ويوقع بعضهم فى نيرانها .

كل ذلك يتم بأمره تعالى : امتحانا لخلقه .

وتبعا لحاجة الكون : لا تبعا لاطماع بعض من سخرهم ابليس للافساد والانساد .

والحرب تسير دائما طبقا للقاعدة المعروفة : هى البقاء للاصلح .

والنوع الانسانى : يعتبر واحدا بين ملايين الانواع : التى تزخر بها هذه الارض — رغم سعتها وعظمتها — وتعتبر من اصغر الكواكب المخلوقة لله تعالى .

وبعض المخلوقات : يعيش معنا : بحيث يرانا ونراه ، وبعضها ينتشر بيننا فلا نراه : لتناهيه فى الصغر والدقة .

وانواع اخرى : لا يحصيها سوى خالقها سبحانه وتعالى : بعضها فى اعماق الماء . وبعضها فى عنان السماء ، وبعضها تحت الثرى . وبعضها فوق الارض ، وبعضها فى بطون الصخور .

كل اولئك يسيرها الخالق القدير « **الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** »

و لاشك أن هناك انواعا أخرى — تعد بالملايين — لم تحط بها عقولنا ، ولم تصل اليها أفهامنا ، ولم يظهر لنا بصيص من معرفتها ، ولا ندرى ، كيف تحيا ، وكيف تعيش ، وكيف تموت .

والنوع الانسانى : يعيش بين هذه الملايين : كفرد فى هذه المجموعة الضخمة من الاحياء .

وهذه المخلوقات — التى لا عداد لها — يتنازعها حب البقاء ، والتشبث بالحياة : شأن بنى الانسان تماما .

ولو ترك احدهما على سجيته ، ونما على طبيعته : لضاقت به الارض بما رحبت . ولما وسعه هذا الكوكب التافه الصغير بالنسبة لملك ربك العظيم القدير .

وكل واحد من هذه المخلوقات — صغيرها وكبيرها ، عظيمها وحقيرها — له رسالة : قائم بادائها ، رسمها له النافع الضار ، اللطيف الخبير .

وقد لا يدرك الانسان أهمية هذه الرسالة ونفعها ،ولكن الخالق الاعظم — جل وعلا — يراها لازمة لزوم الماء والهواء ، ليسير بنا وبغيرنا ركب الحياة التى رسمها الله تعالى لمخلوقاته .

وهناك نظام دقيق لتوازن الاحياء على ظهر الارض : وضعه المبدع الحكيم .

فلو ترك ذكر واحد ، وانثى واحدة من الذباب : وعاش نسلهما ، وتناسل هذا النسل — لمدة ستة شهور فحسب — لغطى الذباب سطح الكرة الارضية ، بعمق سبع واربعين قدما .

وما يقال عن الذباب ، يقال أيضا عن الجراد ، والنمل ، وغيرهما .

فلم نر جحافل الجراد الضخمة ، أو اسراب النمل العظيمة ، أو جيوش الذباب الجرارة : غطت مساحة الكرة الارضية ، وزاحمت بنى الانسان فى مكانه منها .

وذلك لان الله تعالى قد اعد لكل شىء عدته : حتى تتوازن سائر الاحياء بعضها مع بعض ، دون أن يطغى نوع منها على الاخر : فتفسد بذلك اسباب العمران .

وهو أمر لم يرده المولى سبحانه ، ولو اراده لكان .

ويأتى بعد ذلك دور الانسان — الذى يعتبر نفسه بحق سيد المخلوقات الارضية — فيحاول بشتى الوسائل : ابادة كل ما يعترضه من هذه الكائنات .

فلا يكاد يبيد نوعا من الانواع : الا ونوجىء بانواع اخرى : اشد ضراوة ، واسرع فتكا . يضنيها الانسان بدوره الى قائمة ما يصارع ، حتى تكاثرت عليه الاعداء ، وعز الداء .

فمن بكتريا وفيروسات ، الى طحالب وفطريات ، الى هوام وحشرات ، الى كواسر وحيوانات ، الى ما لا حد له من المخلوقات ، التى اخرجها مبدع الارض والسماوات .

ولا يسع المؤمن الا ان يتمثل بقول العزيز الجليل « **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك** » .

وذلك ان لكل نوع من هذه الانواع أعداء — غير بنى الانسان — خاصة به أوجدها المولى سبحانه : لحفظ التوازن والحد من التكاثر .

فللجراد اعداء ، وللذباب والبعوض أعداء ، وللجرذان والحيات والعقارب أعداء .

واذا لم توجد هذه الاعداء ، أو قل شرها وضررها : لكان النوع نفسه : عدوا لنفسه .

فاذا تكاثر الجراد مثلا ، وزاد عن الحد المرسوم : قل غذاؤه فتصارع مع نفسه ، وقتل بعضه بعضا ، وأكل بعضه البعض الاخر ، تنازعا لحب البقاء .

وما يقال عن الجراد : يقال عن الهوام والحشرات ، والبكتريا والفيروسات .

حتى النبات : يسرى عليه قانون التوازن : الذى يسرى على سائر المخلوقات .

فاذا ناءت بعض الاشجار بحملها : تخلصت من بعض ازهارها وثمارها ، بعضها البعض ، أو تهلك الشجرة كلها، وتخففت من ثقلها : خشية أن يتلف

وهذا القانون السماوى : ملموس ، مشاهد فى كل الاوقات ،وسائر الحالات .

فنجد مثلا دودة القطن : وقد عاثت به فسادا : حتى اهلكته واتلفته وصار كالرميم .

فلم نسمع يوما ، ان هذا العبث ، أو ذلك الفساد : كانا سببا فى عرى الانسان ، ونقصان ما اختصه الله سبحانه وتعالى به : من نعمة الستر واللباس .

بل هو فى ظاهره : فساد وافساد، وفى باطنه : نظام عجيب ، وتوازن دقيق .

حتى الزلازل ، والبراكين : ثبت علميا حاجة الكون لها ،وارتباط حياة الانسان بها .

وقد افرد العلماء بحوثا مستفيضة: أثبتوا فيها ما تفيضه الزلازل والبراكين: من خير عميم ،للكائنات جميعها .انسان وحيوان . وما تضفيه على الارض من خصب ورخاء ، وزيادة ونماء .

وهكذا الانسان ، فى كل زمان :تحل به الرزايا ، وتحوط به البلايا ،وتجتاحه الاوبئة والطواعين ، وتنيخ عليه الحروب بكلكلها : وهو بين كل ذلك متضجر ، ومتململ ، ولا يدرى أن جميع ذلك انما يحدث بحكمة الحكيم العليم: الذى قدر كل شىء ، وأعطى كل شىء خلقه وحقه . فتعالى المبدع المصور ، القادر المقدر .

هدانا الهادى الى صدق الايمان به ، والرضا بتقديره ومقدوره .

الكون والإنسان في القرآن

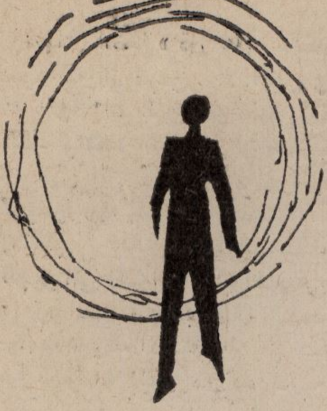

الدكتور عبد الغنى الراجحى

أشرنا فى مناسبة سابقة الى ان الانسان مركب من عنصرين : لطيف شفاف هو الروح ، ومادى كثيف هو البدن ، وان لله تعالى آيات تنزيلية منزلة فى كتابه المحكم على خاتم رسله ، فيها حياة الارواح والابدان وسعادة بنى الانسان فى الدنيا والاخرة ، بما اشتملت عليه من شرائـع واحكام وهدايات وآيات أخرى تكوينيه هى خلقه سبحانه وتعالى ، من أرض وسماء وما فيها من شمس وقمر ، وبحار وانهار ، وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك مما به معاش الانسان وسد حاجته البدنية ومتطلباته الدنيوية ، والايات التنزيلية لمسطرة فى القران الكريم اشتملت على الافاضة فى ذكر هذه الايات التكوينية ، التى ابرزتها قدره الله فـى الانفس والافاق وسائر المخلوقات ، تفـرضها على أنظار الانسان وأسماعه ، تطالبه بالتامل فيها والتفكير فى اسرارهـا وعظمة خالقها ، على نحو ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم دخل بلال ليؤذنه بصلاة الفجر فوجده يبكى ، فقال ، أتبكى يارسول اللـه ، فقال : كيف لا أبكى وقد أنزل الله على هذه الليلة آيات ويل لمن قراها ولم يتدبر معانيها « ان فى خلـق السـموات والارض واختلاف الليـل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنـوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

والذى نراه أن القرآن الكريم فى سبعمائة وخمسين آية من آياته البالغة ستة آلاف ومائتى آية أفاض فى ذكر هذه المخلوقات والكائنات ، علويها وسفليها ، ما وجد منها وما لم يوجد ، ما علم منها وما لم يعلم ، ليحقق بذلك أهدافا كثيرة ، ما من هدف منها الا وهو كاف فى اثبات عظمة هذا الكتاب ومجده وخلوده ، وصـلاحية هـذا الدين الاسـلامى الحنيف لكل زمان ومكان ، وموافقته للفطرة الانسانية ، وملاءمته لحياة البشرية ، فهو دين الحياة والخلود ، الى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الارض ومن عليها .

الهدف الاول : ان القرآن بما أفاض فى ذكره من النعم والايات الكونية المنصوبة فى الانفس والافاق ، وبما قرنها به من الحث على التأمل والتدبر والتذكر ، يفسح بذلك للانسان مجالا فسيحا ينطلق فيه من قيود الغفل والتقليد . وبلادة الاحساس والتفكير ، الى مجالات النشاط العقلى والبحث والتنقيب والدرس والتحليل ، اراد للعقل البشرى أن يعمل ، ويستغل طاقاته وفتح له ميدان عمله وأرشده الى المادة الخام ، والمعامل التى يعمل فيها ، ثم كفل له حرية التفكير ، فأعطاه الضمانات الكافية باحترام كل ما كان وليد العقل والمنطق السليم ، الذى هو أساس الدين ، قالوا العقل اساس والدين بناء ومن لا عقل له لا دين له .

وكثيرا ما يفيض، القرآن الكريم فى ذم أهل التقليد والمتبعين غيرهم من غير دليل ولا برهان ولا حجة ، على نحو ما قال تعالى فى سورة البقرة ، « **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » وفى سورتى الانبياء والنمل « **قل هاتوا برهانكم** » وفى سورة المؤمنون « **ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون** » وفى سورة الانعام « **قل فلله الحجة**

البالغة » وفيها أيضا « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » . والايات التى ذكر فيها العقل والتفكير والتذكر والفقه والعلم أظهر من أن تخفى واشهر من ان تذكر : ويقول ابن حزم اننا مأمورون باتباع ملة ابراهيم « فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا » . وفى ملته المناظره والمحاجة « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » « ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه » ومن هنا نرى ، ان التفكير واستعمال الحجة والبرهان فريضه اسلامية ، يرفع الاسلام بها عن العقل عطاءه ، ويكشف عنه كابوسه الذى كان قد ضربه عليه كهنة المسيحية الذين يقولون فى انجيلهم « اطفىء مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى ولا تستدل » .

ولعل فلاسفة المسلمين كانوا متاثرين بهذه الظاهره القرآنية حينما انطلقوا يعرفون الفلسفة بأنها معرفة حقائق الاشياء والموجودات على ما هى عليه لان هذه المعرفة كمال فى الانسان ، وفى طبيعـة الانسـان استعداد للعلم والمعرفة ، وتحصيل العلم الذى استعد له الانسان كمال ، فالله الذى خلق النفوس البشرية على درجة قصوى من الاستعداد للعلم والتوقان اليه ، قد ارشدها الى المجال الذى تشبع فيه رغبتها ، وتحقق به طلبتها ، وتصرف بواسطته طاقتها ، وفى مقام ذكر الكائنات والموجودات وتعدادها ، أثنى الله على العلماء بها الدارسين لاحوالها ودقائقها ، ووصفهم بأنهم اهل خشية ، لانهم بالعلم بدقائقها يرقون الى العلم بدقائق قدرة الله وعظمته ، فيعرفون قدره فيخشونه . والخشية على مقدار العلم ، وذلك فى قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » وفى صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان اعلمكم بالله انا .. وانا اشدكم خشية لله » .

ان الذين يتهمون القرآن بانه لم يمس موضوعات الفلسفة لعدم ملاءمتها للعقلية العربية الجامدة ، بوسعهم أن يتراجعوا عن اتهامهم هذا عندما يجدون القرآن بهذا القبيل من الايات ، يعطينا أنماطا للتفكير الفلسفى ، من حيث انه يذكر هذه الظواهر الكونية موجها الانظار الى التسلسل من البحث فى أسرارها ، الى البحث عن وجود الموجد لها الفاعل الحقيقى ـ الموجد الاول ، المبدأ الفياض الذى كان البحث عنه وفيه من أول ما شغلت الفلسفة والميتافيزيقا به نفسها ، فظلت تكدو وتتعثر منذ فجر الخليقة فى طريق الوصول الى معرفته ، تصيب تارة وتخطىء تارات حتى جاء الاسلام اخيرا فرسم للوصول اليه المنهج القويم والصراط المستقيم .

يقول فريد وجدى فى كتابه « المدنية والاسلام » ان ارادة الله قضت أن يكون الاكوان فى الطبيعة على ترتيب محكم ينطق بلسان الصمت للمتبصر . ويظهر بلباس الوضوح للمتفكر ، ويحبب اليه الانتقال منه الى غيره بدون ان يشعر بملل أو سآمة ، وبدون هذا الاعتبار لا يتأتى للنفس البشرية أن تصحح عقيدتها وتهدىء من اضطرابها . لا سيما فى هذه الازمان الاخيرة التى يهتدى العقل فيها بالمقررات العلميه فى سنن الله الكونية أكثر مما يهتدى بخوارق النواميس الطبيعية .. ولعل فى ذلك ما يوضح لنا السبب فى كون كفار مكة لما اقترحوا على نبى الاسلام ان يبهرهم بخورق النواميس الكونية ، لم يجبهم الى ما طلبوا ، لان فى معجزة القرآن العقلية فى ثبوت اعجازها وفيما اشتملت عليه من المعقولات والمعارف ما يغنى ويكفى ويتناسب مع طبيعة الاسلام فى كونه خاتم الاديان ، لا ينبغى أن تكون معجزته ادهاشا بالغرائب المنتهية بانتهاء وقتها ، وقد أوفت الانسانية على كمال رشدها وتمام نضجها ، فلتكن المعجزة وافية بتطلعـاتها مسايرة لتطوراتها ، عامة خالدة ، الى ان تقـوم الساعه . وليس ذلك الا بالقرآن « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ! . سوره الاسراء « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » . سورة العنكبوت « واذا لم تاتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع مايوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » سورة الاعراف .

ان القرآن قد أخذ يعجب ممن يجول بنظره فى هذه الكائنات والمخلوقات ثم لا يعرف الله ، وأخذ يعجب ممن يمر عليها وهو معرض عنها لم يتخذ من نظامها واتساقها ودقائقها برهانا على عظمة الله ووحدانيته ، فقال سبحانه « وكأى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » وقال فى سورة الانبياء « لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » . وقال فى سورة ص « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » . وقال فى سورة لقمان « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين » . وقال فى سـورة الرعد « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار » وقال فى سورة الطور « ام خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا

يوقنون » الى غير ذلك من الايات الكثيرة التى تحتوى على تقارير لا يستهان بها من الادلة على وجود الله ووحدانيته واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له .

وفى ذلك يقول ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد « واذا تأملت القرآن وتدبرته وأعرته فكرا واعيا رايت فيه من اسرار المناظرات، وتقرير الحجج الصحيحة وابطال الشبه الفاسدة ، وذكر النقص والفرق والمعارضة والمنع ،مايشفى ويكفى لمن بصره الله وأنعم عليه فهم كتابه» الى ان يقول « ومن ذلك قوله تعالى « **يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** » فهذا استدلال فى غاية الظهور ونهاية البيان على جميع مطالب أصول الدين ، من اثبات الصانع وصفاته وكماله ، وقدرته وعلمه وارادته ، وحياته وحكمته ، وافعاله ، وحدوث العالم ، واثبات نوعى توحيده ، توحيد الربوبيه المتضمن أن وحدة الرب الخالق الفاطر ، وتوحيد الالوهية المتضمن أن وجود الاله المعبود المحبوب الذى لا تصلح العبادة والخضوع والحب الا له ، ثم قرر تعالى بعد ذلك اثبات نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ تقرير وأحسنه واتمه وابعده عن المعارض ، فثبت بذلك صدق رسوله فى كل ما يقول ، وقد أخبر عن المعاد ، والجنة والنار ، فثبتت صحة ذلك ضرورة ، فقررت هذه الاية هذه المطالب كلها على أحسن وجه ، الى أن قال رحمه الله وأثابه . ومن ذلك قوله تعالى : **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون** » فهذا استدلال قاطع على أن الايمان بالله أمر مستقر فى الفطرة والعقول ، وأنه لا عذر لاحد فى الكفر به البته ، فقد ذكر تعالى فى أربعة أمور . ثلاثة منها مشهودة فى هذا العالم والرابع منتظر موعود به وعد الحق ، فما بال العاقل يشهد الثلاثة أطوار الاولى ويكفر بالرابع ؟ وهل الرابع الا طور من أطوار التخليق ؟ الذى أحياكم بعد أن كنتم أمواتا ثم أماتكم بعد أن أحياكم ، ما الذى يعجزه أن يحييكم بعد ما يميتكم ؟ وهل انكار ذلك الا كفر مجرد بالله . فكيف يقع منكم بعدما شاهدتموه ؟؟ ففى ضمن هذه الاية الاستدلال على وجود الخالق وصفاته وأفعاله وعلى المعاد والبعث » .

« **الهدف الثانى** » أن القرآن بهذه الظاهرة ، ظاهرة الافاضة فى ذكر الكائنات والمخلوقات ، علويها وسفليها ، قد أراد لاتباعه ان يأخذوا بأسباب القوة الروحية والدينية ، أهاب بهم أن يمتلكوا نواحى الكون ، وأن تكون لهم القيادة والريادة فيه ، أرضه وسمائه ، مائه وهوائه ، عناصره وجزئياته ، ما يلج فى الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، فالمؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف . والقوة المادية لا غنى عنها لحماية الحق ونصرته ، فالضعيف ماكول ولو كان معه حق الاولين والاخرين ، واقوى القوى المادية ، ما كان مرتكزا على اساس من القوى الفكرية العقلية المتجدده الابتكاريه ، الاختراعيه والاستكشافيه ، وقد وسع الله فى مجال القوى التى أمر المسلمين باعدادها واطلق ولم يقيد حين امر باعدادها قدر الاستطاعة بأى طريقة كانت هذه الاستطاعة .

فقال سبحانه « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » واذا كانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ،وكان المؤمنون لايستطيعون تحصيلها الا بتحصيل هذه القوى ، فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، أن المسلمين لا تنقصهم القوى الروحية بل انهم يمتازون بها ، فاذا ما حصلوا معها هذه القوى المادية فلا أعز منهم على وجه هذه الارض .

فاليوم ألسنة المدافع وحدها
مسموعة الدعوات طاهرة الفم

ان القرآن الذى أشاد فى صفحاته بالعلم وشرفه ، وبين أن الله أسجد ملائكته لادم بسببه وقال فى محكم آياته « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » وقال « **يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات** » وقال « **علم الانسان ما لم يعلم** » قد فتح أمام انظارنا صفحات من الكون الكبير الفسيح ، يوجه اليها انظارنا لتكون المجال الحيوى والبيئة الخصبة لاستغلال ملكة العلم ، وممارستها على اوسع نطاق للاستنارة بنوره ، والاسترشاد بقواعده ومقرراته فى طريق استخراج أسرار الكون وقواه ، لتسخيرها لارادتنا وتذليلها لمشيئتنا ، وتوجيه دفتها الى الدفاع عن بيضه الحق وحمايته . ثم العمل على اعزاز كلمته ونصرته ، ليقذف الله به على الباطل فيلاحقه وبذلك يكون ما خلق الله فى السموات والارض من قوى مادية جبارة ، فى خدمة ما أنزل الله على عباده من قيم روحية دينية ، وبذلك تكون قوى الكون فى السماء والارض من جنود الله فى ايدى اولياءه ،يسلطها على من يشاء من اعدائه [ولله جنود السموات والارض]، [وما يعلم جنود ربك الا هو] .

وبعد فاذا كان بهذا الهدف الثانى تحقيق القوى المادية ، وكان الهدف الاول تحقيق القوى العقائدية والروحية ، فقد تكامل الهدفان على تحقيق تكامل الانسان فى مادياته ومعنوياته ، فى دينه ودنياه ، فى اولاه وآخرته ، وهذه هى الانسانية فى أبهج صورها وأعلى كمالاتها .

خصائص الحوار القرآني

● الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ●

[٣]

في سورة الاعراف

● ان الله تبارك وتعالى قد جعل الجزاء منوطا بالعمل ، وهو صاحب العمل المطلق وحين يوعد بالعقاب يعد بالثواب على أسلوب وجود العبد في استخدام عقله للتعرف على الخالق من المخلوق ولم ينفصل التوجيه عن التطبيق : بلكان الحث على التأمل دفعا الى عدم تعطيل القدرات التفكيرية الموصلة الى الحقيقة لكن اتباع التقليد حجز بين المعرفة « بالتبلد الذهني » حتى جمدت العقول وتصلبت فلم تنقد الى ما جاء في القرآن الكريم من شواهد ومشاهد فيها العبرة والفكرة .

● لقد اعتبر السلوك عنوان العقيدة ، لان في العمل حركة تعبير عن التصديق لكن عمل المكذبين كان بالوهم الذى لا يغنى عن الحق شيئا ، فقد ساوروا في متاهات الظلام ، واغمضوا عيونهم عن النور ، فحرموا الهداية ـ أما المؤمنون الخالصون ، فقد أخلصوا قلوبهم لله ـ عز وجل ـ فجاء الوعد بحسن الجزاء في مواطن كثيرة : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ● خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** » الكهف .

بعد أن أنذر الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وقد انكروا كتاب الله واليوم الاخر فلا وزن لهم يوم القيامة : « **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا** » ـ الاية [١٠٧] الكهف .

وجاء الوعد بالحسنى للمخلصين صادقي الايمان قبل هذه الايات في قوله تعالى : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** » الاية [٣٠]

وهكذا يتلاقى الوعيد بالوعد بحسب السلوك التطبيقي لصحة العقيدة وان ظن الجاحدين اتخاذ العباد أولياء من دون الله باطل له جزاؤه .

« **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دوني أولياء . انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا** » [الاية ١٠٢] الكهف

ونرى تكريم المؤمنين بقوله تعالى : « **كانت لهم جنات الفردوس نزلا** » .

ونرى زجر الكافرين بقوله تعالى : « **انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا** »

أما المنافقون ، فكان لهم التوعد الشديد : « **ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** » الاية ١٤٥ ـ النساء .

● وبعد هذا التصوير يجيء الموقف العظيم بما صوره البديع الحكيم في سورة « الاعراف » على أسلوب حوارى بالغ منتهى الروعة وفيه ثلاثة مواقف :

الموقف الاول : بين المشركين الاقوياء وتابعيهم الضعفاء وهم في النار .

الموقف الثاني : المؤمنين المعتزين بمنزلتهم والمشركين المتحسرين على حالهم

الموقف الثالث : الخالصين المخلصين ومن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهم منتظرون يتمنون عفو ربهم ليدخلهم الجنة .

ـ **أما الطائفة الاولى** : فقد حكى عنهم المولى ـ عز وجل ـ قوله : « **قال : ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لاولاهم . ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** » الاية [٨] من الاعراف . فالمقول لهم هم المصرون على تكذيب الرسول مع اتخاذ المكائد له والقول ثابت لانه محقق الوقوع أما الامم التى مضت قبلهم فهى التى سبقتهم في الشرك وطالما قصت عليهم قصصهم ليعتبروا ، فلم يرجعوا عن عصيانهم فحقت عليهم كلمة العذاب الاليم ـ وكان تقديم « الجن » لانهم أصل العصيان والتمرد والفساد . أما لعن الاية المنزلة منزلة الاخت في القرب من الشرك ، فيه تسجيل الندم بعد فوات الاوان ، والمشركون يتتابعون متلاحقين في جمعهم ، ويقع الحوار بالاعتذار من الضعفاء لانهم كانوا مغلوبين على أمرهم ، وسلكوا سبيل الضلال ، والقول متصل بالخالق ـ جل وعلا ـ ، وروعة الحوار الموجز في [هؤلاء أضلونا] باسم الاشارة البعيدة دون [أنتم أضللتمونا] للدلالة على انكار وقوفهم ، واستنكارهم أعمالهم ، ثم طلبوا العذاب المضاعف لمن أضلوهم فكان الرد الموجع الساخر : [قال : لكل ضعف] ! وفيه منتهى اهانتهم وهوانهم فالمضللون عذابهم لا ينتهى في تعاقبه اذا ضلوا وأضلوا

والضالون تابعوهم لم يستخدموا عقولهم ، فتساووا فى العقوبة ، حقت عليهم النار وبئس المصير .

● وجاءت الاية التالية تصور تهوين المتبوعين من التابعين بقوله تعالى : « **وقالت أولاهم لاخراهم ، فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** » الاية ـ ٣٩ ـ الاعراف .

انهم ينفون الضلال لان للمتبوعين عقولهم التى عطلوها ، وقلوبهم المغلقة دون الايمان ، فلا زيادة لهم عليهم حتى يطلبوا تخفيف العذاب الاليم . ويجيء منتهى الشماتة فى اذاقة العذاب لارتكاب الاثام المكتسبة بأفعالهم رغبة واختيارا لا قهرا وخضوعا ، فجاءت باء السببية مفصحة عما يريدون اثباته والاكتفاء [بما كنتم تكسبون] ـ وبهذا يتقرر المبدأ [**الا تزر وازرة وزر اخرى**] ـ كل نفس بما كسبت رهينة ـ لكنهم غفلوا عن ذلك فى الدنيا ولم يعرفوه الا حين الحساب ..

● ● ●

● ويجيء الحوار بين اصحاب الجنة الموعودين بالنعيم المقيم ، واصحاب النار الموعودين بالعذاب الاليم . فيقول ـ تبارك وتعالى ـ : « **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا .. ؟ قالوا : نعم، فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين** » [الاية ٤٤]

ونقول ـ بفتوح الله ـ : ان النداء يدل على بعد المنادى عن المنادى بحسب مكانته وتحدث المفسرون ـ على عادتهم ـ عن [أن] فى قوله تعالى : [أن وجدنا] . أهى تفسيرية أم مصدرية ؟ ـ وكان الاحرى بهم الاشارة الى ملحظ [قد ـ حقا] ـ فى مقام اثبات الواقع فيهما تحقق وقوع الوعد وهو متصل بالحق ، لانه يكون أدعى الى التبكيت والتوبيخ لمن كانوا يكذبون هذا الوعد ، والتعبير [بالوجود] فى هذا المقام دال على عدم التخلف ان الله ليس بمخلف وعده ـ ودلالة البعد فى [نادى] دون [خاطب] تشير الى دقة الاداء فى لغة الحوار .

على ان المفسرين ـ أثابهم الله ـ قد لحظوا ملحظا جميلا فى اعتزاز المؤمنين بمكانهم ومكانتهم وقد تحدثوا عن أنفسهم بوعد ربهم فقالوا : « ما وعدنا ربنا حقا » لكن الاطلاق كان بالنسبة لاصحاب النار [هل وجدتم ما وعد] ربكم حقا .. ؟ ـ وهذا الاطلاق يعطى المفهوم العام حتى يكون اعتراف المشركين موجعا لهم مزيدا فى خزيهم ، وقد اخذتهم الحسرة لتخلفهم عن نعيم الجنة ـ وفى الالفاظ المختارة للحوار ما يغنى عن مكاثرة العبارة . فما أجل هذا الكلام !

وكان الابداع واضحا فى بيان أسباب طرد الغاوين الضالين من رحمة الله ليسجل عليهم اللعنة جهارا لما استحقوا عليه هذا الطرد بعد ان ظلموا الرسل والمستضعفين وأنفسهم ، ولم يستمعوا الى داعى الفطرة التى فطرهم الله عليها ـ ان هذه الاسباب واضحة فى قوله تعالى :

« **الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون** »

وجاء التعبير [يصدون ـ يبغون] لانهم صدوا وبغوا فى الدنيا حتى تستحضر الصورة التى كانوا عليها ليتضاعف الخزى والهوان . ـ أما السبيل الملتوية ففى الاشراك بالواحد ، والكفر بالاخرة ، وانكار البعث . لكنهم حوسبوا ، وكان مآلهم ما هم عليه من ذل وعذاب ـ ومن هذا تتجلى الخصائص فى الحوار على أبدع صورة .

● ● ●

● أما الذين أشرفوا من « تل » بين الجنة والنار ـ كما قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقد قال المولى ـ عز وجل ـ فيهم : « **وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم . لم يدخلوها وهم يطمعون** » [الاية ٤٦]

ان هؤلاء المنادين هم الذين تساوت سيئاتهم مع حسناتهم وقد عرفوا أصحاب الجنة باشراق وجوههم من نور ايمانهم ، وأصحاب النار بسوادها لظلام قلوبهم ـ وما أبدع تحية القائمين على الاعراف بالسلام على اصحاب الجنة كأنهم يرددون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

وجاء قوله تعالى : [وهم يطمعون] لبيان مطمع العباد فى عفو ربهم وقد جعل باب التوبة مفتوحا لراغبيه مع صدق النية ـ وبين الرءوف الرحيم هذا المطمع فى قوله تعالى : « **ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير** » [الاية ٤٠ ـ المائدة] .

فالراجون ربهم بالطمع فى دخول الجنة يعلمون مدى سعة رحمته ، وفضل غفرانه وعلمهم يقينى لاشك فيه بشفاعة الرسول الاعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى خص بها بعد تقدير العزيز العليم ـ وهنا ملحظ نشير اليه وهو متصل بوعد الله الذى لا يتخلف كما قلنا فقوله تعالى : [ويعفو عن كثير] فيه من الرجاء فى العفو ما بعد اليأس على ألا يتخذ سبيلا الى التقصير فى جنب الله بل العمل على مرضاته فى أن تغلب الحسنات السيئات حتى يسعد المطمعون بدخول الجنة .

● ومن الاتساق العجيب أن يدعو أصحاب الاعراف ربهم ألا يسلكهم فى سلك القوم الظالمين ، لانهم لا يعترفون بما كانوا عليه ، وهو مصور بقوله تعالى : « **ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون** » [الاية ٤٨ ـ والجمع المقصود هو ما كان يباهى به المشركون فى الدنيا ـ وهو متاع الغرور ـ والاستكبار فى عدم الاستجابة لداعى الله ـ عز وجل ـ وقد ذهب عنهم جمعهم واستكبارهم ولم يبق لهم غير الجحيم .

[بقية ص ٧١]

القرآن والأحرف السبعة

فى العدد السابق عرضنا لاقوى الاراء فى معنى [الاحرف السبعة] ومقصود الحديث منها وهل مقصودها انقراءات السبع اولا ؟ وفى هذا العدد نلقى بعض الضوء على هذه الاراء ومفهوم كل منها واحتمال القوة والضعف فيها كلها او بعضها .

والحق أن بعض الاراء مقبول وله وجاهته وقوته غير أنه لا يوجد بعد الرأى الملزم أو الرأى الذى يقطع الطريق على البحث والاجتهاد او يضع نهاية للبحث والباحثين ، وذلك لان القرآن كالبحر بل المحيط لا تنتهى فيه البحوث ولا تحيط بعلمه القلوب لانه كلام الله ولا يحيط بكلامه بحث ولا علم أ. علمه .

الدكتور عبد العزيز رضوان

ومن هنا كان الاعجاز وكانت جهود العلماء وستظل كل يدلى بدلوه وكل يستخرج على قدر جهده وطاقته مفهوما وصدقا علما ومعرفة تقنينا وشرعة . ولذلك فقد اختلف اقوال العلماء فى ترجيح رأى من هذه الاراء على سواه وذهب كل منهم مذهبا مغايرا لغيره وهذا هو مجمل الاراء :

قال ابن حبان [أتقان ١ ، ٤٩] فهذه خمسة وثلاثون قولا لاهل العلم واللغة فى معنى انزال القرآن على سبعة أحرف وهى أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها . وقال ايضا [برهان ١ : ٢٢٦] قيل أقرب الاقوال الى الصحة أن المراد به سبع لغات ، والسر فى انزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله تعالى « **ولقد يسرنا القرآن للذكر** – القمر ١٧ » فلو كان تعالى أنزله على حرف لانعكس المقصود . قال ، وهذه السبعة التى نتداولها اليوم غير تلك ، بل هذه حروف من تلك الاحرف السبعة كانت مشهورة وذكر حديث عمر مع هشام بن حكيم ، لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الاحرف السبعة ، ولم يثبت من وجه صحيح تعيين كل حرف من هذه الاحرف ولم يكلفنا الله ذلك غير ان هذه القراءة الان غير خارجة عن الاحرف السبعة .

وقال المرسى [الاتقان ١ : ٤٩] هذه الوجوه اكثرها متداخلة ولا أدرى مستندها ولا عمن نقلت ولا ادرى لم خص كل واحد منهم هذه الاحرف السبعة بما ذكر مع أن كلها موجودة فى القرآن فلا ادرى معنى التخصيص ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذى فى الصحيح فانهما لم يختلفا فى تفسيره ولا فى أحكامه وانما اختلفا فى قراءة حروفه وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبع وهى جهل قبيح .

وقال بعض المتأخرين [البرهان ١ : ٢٢٦] الاشبه بظواهر الاحاديث أن المراد بهذه الاحرف اللغات ، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم من الاظهار والادغام والامالة والتفخيم والاشمام والهمز والتليين والمد وغير ذلك من وجوه اللغات الى سبعة اوجه منها فى الكلمة الواحدة ، فان الحرف هو الطرف والوجه كما قال تعالى : « **ومن الناس من يعبد الله على حرف** » الحج ١١ – أى على وجه واحد وهو أن يعبده فى السراء دون الضراء ، وهذه الوجوه هى القراءات السبع التى قرأها القراء السبعة . فانها كلها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء وأن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الاحسن عنده والاولى ولزم طريقه منها ورواها وقرأ بها ، واشتهرت عنه ونسبت اليه . فقيل : حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم حرف الاخر ولا أنكره بل سوغه وحسنه وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران واكثر . وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون فى هذه الاعصار على الاعتماد على ما صح عنهم وكان الانزال على الاحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الامة اذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها . من الامالة والهمز والتليين والمد وغيره لشق عليهم .

ويشهد لذلك ما رواه الترمذى عن ابى بن كعب انه لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال له « يا جبريل ، انى بعثت الى أمة آميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط . فقال : يامحمد ان القرآن أنزل على سبعة أحرف » وقال : حسن صحيح .

وقال السيوطى [الاتقان ١ : ٤٩] اختلف هل

المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الاحرف السبعة : ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين الى ذلك وبنوا عليه انه لا يجوز على الامة أن تهمل نقل شىء منها وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التى كتبها ابو بكر واجمعوا على ترك ما سوى ذلك .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين الى انها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الاحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الاخيرة التى عرضها النبى صلى الله عليه وسلم على جبريل لم تترك حرفا منها .

قال ابن الجزرى وهذا هو الذى يظهر صوابه .

ويجاب عن الاول بما ذكره ابن جرير ان القراءة على الاحرف السبعة لم تكن واجبة على الامر وانما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه فلما رأى الصحابة ان الامه تفترق وتختلف اذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجماعا شائعا وهم معصومون من الضلالة ولم يكن فى ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ولاشك أن القرآن نسخ منه فى العرضة الاخيرة [بالفعل المبنى للمجهول] فاتفق رأى الصحابة على ان كتبوا ما تحققوا انه قرآن مستقر فى العرضة الاخيرة وتركوا ما سوى ذلك .

واخرج ابن أشته فى المصاحف وابن أبى شيبة فى فضائله من طريق ابن سيرين عن عبيده السلمانى قال : القراءة التى عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه هى القراءة التى يقرؤها الناس .

واخرج ابن اشته عن ابن سيرين قال كان جبريل يعارض النبى صلى الله عليه وسلم كل سنة فى شهر رمضان مرة فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه مرتين فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الاخيرة .

وقال البغوى فى شرح السنة يقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وكان يقرىء الناس بها حتى مات ولذلك اعتمده ابو بكر وعمر لجمعه وولاه عثمان كتب المصاحف .

وهذا الاختلاف فى التعيين لا يضير فى شىء فثم لغات سبع مفرقة فى القرآن أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن جملتها ولم يخبر عن تفصيلها وكان هذا التفصيل مكان الاجتهاد بين المجتهدين .

وليس معنى الحديث أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات . بل اللغات السبع مفرقة تقرأ قريش بلغتها وتقرأ هذيل بلغتها وتقرأ هوازن بلغتها وتقرأ اليمن بلغتها .

وفى ذلك يقول ابو شامه نقلا عن بعض شيوخه [النشر ورقه ١١ والاتقان ١ : ٤٧] . أنزل القرآن بلسان قريش ثم ابيح للعرب ان يقرأوه بلغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الالفاظ والاعراب .

وكانت هذه اللغات علمها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحاطه الله بها علما .

فحين يقرأ الهذلى بين يديه [**عتى حين**] [المؤمنون ٥٤ والصافات ١٧٤ ـ ١٧٨ الذاريات ٤٧] وهو يريد [**حتى حين**] يجيزه لانه هكذا يلفظ بها ويستعملها .

وحين يقرأ الاسدى بين يديه [**تسود وجوه**] [آل عمران ١٠٦] بكسر تاء [تسود] **ولم اعهد اليكم** [يس ٦٠] بكسر الهمزة فى أعهد ـ يجيزه لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل .

وحين يهمز التميمى على حين لا يهمز القرشى يجيزه لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل .

وحين يقرأ قارئهم [**اذ قيل لهم**] [البقرة ١١] ، و [**وغيض الماء**] [هو ٤٤] باشمام الضم مع الكسر يجيزه لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل .

وحين يقرأ قارئهم [يوسف ١١] مالك تأمنا باشمام الضم مع الادغام فى ميم [تأمنا] يجيزه لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل وتكليفه غير وذلك عسير .
وحين يقرأ قارئهم [عليهم] و [فيهم] بالضم ، ويقرأ قارىء آخر [عليهمو] [وفيهمو] بالصلة يجيزه ، لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل .
وحين يقرأ قارئهم [قد أفلح] و [قل اوحى] و [خلوا الى] بالنقل يجيزه ، لان هذا استعماله ولفظه .

وحين يقرأ قارئهم [موسى ـ عيسى] بالامالة وغيره يلطف يجيزه لانه هكذا يلفظ ويستعمل .

وحين يقرأ قارئهم [خبيرا ـ بصيرا] بالترقيق يجيزه ، لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل .

وحين يقرأ قارئهم [الصلواه ـ الطلاق] بالتضخيم يجيزه لانه هكذا يلفظ وهكذا يستعمل [تأويل مشكل القرآن ٣٠ والنشر١ : ٢٩] .

يفسر كل ذلك ما روى عن عمر قال : سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأوها ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اقرأنيها فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال له ـ اقرأ فقرأ تلك القراءة فقال : هكذا أنزلت ثم قال لى : اقرأ فقرأت فقال : هكذا أنزلت ثم قال هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا منه ما تيسر [تأويل مشكل القرآن ٢٧ النشر١ : ٢١] .

ويفسر ذلك أيضا ما روى عن أبى قال : دخلت المسجد أصلى فدخل رجل فافتتح [النحل] فقرأ فخالفنى فى القراءه فلما انفتل قلت ، من أقرأك ؟ قال ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء رجل فقام يصلى فقرأ وافتتح [النحل] فخالفنى وخالف صاحبى فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فأخذت بأيديهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : استقرىء هذين فاستقرأ أحدهما فقال : أحسنت واستقرأ الاخر فقال : احسنت

ويقول ابن قتيبة [المرجع السابق] «لو ان كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة . وتذليل للسان وقطع للعادة » .

وعليه فان هذه الاحرف انما هى تخفيف على ألسنة القبائل التى تعددت لهجاتها والتى كان يتعذر على أيها النطق أو القراءه بلسان الاخرى فراعى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك التباين فى الالسن والاختلاف فى معنى الكلمة الواحدة فى نطق القبائل ـ فطلب الى الله ضارعا أن يخفف على أمته والايلزمهم بطريقة واحدة ثم جاء الحفظ فحفظ كل بلسان قومه وعشيرته وتتبع بعضهم نطق أهله وطريقتهم فى الاداء فاشتهر من هؤلاء البعض اناس عرفوا بالقراء وظهر عندئذ وجه الخلاف فى النطق لا فى المعنى فعمل كل منهم على اظهار قراءاته مع عدم انكار قراءة غيره لانهم جميعا ملتزمون بالسند عن رسول الله وباللغة العربية وبخط الصحف يحدوهم فى ذلك حفظ القرآن وتبيان معانيه والنهل منه عبادة ومعاملة وحكما . يؤيد ذلك ما ورد من أن جبريل راجع النبى صلى الله عليه وسلم حتى بلغت القراءة سبعا وهذا راجع الى اباحة القراءة بهذه اللهجات وعدم الزام قبيلة بقراءة تتعارض مع لسانها فيكون ذلك تشديدا وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم التخفيف على أمته وهذا يتعارض مع قضية التخفيف . والله أعلم .

٣ ـ أقسام القراءات ـ وفائدة هذا التقسيم

القسم الاول : القراءة المتواترة

قال السيوطى وهى قراءة السبعة المشهورة كما قال القاضى جلال الدين البلقينى . ثم قال : وهذا الكلام فيه نظر . وذلك أن امام القراء ابن الجزرى قال فى اول كتابه [النشر ٤] : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الائمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الائمة المقبولين . ومتى اختل ركن من هذه الاركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة . سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف . صرح بذلك الامام الحافظ أبو عمر وعثمان بن سعيد الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامه وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه .

وقال أبو شامه : لا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى الى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها انزلت هكذا الا اذا دخلت فى ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره . ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فان الاعتماد على استجماع تلك الاوصاف لاعلى من تنسب اليه فان القراءة المنسوبة الى كل قارىء من السبعة وغيرهم منقسمة الى : المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءتهم . تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم .

أن ابن الجزرى وأبو شامه قسما القراءة قسمين : لجمع عليه ـ وشاذ .

١ ـ القراءة المجمع عليها وهذه القراءة ذكر ابن الجزرى ضابطها السابق وهو : موافقة العربية ولو بوجه . وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصحة سندها . ثم قال : فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها .

وعليه فان القراءة المستوفية هذه الشروط هى القوية سواء كانت عن السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الائمة المقبولين . نص على ذلك الدانى وغيره .

ثم قال ابن الجزرى : فقولنا فى الضابط ولو بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لايضر مثله اذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الائمة بالاسناد الصحيح اذ هو الاصل الاعظم والركن الاقوم وكم من قراءة انكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم لم يعتبر انكارهم بل أجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها وساق [النشر ٥] . شواهد وأدلة نذكر بعضها وهو :

١ ـ اسكان بارئكم ويأمركم وسبا ويابنى ومكر السىء ونجى المؤمنين واستطاعوا وخفض ، والارحام

ونصبه ليجزى قوما والفصل بين المتضايفين فى [قتل اولادهم شركائهم] وغير ذلك مما ساقه .

قال الدانى : وائمة القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الافشى فى اللغة والاقيس فى العربية بل على الاثبت فى الاثر والاصح فى النقل .

واذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها .

وقال السيوطى قلت : أخرج سعيد بن منصور فى سننه عن زيد بن ثابت قال : القراءة سنة متبعه . قال البيهقى اراد أن اتباع من قبلنا فى الحروف سنة متبعه لا يجوز مخالفة المصحف الذى هو امام . ولا مخالفة القراءات التى هى مشهورة وان كان غير ذلك سائغا فى اللغة أو أظهر منها .

ثم قال ابن الجزرى : ونعنى بموافقة المصاحف ما كان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر [قالوا اتخذ الله ولدا] فى البقرة بغير واو ـ [وبالزبر وبالكتاب] باثبات فيهما فان ذلك ثابت فى المصحف الشامى . وقراءة ابن كثير [تجرى من تحتها الانهار] على رأس المائة فى سورة براءة بزيادة من فانه ثابت فى المصحف المكى ونحو ذلك فان لم يكن فى شىء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه .

وقولنا ولو احتمالا : نعنى به ما يوافق الرسم ولو تقديرا « كملك يوم الدين » فانه كتب فى الجميع بلا الف فقراءة الحذف توافقه تحقيقا وقراءة الالف توافقه تقديرا لحذفها فى الخط اختصارا كما كتب [مالك الملك] .

[للحديث بقية]

بقية مقال « القرآن والانبياء »

كريه الرائحة ، وكان النبى يكره الرائحة الكريهة ، فحرم على نفسه شرب عسل زينب فنزلت الاية .

أما الثالثة : وهى قوله تعالى : « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم** » فالامر فيها أن الرسول حين أسر له من مشركى قريش جمع كبير ، استشار فيهم وزيريه أبا بكر وعمر ، فكان رأى أبى بكر أن يفتدى الاسرى بما يعضد به المسلمين ، ويعوضهم عن الاموال التى أجبرتهم قريش على تركها وهم يهاجرون من مكة لحاقا بالنبى صلوات الله عليه ، وكان رأى عمر أن يقتل الاسرى حتى لا يعودوا الى مكة فيكونوا عضدا للمشركين ، وحربا على المسلمين ، وقد اخذ الرسول بأخف القولين ، وهو الذى يمثله رأى أبى بكر لسببين : ـ

الاول : أنه يوائم طبعه الرؤوف .

الثانى : أنه يحقق خيرا للمهاجرين بخاصة ، ويحقق خيرا للمسلمين بعامة .

وأما الرابعة : وهى قوله تعالى : « **عبس وتولى أن جاءه الاعمى ...** » فالامر فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان متصديا للوليد بن المغيرة ، يدعوه الاسلام ، والوليد كان ذا مكانة فى قومه ، ومن خلفه كثير من الناس سيؤمنون لو آمن وهو ما كان الرسول يرجوه ، غير أن الله تعالى كان يعلم أن الوليد سيموت كافرا ، ولن يؤمن له ، فنبهه الى ذلك ، وبعد ان اعرض عن مخاطبة الرجل الذى جاءه وقد شرح الله صدره للاسلام وهيأه لتلقى الدعوة . فكان صادقا فى مجيئه راغبا فيه ، يريد أن يعلم المزيد من أمر الدعوة وان يعلن ايمانه ، فليس الامر ذنبا ومغفرة ، وانما هو اجتهادى الى هذا الاتجاه .

السيرة في ضوء القرآن الكريم

٨

اذا كانت النفس قد جبلت على الحرص والشح ، فان الايمان هو الذى يعدل من هذه الغريزة ، فيخلص النفس من أوهاق الطين ومن جواذب اللحم والدم ، ويجعلها نفسا ربانية . قيمها هى قيم السماء ، وميزانها هو أوامر الله ، وهدفها هو مرضاة اللهفتصغر عندها كل قيم الارض وتهون كل مفاتن الحياة فتتوجه بكل ماتملك الى الله وتسمو الى مقام البذل والتضحية بالروح والمال فى سبيل الله .

الأستاذ محمد شديد

ولقد سار القرآن الكريم شوطا تربويا طويلا مع الجماعة المؤمنة فى العهد المكى حتى استقرت حقيقة الايمان فى القلوب ، وراضها على السماحة والبذل والتضحية والانفاق فى سبيل الله ، حتى أصبحت هذه الجماعة ترجمة عملية لمبادىء القرآن الكريم فى واقع الحياة ، فلما تمت الهجرة الى المدينة المنورة حيث تكون المجتمع وأقيمت الدولة ، كانت سورة البقرة هى أول سورة من القرآن نزلت فى العهد المدنى ، وقد أفاضت فى علاج موضوع الانفاق فى سبيل الله علاجا تربويا من جميع نواحيه ، وحددت دستور الصدقة فى داخل النفس وفى واقع المجتمع ، ثم أخذت السورة مباشرة فى عرض الوجه الاخر المقابل للصدقة ، وهو الربا ، فعرضته عرضا منفرا يكشف عما فى عملية الربا من شناعة ، ويصور المصير المفزع الذى ينتظر أكلة الربا فى الدنيا والاخرة .

اذا كانت الصدقة نزولا عن المال بغير عوض ، اعانة للمحتاج : ووفاء بحق الاخوة فى الله ، وطاعة لامر الله ، فان الربا استرداد للمال ومعه زيادة مدام بغير عمل ولا جهد ، مقتطعة من لحم المحتاج ودمه ، مستغلة حاجته واضطراره والصورتان ليستا فقط لفردين او خلقين ، ولكنهما كذلك لمجتمعين ، مجتمع يقوم على الايثار والمودة والتكافل والاخاء ، ومجتمع يقوم على الاثرة والشح والحقد والاستغلال مجتمع مؤمن ربانى تسوده السماحة والاخاء والحب والتكافل ، ومجتمع كله الحقد والعداء ، تسوده شريعة الغاب ، يأكل القوى فيه الضعيف ويضيع فيه الفقير والمحتاج ، وهما نوعان من النظم والمجتمعات لا يتفقان فى خلق ، ولا يتشابهان فى سلوك ، ولا يلتقيان فى طريق .

ومن هنا حملت السورة حملة عنيفة مفزعة على الربا ، وآذنت أكلته بحرب من الله ورسوله ، وذلك بعد سياق موضوع الصدقة مباشرة ، لتكون الموازنة بينهما حاضرة ، ويكون التقابل بينهما واضحا ، وذلك فى قوله تعالى .

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

[البقرة : ٢٧٥ ـ ٢٧٨]

والمال هو كل ماخلق الله من موارد الثروة ، وقد اقام القرآن الكريم نظريته المادية على اساس ان المال مال الله ، وصاحب المال ليست ملكيته له ملكية

مطلقة ، ولكنه وكيل فيه يتصرف فى حدود أوامر الله ، وذلك لقوله تعالى :

« آمنوا بالله ورسـوله ، وانفقـوا ممـا جعلكم مستخلفين فيه » .

[الحديد : ٧]

وهذا الاستخلاف هو النيابة أو الوكالة ، وليس وضع المالك المطلق الذى يفعل فى المال كيف يشاء حسب هواه ، ويعنى هذا ان تصبح الحيازة وظيفة فى مال الجماعة أو المجتمع ... حتى المواهب التى يكسب بها الانسان المال وينميه هى بدورها من فضل الله ، خلق فيه استعداده الذى يقوم به فى الحياة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه البخارى فى صحيحه : « **ان الله خلق الصانع وما صنع** » .

وعلى هذا الاساس يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخارى : « **انى والله لا أعطى أحدا ولا أمنع أحدا ، وانما انا قاسم ، اضع حيث أمرت** »

ويعلق الامام أحمد بن تيمية على هذا الحديث فى كتابه السياسة الشرعية فيقول : **فهذا رسول رب العالمين** ، قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بارادته واختياره كما يفعل المالك الذى ابيح له التصرف فى ماله وكما يفعل الملوك الذين يعطون من احبوا ، ويمنعون من أبغضوا ، وانما هو عبد الله ، يقسم المال بأمره ، فيضعه حيث أمره الله تعالى .

وهكذا قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ياامير المؤمنين ، لو وسعت على نفسك فى النفقة من مال الله تعالى ! **فقال له : اتدرى مامثلى ومثل هؤلاء ؟** كمثل قوم كانوا فى سفر ، فجمعوا منهم مالا ، وسلموه الى واحد منهم ينفقه عليهم ، فهل يحل لذلك الرجل ان يستاثر عنهم من أموالهم ؟! »

وكان عمر يقول : من اراد ان يسأل عن المال فليأتنى ، فان الله تعالى جعلنى لـه خـازنا وقاسما .. وما أحد من المسلمين الا له فى هذا المال حق ، اعطيه وامنعه

يقول الاستاذ البهى الخولى فى كتاب : الاشتراكية المجتمع الاسلامى : « **فاذا كانت مصادر الثروة لدى الشيوعيه ملكا للجماعه فهى لدى الرأسمالية ملكا للافراد بحق مـا يثمـر كل ويبدع . وكلا المذهبين لا ينظر فى الملكية الى ملكية الازل ملكية الله تعالى - بل يجعلها ابتداء للجماعة أو الفرد ثم يؤسس كل منهما على ذلك مايشاء من المبادىء والتصرفات .**

« أما الاسلام ، فمعاذ الله أن نقول انه يأخذ وضعا وسطا بين الفريقين كما يستدرج اليه بعض السطحيين فكفى الفريقين اثما وبعدا عن الاسلام ، انكارهمـا واهدارهما ملكية الازل المقررة لله ، وذلك من الكفر به سبحانه وليس الاسلام وسطا بين لونين من الكفر ، انما الاسلام يقرر ملكية مصادر الثروات لله تعالى ، بحق الخلق الاول ، ويقرر ملكيتها للجماعة تأسيسا على ملكية الله ، ويجعل الفرد عاملا فى مال الجماعة نيابة عنها ، ويجعل ذلك تكليفا شرعيا يؤديه الفرد فى نطاق الاختيار والارادة » .

ولم تكن تلك المبادىء وصايا وعظات ولا مثلا فى عالم الخيال ، انما جاءت متوافقة تماما مع الفطرة الانسانية ، وتحولت بالتطبيق الى واقع عملى فى الحياة .

روى البخارى فى صحيحه ان عبد الرحمن بن ابى بكر قال : ان اصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام اربع فليذهب بخامس أو سادس .

وروى مسلم عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له : ومن كان معه فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ، يقول راوى الحديث . فذكر من أصناف المال ماذكره حتى رأينا أنه لاحق لاحد منا فى فضل أى زيادة » .

وصح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : لو استقبلت من امرى ما استدبرت لاخذت فضول أموال الاغنياء فقسمتها على الفقراء .

كما صح عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : ان الله تعالى فرض على الاغنياء فى أموالهم بقدر مايكفى فقراءهم ، فان جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الاغنياء وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه .

وروى البخارى ومسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الاشعريين اذا ارملوا فى الغزو وقل زادهم ، او قل طعـام عيـالهم بالمدينه ، جمعـوا مـا كان فى ثوب واحـد ، ثم اقتسموه بينهم بالسوية ، فهم منى وأنا منهم .

وقال الامام مالك بن أنس : يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم ، وهذا اجماع .

وقال ابن حزم الاندلسى — امام اهل الظاهر فى كتابه المحلى :

« وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكوات ولا فى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام بما يأكلون من القـوت الذى لا بد منه ومن اللبـاس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن .. ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه ، لمسلم أو ذمى ، لان فرضا على صاحب الطعام اطعام الجائع ، وله أن يقاتل عن ذلك فان قتل فعلى قاتله القود ، وان قتل المانع فعليه لعنة الله ، لانه منع حقا ، وهو طائفة باغية .. وبهذا قاتل ابو بكر الصديق مانع الزكاة .

وكانت الطاعة المؤمنة والاستجابة الرضية هى أبرز

صفات الأمة المسلمة ، كما كانت السماحة والبذل والاخاء والتكافل هى أبرز خصائص المجتمع المسلم ،

لما نزل قوله تعالى من سورة البقرة : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » قال صحابى يسمى **ابو الدحداح** : أو يستقرض الله من عبده يا رسول الله قال نعم فقال امدد يا رسول الله يدك فاشهده انه تصدق ببستانه الذى لا يملك غيره ، وكان فيه ستمائة نخله مثمرة . ثم عاد الى زوجته وكانت تقيم هى واولادها فى هذا البستان فناداها يا ام الدحداح ، اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل ، فقالت ربح بيعك ياأبا الدحداح ،

وكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كثيرة الصدقات ، تصدقت مرة بمائة الف درهم وليس عليها الا ثوب خلق ، وتصدقت مرة بكل ما تمت وكانت صائمة فقالت لها خادمتها : لو أبقيت شيئا لتفطرى عليه ! فقالت : لو ذكرتنى لفعلت .

وروى أن أصحاب الصفة أهدى الى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر ، فأهداه الى الاخر ، واهداه الاخر الى اخر ، وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول .

وقدمت المدينة قافلة من الشام فسمع لها ضجة فقالت عائشة ما هذه الضجة ؟ قالوا : هذه عير عبد الرحمن بن عوف ، سبعمائة بعير تحمل من كل شىءفقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ، لمكان غناه ، فبلغ ذلك عبد الرحمن ، فأتاها فسألها عما بلغه ، فحدثته فقال لها ياأم المؤمنين ، أشهدك انها كل ماتحمل صدقة فى سبيل الله .

وقال الامام أبو حامد الغزالى فىكتابه احياء علوم الدين :

« جاء رجل يودع بشر بن الحارث ، وقال قد عزمت على الحج ، فتأمرنى بشىء ؟ فقال له كم أعددت للنفقة ؟ فقال الفى درهم . قال بشر : فأىشىء تبتغى بحجك : تزهدا أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله ؟

قال ابتغاء مرضاة الله .

قال بشر : فان أصبت مرضاة الله تعالى وانت فى منزلك ، فتنفق الفى درهموتكون على يقين منمرضاة الله تعالى ، اتفعل ذلك « قال نعم » .

قال بشر ، فاذهب فاعطها عشرة أنفس مدين يقضى دينه ، وفقير يحرم شعثه : ومعيل يفتى عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل : فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام - الفريضة - قم فاخرجها كما أمرناك ...

وقيل لبشر ، ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة .

فقال : مسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره ، انما حال الغنى اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين . فذا أفضل من كثرة الصوم والصلاة مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء .

وقريب من فقه بشر بن الحارث ماذكره ابن كثير فى البداية والنهاية عن الامام عبد الله بن المبارك قال :

« خرج عبد الله بن المبارك مرة الى الحج مع أصحابه فاجتاز بعض البلاد فمات طائر معهم فألقوه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم فلما مر بالمزبلة اذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته وأسرعت به الى الدار ، فجاء فسألها عن أمرها واخذها الميتة فأخبرته انها واخاها فقيران لا يعلم بهما احد ولا يجدان شيئا .

فأمرا بن المبارك برد الاحمال ، وقال لوكيله ، كم معك من النفقة ؟ قال ألف دينار . فقال له عد منها عشرين دينارا تكفينا فى عودتنا لمرو وأعطها الباقى فهذا افضل من حجنا هذا العام ، ثم رجع فلم يحج ».

وقال الجاحظ عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى : وقع عندنا الغلاء فأنفذ الى احد اخوانى حبوبا من أصبهان فبعتها بعشرين ألف درهم ، وسألنى أن اشترى له دارا عندنا ، فاذا نزل علينا نزل فيها ، فانفقت ألف درهم على الفقراء فكتب الى ماذا فعلت ؟ قلت اشتريت لك قصرا فى الجنة ؛ فكتب الى : رضيت ان ضمنت ذلك لى فكتبت على نفسك صكا ففعلت .

وكان الامام الليث بن سعد من أغنياء مصر ، كان ايراده السنوى يزيد على سبعين الف دينار كان يتصدق بها كلها ، لا يدخر منها شيئا ، حتى قالوا انه لم تجب عليه الزكاة قط .

فاذا لاحظنا أن الغرب لم يفكر فى حقوق الفقراء الا فى القرن السابع عشر ، فكان هذا الحق من وظائف الجمعيات والهيئات الخيرية ، ولما ادركوا أنها لا تسعف الفقراء أصدرت ألمانيا أواخر القرن التاسع عشر أول قانون يجعل ذلك الحق من وظائف الدولة . ولم يصبح مبدأ التكافل الاجتماعى عاما الا فى القرن العشرين ، أى بعد قيام الدولة الاسلامية الاولى باكثر من ألف وثلاثمائة سنة . اذا لاحظنا ذلك أدركنا مدى السبق الذى سبق بالاسلام وأنه قد انفرد وحده بتلك المبادىء وذلك التطبيق وتلك المثل لمدة قرون ،

وحدانية الله

القضية الأولى التى من أجلها بعث الله الأنبياء والمرسلين للبشرية

ان الاديان السماوية كلها قد دعت الى وحدانية الله تبارك وتعالى . ولا يستطيع اى انسان ان يقول بغير ذلك ، وان اول شىء يجب الايمان به فى الاسلام هو وجود اله واحد ، قادر ، خالق لكل شىء ، مستحق وحده بالعبادة ، ومتفرد بالربوبية ، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله » ، فـ « لا اله الا الله » هى جوهر الدين ، وأساس العقيدة الصحيحة فى كل زمان ومكان ، يقول جل شأنه : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه : لا اله الا أنا فاعبدون » .

وكتاب الله الكريم به الكثير من الايات التى تدعو العقل الانسانى الى النظر والتامل والتدبر للوصول الى وحدانية الله تبارك وتعالى ، يقول عز وجل : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب » .

الأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

ومحور الارتكاز فى سبيل اقناع المشركين بعقيدة التوحيد هو : من تجب عبادته ؟ .. لقد أشار القرآن الكريم فى عدة ايات كثيرة الى أن الكفار يعترفون بوجود الاله الخالق ، والمدبر للكون : « ولئن سألتهم : من خلق السموات والارض ؟ . ليقولن : خلقهن العزيز العليم » ، و : « ولئن سألتهم : من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ؟ . ليقولن : الله . قل : الحمد لله . بل أكثرهم لا يعقلون » ، ولكنهم مع كل ذلك وقعوا فى خطأ كبير أدى بهم الى الكفر والضلال ، وهو اعتقادهم بوجود آلهة ثانوية مع الله عز وجل ، لتشفع لهم عنده ، وتكسب عطفه ورضاه حسب ما يزعمون : «ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا ، وأن الله شديد العذاب » ، و : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل : أتنبئون الله بمالا يعلم فى السموات ولا فى الارض ؟! سبحانه وتعالى عما يشركون » .

وكان فوق رءوس هذه الالهة الثانوية « الله » المعبود الاعم الاعظم ، والاله الاكبر المدبر للكون بأجمعه ، وهو الوالد لجميع الالهة ، لدرجة أن أهل « مكة » أطلقوا على الاناث من آلهتهم « بنات الله » ، وفى ذلك يقول المولى تبارك وتعالى : « ألكم الذكر وله الانثى ؟ تلك اذا قسمة ضيزى » .

وقد اتخذ القرآن الكريم فى مناقشة الكفار والمشركين أسلوب المنطق ، وقصص الانبياء السابقين ، وما حدث لاقوامهم حينما لم يستجيبوا لما يدعون اليه ، وذلك لاقناعهم واعادتهم الى رحاب الدين الحق والايمان الصحيح .

والقرآن الكريم حين يناقش المشركين بالمنطق يواجههم بالحقيقة التى يعترفون بها ، وهى : أن الله عز وجل هو وحده الخالق لجميع الكائنات التى تقع تحت أبصارهم ، والتى لا تنظر ولا ترى لانها عوالم دقيقة لا تشاهد بالعين المجردة ، فيدعوهم على أساس تلك المعرفة الى توحيد الله عز وجل وافراده بالعبادة ، فلا يجوز مطلقا أن يتساوى الذى لا يخلق شيئا مع الخالق لكل شىء : « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟! أفلا تذكرون ؟! » .

وانه لمن السفه وعدم الحكمة أن نتوجه بالدعاء الى من لا يستجيب لنا ، بل ولا يسمع الدعاء : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟ » ، ومن العقوق أن نترك عبادة الله وهو العلى القدير ، والرحمن الرحيم الذى يشملنا بعنايته ويغمرنا برعايته ، ويدفع عنا المكروه حينما نتوجه اليه بالدعاء ، ومن الجحود أن نشرك به من لا يملك لنا ضرا أو نفعا : « وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ، ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » .

وهؤلاء المشركون الذين يعتقدون أن المخلوقات تملك الشفاعة لهم عند الله ، عليهم أن يقيموا الدليل على ذلك : « الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى والارض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ؟ » .

والى جانب المناقشة عن طريق المنطق ضد عبادة الاصنام ، نجد القرآن الكريم يشير الى اجماع الانبياء والمرسلين فى دعواتهم على وحدانية الله عز وجل ، ابتداء من سيدنا آدم عليه السلام الى

سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يقول سبحانه جل شانه فى شان سيدنا نوح عليه السلام : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال : ياقوم ، اعبدوا الله مالكم من اله غيره » ، ويقول فى شان سيدنا هود عليه السلام : « والى عاد اخاهم هودا قال : ياقوم ، اعبدوا الله مالكم من اله غيره » ، ويقول فى شان سيدنا صالح عليه السلام : «والى مدين اخاهم شعيبا قال : ياقوم ، اعبدوا الله مالكم من اله غيره » ، ولا شك فى أن كل نبى ومرسل قد وجه هذه الجملة الى قومه اما بنصها أو بمعناها ، لانها جملة فى استجابة الناس لمضمونها باخلاص وطاعة سعادتهم ونصرهم .

ولقد اقتضت حكمة البارى ومشيئته أن يجعل رسوله محمدا صلوات الله وسلامه عليه خاتما للانبياء والمرسلين، وأن تكون رسالته عامة للناس جميعا، وشريعته ناسخة للشرائع التى سبقتها، ومعجزته الكبرى الخالدة القرآن الكريم مصدقا للكتب السماوية السابقة ومهيمنا عليها ، ودعوته موافقة فى هوجرها لما دعا اليه الانبياء السابقون ، وبمقتضى هذه المميزات التى منحها المولى تبارك وتعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من الرسل ، أخذ يدعو الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل بعزيمة صادقة ، وبيان واضح ، وصبر جميل .

ان أول مايجب الايمان به كما سبق أن ذكرنا هو وجود الاله الواحد فاطر السموات والارض ، والى جانب ذلك يجب علينا الايمان بانه هو المشرع ،وهو الذى يسيرنا ويوجه مشاعرنا ويحكم أعمالنا ، فيجب أن نطيعه وننيب اليه ، ونستطيع التوصل الى هذه العقيدة بما أودع الله عز وجل فينا من ذكاء فطرى وعقلى وادراك ، الى جانب تاكيد القرآن الكريم لها .

وهذه القوة الفطرية التى أودعها الله عز وجل فى الانسان يعرف الانسان عن طريقها الخير والشر ، ويميز بين الخبيث والطيب ، ويفرق بها بين الظلم والعدل ، وبين ما ينفعه وينفع جماعته فيرضى الله عز وجل عنه ، وبين ما يؤذيه فى حياته ويغضب الله عليه فى آخرته : « ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

بيد أن هذه الفطرة اذا انهمك صاحبها فى الملذات الدنيوية والاغراض المادية، ولم يتعهد نفسه بالتهذيب فان ذهنه ينصرف عن المعانى السامية ، والمثل الرقيقة الرفيعة ، كما أثبتت التجارب على مر الازمنة وتوالى العصور ، وهذا يؤدى بنا الى أغلاط علمية وأحكام خاطئة ولذلك شاء العزيز الحكيم أن يتدارك البشرية برحمته ، فارسل الينا الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل لنا الكتب السماوية التى تهدينا الى سواء السبيل ولم يكلنا الى ذكائنا الفطرى الذى هو عرضة للتغير والضياع

لقد ضرب الله تبارك وتعالى لنا أمثالا من الامم السابقة ليبعدنا عن الوقوع فى الزلل ، وليشعرنا بالمسؤولية وحتى يكون لنا فيما حدث لهم عبرة وعظة ، فلا نقع فى مثل ما وقعوا فيه: « ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين » .

والاسلام عندما يطالب الناس أن يؤمنوا بالله واحد بيده كل شىء لايحملهم على ذلك اكراها ، لان طبيعة الايمان ترفض الاكراه وتابى الارغام : « لا اكراه فى الدين » .

ولقد قال عبد الله بن عباس — رضى الله عنه — فى سبب نزول هذه الاية الكريمة : « نزلت فى رجل من الانصار يقال له : الحصينى ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما، فقال للنبى — صلوات الله وسلامه عليه — : ألا أستكرههما ؟ . فانزل الله فيه : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها ، والله سميع عليم » .

وقد استعمل القرآن الكريم طريق المنطق فى مخاطبة العقل والوجدان ، واقامة الادلة والبراهين الداعية الى الايمان بالله عز وجل .

والقرآن الكريم حين يخاطب العقل ويدعوه الى الايمان بالله عز وجل ، يوجهه الى التامل فى مظاهر الطبيعة التى تحيط به ، من أرض وسماء ، وما يربط هذه المظاهر من وحدة وانسجام ، وعن طريق التامل والتفكير يصل الانسان وهو موقن الى استحالة أن تكون هذه المظاهر قد خلقت نفسها بنفسها ، أو خلقتها قوى متناقضة أو متعارضة ، أو أن يكون مخلوقا من غير هدف ، بل ان الذى خلقه قوة خلاقة بناءة خارقة فوق كل قوة ، ترشده وتدبر شئونه بالحكمة والعدل ، وبارادة هذه القوة يتحقق الهدف من هذا الوجود ، ثم يفنى فناء شاملا ، ثم يبعث بعد ذلك من جديد فى ثوب أبدى لا فناء فيه ، يقول الحق تبارك وتعالى : « اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت » ، و : « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت واذا السماء كشطت ، واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما أحضرت » .

من هذا الدليل المنطقى نعلم أن الكون الذى نعيش فيه سينتهى الى فناء نهائى لكل الكائنات التى تحيا فوقه . ثم تبعث الموتى من عهد سيدنا آدم عليه السلام الى يوم القيامة ، حيث يحيون حياة أبدية لا فناء فيها .

وفى كثير من سور القرآن الكريم نجد البرهان العقلى الذى يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الله عز وجل هو خالق هذا الكون وهو الذى يدبره ، يقول تبارك وتعالى : « ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » ، و : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون ، والارض فرشناها فنعم الماهدون ، ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » .

فالانسان الذى خلقه الله عز وجل وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا لا تتم ولا تكتمل له نعمة التكريم والتفضيل اذا لم يكن قلبه عامرا بالايمان بالخالق الواحد الاحد ، الذى خلق كل ما يحيط به ، وتحكم فى الوجود والعدم ، وقسم الارزاق ووزع الحظوظ ، وقضى بالصحة والمرض ، والفقر والغنى ، فاذا عمر الايمان قلب الانسان ، وأضاءه نوره، وتذوق حلاوته ، صار عزيز النفس مرفوع الرأس ، لا يخضع الا للذى خلقه فى أحسن تقويم ، ويصدق فيه قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود للكفر كما يكره أن يقذف فى النار » . وهناك الكثير من الايات القرآنية التى تقيم الادلة المنطقية على قدرة البارى عز وجل ، وعظيم ارادته وقوته .

ان القرآن الكريم يوجه انتباهنا الى تلك الادلة البديهية على الايمان بالله عزوجل ، ذلك الايمان الذى نقوم على معرفته بحواسنا الذاتية ، وذلك حينما يشير الى احدى الحقائق النفسية الهامة وهى : وجود احساس غريزى فطرى بالايمان بالله عز وجل ، وهذا مايجده الانسان عندما يتحرر من الميول والنزعات أو من تشتت الفكر الذى تسببه الاعمال الرتيبة الجامدة ، أو عندما يتحير مفكرا فى مشكلة أصل الوجود ، أو عندما تواجهه المصاعب والمشقات ، أو عندما تنزل به الحوادث والملمات ، فلا يقدر

على التخلص منها بمفرده ، ونجد هذه الحقائق فى كثير من آيات القرآن الكريم : « واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه ، واذا مسه الشر فذو دعاء عريض » ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » .

وسئل اعرابى : كيف عرفت ربك ؟ فقال بكل صفاء وبساطة : سبحان الله البعرة تدل على البعير ، والاثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك كله على الحكيم الخبير ؟

وفى قصة فرعون نرى القرآن الكريم يصف بالتفصيل شعوره عندما واجهه الموت غرقا ، وأيقن أنه هالك لا محالة وليست هناك أى قوة على الارض تستطيع أن تنقذه من مصيره المحتوم ، فنرى الدليل على الايمان الفطرى المفاجىء الذى يلجأ اليه الانسان عند نزول الشدائد به ، يقول المولى تبارك وتعالى : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا ، حتى اذا ادركه الغرق قال : آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟!! ، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ، وأن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » .

وقد كان الرسل عليهم السلام فى جميع الازمنة والامكنة يعبرون عن استنكارهم الشديد لموقف من يشكون فى وجود الله عز وجل ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك ، اذ يقول المولى تبارك وتعالى : « قالت رسلهم : أفى الله شك ؟ فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم الى أجل مسمى » ، وهكذا نرى أن الايمان بالله عز وجل قائم على أدلة عقلية ، وبراهين بديهية نابعة من البصيرة الداخلية ، ولا توجد الا عند من يتذكر آيات ربه ولا يغفل عنها .

وهناك نقطة هامة يؤكدها الاسلام فى دعوته الى الايمان بالله تبارك وتعالى وهى أنه يرفض الشرك بجميع صوره وأنواعه ، وقد فند القرآن الكريم مزاعم أولئك الذين يقولون بوجود آلهة أخرى مع الله تبارك وتعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ، ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »

ففى هذه الاية دليل قطعى عن طريق العقل لا برهان اقناعى على ثبوت الوحدانية لله تبارك وتعالى ، لاننا لو فرضنا جدلا وجود آلهة متعددة غير الله عز وجل فى السموات والارض ، فلابد من أن تفسد السموات والارض بما فيهما من مخلوقات ، فتخرجا عن نظامهما المرئى ، ويهلك من فيهما ، لماذا ؟ .. لاننا لو فرضنا وجود الهين فاما أن يتفق هذان الالهان على ايجاد هذا العالم أو يختلفا ، فان اتفقا فلا يجوز أن يوجداه معا ، لانه يلزم فى هذه الحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محال ، ولا يجوز أن يوجداه مرتبا بان يوجد أحدهما العالم ثم يوجد الاخر نفس العالم ، وهذا مستحيل لانه سيكون تحصيل للحاصل .

ولا يجوز أن يوجد أحدهما بعض العالم ويوجد الثانى البعض الاخر ، لانه سيترتب على ذلك عجزهما حينئذ ، وذلك أنه اذا تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الاخر طريق تعلق قدرته به ، فلا يقدر على مخالفته ، وهذا عجز والعجز مستحيل فى حق الله تبارك وتعالى .

وان اختلفا بان أراد أحدهما ايجاد العالم والاخر اعدامه ، فيستحيل عندئذ أن ينفذ مرادهما معا ، ويلزم عليه اجتماع الضدين وهو محال ، ولا يجوز أن ينفذ مراد أحدهما دون الاخر للزوم عجزه — والاخر مثله — لانعقاد المماثلة بينهما .

وان هذه الاية ترشد الى أمرين اثنين : —

الاول : بطلان اتخاذ الله تبارك وتعالى ولدا ، لان الولادة تقتضى انفصال مادة من الوالد ، وذلك يقتضى التركيب وهو مستحيل فى حق الله عز وجل ، ثم أن الولد لابد وان يجانس اباه ويماثله وهو جل شانه « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » .

الثانى : نفى الشريك له مع اقامة الدليل على تفرده بالالوهية ، فلو كان معه اله آخر يشاركه لذهب كل اله بما خلق ، واستبد فى ملكه وتصرف فيه تصرف المالك ، وعلا بعضهم على بعض ووقع بينهما التحارب ، وصار الفساد ، وانقلبت موازين نظام الكون واختل واضطرب .

ان كل مافى العالم وكل مافى الكون دليل على وجود الله تبارك وتعالى . ودليل على وحدانيته . وكلما تقدم العلم فى الامم كلما ارتقى الفكر الانسانى . وكلما صفت النفس وطهر القلب شاهد الانسان أدلة جديدة تثبت وحدانية الخالق عز وجل . وهكذا نرى الاسلام لا يقر الشرك . ولا يرضى الا بعبادة الله واحد خالق لكل شىء . فرد صمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

بقية مقال « خصائص الحوار القرآنى »

● وتجىء ذروة الحوار فى الاعتراف بقيمة الايمان حين يذل أصحاب النار بعد أن تجف حلوقهم وهم فى حاجة الى قطرات الماء ، وقد صورت حالهم فى قوله تعالى : « **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا : ان الله حرمهما على الكافرين** » [الاية ٥٠] ان طلب الماء فى هذا الموقف لشدة حرارة ماهم فيه ، فالنار تحيط بهم من كل جانب ولا يجدون مغيثا .

ونقول : ان اصحاب الاعراف يتجلى الله عليهم بعفوه بعد الشفاعة فترد اليهم وجوههم المشرقة حتى يعجب أهل النار ويحسبوا أن هناك من يدفع عنهم البلاء بنداء أهل الجنة لكن الجواب القاطع الامل فى نيل ما يتمتع به أهل الجنة من ماء وفير ، ورزق كثير — ان الله حرمهما على الكافرين —

● وهنا ملحظ حين كان المشركون يتنقصون المؤمنين المحرومين من متع الحياة الدنيا الفانية معتبرين أن سعيد الدنيا هو سعيد الاخرة . لكن منعهم بالحرمان فيه غضب الرحمن الذى لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون . وبهذا كله كان الحوار مباشرا وغير مباشر مما تفرد به الكتاب العزيز ليكون ذكرى لاولى الالباب — والى حوار آخر بعون الله وتوفيقه وفتوحه .

والعمل الصالح يرفعه

« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » « ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » « ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين »

سبحانك اللهم تباركت وتعاليت لا أحصى ثناء عليك كما اثنيت على نفسك بنفسك . جل وجهك وعز ذاتك وصفاتك . لاريب أن اكثر الناس يعلمون أن الخالق الحق قد وصف نفسه وذاته العليا بأسمائه الحسنى وهى مائة الا واحدة ، تلكم الاسماء القدسية المقدسة كل اسم فيها جعل من اتصف بها سبحانه ذا دلالات خاصة وآثار عامة دلت وارشدت وهدت الى اثبات وجوده الحق ، والمتفكرون أولو الالباب والبصائر النيرة المستنيرة يدركون ويوقنون بافئدتهم وعقولهم أن الحق سبحانه هو الذى قد وضع بنفسه من نفسه تلكم الاسماء العليا لذاته المقدسة المعبود دون سواه فهى اذن قديمة بقدمه باقية ببقائه .

● الدكتور زكى مشعل ●

. وأن تلك الاسماء الحسنى التى هى علم على ذات هى ذات الاله سبحانه قد أحكمت لفظا ومعنى . ولكن نبين مدى بعض مضمون من اسمائه الحسنى نذكر ان الحق سبحانه سمى ذاته الخالق البارىء المصور . فالمضمون الذى احتواه لهذه المعانى هو انه سبحانه قادر مقتدر عليم فبعلمه ومن علمه القديم انكشف لذاته سبحانه كل شىء فى الازل ، والازل [هو الماضى المستغرق فى الماضى اللا نهائى الذى ليس له بداية] فكل شىء كائن فى علمه القديم كان حيا موجودا فى ذلك الازل . ومن ذلك يتبين ان قدرته سبحانه وارادته لم يكونا ذا اثر محسوس مرئى مسموع فى ذلك الماضى اللانهائى ولما كان من اسمائه جلت قدرته المحيى والمميت كا نلزاما ان يبرز ويظهر مضمون واثر معنى هذين الاسمين فى شىء كائن مخلوق موجود تظهر عليه اثر الاحياء والاماتة وذلك لا يكون الا فى غير العالم الازلى الذى كا ن الله وحده بذاته وصفاته فيه ولا شىء معه . وفى هذا المقام الاعلى دارت تلكم المعانى السماوية وحومت وطافت على بعض قلوب المؤمنين والمخلصين المحبين فنرى انه ثبت فى الاثار النبوية المحمدية وفى صحاح الاحاديث المروية ان رجلا من الاعراب بعد ايمانه بالله ورسوله محمد صلوات الله تعالى عليه قال : يا رسول الله انى آمنت وشهدت أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وما عندى من ريب فى ذلك ولكن يا محمد اين الله وكيف كان ؟

وفى هذا المقام يتنزل الحديث القدسى الالهى على الصادق الامين فيقول « قال الله تعالى : كنت كنزا مخفيا فاردت أن أعرف فخلقت الخلق .

فبى عرفونى » فمنذ خرجت المقدورات المقدرات المعلومات من العالم الازلى بارادته سبحانه وقدرته الى العالم الواقعى المرئى المحسوس المسموع المنظور قد انكشفت معرفة الخالق البارىء المصور المحيى المميت لدى المخلوقين والمخلوقات جميعا وصار الكون كله فى نظام محكم فى حركات منسقة علوية فى السموات والكواكب والنجوم وفى غير علوية كذلك على هذا الكوكب الارضى الذى نعيش فيه تحوط تلك المخلوقات جميعا قدرة القدير المريد العليم وحده . ولكى تظهر تلك الحكمة العليا لمضمون المعنيين الكريمين للوهاب الرزاق وللغنى المغنى كان حقا على من سمى ذاته بتلكم الاسماء العليا أن يجعل آثار هذه الاسماء محسوسة ملموسة مشاهدة حية تؤثر فى حياة الخلق فينعم عليهم بما اراد من فضله ورحمته ويختلفون فى هذا النعيم وفى هذه الارزاق وتلك المواهب فيكون من الخلق أغنياء ومنهم الفقراء اذا قيس حظهم فيما أنعم عليهم بين من توافرت لهم الارزاق ، ولكن على كل حال كل الخلق يرزقون وينعمون لان الحق سبحانه سمى نفسه الوهاب الرزاق . وما من خلق الله كائن كان أو يكون الا يظله هذان الاسمان الكريمان ، ومهما يكن فانى لو تتبعت تلك الاثار الجليلة الالهية والمعانى العليا لمدلولات اسمائه الحسنى فى هذا المقال فانه لا يتسع أبدا ولكنى ذكرت ما ذكرت للقراء الاعزاء من تلك المعانى العليا الفياضة قاصدا الفائدة وأردت أن أبين مع تلك الفائدة الجامعة أن الحق سبحانه وهو غنى عن الخلق كلهم أجمعين قد شاءت حكمته العليا وارادته ارادة العليم الخبير أن يأتى بشواهد ودلائل وآيات بينات مادية حسية كانت أو معنوية تدل

دلالة جلية واضحة على ذاته ذات الحق المقدسة التى يستحيل رؤيتها او معرفة كنهها وحقيقتها فمن بين ما يشاهد ويعقل فى الكون كله تكون ذاته سبحانه كائنة فى كل شيء لان هذا الشيء كان من قبل لا شيء أى غير موجود كائن مستقر او متحرك ثم تحرك ووجد فدخلت اليه الحياة كما سينتقل ويتحول بعد الى الفناء . ولكنه يؤخذ من هذا العمل الالهى القدسى الذى يصنع فى العالم بقدرته وباسمائه كلها أن كل واحد منها على ما قدر لمعناه ان يتحقق وان يكون فى الكون كله أثره .

يؤخذ من هذا العمل البديع المتقن المحكم الصالح المصلح للكون ان المخلوقين على اختلافهم يتفاوتون فى درجاتهم وحظوظهم من حيث حياتهم بعضهم الى بعض فبينهم فاضل ومفضول وليس المفضولون على درجة واحدة بل درجات بعضها فوق بعض كما أن الفضلاء كذلك وان افضل الخلق من الفضلاء والمفضولين فى العالم الكونى العلوى من الملا الاعلى عباد الله المقربون الذين انشئوا بقدرته من نوره الاقدس الاعلى وهم الملائكة الذين أشرقت أرواحهم وأجسامهم بالصفاء الربانى الخالص الذى جعلهم مفطورين مسخرين لتقديسه جل ثناؤه وتسبيحه طائعين أذلاء لعظمته .

وقد اصطفى الحق تعالى من هؤلاء المقربين المكرمين من يقربوا ما كان فى الملا الاعلى من خير وهداية وارشاد واصلاح ومحبة وعدل وكل معنى عظيم الى من كتب عليهم من الخلق أن يسكنوا الكوكب الارضى ليعمر الكوكب الارضى بالاصلاح والهداية والمحبة والسعادة والعمل الصالح القائم على الايمان الخالص بالله الخالق سبحانه ولكن الله الذى اصطفى ملائكة من ملائكته المكرمين ليوصلوا المعانى القدسية الى الارض كذلك اصطفى من خلقه فى الارض خير الناس وافضلهم واشرفهم واخلصهم طاعة لذاته المقدسة ليأخذوا عنه وعن ملائكته المصطفين لذلك تلكم المثل والمعانى العليا التى توصل وتهدى العقلاء الى اليقين والايمان بوحدانية الواحد الاحد وان العمل الصالح لا ينفصل عن الايمان وهؤلاء المصطفون من بين عباد الله من الناس هم المرسلون والمرسلون صلوات الله عليهم اجمعين هم أكرم الخلق وافضلهم منزلة وقدرا بين العالمين فى السموات والارض لان هؤلاء الاخيار من الخلق هم السبب الاعظم لتبصير القوة المفكرة وهداية القلوب والنفوس الصافية الذاكية الى البارىء الخالق المصور ولان هؤلاء المرسلين بينوا للخلق من عباد الله ما أنزل عليهم من التشريع والتنزيل . فلولاهم ما عرف اهل الارض من عباد الله هداية او ارشادا أو ايمانا يقوم على اليقين والعمل الصالح ،

وصدق الحق فى قرآنه الحكيم حيث يقول « وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم » سورة التوبة وتلك الهداية السماوية التى تفضل الله على عباده بها من رحمته عرفت باسم الاديان السماوية . والذين استجابوا لطاعة الله ورسله ونفذوا ما أمروا به على السنة أنبيائهم موقنين أنه حق وصدق كانوا مسلمين حقا لانهم اسلموا ذواتهم وأفئدتهم وكل ما ملكوا لربهم وأحسنوا اسلامهم القائم على الايمان الصادق بالعمل الصالح .

فالمسلمون وجدوا منذ وجدت رسالة نوح عليه السلام فى الارض لانهم منذ بعث نوح الى قومه لم يكونوا مؤمنين وحسب بل كان العمل الصالح جزءا من ايمانهم واسلامهم وعقيدتهم ، ولعلنا نذكر اذ ذكر نوح قصته التى حكاها القرآن مع ابنه الذى كان من الكافرين حيث قالت الاية من سورة هود مثبتة ان العمل الصالح كان جزءا يومئذ من الاسلام « ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وأن وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح » والاية التى تدل على أن الاسلام والمسلمين وجدوا حين كان رسول الله نوح قوله سبحانه « فان توليتم فما سألتكم من اجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » سورة يونس .

ولقد تم الاسلام عقيدة وعملا ببعثة خاتم النبيين وامام المرسلين صلوات الله عليه سيدنا محمد المنزل عليه القرآن الحكيم الذى بين كيف أخذ الاسلام يسعى والرسالات تترى روية روية على توالى ومر السنين الكثيرة التى قارنت حياة الرسل وهى تزيد على خمس وعشرين قرنا ، وفى هذا القرآن السماوى الجامع لتلك القرون واحداثها بين الرسالات والمرسلين واقوامهم اعظم بيان واقوى شاهد على ان الامة المحمدية القرآنية قد علم الله وقدر لها ان تكون خير أمة لانها ايقنت ان الايمان ما لم يصحبه عمل صالح فانها قد قصرت وفرطت فيما حق لها من خيرية الامم وافضليتها جميعا .

فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ان كان صغيرا أو كبيرا جسيما أو معنويا فى قمة العمل الصالح . وحسبنا قوله تعالى « والعمل الصالح يرفعه » سورة فاطر وأكثر الآيات القرآنية تشهد بحق على ان العمل الصالح اعظم برهان على ايمان صاحبه واسلامه وان لهذا الانسان عند الله عز وجل أجرا عظيما فى جنته التى جعلت درجات تتناسب مع الاعمال الصالحة كما أن للاعمال الصالحة جزاءا لصاحبها فى الدنيا يرى أثرها من نفع ومحبة والفة تعود عليه بينه وبين اصدقائه واحبائه، وفى هذا المقام الذى يصور الرسول صلوات الله عليه ما فى الجنة من درجات تتلائم مع أعمال صاحبها الصالحين نذكر ما جاء فى سنن ابن ماجه : ج ٢ ص ٥٩٢ » .

حدث سعيد بن المسيب أنه لقى ابا هريرة . فقال أبو هريرة . أسأل الله ان يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ثم يقول أبو هريرة قلت : يارسول الله : هل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا . قال : كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم عز وجل ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله عز وجل حتى انه يقول للرجل منكم : الا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول يارب أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ، ثم يقول : قوموا الى ما اعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم . قال : فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الاذان ولم يخطر على القلوب . قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشترى . وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنيء — فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل له عليه أحسن منه . وذلك أنه لا ينبغى لاحد أن يحزن فيها . قال : ثم ننصرف الى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب افضل مما فارقتنا عليه . فنقول : انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا .

جعلنا الله من المؤمنين العاملين الصالحين لنحظى بالدرجات الباقيات فى جنات النعيم .

الشركة المصرية لتجارة الأدوية

١ شارع ٢٦ يوليو - ت : ٩٢٣٢٤٨/٩٣٣٤٠٧/٩٣٣٠٦٦

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للأدوية

مع عودة الحياة إلى شاطئ القناة

نقدم خالص التهانى لشعبنا العظيم
ولقائد العروبة وبطل العبور

الرئيس المؤمن **محمد أنور السادات**

الذى يقود شعبه من نصر إلى نصر ويمضى قدماً ليعيد لأمته العربية أمجادها ويحقق لها أمنها ورخاءها

رئيس مجلس الإدارة : الدكتور احمد نديم محمود

فى خدمة القطاع الصحى

- توزيع الأدوية المحلية والمستوردة والكيماويات الصيدلية والمستلزمات الطبية المستهلكة على جميع الصيدليات والمستشفيات والقطاع الصحى الحكومى على مستوى الجمهورية .
- توزيع الأدوية والأجهزة الخاصة بتنظيم الأسرة على القطاع الحكومى والقطاع الأهلى.

فى خدمة الجمهور
تقوم بالخدمة الليلية الصيدليات الآتية

القاهرة

- صيدلية شبرا ت : ٩٤٠٧٨٢
- صيدلية باب اللوق ت : ٥٨١٣٥
- صيدلية العتبة ت : ٩١٠٨٣١
- صيدلية باب الشعرية ت : ٩٣٥١٣١
- صيدلية الزمالك ت : ٨١٦٤٢٤
- صيدلية اسعاف القاهرة ت : ٤٠٣٦٩
- صيدلية حلوان ت : ٣٨٠١٨

الاسكندرية

- صيدلية سعد زغلول ت : ٨٠٥١٥٤
- صيدلية الاسعاف ت : ٨٠٠٧٧٢

بنها

- صيدلية بنها ت : ٢٥٠٧

الاسماعيلية

- صيدلية الاسماعيلية ت : ٤٠٠

لتوفير الدواء
أو بديله للمواطنين

القاهرة :
صيدلية العتبة ت : ٩١٠٨٣١
صيدلية الاسعاف ت : ٤٠٣٦٩

الاسكندرية :
صيدلية سعد زغلول ت : ٨٠٥١٥٤
صيدلية الاسعاف ت : ٨٠٠٧٧٢

منطقة الوجه البحرى طنطا
ت : ٢٥٣٥

التشريع الإسلامى

طريق النور

الأستاذ
أحمد زين

**وكم أحاطت بنا الظلمات ..
وتلفتنا حولنا فلم نبصر .. ووقفنا
حائرين .. لا نعرف أين نذهب ..
ولا فى أى طريق نسير ..**

الطريق الى الله يملاه النور .. ليس فيه ظلمات تخفي وراءها أشياء مبهمة .. ولا سراديب تتوه فيها الحقيقة ولا التواءات مسدودة أو انحناءات تجعلك تشعر بالضياع .. ربما العكس هو الصحيح .. فالابتعاد عن الله هو الذى يلقى بك فى بحر الظلمات ويجعلك تائها تدور حول نفسك .. ضائعا تبحث عن كيانك ...

والله موجود فى كل واحد فينا ... حتى أولئك الذين تمتلىء حياتهم بالاثام فى لحظة من اللحظات تسقط كل الحجب عنهم وتقع كل الاغطية المصطنعة وتصيح قلوبهم يارب ... وتتجه انظارهم الى السماء وهم لا يشعرون .

وأقصر الطرق الى الله وأطولها هو الايمان .. ولكن : هل الايمان طريق سهل ؟ هل هو مجرد كلمات يرددها طرف اللسان ولا تصل الى القلب ولا تهز بعنف لتفيق ؟ هل الايمان طريق صعب لا يصل اليه الانسان الا **بعد جهد كبير** ؟ وهل هو الطريق المستحيل وسط مانعيش فيه من دنيا تجذب بقوة وحياة تشد الى متع الدنيا واشياء يحققها العلم هى اقرب الى المعجزات ؟ أين الايمان من هذا كله ؟ وأين الانسان ؟

وقبل أن أبدأ حديثى أقف لحظة .. ان كل شىء تحقق فى هذه الدنيا كان وراءه ايمان به .. كان وراءه انسان مقتنع بفكرته يجاهد فى سبيلها ويتخطى العقبات واحدة بعد الاخرى ويقدم التضحيات وراء التضحيات حتى يحقق فكرته وتبرز الى الوجود كل ماتحقق كان وراءه ايمان قوى بشىء مايمكن أن يتحقق واستطاع الايمان ان يمسح بيده حبات العرق وتعب الابدان .. وسهر الليالى وسخرية الناس واستطاع أن ينتصر وكل انسان عمل لفكرة أو لشىء وهو غير مؤمن به غير مقتنع به لم يستطع ان يصل الى النجاح ... الايمان هو الوقود الذى يغذى وهو القوة التى تتضاءل امامها كل ما تستطيع ان تهبه الحياة بل هو القوة التى ترتفع فوق الحياة نفسها فنجد الانسان يقدم حياته طائعا مختارا فى سبيل ما يؤمن به .

ومهما حاولنا ان نفلسف الامور او نعقدها او

نلبسها أثوابا براقة فان حفنة مؤمنة بشىء مالا بدأن تصل اليه تحققه ولا يستطيع الزمن أن يهزمها ولا أن تقتلها الاحداث ولا أن تقتلها الاعاصير والزوابع مهما عنفت واذا كان هذا صحيحا فى الطريق الى العلم فهو الى التقدم فكيف يكون فى الطريق الى الله ؟

ومرة أخرى .. ولنبدأ من أول الطريق : ماهو الايمان ؟ كلمة صغيرة تحتاج الى مجلدين لشرحها ولكنها تحتاج الى أن تكون بعيدة عن التزمت الذى يقتله او الصعاب التى تجعلها أشبه بالطلاسم التى لا تجد لها حلا « **وخلق الانسان ضعيفا** » هكذا قال الله سبحانه وتعالى ولذلك فان ضعف الانسان لا يمكن أن يبعده من الطريق الى الايمان كلنا ضعفاء كلنا نظلم أنفسنا كلنا محتاجون الى رحمة الله قبل عدله والا مابقى على الارض بشر كلنا يستطيع أن يقترب الى الله خطوة خطوة درجة وفى كل خطوة وفى كل درجة يشعر أن الصلة بينه وبين الله تزداد ... ويحس بصوت الله داخل نفسه يقوى ويشتد ونظل نتضرع وتملأ عيوننا الدموع مرة .. ويملأ قلوبنا الندم مرات .. ولكننا نمضى ونمضى حتى نصل ..

أمل لا يهتز

وأولى الخطوات التى نتشبث بها .. والتى نمضى على طريقها هى أمل لا يهتز أبدا ولا يتزعزع مهما حدث « **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** : هكذا قال الله سبحانه وتعالى .. واذا كان الله قد وضع اليأس فى مرتبة الكفر فانه لا مكان لليأس فى الطريق الى الله الطريق الى الله ملىء بالامل الامل بلا حدود وبلا قيود الامل الذى لا يستطيع أن يقتله الظلام مهما كان حالكا ولا ان يطفى نوره اليأس مهما كان قاتلا .

وكم أحاطت بنا الظلمات .. وكم تلفتنا حولنا فلم نبصر شيئا وكم وقفنا حائرين لا ندرى ماذا نفعل ولا نعرف الى أى طريق نسير واحسسنا بكل شىء يتخلى عنا وشعرنا ان كل من فى الارض يعمل ضدنا وأحسسنا أنه لم يبق شىء أى شىء ثم جاءت رحمة الله لتبدد الظلمات ووجدنا الطريق ينير وأحسسنا بكل شىء حولنا يتحول الى الطريق الصحيح .

حتى الرسل مرت بهم لحظات يأس قاتلة فقال الله تعالى « **حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ! .**

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد شطب كلمة اليأس من الطريق فيجب أن نمحوها من حياتنا وان نستيقظ كل صباح يملؤنا الامل فى الله وان نعرف « **ان مع العسر يسرا** » .. وليس بعده بل معه .. وان نجدد مالنا كل يوم .. مع كل فجر نرجو الله ونتوجه اليه .. تلك أول خطوة على الطريق اذا تخلينا عنها فان أقدامنا تضل ونفوسنا تضيع وحياتنا تصبح قطعة من العذاب المرير .

ولكن مامعنى الامل ؟ هل معناه التمنى ؟ هل معناه أحلام اليقظة ؟ هل هذه أشياء بعيدة عن معنى الامل فى الطريق الى الله فلا التمنى يستطيع أن يحقق شيئا ولا احلام اليقظة يمكنها ان تحول الى حقائق ولا التوهم يحل المشاكل .

الامل هو نور يهدينا الى الطريق .. هل أن نحاول ولا نيأس أبدا هو أننا اذا فشلنا فى خطوة فلنعرف ان هناك خطوات اخرى لم نجربها . واذا وقفنا امام عقبة فلنتأكد ان هناك عدة طرق لكى نتجاوزها واذا وجدنا أنفسنا عاجزين اليوم فغدا سنجد أنفسنا قادرين ومن هنا يتبين أننا نستطيع أن نتحرك مهما كانت الظروف ومهما أحاطت بنا المصاعب ومهما احسسنا أن القيود تكبلنا هو احساس داخلى بأننا اكبر من كل عقبة وأقوى من كل ما هو صعب وأجرأ من ان نهاب شيئا واكبر من ان نعترف بأن هناك فى الدنيا مستحيل على الله سبحانه وتعالى .

تلك اول خطوة فى طريقنا الى الله امل لا يتزعزع فى ان الله سيتقبل منا فاذا لم يتقبل اليوم فسيتقبل أكثر غدا .. واذا ضعفنا هذه اللحظات .. فسنتغلب على ضعفنا فى اللحظة القادمة . واذا ازلنا الشيطان فسيدخلنا الله فى رحمته واذا أحسسنا بالضياع فسنجد أنفسنا حتما واذا ابتعدنا عن الطريق الى الله فلدينا القوة لان نقترب منه مرة أخرى وسنعمل على ذلك .. أمل حقيقى يملؤنا أننا سنصل اذا كانت لدينا النية الصافية والقلب المتطلع .. والنفس التى تريد .

فلنبدأ الخطوة الاولى اليوم .. انها ليست صعبة .. لنبدأ على الطريق ولنعد اليه كلما أخرجنا ضعفنا منه أو كلما استطاع الشيطان أن يزحزحنا عنه المهم الا نيأس أبدا .. حتى لا نضل ولا نصبح قوما كافرين .

الإعجاز العلمى للسنة النبوية

تكريم المرأة

الدكتور عبد الرزاق نوفل

منذ ان استطاع الانسان أن يعرف الماضي بقراءة صفحات التاريخ والى عهد قريب لا يتجاوز بضع عشرات من السنين ، والصورة تكاد تكون واحدة فى المجتمعات العامة سواء أكانت فى أقصى الشرق أو الغرب . المجتمع يتكون من سيد .. هو الرجل .. له كل الحقوق .. وله تطيع المراة .. التى عليها كل الواجبات وهى وان اختلفت مسمياتها عند الرجل .. فقد يطلق عليها لفظ زوجة أو محظية أو جارية أو خليلة أو خادمة .. أو تابعة .. فهى لا تملك فى مجتمع الرجل شيئا ، وهى بعيدة كل البعد عن المشاركة الفعلية فى هذا المجتمع .

وما كان ذلك الا بسبب الاعتقادات التى كانت تسود بلا معارضة أو مناقشة .. فالمراة كما كان يظن فى بعض الجهات كائن لا روح لهـا ، وانها اذا ماتت فلا تحشر ولا تحاسب ولا تبعث .. وفى غيرها يعتقد أن لها روح ولكن لا تماثل او تساوى روح الرجل .. وفى بعض الجهات كانت توضع القيود على المراة حتى لا تتكلم لان كل ما يصدر عنها ومنها رجس من عمل الشيطان ، بل وجدت شرائع فى الهند تقول ان الوباء والموت والجحيم والسم والافاعى والنار خير من المراة .

وحتى عندما تقدمت دول العالم .. وسادت المدنية .. وعمت الحضارة ، فان المراة ظلت فى تبعيتها الكاملة للرجل ، وحتى الآن فان فى معظم جهات العالم ، تفقد المراة اسمها بالزواج وتحمل اسم زوجها ، وما ذلك الا من آثار ما كانت عليه المراة اذ تتبع زوجها تبعة كاملة تفقد معها شخصيتها الاستقلالية وكيانها المنفرد .

وبديهى أن بلاد العرب كانت تعامل المراة اسوأ مما كانت تعامل به فى المجتمعات الاخرى . ولعل ما كان سائدا فى بلاد العرب يوضح كيف كانت تعامل المراة .. اذ كان العربى يقتل ابنته بمجرد ولادتها ان كانت قبيحة ، فان كانت جميلة وابقى على حياتها ، فانما الى مدة قصيرة حتى تصير طفلة فيدفنها حية ، ولا يبقى الرجل على ذريته من الاناث الا اذا كان على ثراء ملحوظ او كان على سفر طويل فيه شبت الابنة الى ما بعد طور الطفولة او يكون قد ارتبط على زواجها منذ ولادتها او تكون القبيلة قد شعرت بأنها فى حاجة الى عدد من النساء للخدمة .. وكان الرجل يفخر بأن ذريته ليس فيها اناث .. اما من تلد له زوجته الاناث فهو فى عيشة حرجة .. وضيق اكيد .. لذلك فقد كان الوأد ، وهو قتل البنات احياء شائعا ومنتشرا ومتداولا فى بلاد العرب ..

وفى هذا الجو العالمى .. وبين اهل مجتمع العرب .. بعث الله سبحانه وتعالى بخاتم رسله وانبيائه سيدنا محمد بن عبد الله ، الصادق الامين ،

البقية ص ٨٣

مفاهيم ومبادئ في الاقتصاد الإسلامي

المال والنقود

تكلمنا عن مفهوم النقود ووظائفها في الاقتصاد الاسلامي . وناقشنا مفهوم الدينار الشرعي والدرهم الشرعي كوحدة نقدية حسابية شرعية وأنهما كانا معلومي المقدار والوزن في الذهن منذ صدر الاسلام وان عبد الملك ابن مروان شخص مقدارهما ووزنهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه أثر الشهادتين الايمانيتين . وسوف نتناول في هذا الحديث محتوى الدينار الشرعي والدرهم الشرعي ونسبة التداول بينهما وما يساويه الدينار الشرعي بالعملات الحالية المختلفة وأثر تغير قيمة النقود في البيوع والقروض في الفقه الاسلامي وفي الفكر الاسلامي المحاسبي في التقويم .

الدكتور شوقي اسماعيل شحاتة

تقدير قيمة الدينار الشرعي بالجنية المصري الحالي وقيمة نصاب الزكاة :

من المعلوم أن الدينار الشرعى هو وزن مثقال وأن المثقال يزن ٧٢ حبة شعير وان الاوقية الشرعية تزن ٢٨ مثقالا فتكون زنة الاوقية ٢٠١٦ حبة شعير ولما كانت الـ ٨٠ قمحة متوسطة تعادل ٦٣ حبة شعير متوسطة فتكون الاوقية الشرعية تزن ٢٥٦٠ قمحة .

ومن المعلوم أن الاوقية المصرية تزن ١٢ درهما مصريا والدرهم المصرى يزن ٦٤ قمحة فتكون الاوقية المصرية تزن ٧٦٨ قمحة .

وعلى هذا تكون النسبة بين الاوقيـة الشرعية والاوقية المصرية هى ٢٥٦٠ : ٧٦٨ أى ١٠ : ٣ .

ويكون وزن الدينار الشرعى بالاوقية المصرية هو ١ على ٢٨ فى ١٠ على ٣ تساوى ٥ على ٤٢ من الاوقية المصرية التى تزن ٣٧ر٤٤ جراما فيكون وزن الدينار الشرعى بالجرام المصرى هو ٣٧ر٤٤ فى ٥ على ٤٢ يساوى ٤ر٤٥٧١٤ .

وكان وزن الجنيه المصرى الذهبى فى أيام « محمد على » ٨ر٥ جراما بعيار ٨٧٥ من ألف أى أن وزن الذهب الخالص فيه هو ٧ر٤٣٧٥ جراما .

وعلى هذا تكون النسبة بين الدينار الشرعى وهذا الجنيه المصرى الذهبى هى ٤ر٤٥٧١٤ : ٧ر٤٣٧٥ أى ان الدينار يعادل ٥٩٩ر من الجنيه المصرى المذكور أى ٥٩ر٩ قرشا ويكون نصاب زكاة المال هو ١١ر٩٨٠ جنيها مصريا ذهبيا من الجنيهات التى تزن الجنيه منها ٨ر٥ جراما بعيار ٨٧٥ من الف .

ثم طرأت تغيرات كثيرة على وزن الذهب الخالص فى الجنيه المصرى وكان آخرها ما أعلنته وزارة المالية فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٩ من تعديل قيمة الجنيه المصرى بالنسبة للذهب لتصبح ٢ر٥٥١٨٧ جراما من الذهب الخالص بدلا من ٣ر٦٧٢٨٨ جراما . وعلى هذا الاساس تصبح النسبة بين الدينار الشرعى والجنيه المصرى فى ٤ر٤٥٧١٤ : ٢ر٥٥١٨٧ وبعبارة اخرى فان الدينار الشرعى أصبح يساوى ١ر٧٤٦٦١ جنيها مصريا ذهبا . ولما كان سعر الجرام من الذهب الخالص يمكن تقديره فى الوقت الحاضر من عام ١٩٧٥ بـ ٣٨٠ قرشا فتكون قيمة الدينار الشرعى بالجنيهات المصرية الورقية التى بين أيدينا هـى ١ر٧٤٦٦١ فى ٢ر٥٥١٨٧ فى ٣ر٨٠٠ يسـاوى ١٥ر٢٥٠ جنيها مصريا ورقيا . **وتكون قيمة نصاب الزكاة فى الوقت الحاضر** هى ١٥ر٢٥٠ **فى ٢٠ يساوى ٣٠٥ر٥٠٠٠ جنيها مصريا أى حوالى ٣٠٠ جنيها مصريا .**

وعلى هذا تكون قيمة الدينار الشرعى بالجنيهات المصرية فى الوقت الحاضر ـ عام ١٩٧٥ ـ هى خمسة

عشر جنيها مصريا . وتكون قيمة الدرهم الشرعى هى جنيها ونصف جنيه .

وفى عام ١٩٧٠ كان سعر الجرام من الذهب الخالص يقدر بـ ١٠٨ قرشا وعلى هذا تكون قيمة الدينار الشرعى بالجنيهات المصرية فى ذلك الوقت هى ١ر٧٤٦٦١ فى ٢ر٥٥١٨٧ فى ٠٨ر١ يساوى ٤ر٨١٥ جنيها مصريا أى بحوالى **خمسة جنيهات مصرية** من جنيهات عام ١٩٧٠ **وتكون قيمة نصاب الزكاه انذاك ٥ فى ٢٠ يساوى ١٠٠ جنيها مصريا** . وتكون قيمة الدرهم الشرعى فى عام ١٩٧٠ هى نصف جنيه مصرى .

أما فى عام ١٩٦٠ مثلا فقد كان سعر الجرام من الذهب الخالص يقدر بـ ٦٢ قرشا وتكون قيمة الدينار الشرعى بالجنيهات المصرية فى عام ١٩٦٠ هى ١ر٧٤٦٦١ فى ٢ر٥٥١٨٧ فى ٦٢ر٥ يساوى ٢ر٧٦٥ جنيها مصريا أى بحوالى **٢ر٧٥٠ جنيها مصريا** من جنيهات عام ١٩٦٠ **وتكون** قيمة نصاب الزكاة فى ذلك الوقت ٢ر٧٥٠ فى ٢٠ يساوى ٥٥ جنيها مصريا . وتكون قيمة الدرهم الشرعى فى عام ١٩٦٠ تساوى ٥ر٢٧ قرشا .

وظاهر من ذلك أن قيمة الدينار الشرعى بالعملة المصرية الورقية وغيرها من سائر العملات الورقية تختلف تبعا لاختلاف سعر تعادل الجنيه المصرى بالنسبة للذهب أى محتوى الوحدة النقدية الحسابية وتبعا لاختلاف سعر الجرام من الذهب الخالص بالعملة الورقية . وعلى هذا تزيد قيمة نصاب زكاة المال كلما هبطت القوة الشرائية للنقود فى زمن التضخم النقدى ـ وهو ما يسميه الفقهاء برخص النقود ـ فكلما رخصت النقود وانتقصت قوتها الشرائية أى قيمتها الحقيقية من حيث السلع وخدمات كلما زادت قيمة نصاب زكاة المال بالعملات الورقية . ولما كان نصاب الزكاة هو الحد بين الغنى والفقر وما دونه عفو لا يتحقق به يسار فان تقديره بـ ٢٠ دينارا شرعيا ذهبيا فيه وقاية وحماية لعديمى ومحدودى الدخل من الفقراء والمساكين من آثار التضخم النقدى وتغيرات مستوى الاسعار العام ومن رخص النقودالورقية وفيه تأكيد لمفهوموفلسفة الفكر الاسلامى الاقتصادى والمحاسبى فى المحافظة على راس المال الحقيقى او الاقتصادى وقوته الشرائية وطاقته وليس راس المال النقدى أو العددى . .

اثارة اللبس فى بعض كتب الفقه بان نصاب الزكاة كان يساوى بالذهب ١١٨٧ قرشا وبالفضة ٥٢٩ قرشا

تعرضت بعض كتب الفقه ومن بينها كتاب الفقه على المذاهب الاربعة فى صفحة ٤٨١ الى أن نصاب الذهب عشرون مثقالا أى دينارا يساوى بالعملة المصرية احد عشر جنيها مصرياونصف وربعا وثمنا وقيمة ذلك بالقروش المصرية ١١٨٧ قرشا . ونصاب الفضة مائتا درهم ويساوى بالريال المصرى ستة وعشرون ريالا مصريا وتسعة قروش وثلثى قرش ويساوى بالقروش المصرية ٥٢٩ قرشا .

ولا يستقيم هذا القول بأن النصاب اذا كان من الذهب فانه يساوى بالقروش المصرية ١١٨٧ قرشا واذا كان من الفضة فانه لا يساوى بنفس القروش المصرية الا ٥٢٩ قرشا . واذا كانت قيمة النصاب من الذهب وهى عشرون دينارا مساوية لقيمة النصاب من الفضة وهى مائتى درهم فانه يتعين حتما أن تكون قيمتهما بالقروش المصرية واحدة متساوية فمن أين اتى هذا الخطأ وكيف التبس الامر فيه على البعض

أقول ان مصر كانت فى عهد « **محمد على** » تسير على نظام المعدنين من الذهب والفضة وقد أصدر « محمد على » أمرا فى سنة ١٨٣٦ بأن وحدة التعامل فى مصر جنيه ذهب عيار ٨٧٥ر وزنه ٥ر٨ جراما ذو مائة قرش ، وقطعة من الفضة ذات عشرين قرشا ، وقطعة من الذهب ذات عشرون قرشا وزنها أقل من وزن القطعة الفضية بـ ٥ر١٥ مرة أى أن النسبة التى سارت عليها مصر آنذاك بين الذهب والفضة هى النسبة السائدة فى أوربا فى هذا العصر وهى ١ : ١٥ر٦٨٦ وقد كانت هذه النسبة بين الذهب والفضة فى صدر الاسلام ١ : ٧ ثم حدث أن تغيرت هذه النسبة فى القرن التاسع عشر الميلادى لتدهور قيمة الفضة كما هو معروف وتطورت النسبة الى ١ : ٦٨٦ ر١٥ فاذا أغفلنا هذا التطور ولم ندخله فى الاعتبار واحتسبنا قيمة النصاب من الذهب والفضة دون مراعاة كون النسبة بين الذهب والفضة قد تطورت من ١ : ٧ الى ١ : ١٥ر٦٨٦ فاننا نصل الى النتيجة الخاطئة التى وصل اليها البعض . واذا لم نغفل هذا التطور وأخذناه فى الحسبان كما ينبغى فانا نصل الى أن التقدير الصحيح لقيمة مائتىدرهم بالعملة المصرية فىالقرن التاسع عشر ليس هو ٥٢٩ قرشا انما يتعين أن يكون ٥٢٩ فى ١٥ر٦٨٦ على ٧ يساوى ١١٨٧ قرشا مصريا وهو نفس ما يساويه النصاب من الذهب بالعملة المصرية فى عهد « محمد على » وقد كان كل من الذهب والفضة نقدا قانونيا فى عهده اذ كانت مصر تسير على نظام المعدنين .

نسبة التداول أو سعر الصرف المحدود بين الدينار الشرعى والدرهم الشرعى :

وكان لابد من تحديد سعر صرف ثابت محدود أو نسبة قانونية بين الدينا الشرعى والدرهم الشرعى وقد تحددت بـ ١ : ١٠ بمعنى أن كل دينار شرعى يعدل عشرة دراهم شرعية منذ صدر الاسلام .

كيفية تقدير قيمة الدينار الشرعى بالعملات المختلفة الحالية :

يمكننا بمقارنة وزن الذهب الخالص فى أى عملة أو بعبارة أخرى سعر تعادلها بالنسبة للذهب أو محتوى الوحدة النقدية الحسابية مع وزن الدينار الشرعى وهو ٤ر٤٥٧١٤ جراما وما يساويه الجرام من الذهب الخالص من تلك العملة فى البلاد المختلفة أن نصل الى تحديد ما يساويه الدينار الشرعى بضرب ٤ر٤٥٧١٤ فى سعر الجرام من الذهب الخالص بعملة ذلك البلد وبالتالى نصل الى تحديد قيمة نصاب زكاة المال فى كل زمان ومكان بالعملات الورقية .

كيفية معالجة أثر تغير قيمة النقود فى البيوع والعروض فى الفقه الاسلامى

ناقش الفقهاء غلاء ورخص النقود من غير الذهب والفضة وأثره فى عقود البيوع والقروض . ويسمى رخص النقود فى عالمنا المعاصر وبلغة العصر بالتضخم النقدى .

كتب ابن عابدين ضمن مجموعة رسائله رسالة قيمة أسماها « تنبيه الرقود على مسائل النقود » نجملها فيما يلى :

« رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود لابن عابدين »

ناقش ابن عابدين كساد النقود ، وانقطاع النقود ، وغلاء النقود ، ورخص النقود . وذكر فى رخص النقود ـ التضخم النقدى بلغة العصر ـ ما نصه :

وفى رخص وغلاء النقود قولان :

الاول : ليس له غيرها ان زادت فالبيع على حاله ولا يتخير المشترى وكذا ان انتقصت لا يفسد البيع وليس للبائع غيرها .

الثانى : له قيمتها يوم البيع وعليه الفتوى .

وفى المنتقى اذا غلت الفلوس قبل القبض أو رخصت قال أبو يوسف قولى وقول أبى حنيفة فى ذلك سواء وليس له غيرها ثم رجع ابو يوسف وقال عليه قيمتها من الدراهم يوم وقع البيع ويوم وقع القبض وقوله يوم وقع البيع أى فى صورة البيع ويوم وقع القبض أى فى صورة القرض .

وفى فتاوى قاضى خان يلزمه المثل وهكذا ذكر الاسبيجانى قال ولا ينظر الى القيمة .

وفى فتوى الامام قاضى ظهير الدين على أنه يطالب بالدراهم التى يوم البيع يعنى بذلك العيار ولا يرجع عليه بالتفاوت .

وفى الذخيرة البرهانية اذا غلت الدراهم أو الفلوس قبل القبض وازدادت قيمتها فالبيع على حاله ولا يتخير المشترى واذا انتقصت قيمتها ورخصت فالبيع على حاله ويطالبه بالدراهم بذلك العيار الذى كان وقت البيع .

ويقول ابن عابدين : اذا علم الحكم فى الثمن الذى غلب غشه اذا نقصت قيمته قبل القبض كان الحكم معلوما بالاولى فى الثمن الذى غلب جيده على غشه اذا نقصت قيمته لا يتخير البائع بالاجماع فلا يكون سواه وكذا لو غلت قيمته لا يتخير المشترى بالاجماع . والريال الافرنجى والذهب العتيقى اذا تبايعا بنوع منهما ثم غلا او رخص بأن باع ثوبا بعشرين ريالا مثلا أو استقرض ذلك يجب رده بعينه غلا أو رخص أما الكساد والانقطاع فالذى يظهر أن البيع لا يفسد اجماعا اذا سميا نوعا منه وهناك رأى مخالف لابى يوسف أن يرد قيمته لا مثاله فى يوم البيع فى البيع وفى يوم القبض فى القرض .

ويحذرنا ابن عابدين فيقول : « واياك أن تفهم أن خلاف ابى يوسف جار حتى فى الذهب والفضة كالشريفى والبندقى والمحمدى والريال فانه لا يلزم لمن وجب له نوع منها سواه بالاجماع فان ذلك الفهم خطأ صريح ناشىء من عدم التفرقة بين الفلوس والنقود » .

وفى كتاب المضاربة يحدثنا ابن عابدين فيقول : « فى رب المال الذى المضارب دنانير مضاربة ثم أراد القسمة فله أن يستوفى دنانير وله أن يأخذ من المال بقيمتها وتعتبر قيمتها يوم القسمة لا يوم الدفع . وفى شرح الطحاوى ويضمن لرب المال مثل ماله وقت الخلاف ، وفى رب المال يدفع مثلا دنانير بعدد مخصوص ثم تغلو قيمتها ويود اخذها عددا لا بالقيمة تأمل والذى يظهر من هذا أنه لوعلم عدد المدفوع ونوعه فله اخذه ولو اراد ان يأخذ قيمته من نوع آخر يأخذه بالقيمة الواقعة يوم الخلاف أى يوم النزاع والخصام » .

ومما تقدم نجد أن الخلاف يقع بين الفقهاء فى الفلوس وباقى حكمها من العملات الورقية فى فترات التضخم النقدى على قولين :

القول الاول : لا يلزم الا المثل عددا ونوعا ولا ينظر الى القيمة وان انتقصت قيمة الفلوس وباقى حكمها من النقود الورقية ورخصت أو ازدادت وغلت فليس للبائع ان يستوفى غيرها ولايرجع عليه بالتفاوت .

القول الثانى : ينظر الى قيمة الفلوس وما فى حكمها من النقود الورقية لاعددها ويلزم قيمتها فى يوم البيع فى البيع وفى يوم القبض فى القرض لامثالها أى أنها تستوفى قيمة لا عددا .

واننى أختار القول الثانى الذى قال به أبو يوسف واذا كان مدى التغير فى قيمة النقود هاما ومستديما فانها تكاد تفقد صفة أساسية من صفات صلاحية المقياس وسلامته ابتعادها عن الثبات ويصبح تقويم المقياس نفسه لزاما مقضيا باستعمال رقم قياسى لمدى التغير وقد أصيبت قيمة النقود الورقية بعد الخروج على قاعدة الذهب بتغيرات هامة ودائمة فى فترات التضخم النقدى جعلتها كمقياس لقيمة خلال فترة طويلة أبعد ما تكون عن الثبات الامر الذى أدى الى هبوط قيمتها الحقيقية وانخفاض قوتها الشرائية أو رخصها بلغة الفقهاء . وفى رأيى أنه لا يجوز ولا ينبغى أن نتجاهل هذه التغيرات الهامة والدائمة فى قيمة النقود الورقية بسبب التضخم النقدى وأثرها فى البيوع والقروض وفى تصوير الميزانيات ـ المراكز المالية السنوية ـ وقياس الارباح والخسائر ونتائج الاعمال . ويمكن أن يتم ذلك عند تصدير المراكز المالية

والسنوية . الميزانيات - واعداد حسابات النتيجة السنويه - الارباح والخسائر - باستخدام أرقام قياسيه لهذه التغيرات أو يكتفي على الاقل باظهار هذه البيانات كمعلومات اضافية فى ميزانيات تذكارية وحسابات أرباح أو خسائر تذكارية تلحق بالميزانيات والحسابت االختامية القانونية المنشورة .

وقد أثار الفقهاء هذه القضية أيضا مسألة ضم الدنانير الى الدراهم عند التقويم بالاجزاء أم بالقيمة :

هل تضم الدنانير الى الدراهم عند التقويم بالاجزاء أم بالقيمة ؟

اختلف الفقهاء فى مسألة ضم الدنانير الى الدراهم في زكاة المال وهل تضم بالاجزاء أم بالقيمة وبعبارة أخرى هل تضم على أساس القيمة الاصلية بسعر صرف ثابت محدود وهو دينار لكل عشرة دراهم أو على أساس القيمة الجارية ولك على التفصيل الاتى :

يرى الحنفية أن يضم أحد النقدين الى الاخر بالقيمة وجاء فى « مجمع الابحر » « ويضم أحدهما أى النقدين الى الاخر بالقيمة عند الامام للمجانسة من حيث التنمية وعندهما بالاجزاء أى بالقدر فيزكى لو كانت له مائة درهم وخمسة دنانير قيمتها تبلغ مائة درهم خلافا لهما ولو كانت له مائة درهم وعشرة دنانير قيمتها لا تبلغ مائة درهم تجب الزكاة عندهما وعنده لا . »

. وعند الشافعى لا يضم أحدهما الى الاخر لتكميل النصاب ويقول ابن عابدين . « ويضم الذهب الى الفضة وعكسه بجامع الثمنية قيمة وقالا بالاجزاء فلو له مائة درهم وعشرة دنانير قيمتها مائة وأربعون تجب ستة عنده وخمسة عذدنا » . وبعبارة أخرى فانه على أساس سعر الصرف المحدود الثابت بأن يجعل كل دينار بعشرة دراهم تكون قيمة العشرة دنانير مائة درهم ويكون وعاء الزكاة بعد الضم مائتى درهم تجب فيها الزكاة بسعر ٢,٥ فى المائة بمبلغ خمسة دراهم وعلى أساس القيمة الحقيقة الجاريه للعشرة دنانير ولتكن مائة وأربعون درهما يكون وعاء الزكاة بعد الضم مائتين وأربعين درهما تجب فيها الزكاة بسعر ٢,٥ فى المائة بمبلغ ستة دراهم .

وعند المالكية فى الشرح الصغير روى عن بكير عن عبد الله ابن الاشج أنه قال مضت السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم ضم الذهب الى الفضة والفضة الى الذهب واخرج الزكاة عنهما فالجمع بالاجزاء أى بالتجزئة والمقابلة بان يجعل كل دينار بعشرة دراهم أى بصرف دينار الزكاة عشرة دراهم . فمن له مائة درهم وعشرة دنانير فليخرج من كل مال ربع عشرة فالجمع بالاجزاء لا بالقيمة بأن يجعل كل دينار بعشرة دراهم ولو كانت قيمة أضعافها كما لو كان له مائة درهم وعشرة دنانير أو مائة وخمسون وخمسة دنانير فلو كان له مائة وثمانون درهما ودينار يساوى عشرين درهما فلا يخرج شىء . ويجوز اخراج أحد النقدين عن الاخر على المشهور .

ويقول ابن رشد فى كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد . والذين اجازوا ضمها اختلفوا فى صفة الضم فرأى مالك ضمها بصرف محدود وذلك أن ينزل الدينار بعشرة دراهم علي ما كانت عليه فمن كانت عنده عشرة دنانير ومائة درهم وجبت عليه فيهما الزكاة عنده وجاز أن يخرج من الواحد عن الاخر .

وقال من هؤلاء آخرون تضم بالقيمة فى وقت الزكاة وممن قال — بهذا القول ابو حنيفة ويمثل هذا القول قال الثورى الا أنه يراعى الاحوط للمساكين فى الضم أعنى القيمة أو الصرف المحدود . ومنهم من قال يضم الاقل الى الاكثر ولا يضم الاكثر الى الاقل . أما الشافعيه فلا يرون الضم ويعتبر نصاب كل واحد من الذهب والفضه على انفراد لانهم يعتبرون الذهب والفضة جنسين مختلفين ومالين مختلفين .

ويقول الحنابلة .

« ان عروض التجارة تضم الي كل واحد من الذهب والفضه ويكمل به نصابه لا تعلم منه اختلافا وذلك لان الزكاة انما تجب فى قيمتها فتقوم بكل واحد منهما فتضم الى كل واحد منهما ولو كان له ذهب وفضة وعروض وجب ضم الجميع بعضه الى بعض فى تكميل النصاب . وأما من كان له من كل واحد من الذهب والفضه مالا يبلغ نصابا بمفرده أو كان له نصاب من أحدهما وأقل من نصاب من الاخر فقد توقف أحمد عن ضم أحدهما الى الاخر فى رواية عن الاثرم وجماعة وذكر الخرقى فيه روايتان : احدهما لا يضم وهو قول ابن ابى ليلى والحسن بن صالح وشريك والشافعى وابى عبيد وابى ثور والثانية يضم أحدهما الى الاخر فى تكميل النصاب وهو قول الحسن وقتادة ومالك والاوزاعى والثورى واصحاب الرأى لان احدهم يضم الى ما يضم اليه الاخر فيضم الى الاخر كانواع الجنس فاذا قلنا بالضم احدهما يضم الي الاخر بأجزاء وقال ابو الخطاب انها تضم بالاحوط من الاجزاء والقيمة » .

ويقول أبو عبيد .

وفى مسألة هل تضم الدنانير الى الدراهم فى الزكاة خمسة أقوال :

١ - قال سألت ابراهيم عن رجل له مائة درهم وعشرة دنانير فقال يعط ى من هذه بحصتها ومن هذه بحصتها .

٢ ـ قال وسألت الشعبى فقال يحسب الاقل على الاكثر فاذا بلغت الزكاة زكاها قال أبو عبيد يعنى أنه يحسب الاقل بقيمته وسعره يومئذ .

٣ ـ اما القول الثالث فان يجعل قيمة الدنانير عشرة عشره اذا ضمها الى الدراهم وان كان السعر بخس من ذلك أو أكثر .

٤ـ أن تكون الدنانير هى المضمونة الى الدراهم بقيمتها أبدا ان كانت اقل من الدراهم أو أكثر

٥ ـ اسقاط الزكاة من المالين جميعا فلايكون فيها شىء حتى تبلغ الدراهم مائتين والدنانير عشرين ولكل واحد من هذه الاقوال وجه يحتمله .

ويستطرد ابو عبيد قائلا فاما الذى ذهب الى الحصص فيقول انما تجب فى المال الزكاة فى ذاته ولا يتحول حق لزم الى غيره ولذلك لا يضم أحدهما الى الاخر . واما الذى ذهب الى ضم الاقل الى الاكثر فانه يجعلها مالا واحدا يقول رأيت الدراهم والدنانير ثمنا للاشياء ولا تكون الاشياء ثمنا لها برأيتهما مع هذا لا يحل بيع احدهما بالاخر نسا فدلنى ذلك على انها نوع واحد فاضم الاقل الى الاكثر يسرة .

وأما الذى يجعل الدنانير عشرة عشرة ولا يلتفت الى قيمتها فانه يذهب الى أنها هكذا عدلت فى الاصل بها .

واننى أختار مذهب الحنفية ومن قالوا بالالتفات الى القيمة وضم أحد النقدين الى الاخر بالقيمة لا بالاجزاء ولا نلتفت الى سعر الصرف الثابت المحدود وهو ١ : ١٠ بل نلتفت الى القيمة الحقيقة الحالية عند التقويم أى القيمة الجارية .

وسوف نناقش فى البحث القادم باذن الله قضية الفوائد الحالية للبنوك وصناديق التوفير والاطار الشرعى والاقتصادى للبنوك الاسلامية .

والله الموفق والمستعان .

بقية مقال « تكريم المرأة »

بأكمل الاديان وأتم الرسالات .. وكان سيدنا الرسول هو أول من استجاب لداعى الله .. فكل ما نزل من الله وحيا عليه فى القرآن الكريم .. ففهمه الرسول .. ونقله وأبلغ به .. ولا شك أنه كان أول من عمل به ونفذه .. كما علمه ربه كيف السبيل الى تنفيذه ..

وكان مما دعا اليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا ، تكريم المراة ، ودفعها دفعا الى ان تشارك فى المجتمع باعتبار انها نصفه تماما ، فقد دعا الى بذل الخير للزوجة فقال صلى الله عليه وسلم ، « **خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى** » .

واول مقصود الاهل هو الزوجة .. اذ انه فى باقى أحاديثه الشريفة فى هذا الموضوع يتضح ذلك فى مثل الحديث الشريف ، « **استوصوا بالنساء خيرا** » .

وهذا حديث أعم واشمل .. فالتوصية على النساء عموما ، زوجة أو ام او ابنة او جارة او زميلة ، وليس ادل على ما يبغيه سيدنا الرسول من طلب احسان الرجل لمعاملته لزوجته من أنه طالب الرجل بان يخدم زوجته ولم تصل بعد اى دعوة اصلاحية فى اى بقعة من العالم الى ان تفكر فى ذلك وحبب صلى الله عليه وسلم الى الرجل ذلك فى مثل حديثه : « **اذا سقى الرجل امراته الماء اجر** » .

ولقد ارست السنة النبوية الشريفة قاعدة فى علاقة الرجل بزوجته تعتبر من اكرم وانظف واعف ما يمكن أن توضع علاقة بين الزوجين ، اذا نها تهدف اساسا الى تدعيم الثقة بين الرجل وزوجته واشعار الزوجة ايجابيا بهذه الثقة ، اذ يقول صلى الله عليه وسلم : « **اذا أطال احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلا** » .

ولقد اكدت السنة الفعلية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حضر من سفر أو عاد من قتال أرسل الرسل لتبلغ الاهل ان المسافرين قد عادوا . واذا كان موعد حضورهم ليلا عسكروا خارج المدينة حتى يلوح النهار وتكون أخبار وصولهم قد انتشرت . ولا شك أن العلماء والبحاث قد وقفوا وقفة الدراسة والتعلم والاحترام أمام هذه اللفتة الكريمة من السنة النبوية ، فهى تبعث الثقة والثقة الكاملة فى الزوجة وتشعرها بها . فلا تلصص ، ولا ترقب كما يفعل بعض الازواج ، وهى كذلك تؤكد المحبة بين الازواج ، اذ لا يرى الزوج زوجته الا وهى على أتم استعداد للقائه .. فلا يرى فيها عيوبا تحاول أن تخفيها ، ولا يراها فى حالة لا توافق هى على أن يراها عليها .. كما أنها السبيل الى ان تتخذ الزوجة كل استعداد للقاء زوجها ، فان كانت بالخارج عادت لتنتظره ، وان كانت تعمل فى بيتها اسرعت فى انجازه ، وبادرت الى اعداده .

صلى الله عليه وسلم الذى لم تمنعه اعباء الرسالة ، وجهاد الدعوة ، وقتال الخصوم والاعداء ، من أن يسابق زوجته رضى الله عنها ، فلما سبقها ، واحس أنها لم يسعدها أن يسبقها ، سابقها مرة أخرى متعمدا ان يجعلها تسبقه .. ادخالا للسرور على قلبها .. وحفاظا على أسباب سعادتها .

وهكذا تدعو السنة النبوية الى تكريم المراة ، وتحريرها مما كانت فيه من تخلف وتبعية للرجل ، سابقة كل دعوة علمية باربعة عشر قرنا من الزمان .

أنواع الخبر

الحديث عند الأصوليين

الدكتور محمد سعاد جلال

ويمهد له بذكر مقدمات ثلاث
المقدمة الاولى فى معنى الخبر

يطلق الخبر فى كلام الناس ويراد به أحيانا الاشارات الحالية . والدلائل المعنوية : يقال « خبرتنى عيناك بكذا » وأخبرنا الغراب كبذا » : بمعنى أشارت عيناك بأمر ، ودل صنيع الغراب على معنى ، ومنه قول المتنبي :

وكم لظلام الليل عندى من يد
تخبر أن « المانوية » تكذب [1]

ويطلق ويراد منه « قول مخصوص » :

لكن دلالته على المعنى الاول مجاز ، وعلى المعنى الثانى حقيقة ، لانه هو المبادر الى الفهم عند اطلاق اللفظ ، والغالب انما هو اشتهار اللفظ عند اطلاقه فى معناه الحقيقى لا المجازى .

والقول المخصوص : أيضا يطلق ويراد به معنى حقيقى : هو ذات الصيغة التى يتألف منها القول . كقولنا « أقبل محمد » « وتكلم على » ومعنى مجازى وهو الكلام النفسى القائم بالنفس ، كما هو متقرر فى علم الكلام وانما كان الاطلاق فى المعنى الاول حقيقيا وكان مجازيا فى المعنى الثانى ، تأسيسا على حكم التبادر ـ كما أشرنا .

تعريف الخبر : اختلف العلماء فى امكان تعريف الخبر ، فمنهم من قال : لا سبيل الى تعريفه ، وأكثرهم قائلون بامكان تعريفه وعرفوه فعلا بعدة تعاريف يأتى ذكرها .

أما من ذهب من العلماء الى عدم امكان تعريف الخبر ، فقد قال : انه معروف بضرورة العقل : لان كل احد يعلم بالضرورة الموضع الذى يحسن فيه الخبر عن الموضع الذى يحسن فيه الامر ، فيستحيل أن يستعمل احدهما فى موضع الاخر ، ولولا ان هذه الحقائق مقصورة لما كان الامر كذلك .

وهو استدلال مردود لان كل واحد انما يعلم ذلك بعد ان ثبت عنده العلم بما هو الخبر ، وما هو الامر : اما قبل علم ذلك فلا يسلم القول بتصورهما ضرورة .

واما أكثر العلماء الذاهبين الى القول بامكان تعريف الخبر ، وأنه يعرف بالحد ، والنظر فقد عرفوه بعدة تعريفات نسوقها بجملتها ـ كنوع من تاريخ الفكرة ، ثم نختار منها ما هو اصحها .

قالت المعتزلة ، كالجبائى وابنه وابى عبد الله البصرى ، والقاضى عبد الجبار ، وكثير غيرهم : « ان الخبر هو الكلام الذى يدخله الصدق والكذب »

وقال بعضهم « ان الخبر ما دخله الصدق ، او الكذب .

وقيل : « ما دخله التصديق والتكذيب » بالواو العاطفة .

أو هو « ما دخله التصديق او التكذيب » بـ « او » العاطفة .

وهذه الجملة من التعاريف معترضة بأمرين :

[1] المانوية طائفة من الفرس كانوا يعتقدون أن الظلام اله الشر والنور اله الخير ولكن المتنبى كان يتمتع بظلام الليل فى الفرار من أعدائه أو فى لقاء احبائه فلم يكن الظلام فى واقعه شرا واليد الصنيعة والجميل .

أولهما : ان اعتبارها يفضى الى الدور المبطل للتعاريف : لان تصور الخبر فيها متوقف على تصور الصدق ، والكذب : والصدق ، انما هو خبر مطابق لمخبره ، والكذب نقيضه : فالصدق والكذب – من حيث هما خبران يتوقف تصورهما على تصور الخبر ، المتوقفة معرفته عليهما فكان ذلك دورا مقتضيا بطلان هذه التعاريف بالا يخرج عن ذلك تعريف بعضهم بأن الخبر هو : « مادخله التصديق والتكذيب لان المؤدى واحد فان التصديق متوقف على تصور الصدق – وكما علمنا فتصور الصدق متوقف على تصور الخبر ، الذى فرضنا أنه – هو الاخر – متوقف على تصور الصدق فآل الامر الى ان يكون التصديق متوقفا على الخبر ، وبالعكس وكل ماحدث من التغيير بالاضافة للتعريف المذكور هو زيادة واسطة فى سلسلة العناصر التى يتوقف بعضها على بعض والدور هو حاصلها جميعا .

وثانيهما : ان كلام الله ورسوله لا يدخلهما الكذب ولا التكذيب فلم تصح هذه التعاريف ، من هذه الجهة ايضا

وقال أبو الحسن البصري : الخبر : « هو كلام يفيد بنفسه اضافة مذكور الى مذكور بالنفى او بالاثبات »

وهو تعريف معترض بعدم كونه مانعا لانه يدخل فيه مثل قولنا ، « الغلام الذى لزيد » أو ليس لزيد » فانه مشتمل على اضافة مذكورين ، احدهما للاخر ، على جهة الثبوت ، او النفى : ولا يدفع الاعتراض بان ما مثل به لا يسمى كلاما ، من حيث هو لا يحسن السكوت عليه فيسلم التعريف لانا نقول ان الكلام فى رأى صاحب التعريف هو « ما انتظم من الحروف المسموعة » من غير قيد آخر ، والكلمة عنده « كلام » فما مثل به صح كونه نقضا عليه خاصة

وقال بعض المتأخرين – كما نقل شارح « البزدوى » الخبر هو ماتركب من أمرين حكم فيه بنسبة أحدهما للاخر نسبة خارجية يحسن السكوت عليها » ويتضح التعريف بتحليل أجزائه على النحو الاتى :

١ – قوله « ما تركب من أمرين » بديلا عن قوله من كلمتين ، أو لفظتين مثلا ليشمل التعريف الخبر النفسانى » : وان سبق تنبيهنا الى أن اطلاق « الخبر » على الكلام النفسى مجاز ، فلعل صاحب هذا التعريف لا يرى هذا الرأى .

٢ – وقوله حكم فيه بنسبة أراد به الاحتراز عما تركب من أمرين ، لم يحكم فيه بنسبة أحدهما للاخر ، كقولنا زيد الجميل .

٣ – وتعيين النسبة بكونها خارجية احتراز عن دخول صيغة الامر » فى التعريف اذا المراد بالنسبة الخارجية هى التى يكون لها مدلول فى الواقع ان طابقته صحت ، وان خالفته لم تصح كقولنا « **الله** موجود » .

٤ – وقوله « يحسن السكوت عليها » احتراز عن دخول بعض المركبات التقيدية التى لا يحسن السكوت عليها – كقولنا « ان قام زيد » وينتهى تطور هذه التعاريف فى محاولات نحو الكمال للوصول الى التعريف الذى وضعه « الامدى » ، ولعله أنضج التعاريف كلها : قال الامدى : « الخبر عبارة عن اللفظ الدال بالوضع على نسبة معلوم الى معلوم سلبا او ايجابا ، على وجه يحسن السكوت عليه ، من غير حاجة الى تمام مع قصد المتكلم به الدلالة على النسبة أو سلبها » . ونسوق اليكم تحليل مادة هذا التعريف على النحو الاتى :

١ – أما قوله فى التعريف « الخبر » ، فهو كالجنس للخبر وغيره ، ويمكن ان يخرج به « الخبر المجازى » الذى يراد منه الاشارات الحالية ، والدلائل العقلية » كما سبق من قولنا فى ذلك .

٢ – وقوله : اللفظ « الدال » : احتراز عن اللفظ المهمل .

٣ – وقوله « بالوضع » احتراز عن اللفظ الدال بجهة الملازمة .

٤ – وقوله « على نسبة » : احتراز عن أسماء الاعلام وعن كل مركب لفظى ليس له دلالة على نسبة ما كما سبق بيانه ، والتمثيل له .

٥ – وقوله « معلوم الى معلوم » : أراد بذكره شمول التعريف للموجود والمعدوم ، من طرفى النسبة كقولهم الله موجود ، وشريك البارى معدوم .

٦ – وقوله سلبا أو ايجابا : أراد بذكره شمول جميع النسب الحاصلة ، كقولنا : « زيد فى الدار » ، « زيد ليس بالدار » .

٧ – وقوله : « يحسن السكوت عليه ، من غير حاجة الى تمام » : أراد به الاحتراز عن النسب التقيدية : كقولنا : غلام زيد ، وان طلعت الشمس من المركبات اللفظية التى لا يحسن السكوت عليها .

٨ – وقوله : مع قصد المتكلم الدلالة به على النسبة ، أو سلبها : هو احتراز عن صيغة الخبر ، اذا وردت حيث لا تكون خبرا ، كالواردة على لسان

الساهي ، والنائم ، والحاكي لها ، أو ، وردت وكان المقصود بها الامر مجازا كقوله تعالى « **والوالدات يرضعن** » « **أولادهن** » : وقوله « **والجروح مصاص** » « **ومن دخله كان آمنا** » ، حيث لم يقصد بها الدلالة على النسبة ، أو سلبها ، وانما قصد به طلب مضمونها .

المقدمة الثانية : فى انقسام الخبر الى صادق وكاذب

ينقسم الخبر الى قسمين : خبر صادق ، وخبر كاذب : والخبر الصادق ما طابق مخبره ، والخبر الكاذب : ما لم يطابق مخبره .

وذهب « الجاحظ » الى أن أقسام الخبر ثلاثة : خبر صادق يطابق مخبره وخبر كاذب ، لا يطابق مخبره ، وخبر ثالث ، هو واسطة بينهما ، لا يوصف بكونه صادقا ، ولا كاذبا . وقد استدل على ذلك بالنص ، والمعقول . أما النص ، فقوله تعالى – حكاية عن الكفار – قولهم عن النبى – عليه السلام – « **افترى على الله كذبا أم به جنة** » .

ووجه الاستدلال به ، انهم حصروا دعواه النبوية بين كونه كاذبا ، وبين كونه موصوفا بالجنة ، وما يقوله حال الجنة ، لا يعد كذبا – لانه مقابل بالكذب ولا يعد صدقا لانهم لا يعتقدون صدقه على كل تقدير ، فثبت كون ما يقوله حال الجنة واسطة بين الصدق ، والكذب .

وأما المعقول فبيانه من وجهين :

أحدهما : ان من اخبر بأن زيدا فى الدار على اعتقاد انه ليس فيها ، وكان فيها ، فانه لا يوصف بكونه صادقا فى خبره ، ولا يستحق المدح على فعله ، لانه لم يرد بيان الحقيقة ولا يوصف بكونه كاذبا ، لان خبره وقع مطابقا لمخبره

وكذلك من اخبران زيدا فى الدار على اعتقاد انه فيها ، ولم يكن فيها ، فانه لا يوصف بكونه كاذبا . ولا يستحق الذم على فعله ، كما انه لا يوصف بكونه صادقا لان خبره لم يطابق مخبره .

ففى ضوء هذين المثالين امكن أن نتصور أن بعض الاخبار لا يمكن وصفها بالصدق . ولا وصفها بالكذب . فتعتبر واسطة بين الصدق والكذب

وثانيهما : اننا لو حصرنا أقسام الخبر بين الصادق والكاذب ، والغينا الواسطة بينهما . للزم من ذلك دخول الكذب على كلام الله تعالى . بتخصيص خبره العام . وتقييد خبره المطلق لان الخبر العام قبل التخصيص والمطلق قبل التقيد ما لم يكن مطابقا لمخبره .

واذن فليس الخبر الصادق هو ما طابق مخبره . والكاذب ما لم يطابق مخبره فقط . بل الخبر الصادق هو ما طابق مخبره مع اعتقاد المخبر انه كذلك . والخبر الكاذب هو ما لم يطابق مخبره ، مع اعتقاد المخبر أنه كذلك كما يريد الجاحظ أن يقول .

رد هذا المذهب : وقد ردت أدلة هذا المذهب من قبل الجمهور : اما عن الاية : فوجه ذلك ان المشركين حصروا خبر النبى بين كونه كذبا مفترى على الله وكونه خبرا صادرا عن ذى جنة : وعلى افتراض صدوره عن ذى جنة ، فلا يعد خبرا لان شرط صحة الخبر هو أن يقصد المتكلم الدلالة به على مخبره . كما قدمنا والمجنون بمعزل عن ذلك .

واذن فهؤلاء الكفار لم يريدوا بقولهم المذكور حصر خبره بين كونه كذبا ، وكونه واسطة لصدوره عن ذى جنة ، بل ارادوا حصر خبره بين كونه كذبا ، وكونه تخاليط مجنون لا توصف بكونها خبرا أصلا . فانتفى دلالة الاية على وجود ما يسمى « واسطة » بين ما هو صادق ، وما هو كاذب من الاخبار

وأما عن الوجه الثانى : فانا نقول أن خبر القرآن العام ، أو المطلق الموضوع على أساس أنه مخصص ، أو مقيد ، لا يجوز الحكم عليه قبل تخصيصه ، أو تقييده بعدم مطابقته لمخبره لانه لما كان موضوعا كذلك . كان مصروف الدلالة عما يفيده بحسب عمومه او اطلاقه الى المقصود باستعماله ، وهو دلالته على معناه بقيد التخصيص فى العام ، وشرط التقييد فى المطلق . وهو بهذه المثابة لا يكون الا خبرا مطابقا لمخبره ، فلا يصح أن يعد خبرا كاذبا . أو « واسطة » بل يتعين أن يكون خبرا صادقا . وهو من قبيل صرف اللفظ عن حقيقته الى مجازه قبل تبين المراد منه ، وصرف اللفظ عن احد مدلوليه الى الاخر لا يكون كذبا . وسواء كان اللفظ من قبيل المشترك ، أو من قبيل المجاز : فان من قال رايت « عينا » واراد بها نبع الماء دون الباصرة لا يعد خبره كذبا ، وكذلك من قال « رايت أسدا » واراد به معناه الحقيقى لا المجازى لا يعد كاذبا فى خبره .

السُّمُوّ الإنسانى فى ديننا الحنيف

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

حينما يتأمل المرء المنصف . بنظره الثاقب . وفكره الرائد . منزها عن كل تعصب . بريئا من أى عاطفة منحازة أى انحياز . أو منحرفة أى انحراف . أو مائلة أى ميل .. ملتزما جانب الحق والعدل والصدق متمسكا بما توحى به العقول السليمة الكريمة . المجردة عن الهوى ..

أقول .. حينما يتأمل هذا المنصف ـ فى الدين الاسلامى الحنيف ـ وفيما جاءت به الشريعة المحمدية الغراء .. من آداب وأحكام . ومبادىء وتقاليد . ونصائح ووصايا . وفيما فرضته من تكاليف . وفيما دعت اليه من توجيهات . فى التعامل وفى السلوك .. بين المرء وبين نفسه . وبينه وبين الخالق جل وعلا وبينه وبين ذويه واهله وعشيرته .وبينه وبين جيرانه وأصدقائه ومعارفه . وبينه وبين الناس جميعا من مختلفى الاجناس والاديان ـ فى كافة المعاملات وفى جميع الاتصالات والتصرفات .

نعم .. اذا تأمل المرء فى هذا كله .. يرى أن هذا الدين . قد سما بالانسانية سموا عظيما . وترقى بها رقيا كريما .. لا يمكن أن يدانى .. ولا يوجد مثله فى أى شريعة من الشرائع الاخرى . ولا فى أى نظام من النظم الالهية أو الوضعية .. ولا فى أى تقاليد أمة من الامم . فى كافة بقاع الارض . شرقيها وغربيها ـ من يوم أن خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا وما فيها الى وقتنا هذا . ولا يتصور اطلاقا أن يجود بمثل هذا السمو . وهذا الرقى . أى نظام آخر فى مستقبل الازمان .. وهذه حقيقة لا يمارى فيها أحد .. ولا يشك فيها انسان ..

والمتأمل حينما يبدأ تأمله هذا .. يرى نفسه أمام صرح ضخم عال مترامى الاطراف .. متعدد النواحى والجوانب . لا يمكن لاحد مهما أوتى من القوة والادراك أن يحيط به ..

ولو قصد الباحثون والعلماء أن يحيطوا بنواحى هذا السمو الانسانى فى الدين الاسلامى الحنيف . لاحتاجوا الى مؤلفات كبيرة . وأزمان كثيرة .. ثم هم بعد ذلك لا يمكنهم أن يحيطوا بها .

ونحن فى هذا المقال . نعرض لبعض هذه النواحى على سبيل المثال فنقول وبالله التوفيق

لقد كرم الله الانسان تكريما عظيما وسما به سموا رائعا ـ يقول جل ذكره فى كتابه العزيز « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الاية ٧٠ من سورة الاسراء .

فهذه الاية تبين أن الحق تبارك وتعالى قد كرم بنى آدم يعنى بالعقل والادراك والفهم والتميز والنطق والكتابة وحسن الصورة وتدبير أمر المعاش والمعاد . وأنه سبحانه وتعالى سخر لهم الخيل والبغال والحمير والابل وسائر ما يحملهم على الارض كالسيارات والقطارات ونحوها . وكذلك سخر لهم السفن تحملهم فى البحر . وكذلك الطائرات تحملهم فى الجو ورزقهم سبحانه من الطيبات ومن لذائذ الاطعمة والاشربة ما يجل عن الحصر ويسمو عن العد . وفضلهم على كثير من خلقه . فخواص بنى آدم كالانبياء افضل من خواص الملائكة . وعوام الملائكة أفضل من عوام بنى آدم . والله تعالى يقول « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** » الاية ٧ من سورة البينة ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال [المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده] ..

ويقول الله عز وجل « **وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين** » الاية ١٩٥ من سورة البقرة ..

ففى هذه الاية الكريمة أمر الله تعالى بأمرين :

ونهى عن واحد .. أمر بالانفاق فى سبيل الله وبالاحسان ونهى عن أن يعرض المرء نفسه الى الهلاك ..

وكل انفاق فى خير .. فهو انفاق فى سبيل الله . كالانفاق فى الجهاد أثناء الحرب . وفى تجهيز الغزاة المحاربين . وكالانفاق فى الحج والعمره وصلة الارحام . والصدقة على الفقراء . والانفاق على النفس والاهل وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى ..

والاحسان أداء العبادة لله تعالى .. بالقيام بما فرضه سبحانه والانتهاء عما نهى عنه - **وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال [ان تعبد الله كانك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك]** فالمراد صدق العبادة والاخلاص فيها ..

وقد ذيل الله تبارك وتعالى هذه الاية الكريمة بقوله سبحانه « **ان الله يحب المحسنين** » وهى فى مقام التعليل لما قبلها .. أى أحسنوا لانه يحب المحسنين . وهى فى ذاتها قضية عامة كريمة .. تبين منزلة المحسن عند الله . وأنه سبحانه يحبه .. وهذا الحب يستتبع الرضى والمعونة والاثابة والامداد بكل ما يطلبه المرء ويحتاج اليه ..

والنهى عن تعريض المرء نفسه للهلاك صريح فى هذه الاية . فيجب على المرء شرعا ودينا .. ان يصون نفسه وبدنه عن كل ضرر يصيبه مهما كان هذا الضرر ولو يسيرا ..

ولذلك ألزمت الشريعة الاسلامية المريض بالافطار فى شهر رمضان . اذا كان الصوم يضره ضررا لا يحتمل فى العادة مع أن الصوم فى شهر رمضان ركن من أركان الاسلام لا يتم اسلام المرء الا به .. اذا تعارض مع صحة الجسم وسلامة البدن قدمت رعاية الصحه البدنية عليه رحمة من الله تعالى وعدلا ..

كذلك اذا كان الانسان مسافرا فى شهر رمضان سفرا طويلايبيح قصر الصلاة فالافضل له أن يفطر .. حتى ولو لم يتضرر بالصوم فى سفره .. وتلك نعمة من نعم الله تعالى على عباده .. لان العادة وقوع المشقة فى السفر ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول [**ليس من البر الصيام فى السفر**] .. كذلك هل الافضل للمسافر فى هذه الحالة أن يقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر مثلا ركعتين أو يتمها فيصليها أربع ركعات ؟؟ قال العلماء .. الافضل أن يصليها ركعتين .. وثوابه أكثر وأوفر من الاتمام ..

يقول صلى الله عليه وسلم [**ان الله يحب أن تؤتى رخصة .. كما تؤتى عزائمه**] فالفطر فى السفر فى شهر رمضان بالنسبة للمسافر رخصة من رخص الله تبارك وتعالى وقصر الصلاة كذلك رخصة من الله تبارك وتعالى .. فما أروع هذا .. وما أجله ؟ !

ولو أصبح انسان ما صائما تطوعا لله تعالى .. ثم زاره ضيف .. فهل الافضل له شرعا ودينا أن يواصل صيامه الى غروب الشمس ثم يفطر .. أو يفطر ليأكل مع ضيفه ليكرمه ويبعث الى نفسه السرور ؟ ..

الشريعة الاسلامية الغراء تقرر ان الافضل له ان يفطر اكراما لضيفه . وله على ذلك من الله تعالى ثواب أعظم وأوفر ! ..

فانظر يا أخى الى هذا السمو الانسانى الرائع !!

وهذه الاحكام ونحوها كثيرة .. ومقررة ومدروسة فى كتب الفقه الاسلامى .. قال العلماء : - لو كان المرء جائعا .. وهو لم يصل فريضة الظهر مثلا .. وفى الوقت سعة .. والطعام حاضر .. فهل الافضل له أن يقدم الطعام على الصلاة . أو يقدم الصلاة على الطعام ؟؟ ..

قالوا .. الافضل شرعا ودينا .. أن يقدم الطعام على الصلاة .. وهم لذلك ولما أسلفنا لك فى الصوم يقولون [صحة الابدان مقدمة على صحة الاديان] ..

كذلك أوجبت الشريعة الاسلامية على المرء أن يحافظ على ماله وحث حثا شديدا على أن يعتدل فى الانفاق .. فلا يقتر ولا يبذر . يقول جل ذكره « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** » الاية ٢٩ من سورة الاسراء ..

ففى هذه الاية الكريمة نهى عن البخل . وعن الاسراف . مثل سبحانه وتعالى البخيل . الذى لا ينفق بالحق .. بمن تكون يده مغلولة ومربوطة فى عنقه ورقبته . فهى لا تنفق - ومثل المسرف بمن ترك يده مبسوطة بسطا تاما مجردا عن الحكمة والروية - وبين أن الاول وهو البخيل . يذمه الناس ويلومونه . وان الثانى المبذر المسرف . يصبح محسورا تصيبه الحسرة والندامة على فقد ماله . وضياعه فى غير حقه وموضعه ..

وقال سبحانه وتعالى فى ذم المبذرين « **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** » الاية ٢٧ من سورة الاسراء ..

فجعل سبحانه المبذر أخا للشيطان ووليا له وصديقا يطيعه فيما يأمره به ويزينه له من الاسراف والتبذير . وهذا غاية فى الذم . لانه لا أشر من الشيطان . ولا أحط منه منزلة عند الله .. فانه كفور جحود بنعمة الله تعالى ..

فكل انسان مسئول أمام الله تعالى عن نفسه وصحته . وعن ماله . وعن عرضه .. وعن كل ما يتصل به من خيرى الدنيا والاخرة .. مكلف بان يرعاها . ويبرم فيها الاحسن والاصلح ..

والشريعة الاسلامية تهدف من وراء ذلك كله الى السمو بالانسان وتوفير الخير والسعادة له . وصيانته من كل ضرر ..

ويقول صلى الله عليه وسلم [**لا ضرر ولا ضرار**] فهذا قول كريم حكيم . يقرر انه لا يجوز للانسان ان

يفعل شيئا ما يكون فيه ضرر لنفسه أو أضرار بغيره ..

والتكاليف الاسلامية أساسها التيسير والرفق بالانسان - يقول جل ذكره « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » من الاية ٢٨٦ من سورة البقرة ..

فهذه الاية صريحة فى أن الله تعالى لا يكلف الانسان الا بما يستطيعه ويقدر عليه ..

ويقول سبحانه أيضا « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » من الاية ٧٨ من سورة الحج ..

فهذا صريح فى أن الحق تبارك وتعالى لم يجعل على عباده فى الدين حرجا ولا ضيقا ولا شدة . بل يسر على عباده تيسيرا عظيما ..

ويقول سبحانه « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**] من الاية ١٨٥ من سورة البرقة ..

فهذا قول واضح صريح فى أنه تعالى يريد بعباده اليسر والتسهيل . ولا يريد بهم العسر والمشقة .. وان كان هذا واردا فى شأن الصيام .. الا أنه عام فى سائر التكاليف الدينية . اذ من المقرر عند كافة العلماء أن العبرة بعموم اللفظ . لا بخصوص السبب ..

قال العلماء : ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما الا كان ذلك أحب الى الله تعالى ..

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه رضوان الله عليهم [**اذا أمرتكم بشىء فائتوا منه ما استطعتم**] .. فهذا غاية فى السماحة والتيسير ..

ويقول صلوات الله وسلامه عليه [**لا صلاة على نائم**] فاذا نام العبد . وفاته صلوات أثناء نومه . فلا وزر عليه وانما عليه أن يقضيها بعد أن يستيقظ من نومه ..

وقال صلى الله عليه وسلم [**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** [..

فاذا فعل العبد ذنبا بطريق الخطأ من غير عمد أو فعله ناسيا . أو أكره عليه فلا اثم عليه ولا وزر ..

ويقول رب العزة سبحانه « **كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم** ! من الاية ٥٤ من سورة الانعام ...

فتأمل يا أخى هذه الرحمة الالهية . وهذا الحنان الربانى الكريم ...

فهو سبحانه وتعالى . قد كتب وفرض على نفسه وذاته المقدسة . الرحمة بعباده كرما وتفضلا ومن مظاهر هذه الرحمة . أنه لو عمل انسان عملا سيئا جهلا وغفلة . ثم تاب الى الله تبارك وتعالى من هذا العمل .. وعمل أعمالا صالحة . فان الله تعالى ، يغفر له ذنبه . ويتولاه بفضله ورحمته ورعايته ...

قال مجاهد رحمه الله .. كل من عمل ذنبا أو خطيئة . فهو بها جاهل ...

ومن مظاهر الرحمة الالهية .. ما حدث عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله [**ان الله تبارك وتعالى يمد يده بالليل . ليتوب مسىء النهار . ويمد يده بالنهار . ليتوب مسىء الليل**] ...

وفى الحديث القدسى . يقول عز وجل [**لانين التائبين احب الى من زجل المسبحين**] ..

فانظر يا خى الى هذا الحنان الالهى العظيم !...

والشريعة الاسلامية ، لا تفرق بين الناس بسبب اللون . أو الجنس أو الجاه أو المال أو القوة - يقول صلى الله عليه وسلم [**لا فضل لعربى على عجمى . ولا لابيض على أسود . الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله اتقاكم**] ...

ويقول عز وجل « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » **الاية ١٣ من سورة الحجرات** ...

ومن المقاصد التى أرسى الاسلام قواعدها [العدل] يقول جل ذكره « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به أن الله كان سميعا بصيرا ! الاية ٥٨ من سورة النساء** ...

فهذه الاية الكريمة تخبر بأن الله تبارك وتعالى أمر عباده بأداء الامانات الى أصحابها . وأمرهم أن يحكموا بالعدل بين الناس . وبين أن هذا الذى أمرهم به . ووعظهم باتباعه . نعم الشىء . ونعم العمل . فهو أمر عظيم . وعمل جليل - وقد ذيل سبحانه الاية بأنه سميع لما يقول العباد . بصير بما يفعلون . فاذا حكموا .. فهو يسمع حكمهم . واذا أدوا الامانات .. فهو يبصر فعلهم

روى الامام مسلم رحمه الله . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن . وكلتا يديه يمين . الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**] ...

والمقسط . هو العادل .. وروى الترمذى رحمه الله . عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا . امام عادل . وأبغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا . امام جائر**] ..

ويقول سبحانه وتعالى « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** » **الاية ٩٠ من سورة النحل** ...

فهذه الاية الكريمة جمعت بين ثلاثة أوامر .. العدل . والاحسان . وايتاء ذى القربى - أما العدل فهو من أجل الصفات وأسماها عند الله تعالى كما أسلفنا . وقد اشتهر قول الحكماء [**العدل أساس**

الملك] فلا يستقيم الملك الا به – والاحسان يعنى فى كل شىء فى العبادة وفى التعامل مع الناس . حتى مع من يسىء اليك . قال صلى الله عليه وسلم .. [أحسن الى من أساء اليك تكن أعبد الناس] ...

فانظر يا أخى الى هذا التشريع الحكيم الكريم . الذى لا يكتفى بطلب الصفح عن المسىء . والعفو عنه .. بل يطلب الاحسان اليه ... وهذه منزلة كبرى . لا يقدر عليها الا المقربون ... ولذلك كانوا أعبد الناس . وأعرفهم بحقيقة انفسهم من العبودية لله تعالى .. والاقرار له سبحانه بالالوهية المطلقة . والعظمة التامة – واما ايتاء ذى القربى . وهم الاقارب . سواء أكانت قرابتهم قريبة أو بعيدة .. فيستحب للمرء أن يصل رحمه وأهل قرابته من فضل ما رزقه الله وأعطاه .. فان لم يكن عنده فضل . فقول حسن ودعاء طيب .. وصلة الارحام لها فضل عظيم عند الله تعالى ..

وجمعت الاية أيضا . بين ثلاثة منهيات . الفحشاء . والمنكر . والبغى – أما الفحشاء . فهو ما قبح من فعل او قول . ويدخل فيه الزنا ونحوه – والمنكر هو الشرك والكفر .. أى هو ما تنكره الشرائع السماوية – البغى هو الظلم والعدوان ..

وذيل سبحانه وتعالى الاية . ببيان أنه وعظ عباده بهذه الاوامر وهذه النواهى . ليتذكروا ويعملوا ما فيه رضا الله تعالى ...

وهذه الاية الكريمة . من أجل الايات القرآنية وأسماها .. قال ابن مسعود رضى الله عنه – ان أجمع آية فى القرآن لخير وشر . هذه الاية .. وروى عكرمة رحمه الله . أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية على الوليد بن المغيرة . وكان من بلغاء العرب وفصحائهم .. فقال للنبى صلى الله عليه وسلم . يا بن أخى . أعد على ... فأعادها عليه .. فقال له الوليد .. والله ان له لحلاوة . وان عليه لطلاوة .. وان اعلاه لمثمر . وان اسفله لمغدق . وما هو بقول البشر ...

والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول فى بيان وجوب اقرار العدالة والتسوية بين الناس فى تنفيذ حدود الله وأحكام شريعته [لو أن فاطمة بنت محمد سرقت . لقطع محمد يدها] ...

فما أجل هذا .. وما أسماه !! ...

والشريعة الاسلامية أوجبت الزكاة . فجعلت فى اموال الاغنياء . حقا معلوما للفقراء . وجعلت ذلك ركنا من أركان الاسلام . ولا شك أن الزكاة من المبادىء الاسلامية الرائعة . التى يترتب عليها اسعاد المجتمع الانسانى . وحفظه من آفات الفقر . وسلامته من عوامل الفوضى والحقد والتذمر . التى طالما عرضت النظام العام للهدم والفناء فى كثير من الممالك . التى لم تنعم بالمبادىء الاسلامية . بل قضت عليه فى بعضها ...

والزكاة مظهر من مظاهر التعاون الاسلامى . وأثر من آثار الترابط الدينى . وعامل من عوامل التآلف والمحبة ..

وهى تهذب النفوس . وتكفها عن الشهوات . وتنشر فضيلة السخاء . وتمحو رذيلة الشح . وتطهر المال . وتزيد المرء من الحلال . وتبعث صلة الرحم والشفقة بالفقراء والمساكين . وتدعو الى الزهد والقناعة والرضا والاطمئنان ...

والزكاة مظهر من مظاهر نعم الله . وعلامة واضحة على قوة الايمان والاذعان للمولى سبحانه وتعالى – فان اخراج المال . الذى هو معبود النفس وشقيق الروح . اجابة لامره تعالى . وتنفيذا لشريعته . ورحمة بعباده . من أعظم القرب وأجل الطاعات .

وهكذا .. اذا عرضنا لاى حكم من أحكام الشريعة الغراء . أو أى مبدأ من المبادىء الاسلامية .. نراه يهدف الى السمو بالانسان .. والى اسعاد البشرية ..

وانى لواثق كل الثقة .. أنه لو وقف اخواننا الذين لا يدينون بدين الاسلام . على محاسن هذا الدين الحنيف . وما فيه من سمو وجلال ، وخير .. لبادروا الى اعتناقه . والتمسك بمبادئه . والايمان بالله تعالى . ربا واحدا لا شريك له . ولا معبود سواه . وبسيدنا محمد خاتم أنبيائه . وسيد رسله . عليه الصلاة والسلام ...

وفى ذلك خير كثير للبشرية . وتحقيق لصالح الانسانية .. فانه كلما زالت الفوارق بين الناس . وكلما اتحدت عقائدهم ... كلما ازدادوا خيرا وسعادة . ونعموا بمعنى الاخوة والمحبة والمودة ...

والدين الاسلامى الحنيف هو دين الفطرة – يقول الرسول صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة . وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه] ...

فواجبنا معاشر المسلمين .. ولا سيما القادة والزعماء والمصلحين .. أن نعمل بل ما أوتينا من قوة وجهد . على أن نجلى للناس . فى كافة أنحاء الدنيا . بسائر طرق الاعلان والنشر ، محاسن ديننا الحنيف . وأن ندعوهم الى اعتناقه . والتمسك به .. ليعم الخير سائر الكرة الارضية . وتسود المحبة والمودة بين الناس جميعا .. فكلنا اخوة .. وكلنا أولاد آدم وحواء ...

أسأل الله تبارك وتعالى . أن يمنحنا الهداية والتوفيق . وأن يسلك بنا أعدل سبيل وأقوم طريق . وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا .. فهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير ...

منازل الناس عند الله

فضيلة الشيخ علي فريج حسنيه

ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فى هذه الحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا ويجازى كلا على عمله ، ان خيرا فخير ، وأن شرا فشر ، قال تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» .

ولم يخلقهم عبثا قال تعالى : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » ١١٥ سورة المؤمنون . وقال تعالى تأكيدا لذلك « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » من ٣٨ الى ٤٠ سورة الدخان . ثم بين سبحانه ان المراد بالعبث واللعب الباطل الذى لا يصح ان يصدر من عاقل فضلا عن اله حكيم لا يضع الشىء الا فى موضعه فلا يسوى بين مصلح ومفسد ولا بين كافر ومؤمن ولا بين تقى وفاجر . قال تعالى فى ذلك مخاطبا نبيه داود عليه السلام « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ٢٦ ، ٢٧ ـ ٢٨ من سورة [ص]

ثم ارسل سبحانه رسله مبشرين من اطاع بالجنة، ومنذرين من عصى بنار الجحيم ، ولما جاءت أمة خاتم الرسل انزل سبحانه على نبيها عليه الصلاة والسلام كتابه الكريم المهيمن على كل ما أنزل الى المرسلين السابقين فكان مما جاءه فيه أنه سبحانه بين فيه كل طرق الخير مرغبا فيها وطرق الشر محذرا منها ثم قال لهم « **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا** » ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ من سورة الاسراء .

العاجلة : المراد متاع الحياة الدنيا التى تسبق الحياة الاخرة التى قال سبحانه فيها « **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم فى الاخره الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** » ١٥ ، ١٦ هود .

يصلاها ، يدخلها ويقاس حرها ، **مذموما** : اى ممقوتا من الله وملائكته والناس . **مدحورا** : اى مطرودا من رحمة الله سبحانه وتعالى ، نمد : اى نساعد ونيسر كما قال تعالى « **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** » ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من سورة الليل .

العسرى : اى الطريق التى كلها عسر ومشقة لخلوها من طمأنينة القلب . قال تعالى : « **فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » ١٢٥ سورة الانعام .

وابلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه وأمره بتبليغه لقومه أولا ، ثم للناس كافة فانقسم الناس الى كافرين به جاحدين للحق عنادا وحسدا أو تقليدا لابائهم جهلا بغير علم كما أن منهم من آمن به صلى الله عليه وسلم وهؤلاء ثلاث طوائف كما سيأتى ، وكذلك كان الحال مع جميع الانبياء السابقين فمنهم من آمن ومنهم من كفر . وسيأتى بيان مآل كل فريق من هؤلاء فى الاخرة .

أما المؤمنون به صلى الله عليه وسلم فقد أشار القرآن انهم طوائف ثلاث بعضها يمتاز عن بعض فقال فى الطائفة الاولى وهم المهاجرون « **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** » ٨ سورة الحشر وقال سبحانه فى الطائفة الثانية وهم الانصار « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » ٩ سورة الحشر . وقال سبحانه فى الطائفة الثالثة وهم كل من آمن بعد عهده صلى الله عليه وسلم « **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم** » ١٠ سورة الحشر .

تبوءوا الدار : المراد بالدار المدينة المنورة والذين تبوءوها هم الانصار رضى الله عنهم **وتبوءوا** : أى اتخذوها منزلا دائما . **يؤثرون** : أى أن الانصار يقدمون المهاجرين على أنفسهم ويفضلونهم فى الخير . **خصاصة** : هى الحاجة الشديدة للشىء **ومن يوق** ، أى يقيه الله بسبب تقواه « شح نفسه » الشح صفة للنفس يحملها على شدة الحرص على المال وأما البخل فهو الامتناع عن الانفاق فهو أثر من آثار الشح والذين جاءوا من بعدهم هم التابعون والمؤمنون الى يوم القيامة .

والان نعود لما وعدنا من بيان مآل الفرق الثلاث فى الاخرة :

« **وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الاولين . وقليل من الاخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الاقيلا سلاما سلاما . وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . انا أنشأناهن انشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا . لاصحاب اليمين . ثلة من الاولين . وثلة من الاخرين . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . أنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الاولون . قل أن الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم . ثم انكم أيها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم . فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم** » من ٧ : ٥٥ من سورة الواقعة .

المفردات :

أزواجا : المراد أصنافا . **الميمنة** : المراد بها جهة اليمين وأصحابها هم الذين يعطون كتابهم يوم القيامة بأيمانهم كما فى آية ١٩ من سورة الحاقة . **المشئمة** : هى جهة الشمال بكسر الشين لان من شأنها أن يتشاءم بها وأصحابها هم الذين يأخذون كتابهم يوم القيامة بشمالهم كما فى آية ٢٥ الحاقة . **السابقون** : هم المسارعون الى كل ما دعى الله اليه الفارون من كل ما نهى الله عنه . وداوموا على ذلك طول حياتهم وهم فى كل امة من زمن آدم الى قيام الساعة . وسيأتى بيان ما امتازوا به من أعمال استحقوا بها هذا المصير . **ثلة** : المراد كثير من صدر كل أمة آمنت بنبيها فى حين قوة دعوته . **موضونة** : اى متصل بعضها ببعض بنظام بديع كما فى آية ٢٠ من سورة الطور . **كأس** : أصل الكأس الاناء الذى فيه الخمر . **معين** : هو النهر الظاهر للعيون كما فى آية ١٥ من سورة محمد . **يصدعون** : لا يصيبهم صداع ناشىء عن شربها كخمر الدنيا . **ولا ينزفون** : أى يخرج ما فى بطونهم من الطعام بسببها . **الحور** : جمع حوراء من الحور بفتحتين وهو أن يغلب سواد العين على بياضها مع قوة كل منهما . **وعين** : واسعة العينين . **المكنون** : أى المحفوظ حرصا عليه . **لغوا** : أى الكلام الذى لا معنى له فاقد الثمرة . **تأثيما** : أى الكلام الذى يوجب اثما وذنبا . **سدر مخضود** : أصل السدر وهو شجر النبق . ولكنه ليس كما فى الدنيا بل هو فاكهة تليق بأهل الجنة . **مخضود** : تقول العرب خضد فلان الشجرة بوزن خرب اذا قطع شوكه ولم يبق فيه الا

الثمر . والمراد أن سدر الجنة ليس فيه شوك . **وطلح** : هو الموز . **منضود** : متراكب بعضه فوق بعض وليس فى ساقه مكان خال من الثمر . **انا انشأناهن انشاء** : اى اوجدناهن من جديد والضمير يعود على زوجات الجنة التى اشار القرآن اليها اشارة لطيفة بقوله « فرش » فهن مفهومات من المقام كما فهمت الارض فى آية « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ... » . **عربا** : جمع عروب بفتح العين وهى المرأة شديدة الحب لزوجها . **أترابا** : جمع ترب كسر التاء وهو المساوى لغيره فى السن والمراد ان جميع نساء الجنة جميعا يكن فى سن الشباب . **لاصحاب اليمين** : هذا مرتبط بالفعل فى قوله « انشأناهن » اى انشأن الزوجات لاصحاب اليمين وهم كثير من الاولين والاخرين . **واصحاب الشمال** : هم اصحاب المشأمة السابقون . **سموم** : هو لهب النار . **حميم** : ماء شديد الحرارة . **يحموم** : المراد به الدخان شديد الحرارة والسواد . **كريم** : المراد من الكرم هنا حسن المنظر . **مترفين** : اى منعمين بما شغلهم عن خطر ذلك اليوم . **يصرون** : يداومون ولا يتوبون . **الحنث العظيم** : اى الذنب الكبير وهو كل كبيرة ، وافظعه الشرك به تعالى . **شجر من زقوم** : الزقوم اسم لشجرة صغيرة منتنة الرائحة مرة الطعم تنبت بأرض تهامة ينبتها الله لهم فى جهنم كما قال فى آية ٦٤ من الصافات « **انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم** » . **الهيم** : من الابل الشديدة العطش .

والان نعود الى بيان أعمال هؤلاء السابقين التى نالوا بها هذا الفوز العظيم قال تعالى :

« **وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما** » . من ٦٣ الى ٧٦ سورة الفرقان .

المفردات :

هونا : الهون هو الرفق واللين والمراد به هنا الصفة ، اى مشيا هينا ذا وقار ولا تكبر معه قال تعالى « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور** » سورة لقمان . **الجاهلون** : المراد بهم السفهاء . الذين يسفهون على الناس بكلام بعيد عن آداب الاسلام . **سلاما** : هذا يسمى سلام متاركه وتجنب لاسلام تحية قال تعالى فى امثالهم « **واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** » آية ٥٥ من سورة القصص . **غراما** : اى لازما ومنه الغريم الذى يلازم مدينه بالمطالبة . **ساءت** : **اى تبحث مستقرا ومقاما** : المستقر هنا مكان الاستقرار المؤقت والمقام مكان الاقامة غير المؤقتة أى الدائمة . ويكون العطف لافادة الترقى فى التخويف أى أن العذاب لا يخفف عنهم عند طول المدة قال تعالى « **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** » آية ٣٦ من سورة فاطر **يقتروا** : اى يضيقوا ويشحوا على انفسهم وذريتهم **وكان ذلك** : أى انفاقهم . **قواما** : اى وسطا بين الاسراف والتقتير . **آثاما** : الاثام كالوبال والنكال وزنا ومعنى وهو جزء الاثم الذى هو الذنب . **يضاعف له العذاب** : اى يعذب عذابين عذابا على الكفر وعذابا على اضلاله لغيره . قال تعالى فى امثالهم « **ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون** ، ٢٥ من سورة النحل . **يبدل الله سيئاتهم حسنات** : المراد يجعل مكان اعمالهم السيئة أعمالا صالحة . فبعد ان كان العبد من الطالحين يصير من الصالحين قال تعالى فى امثالهم : « **الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم** » آية ١١ سورة النمل . **لا يشهدون الزور** : المراد لا يحضرون مجال الباطل لان مشاهده الباطل كالمشاركة فيه ويجب النهى عنه . **اللغو** : أصل اللغو الكلام الذى لا فائدة فيه ويطلق على كل ما لا يعتد به من قول او عمل . **كراما** : اى معرضين عنه مكرمين انفسهم عن المشاركة فيه . **لم يخروا عليها** : اصل الخرور السقوط على الارض بدون نظام ولا ترتيب سابق قال تعالى « **قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم** » وتستعمله العرب فى السجود على الارض لاعلان الخضوع التام . وجاء استعمال القران فى سجود الصلاه موافقا لاستعمال العرب . **صما وعميانا** : فى هذا تعريض بالمشركين المقلدين فالمعنى ان عباد الله هم الذين اذا ذكرهم مذكر بالقرآن اكبوا واقبلوا عليها سامعين لعبر القرآن سماع تأمل مبصرين ما فى الكون من اوله وجود اله قادر . **قرة أعين** : اى اجعل أزواجا أسباب سرور لنا . **اماما** : اى قدوة فى الخير فندخل بذلك فى دعوة ابينا ابراهيم عندما قال له ربه « **انى جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين** » آية ١٢٤ من سورة البقرة والله الموفق والمعين .

التوبة النصوح من رحمة الله بعباده

الاستاذ عبد المعطى اسماعيل عباده

لقد جعل الله الثواب والعقاب جزاء على الاعمال بعدل لا ظلم فيه ، وجانب العفو والرحمة أرجح .

« ووفيت كل نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون » .

« وما ربك بظلام للعبيد » .

« اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » .
« والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء » .

« وأن ليس للانسان الا ما سعى » .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

« وان تك حسنة يضاعفها . ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

وأن رحمة الله قد اقتضت غفر ذنوب من اليه أناب ، وتاب من فوره توبة نصوحا صادقة ، خالصة لوجهه الكريم ، فقرع سن الندم على ما قدم ، حتى لا يرى به القدم فالذنب حجاب بين العبد وربه ، لا يمحوه الا اشراق نار الحسرة على قلبه مما أذنب واجترم ، وعاث فى الارض فسادا ، فتنقشع السحب ، وتنحسر الحجب ، ويثمر نور اليقين ، فيؤمن أن الذنوب مهلكة ، وأن الندم توبة كما بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد اوجب الله التوبة على عباده فقال تعالى ، **« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .**

وقال جل شأنه : **« يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون : ربنا اتمم لنا نورنا ، واغفر لنا ، انك على كل شىء قدير » .**

وان تمام توبة المرء الاستقامه عليها عمره .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خير الاعمال أدومها وان قل** » .

وذلك بدوام الندم ، وترك كل محظور هو ملابس له ، وأداء كل فرض هو مقبل عليه : —

يفتش عن سمعه ، وبصره ، ولسانه ، وبطنه ، ويده ، ورجله ، وسائر جوارحه منذ بلوغه ، فيعمل على جبر ما فات ، وينظر الى مستقبله فيجاهد فى القيام بالطاعة ، وترك المعصية ، يأتى من الحسنات ما تمحى بها السيئات ، امتثالا لقول الله عز وجل : « **أن الحسنات يذهبن السيئات** » ، ولامر الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة حسنة تمحها** » .

اذا صدقت التوبة محا نور الايمان عن وجه القلب ظلمة السيئات ، كما يمحو نور النهار ظلام الليل ، وعاش القلب سليما ، زكيا ، مقبولا عند الله ، ونعم العبد فى الاخرة فى جوار مولاه ، وهو « الفلاح » فى قوله جل شأنه : « **قد أفلح من زكاها** » .

قال الله جل وعلا : « **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** »

وهو القائل : غافر الذنب وقابل التوب

وقال رسوله الكريم : « **ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ، ولمسىء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » .

وهو القائل : « **لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ، ثم ندمتم لتاب الله عليكم** » .

ومن قوله « **ان العبد ايذنب الذنب فيدخل به الجنة** » **فقيل** : « **كيف ذلك يا رسول الله** » ؟ **قال** : « **يكون نصب عينيه تائبا منه ، فارا ، حتى يدخل الجنة** » .

وقال : « **كفارة الذنب الندامة** » .

فبادروا بالتوبة : « من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول : « **رب ، لولا أخرتنى الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين ، ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها** » .

ويقول الله تعالى : « **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الان** »

ويقول : « **انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب** » .

« **وانيبوا الى ربكم ، واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون** » .

وقال « **لقمان** » لابنه : « يا بنى ، لا تؤخر التوبة ، فان الموت يأتى بغتة » .

ويقول بعض العارفين : « ان لله تعالى الى عبده مرين يسرهما اليه على سبيل الالهام : « **أحدهما** » اذا خرج من بطن أمه يقول له : « عبدى ، قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا ، نظيفا ، واستودعتك عمرك ، وائتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الامانة ، وانظر الى كيف تلقانى ، « والثانى » عند خروج روحه يقول : « عبدى ، ماذا أصنعت فى أمانتى عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فالقاك على الوفاء ؟ او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب » ؟

واليه أشار الله تعالى بقوله : « **وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم** » وبقوله : « **والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** » .

وليس ادل على فضل « التوبة » من قول الله سبحانه : « **ان الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين** » .

وقول رسوله الحبيب : « **التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** » .

وقول « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه : « **اجلسوا الى التوابين فانهم أرق أفئدة** » .

ويروى عن « الحسن » قال : « لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه « جبريل » و « ميكائيل » عليهما السلام ، فقالا : « يا آدم » ، قرت عينك بتوبة الله عليك » فقال « آدم » عليه السلام : « يا جبريل » ، فان كان بعد هذه « التوبة » سؤال « فأين مقامى » ؟ فأوحى الله اليه : « يا آدم » ، ورثت ذريتك التعب والنصب ، وورثتهم « التوبة » ، فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لانى قريب مجيب يا « آدم » ، واحشر التائبين من القبور مستبشرين ، ضاحكين ، ودعاؤهم مستجاب » .

وان « الهموم » لتكفر الذنوب : —

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا « الهموم »** — وفى لفظ آخر — **الا الهم بطلب المعيشة** » .

وفى حديث عن « عائشة » رضى الله عنها : — « **اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه « الهموم » فتكون كفارة لذنوبه** » .

وروى أن « جبريل » عليه السلام دخل على « يوسف » عليه السلام فى السجن ، فقال له : « كيف تركت الشيخ الكئيب » ؟ فقال : « قد حزن عليك حزن مائة ثكلى » ، قال : « فما له عند الله » ؟ قال : « **أجر مائة شهيد** » .

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها في الطلاق

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد أوضحنا فى مقالنا السابق بقية أقوال الفقهاء وتعريفاتهم للخلع وأحكامه بالتفصيل كما أوضحنا كذلك حكمة التشريع بالنسبة للخلع . وبينا الاحكام بالنسبة لبدل الخلع وما يحل أخذه منه وآراء الفقهاء فى ذلك اذا ما كان الزوج هو سبب الشقاق والتنافر .

وقد وعدنا أن نعرض فى هذا الحديث للاحكام الخاصة ببدل الخلع اذا كانت الزوجة هى سبب الشقاق وكان النفور من جانبها لكراهيتها للزوج وبغضها له ، واليك البيان اذا كانت الزوجة هى سبب الشقاق وكان النفور من جانبها لانها لا تريد المقام مع زوجها ولا ترغب فى استمرار المعيشة الزوجية لما تأصل فى نفسها من كراهية للزوج وبغض له . وطلبت مفارقة الزوج فى هذه الحالة . جاز للزوج باتفاق الفقهاء أن يأخذ منها بدل الخلع اذا كان مساويا للمهر الذى دفعه اليها أو كان أقل منه لقول الله سبحانه وتعالى « **فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** » . فقد نفى الله جل شأنه الاثم والجناح عن الزوجين فيما افتدت به الزوجة نفسها لاجل خلاصها من زوجها ، ويكون أخذ بدل الخلع مباحا شرعا حينئذ اذ المقرر فقها أنه لا اثم ولا جناح على فعل المباح .

أما ان كان بدل الخلع أكثر من المهر الذى دفعه الزوج لزوجته فقد اختلفت آراء الفقهاء فيما زاد عن المهر . فقال بعضهم يجوز للزوج أن يأخذ الزيادة أيضا استنادا الى الاية المذكورة والى أن الزوجة قد رضيت بدفع الزيادة فى نظير الخلع – وقيل لا يجوز له ان يأخذ ما زاد على المهر الذى دفعه لها فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما شكت اليه امرأة قيس بن ثابت زوجها وقالت انها لا تطيقه بغضا . قال لها [صلى الله عليه وسلم **أتردين عليه حديقته ؟** . فقالت نعم وزيادة . فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم **أما الزيادة فلا . ولكن حديقته** . ومن ذلك يبين أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرض بأن تدفع الزوجة أكثر من مهرها فى نظير خلعها وطلاقها من زوجها مع انها هى الكارهة ولا تريد المقام معه . اذ تقول انها لا تطيقه بغضا .

فهذا الحديث يدلّ على انه لا يحلّ للزوج أن يأخذ مازاد عن المهر الذى دفعه .

هذا ولا يقال ان بين الايتين المذكورتين فى الخلع تعارض . وذلك لان الاية الاولى الواردة فى النهى عن أخذ المال من الزوجة وهى قول الله تعالى « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا** » سورة النساء . فالنهى صريح فى أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا من المهر ان أراد أن يفارق زوجته ويتزوج بأخرى .

والاية الثانية وهى قول الله تعالى « **فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** » البقرة . تدل صراحة على أنه يجوز للزوج أن يأخذ بدل الخلع أن خيف ألا يقيما حدود الله .

لا يقال بحصول التعارض لان الاية الاولى محمولة على ما اذا كان الزوج هو سبب الشقاق بينهما لان الاساءة والنفور من جانبه – والاية الثانية محمولة على ما اذا كانت الزوجة هى سبب الشقاق بينهما لانها تكره زوجها وتبغضه وتريد أن تفارقه وان تتخلص منه فمورد الايتين ليس واحدا حتى يقال بالتعارض بين مدلوليهما .

فاذا كان سبب الشقاق بين الزوجين هو أمر مشترك بينهما ومن جهتهما معا كان الحكم فى هذه الحالة كالحكم فيما اذا كان سبب الشقاق من جهة الزوجة فقط على التفصيل الذى اوضحناه بالنسبة للبدل اذا كان مساويا للمهر أو أكثر منه .

هذا وقد قلنا فى طبيعة الخلع والتكييف الفقهى له ان الفقهاء قد اعتبروا الخلع بالنسبة للزوج يمينا فتراعى فيه احكام اليمين واعتبروه بالنسبة للزوجة معاوضة فتراعى فيه أحكام المعاوضات والتبرعات .

لما كان الامر كذلك وكان الفقهاء قد اعتبروا الزوجة فى الخلع كالمتبرعة اذا قبلت الخلع فى نظير مال تدفعه لزوجها أو فى نظير الابراء من مؤخر الصداق أو من متجمد النفقة أو من نفقة العدة . فانهم اشترطوا لذلك فى الزوجة أن تكون أهلا للتبرع . حتى تلزم بالبدل ويجب عليها أن تدفعه للزوج . وذلك بأن تكون بالغة عاقلة غير محجور عليها للسفه أو الغفلة ، فاذا خالع الزوج زوجته على مبلغ من المال وقبلته وكانت الزوجة فى هذه الحالة ليست أهلا للتبرع بان كانت صغيرة أو فى حكم الصغيرة فى عدم الاهلية فان قبولها دفع المال فى هذا الخلع لا عبرة به ولا يعول عليه لان عبارتها ملغاة فلا يعتد بها ولا يتم الخلع .

ولو خالعها على مال وهى محجور عليها للسفه أو للغفله وقبلت فلا تلزم بالبدل فى هذه الحالة لكن يقع الطلاق رجعيا تطبيقا لاحكام القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ – أما المذهب الحنفى الذى كان العمل يجرى طبق احكامه فى ذلك قبل صدور القانون المذكور فانه يقضى بوقوع الطلاق البائن فى هذه الحالة وان كانت الزوجة لا تلزم بالبدل للحجر عليها للسفه أو الغفلة – وانما وقع الطلاق فى هذه الحالة لما هو مقرر فقها ان الخلع فى معنى تعليق الطلاق على قبولها وقد وجد المعلق عليه وهو القبول ممن هى أهل له اذ هى بالغة عاقلة لكنها لا تلزم ببدل الخلع لكونها ليست أهلا للتبرع . وبدل الخلع كما قلنا آنفا بالنسبة للزوجة يعتبر معاوضة لها شبه بالتبرع وهى ليست أهلا للتبرع فى هذه الحالة لكونها محجورا عليها للسفه أو الغفلة والمحجور عليه ليس اهلا للتبرع .

وهناك رأى آخر يقول ان الطلاق فى هذه الحالة غير واقع لان الخلع وان كان تعليقا للطلاق على قبولها لكنه ليس تعليقا على مجرد القبول بل هو تعليق على قبول يجب به بدل الخلع وقبولها فى هذه الحالة لا يجب به البدل فلم يوجد الشىء الذى علق عليه الطلاق ، فلا يقع الطلاق المعلق لعدم تحقق الشرط الذى علق وقوعه عليه .

وقد نص فقهاء الحنفية على أن الرأى الاول الذى يقضى بوقوع الطلاق وعدم لزوم البدل هو المفتى به – وعليه عمل المحاكم . ويقولون فى مساندة هذا الرأى انه ينبغى للزوج أن يعلم أن التبرع من الشخص المحجور للسفه أو الغفلة غير مقبول . فان كان الزوج يجهل ذلك فانه لا يعذر بالجهل فى هذه الحالة لان الشخص لا يعذر بجهله للاحكام الفقهية – فاقدامه على خلع زوجته المحجور عليها للسفه أو الغفلة دليل على رضاه بالطلاق بدون عوض ومن غير بدل . ولا يخفى ما فى هذا من تكلف بعيد لا يتلاقى مع غرض الزوج من الخلع . اذ لو كان الزوج راضيا بالطلاق بدون مقابل ومن غير بدل لاوقع على زوجته الطلاق بغير صيغة الخلع ولقد ذهب فقهاء الشافعية فى ذلك الى ما ذهب اليه فقهاء الحنفية فى الرأى المفتى به اذ يقولون أن السفيهة اذا باشرت خلعها أو قبلت ما علق عليه طلاقها من مال ، بأن قال لها زوجها طلقتك على ألف فقالت قبلت طلقت رجعيا وذلك لوقوعه لا فى مقابلة بدل لان قبولها المال غير ملزم لها فلغا بسبب ذلك ذكره .

هذا وقد يخالع الزوج زوجته المريضة مرض الموت فى أثناء مرضها على مبلغ من المال تدفعه له وتقبل الزوجة المريضة ذلك . فما حكم هذا الخلع من ناحية وقوع الطلاق واستحقاق الزوج للمال ؟؟ سنبين ذلك بالتفصيل فى حديثنا المقبل ان شاء الله مع بيان ما يصح أن يكون بدلا فى الخلع .

ما ينتقل به ضمان المشترى وما لا ينتقل

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

عرضنا فى العدد السابق الخيار فى البيع ــ وتناولنا أحكامه وأقسامه وبينا ما يجوز فيه وما لا يجوز . وسنتناول فى هذا المبحث مناقشة انتقال ضمان المبيع من البائع الى المشترى .

ان انتقال ضمان المبيع من بائعه الى المشترى بالعقد الصحيح اللازم ولو لم يقبضه من البائع متى هلك أو حصل فيه عيب بعد العقد فضمانه من مشتريه سواء كان عرضا أو غيره واحترز بالصحيح عن الفاسد وباللازم عن غيره كبيع المحجور وبيع الخيار .

وقد سبق القولَ عند الكلام عن الخيار أن ضمان المبيع بالخيار من البائع ثم استثنى من انتقال الضمان للمشترى بالعقد الصحيح الا فى مبيع فيه حق توفيه لمشتريه من مكيل أو موزون أو معدود فعلى البائع ضمان لقبضه بالكيل أو الوزن أو العد واستيلاء المشترى عليه واستمرار ضمان البائع له بمعياره من مكيال أو ميزان حتى يفرغ فى أوانى المشترى فان هلك فى يد البائع عند تفريغه فضمانه على البائع . قال ابن رشد اتفاقا ولو تولى المشترى كيله أو وزنه أو عده نيابة عن البائع فلو سقط من الميزان أو المكيال أو غصب لكان ضمان من البائع بخلاف ما لو كاله له البائع أو نائبه وناوله للمشترى فسقط من المشترى أو هلك فمن المشترى لان قبضه تم باستيلاء مشتريه عليه وليس نائبا عن البائع فى هذه الحالة . ويكون ذلك على أربع صور :

الاولى ــ أن يتولى البائع أو نائبه الوزن أو الكيل ثم يأخذ الموزون أو المكيل ليفرغه فى ظرف المشترى فيسقط من يده أو يتلف فضمانه من البائع .

الثانية ــ ومثلها مثل الصورة الاولى مع اختلاف أن من يتولى التفريغ فى هذه الحالة هو المشترى وبذلك يكون الضمان من المشترى لانه حين أخذ المبيع من الميزان أو المكيال ليفرغه فى ظرفه فقد تولى قبضه فضمانه منه .

الثالثة ــ أن يتولى المشترى الوزن او الكيل كما يتولى التفريغ فيسقط من يده . فالحكم هنا على خلاف . يقول مالك وابن القاسم مصبته من البائع لان المشترى وكيل من البائع ولم يقبض لنفسه حتى يصل لظرفه . ويقول سحنون من المشترى .

الرابعة ــ أن لا يحضر ظرف المشترى وانما يحمل ذلك فى ظرف البائع بعد وزنه أو كيله ليفرغه فى ظرفه ببيته مثلا فيسقط منه أو يتلف فضمانه من المشترى لان قبضه بعد الفراغ من وزنه قبض لنفسه فى ظرف البائع . ويجوز له بيعه بذلك قبل وصوله لداره وليس فيه بيع الطعام قبل قبضه لانه وجد القيض منه .

واجرة الكيل أو الوزن أو العد تكون على البائع اذ لا تحصل التوفية الا به بخلاف القرض فعلى المقترض أجر ما ذكر لان المقرض صنع معروفا فلا يكلف الاجرة . وكذا على المقترض فى رد القرض الاجرة بلا شبهة ويجوز لمن يشترى طعاما اقراضه قبل قبضه لشخص أو وفاؤه عن قرض عليه لان الاقراض والوفاء عن قرض ليسا بيع فليس فيه توالى عقدتى

بيع لم يتخللها قبض بخلاف وفائه عن دين اصله بيع فلا يجوز لوجود علة المنع . وجاز لمقترض بيعه قبل قبضه لمن اقترضه منه وسواء باعه لمن تسلفه منه أو لاجنبى — وكذلك الصدقه والهبه يجوز بيعهـا قبل قبضها من الواهب والمتصدق ولو كانت الصدقة مرتبة من بيت المال أو من وقف لا فى نظير عمل . ومحل الجواز اذا لم يكن المتصدق والواهب اشتراه وتصدق به أو وهبه قبل قبضه والا فلا يجوز بيعه حتى يقبضه . وجاز اقاله من جميع طعام المعاوضة قبل قبضه من بائعه بأن يرده اليه . والاقالة ترك المبيع لبائعه بثمنه . فان وقعت الاقاله بأكثر من الثمن او اقل لم يجز حيث تصبح حاله بيع . ومفهوم جميع الطعام فيه تفصيل اذ تجوز الاقاله قبل قبض الطعام من بعضه دون البعض الاخر ان كان الثمن الذى وقع به البيع حاضرا لم يغب عليه البائع واولى اذا لم يقبضه أو غاب عليه وهو ما يعرف بعينه كالعروض والحيوان والا لم يجز لانه يعد بيعا مستقلا فيلزم بيع الطعام قبل قبضه — بمعنى اذا كان الثمن لا يعرف بعينه وغاب عليه البائع وشرط جواز الاقالة من الطعام قبل القبض ان وقعت الاقالة بالثمن عينه سواء كان الثمن مثليا أو عرضا او حيوانا أو غيره لا باقل منه ولا باكثره ولا بغيره والا لزم بيع طعام المعاوضة قبل قبضه وسواء كان الطعام المبتاع سلما أولا فيجوز بالثمن نفسه وأن تغير سوقه بغلاء أو رخص لا أن تغير بدنه بعيب كعرج أو بسمن أوهزال .

والاقالة من حيث هى بيع يشترط فيها ما يشترط فى البيع ويمنعها ما يمنعه فاذا وقعت وقت نداء الجمعه منعت وفسخت واذا حدث بالمبيع عيب وقت ضمان المشترى ولم يعلم به البائع الا بعد الاقالة فله الرد به الا فى طعام المعاوضة قبل قبضه فهى فيه حل للبيع والا فى الشفعة فهى ليست بيعا ولا حل بيع بل هى لاغية فمن باع نصيبه من عقار ثم اقال المشترى منه فالشفعة ثابتة للشريك بما وقعت به الاقاله وعهده الشفيع على المشترى ولو كانت بيعا لخير الشفيع بين ان يأخذ بالاول أو الثانى وعهدته على من أحد بيعه . ولو كانت حل بيع لم تكن شفعه . والا فى المرابحة فهى حل بيع فمن باع بمرابحة ثم تقابل مع المشترى فلا يجوز له أن يبيعها مرابحة على الثمن الذى وقعت الاقالة به اذا وقعت بزياده وجازت توليته فى الطعام قبل قبضه بان يقول شخص ولنى ما اشتريت من الطعام بما اشتريت فيفعل ، وشركه بأن يقول اشركنى فيما اشتريت من الطعام قبل قبضه فيشركه لان التولية والشركة من المعروف أنهما كالقرض فتسومحا فيهما ونكتفى فى الموضوع بهذا القدر وسنعالج فى العدد القادم ان شاء الله حكم بيع المرابحة .

من الحكم البالغة

قال عيسى ابن مريم [عليه السلام] : « من كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لهـا » .

وكان أحد الحكماء يطيل السكوت فاذا تكلم انبسط فقال له قائل ذات يوم ، لو تكلمت ! فقال الكلام على أربعة أوجه ، فمنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته ، فالفضل منه السلامة ، ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته ، فاقل ما لك فى تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك ، ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته وهذا هو الداء العضال ، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته ، فهذا الذى يجب عليك نشره .. فاذا هو قد أسقط ثلاثة ارباع الكلام .

المحافظة على المال العام
شريعة عمر بن عبد العزيز

الأستاذ مصطفى حسن

قضية المال العام .. هى قضية المحافظة على مال الشعب ونزاهة المسئول عن هذا المال وتحرى هذه النزاهة هى الهدف والغاية .. وفى هذا المقال نشرح سياسة عادل بنى مروان الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .. وشريعته المحافظة على مال المسلمين ..

وفد عليه رسول من بعض الافاق فانتهى الى بابه ليلا واستأذن عليه .. فأذن له . ودعا بشمعة غليظة فاوقدت وجعل يسأله عن حال أهل البلد ومن به من المسلمين وأهل العهد وكيف سيرة العامل ، والاسعار ، وابناء المهاجرين والانصار ، وابناء السبيل والفقراء .. وهل اعطى كل ذى حق حقه وهل له شاك ؟ فأنبأه عن جميع ما سأل . حتى اذا ما فرغ عمر قال له ؟

يا أمير المؤمنين : كيف حالك فى نفسك وبدنك ؟ وكيف عيالك ؟

فنفخ عمر الشمعة فاطفأها ، .. وقال ياغلام على بسراج ثم قال له : سل عما احببت . فسأله فاخبره عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته . وعجب الرسول لاطفائه الشمعة وكلمه فى ذلك !

فقال : يا عبد الله ان الشمعة التى رايتنى اطفأتها من مال الله ومال المسلمين . وكنت اسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تضىء بين يدى فيما يصلحهم وهى لهم ، فلما صرت تسألنى وامر عيالى ونفسى ، اطفات الشمعة لانها من مال المسلمين .

ان هذا يرينا اهمية وحرمة المال العام .. لقد ابت عليه أمانته ان يستخدم الشمعة وهى من أموال الدولة والمسلمين فى حديث خاص .

هذا نهج عمر بن عبد العزيز فى حكمه نهج فيه أسلوب جده العظيم عمر الفاروق واحتذى مثاله فسلك بالرعية الاسلوب القويم واعاد فيهم سيرته الزاكية الطاهرة .. ان عمر لم يكتف برد ما كان فى يده من المظالم بل ذكروا انه كان لا يأخذ من بيت المال شيئا ولا يجرى على نفسه من الفىء درهما ..

نظر الى فص خاتم ثمين فى يده غداة تولى الخلافة ثم قال ان بيت مال المسلمين اولى به من يدى .. ثم نظر الاقطاعات التى ورثها وكانت كثيرة وافرة .. فردها الى بيت المال ..

وفى صبيحة الخلافة نظر الى من حوله فوجد خيلا وبغالا مطهمة لكل دابة سائس ، فقال : ماهذا ؟ فقيل : هذا ركب الخليفة ! فالتفت الى غلامه وقال ضم هذا كله الى بيت مال المسلمين .

وجاءه اولاد سليمان بن عبد الملك بثياب ناعمة غالية ، فسأل : ماهذا ؟ فقالوا : هذه ثياب ابينا ! ما لبسه منها أخذناه ، وما لم يلبسه تركناه فهو لك ، فقال عمر بن عبد العزيز هذا ليس لكم ولا لسليمان ابن عبد الملك ولا لى .. انما هو لبيت مال المسلمين ..

قال لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جواهر كثيرة اختارى لنفسك : اما ان تردى هذا الى بيت مال المسلمين ، واما ان تأذنى لى فى فراقك .. فقالت الزوجة العاقلة : بل اختارك عليه وعلى اضعافه لو كان لى ..

فلما توفى عمر بن عبد العزيز وتولى يزيد بن عبد الملك اخوها ، قال لها يافاطمة ان شئت رددت عليك عليك جواهرك . فقالت : طبت عنه نفسا فى حياة عمر .. ثم استرده بعد وفاته .. لا والله ابدا ..

ودخلت عمته عليه تعاتبه يوما على العطاء الذى كان يصلها من الخلفاء الذين قبله ، فقال لها ياعمه : ان عمى عبد الملك واخى الوليد واخى سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين وليس ذلك المال لى فاعطيكه .

ولم يكن لاحد من خاصة عمر بن عبد العزيز ان

يأمر فى مال أو جهد أو دابة الا بحق .. وذات مرة حمل مولى له رجلا على خيل بريد بغير اذنه ، فدعاه وقال له لا تبرح حتى تقومه وتضعه فى بيت مال المسلمين .

وطلب ابن عمر بن عبد العزيز من ابيه ان يتزوج امراة أخرى غير زوجته الاولى .. وان يدفع له الصداق من بيت مال المسلمين .. فلما وصل الطلب الى عمر غضب وكتب الى ابنه : لعمر الله أتانى كتابك تسألنى ان اجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين ، وابناء المهاجرين لا يجد الواحد منهم امراة يستعف بها فلا أعرفتنى ما كتبت وانظر الى ما قبلك من متاعنا واستعفف به على ما بدا لك .

وفى الوقت الذى كان يحرص فيه عمر بن عبد العزيز على المال العام ، مال المسلمين .. كان يقسم العائد على كافة المسلمين بالسوية وعلى من معهم من أهل الكتاب وكان عمر يحاول أن يجعل لكل فرد من رعيته مسكنا وخادما وفرسا واثاثا فى بيته .. لقد كان يحرص على الا يضيع من المال العام شىء لانه حق المسلمين ولا يسعه تركه .

ووحد عمر بيوت المال كلها فى بيت واحد .. والحكمة فى ذلك ان لو اغتنى بلد وافتقر آخر سد البلد الغنى حاجة البلد الفقير وعجزه .. وبذلك صار العالم الاسلامى فى مدته وحدة قوية متماسكة يشد بعضها حاجات بعض ..

لقد كان عمر بن عبد العزيز من خيار الخلفاء عالما زاهدا عابدا تقيا ورعا سار سيرة مرضية فجعل غاية حكمه أن تكون سياسته ولاسيما فى الشئون المالية مطابقة لاحكام الشريعة الاسلامية .. ولما كان هو نفسه فقيها مجتهدا فقد كان من السهل عليه أن يراعى ذلك ..

وبالنسبة للمال العام عزم على تنفيذ سياسة دقيقة عادلة لا يقصد بها الا ارضاء ربه تنفذ بحزم ونزاهة على أيدى عمال جدد .. لا يجورون على الناس ويحملون عليهم ، وجعل قاعدة حكمه الرفق بالرعايا عامة .. وعلى أن يخفف عنهم الاعباء بقدر ما يستطيع .. بادر عمر الى رد الحقوق لاصحابها وبدأ بأهل بيته فأخذ ما كان فى أيديهم ..

وكان هو نفسه مقتصدا حريصا على اموال المسلمين متعففا عنها وقلل من نفقات الدولة فقد أصدر أمره الى مسلمة بن عبد الملك بالقفول وجيشه من القسطنطينية والعدول عن محاولة فتحها ، كما لم تحدث فى عهده مغامرات جديدة ولم تنشب حروب داخلية ، وكان من رأيه أن تكون الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئا ولا يجرى على نفسه من الفىء درهما فقيل له لو اخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب .. وكان عمر الفاروق يجرى على نفسه درهمين فى كل يوم .. فقال ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال .. وان مالى يغنينى ..

روى صاحب الاغانى قصة الشعراء « كثير » و « الاحوص » و « نصيب » الذين حضروا الى باب عمر بن عبد العزيز يحملون قصائد المديح فتركهم ينتظرون ببابه أربعة أشهر .. لا يأذن لهم ، فلما استأذن لهم مسلمة « فتى العرب » ودخلوا على الخليفة عمر فأنشدوه أشعارهم التى مدحوه فيها .. قال لهم ما عندى أعطيكم فانتظروا حتى يخرج عطائى فأعطيكم منه .. فانتظروا عطاءه حتى خرج فأعطى لكل من الاولين ثلثمائة درهم وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما .

لقد رفض عمر بن عبد العزيز أن يعطيهم من بيت المال وطلب منهم الانتظار حتى يأتى راتبه ليعطيهم منه .. وامامه بيت مال المسلمين .. بلا حساب ان شاء ..

وجاءه تفاح من الفىء فجعل يقسمه بين المسلمين فجاء ابن له صغير ، فتناول تفاحه فانتزعها من يده .. فسعى الطفل الى أمه باكيا .. فأرسلت الى السوق فاشترت له تفاحا .. فلما رجع عمر وجد ريح التفاح ، فقال : يا فاطمة هل اتيت شيئا من هذا الفىء ؟ فقالت : لا ، وقصت عليه القصة .. فقال والله لقد انتزعتها من ابنى وكأننى انتزعتها من قلبى .. ولكن كرهت أن أضيع نفسى عند الله عز وجل بتفاحة من فىء المسلمين ..

وقال يوما اسخنوا لى ماء اغتسل به للجمعة فقيل له : ما عندنا حطب نوقده .. وذهبوا بالقمقم الى مطبخ المسلمين وجاءوا به وهو يفور فقال الم تخبرنى أنه ليس عندكم حطب لعلكم ذهبتم به الى مطبخ المسلمين قالوا : نعم . قال ادعوا لى صاحب المطبخ ، فلما جاءه قال له : قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته .. قال .. لا والله يا أمير المؤمنين ما أوقدت تحته عودا واحدا .. وان هو الا جمر لو تركته لخمد حتى يصير رمادا قال : بكم اخذت الحطب ؟ قال : بكذا .. قال ادوا اليه ثمنه .

هذا هو عمر بن عبد العزيز أبرز الخلفاء الامويين وأقربهم الى هدى الخلفاء الراشدين .. ولو طال حكمه لاعاد الى المجتمع الاسلامى صفاءه المشرق فى العهود السابقة .. لقد جعل مهمة بيت المال الاساسية هى تحقيق التكافل الاجتماعى .. وكان دائما فى توجيهاته وأوامره لعماله وموظفيه يريد أن يجعل من كل واحد منهم القدوة الحسنة الصالحة ..

اقتران العقد بالشرط

في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

في مقالنا السابق أشرنا الى اننا سوف نعرض لبحث الشروط المقترنة بالعقد من حيث الصحة والفساد . والشرط في اللغة : الزام الشيء و التزامه في المبيع ونحوه والشرط [بفتحتين] العلامة ، واشراط الساعة علاماتها. قال الاصمعي ومنه سمى الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها .

وعند الفقهاء : ما يتوقف وجود الشيء عليه دون أن يكون جزءا منه كتوقف الصلاة على الطهارة ، فالطهارة شرط لصحة الصلاة وليست جزءا منها، وكذا اشتراط القدرة على تسليم المبيع فان عقد البيع يتوقف وجوده على تسليم المبيع وليس جزءا من العقد .

وقد يعبر عن الشرط بانه الامر الزائد عن ماهية الشيء وحقيقته الشرعية الذي يتوقف وجود الشيء على وجوده ويعدم بعدمه .

راجع المغنى لابن قدامة جـ ٢ ص٥٦٠ وابن عابدين جـ ٥ ص ٥ ، وفتح القدير جـ ٥ ص ٧٤ ، والتوضيح على التنقيح جـ ٢ ص ١٤٥ .

فالفرض اذن من الاتيان بالشروط : هو الزام أحد العاقدين الاخر بشيء والتزام الاخر به ، والملزم هو المشترط والملتزم هو الذي قبل العمل بمقتضى الشرط .

وينبغي أن يعلم أن بحث الشروط في كثير من المذاهب الاسلامية من الامور الصعبة لما فيه من ضوابط وتفصيلات من ناحية بيان العقود التي يصح ربطها بشرط التعليق ، ومن ناحية تعريف الشرط الفاسد وتأثيره على تلك العقود.

غير أنه من المسلم به أن الضرر أو عدم المشروعية يخل كل منهما بالعقد من جهته ، ونحن نبحث الشروط الذي يخل بالمعاوضة التي يعتد بها الشارع والتي يستهدف منها التوازن في مضمون العقد .

والمشروط في العقد : اما لصحته كشرط قطع الثمر ، أو من مقتضياته ، وهو ما رتبه الشارع عليه كالقبض والرد بالعيب ، او من مصالحة كالكتابة والخياطة اذا كان المبيع عبدا وهذه شروط صحيحة . اما اذا كان الشرط مخالفا لمقتضى العقد كعدم القبض فهذا الشرط يفسد العقد .

والذي يؤخذ من كلام الفقهاء أن الشرط اذا كان منافيا لمقتضى العقد فانما يبطله اذا وقع في صلبه أو بعده وقبل لزوم العقد ، بخلاف ما لو تقدم عليه ولو في مجلسه . فمثلا اذا اشترى شخص سيارة بشرط أن يرهنها لدى البائع حتى يوفيه بالثمن فالبيع باطل لاشتماله على شرط رهن مالم يملكه بعد لان البيع انما يملك بتمام الصيغة التي هي الايجاب والقبول ، اشترى منه السيارة بألف وقبل البائع سلمه السيارة ، فاذا كان المشترى يدفع الثمن ثم رهنه السيارة فالبيع صحيح لان شرط رهن السيارة لم يقع في صلب العقد وانما جاء بعد الانتهاء من البيع .

الشرط وحرية التعاقد

واذا كان الاصل في العقود ، الحرية والاباحة ، وهذا الاصل عند رجال القانون يعتبر اليوم من المبادىء الاولية الاساسية في باب العقود ويسمى عندهم بمبدأ حرية التعاقد ، ومعناه أن للمتعاقدين أن يرتبوا عقودهم وما ينشأ عنها من أحكام وآثار بحسب مشيئتهم، والسبب في ذلك أن منفعة العقد تعود اليهم ، وهي منفعة خاصة يمكنهم أن يعينوا ماهيتها وحدودها كما يرغبون ، وليس لها من تقييد الا متى تعارضت مع النظام العام أو الاداب العامة . راجع النظرية العامة للموجبات والعقود للاستاذ صبحي محمصاني ص ٢٠٨]

واذا كانت هذه هي نظرة القوانين والتشريعات الحديثة فان الشريعة الاسلامية قد أقرت هذا المبدأ، فلا يلزم لوجود التعاقد واعتباره في شريعة الاسلام شكل معين الا ماشرطه الشارع في الزواج اذ شترط أن يكون أمام شاهدين ، أما ماعداه فيكفي في تحقق التعاقد ووجود العبارة الدالة عليه متى صدرت من العاقل البالغ المختار ،

فاذا صدرت صيغة العقد مطلقة من الشروط والقيود تحققت الاثار المترتبة على العقد . وقد يراد للعقد أن يحقق بعض آثاره ، وفي هذه الحالة تصدر

صيغة العقد مقترنة ببعض القيـود والشروط .

والفقهاء فى مذاهبهم المتعددة ، قد اختلفوا فى نظرتهم الى الشروط المقترنة بالعقد . فمنهم من توسع فيها ، ومنهم من تشدد . ومن ثم فان حرية التعاقد ليست قاعدة متفقا عليها بين المذاهب ، فمن كان منهم مضيقا فانه يسير على قاعدة أساسية مقتضاها أن الاصل فى الشروط الحظر والتحريم ولا يشرع منها الا ما قام الدليل على صحته من نص أو قياس ، فيرى أن عقود الناس ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم الدليل على الصحة وهذا هو اتجاه أهل الظاهر .

أما الحنابلة فيرون أن الاصل فى الشروط الصحة والاباحة حتى يقوم دليل من الشارع على البطلان .

وقد حمل ابن تيمية لواء هذا الرأى [ومعه ابن القيم] ودافع عنه واثبت أنه الصحيح ، وفى ذلك يقول :

« ان للشروط عند الشارع شانا ليس عند كثير من الفقهاء ، فانهم يلغون شروطا لم يلغها الشارع ، ويفسدون بها العقود من غير مفسدة تقتضى فساده ، وهم متناقضون فيما يقبل التعليق بالشروط من العقود ومالا يقبله ، فليس لهم ضابط مطرد منعكس يقوم عليه دليل .

فالصواب : الضابط الشرعى الذى دل عليه النص .. هذا الضابط مقتضاه أن كل شرط خالف حكم الله وكتابه فهو باطل ومالم يخالف حكمه فهو لازم » [راجع اعلام الموقعين جـ٣ ص٤٨٠]

وهناك رأى وسط بين الاول والثانى وهو رأى جمهور الفقهاء . وفيما يلى نعرض لتلك الاراء مع المناقشة والترجيح وذلك فى ثلاثة مباحث :

الاول : الظاهرية .

الثانى : الجمهور .

الثالث : الحنابلة .

المبحث الاول
موقف الظاهرية من الشروط

قدمنا أن القاعدة الاساسية عند أهل الظاهر تقوم على أن الاصل فى الشروط الحظر والتحريم ولا يشرع منها الا ما قام الدليل على صحته وعرفنا أيضا أن الشروط المشروعة هى التى توافق مقتضى العقد أو تلائمه أو التى يدل على مشروعيتها دليل من الادلة المعتبرة فى اثبات الاحكام الشرعية ، وما عداه فهو باطل ، وحكمه أنه اذا ذكر فى العقد أو بعده وقبل التفرق فانه يبطل العقد ، واذا ذكر قبله أو بعد التفرق بالابدان فلا تاثير لـه فيه ، أما أهل الظاهر فانهم لم يصححوا من الشروط الا سبعة :

الاول : اشتراط الرهن فيما تبايعاه الى أجل . والثانى : اشتراط تأخير الثمن كان دنانير او دراهم الى أجل . والثالث : اشتراط اداء الثمن الى ميسرة وان لم يذكر أجلا . والرابع : اشتراط صفات فى المبيع يتفق عليها المتبايعان ويتبايعان على ذلك . والخامس : اشتراط ان لاخلابة ، ومعنى لا خلابة أى لا خديعة فى الدين فالدين النصيحة ويكون هذا اللفظ اعلام بانه ليس من ذوى البصائر فى السلع . والسادس : اشتراط مال العبد المبيع أوالامة او بعضه. والسابع : اشتراط المشترى لنفسه ثمرة النخل التى قد أبرت قبل الطيب أو بعده . [راجع المحلى لابن حزم الظاهرى جـ٨ ص ٤١٢]

فهذه هى الشروط السبعة التىصحت عند أهل الظاهر وما عداها يبطل به العقد أى عقد كان من بيع أو غيره .

ولهم على ذلك أدلتهم التى استندوا اليها .

أدلة المذهب الظاهرى :

وقد استدل هذا الفريق بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أما دليلهم من الكتاب فهو قول الله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » [سورة البقرة من الاية ٢٢٩]

وقد قالوا فى توجيه الاية الكريمة : ان تعدى حدود الله معناه : الحكم بما لم يرد عن الله ولا عن رسوله ، والقول بشرط لم ينص عليه الشارع ومن فعل ذلك فقد تعدى حدود الله ، وزاد فى الدين ، فيكون ظالما كما اخبر الله ، والظلم لايجوز الاقدام عليه من مسلم .

وأما السنة : فتمسكوا فى ذلك بما روى فى صحيح مسلم عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال أما بعد :

فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ، ما كان من شرط ليس فى كتاب الله عز وجل فهو باطل، وان كان مائة شرط . كتاب الله أحق وشرط الله أوثق]

ويعلق ابن حزم على هذا النص بقوله : ان هذا الاثر كالشمس صحة وبيانا يبطل كل شرط ليس فى كتاب الله الامر به والنص على اباحته ، ولم يرد نص فى كتاب الله غير ما ذكرنا من الشروط ، فما عداها باطل يبطل العقد الذى بنى عليها لابتنائه على أمر باطل . ولان الالتزامات الشرعية لاتأخذ قوتها من أقوال العاقدين وارادتهم ، وانما من ترتيب الشارع . ومالم يرد له حكم من الشارع فلا يترتب عليه أثر ولا يعمل به . [فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٢٣] .

ثم قال : ان كل شرط ليس فى النصوص ولا الاذن به فيه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه :

اما اباحة مالم يجب فى العقد ، واما المنع من عمل ، وكل ذلك حرام بالنص لقول رسول الله ــ صلى الله عليه سلم ــ :

ان دماءكم واموالكم وابشاركم عليكم حرام] وقول الله تعالى :

« لم تحرم ما أحل الله لك » [سورة التحريم من الاية ١]

فصح بطلان كل شرط جملة الاشرطا جاء النص من القرآن أو السنة باباحته [المحلى جـ ٨ ص ٤١٤]

وفى الواقع أن هذا مسلك شديد وفهم قاصر لما جاءت به نصوص الكتاب والسنة .

أما الاية التى استدلوا بها فلا تصلح دليلا فى اثبات بطلان ما عدا الشروط السبعة ، لانها واردة فيمن أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله فى سائر حدوده التى حدها وفى أحكام النكاح والفراق والصوم وغيرها ، ولذلك جاء فى آخر آية الصوم « تلك حدود الله فلا تعتدوها » . فأيد فى الاية تحريم ما سكت الله عنه وهو محل الخلاف ، بل ان فى تحريم ما سكت الله عنه ، هو نفسه تعد لحدود الله . [راجع الجامع لاحكام القرآن للقرطبى جـ ٣ ص ١٤٦ طبعة دار الكتب] .

وهذا على فرض أن غير ماذكر تم من الشروط لم يرد به نص خاص من كتاب أو سنة فكيف وقد صح بهما الخبر عن الشارع . ؟

وأما استدلالهم بحديث عائشة [كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل] . فهو ايضا لا يفيدهم فيما ذهبوا اليه ، وذلك يتبين بعد معرفة المراد من كتاب الله ، واذا كنا نعلم ان اكثر الشروط الصحيحة ليست مذكورة فى القرآن الكريم ، بل علمت من السنة ، فلا يكون المراد بقوله فى الحديث : [ما كان من شرط ليس فى كتاب الله] هو القرآن الكريم بل المراد به حكم الله ، فيكون المعنى كل شرط ليس فى حكم الله تعالى فهو باطل ، والشرط الذى يقال فيه انه ليس فى حكم الله ، هو ما خالف حكمه ونافاه ، بدليل قول النبى — صلى الله عليه وسلم — فى آخر الحديث : [كتاب الله أحق وشرط الله أوثق] ولا يقلل ذلك الا فى شرط نافى حكم الله وشرطه . فالحديث يبطل كل شرط خالف حكم الله ، ومؤدى ذلك أن الشرط الذى سكت الشارع عن تحريمه لايكون باطلا وحراما .

وواضح أن هؤلاء الفقهاء، قد ضيقوا على الناس فى معاملاتهم وسائر تصرفاتهم اذ وقفوا بالعقود والشروط على ماكان عليه حال الناس فى الصدر الاول من الرسالة ، ولم يحسبوا اى حساب لاختلاف العصور وتطور الزمن ويشهد لذلك انهم لا يؤمنون بالقياس ويقفون عند ظواهر النصوص . وفى ذلك ما فيه من الحرج والاعنات .

وقد رفع الله الحرج عن الناس بقوله: « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقوله : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وما ذكروه من أن كل شرط يتضمن اما اباحة ما حرم الله الى آخر ما سبق ذكره ، فانه يكون مسلما لو كانت الاقسام منحصرة فيما قالوه ، ولكن بقى قسم رابع وهو : ما أباح الله سبحانه للمكلف تنويع احكامه بالاسباب التى ملكه اياها ، فله أن يباشر من من الاسباب ما يجعله له أو يوجبه عليه بعد أن لم يكن واجبا أو يسقطه بعد وجوبه وليس فى ذلك تغيير لأحكام الله تعالى ، بل كل ذلك من أحكامه سبحانه ، فهو الذى أحل وحرم ، وأوجب وأسقط ، وانما ربط بالعبد الاسباب المقتضية لتلك الاحكام ليس الا .

فكما أن شراء الامة ونكاح المرأة يحل له ماكان حراما عليه قبله وطلاقها وبيعها يحرمها عليه ويسقط عنه ما كان واجبا عليه من حقوقها ، فكذلك التزامه بالشرط ، فاذا ملك تغيير حكم الله بالعقد ، ملكه بالشرط الذى هو تابع له من باب أولى .

شركة الجمهورية للأدوية والكيماويات والمستلزمات الطبية

تهنىء الشعب المصرى وشعوب العالم بافتتاح

قناة السويس

لتكون فى خدمة الاقتصاد العالمى ورفاهية الإنسان والشركة تبارك هذا القرار التاريخى الذى اتخذه بطل العبور وقائد سفينة النصر

الرئيس محمد أنور السادات

فروع بيع الشركة :

مقر الشركة بالأميرية السواح ت ٨٧١-٩٦٩٣١٤٦٧

بالقاهرة ١٣ شارع محمود بسيونى ت ٥٧٣٧٨
ميدان باب اللوق ت ٢٧٥٧٧

الاسكندرية ٧ شارع الأسقفية ت ٢٩٩٥٢

أسيوط شارع طلعت حرب ت ٣٧٢٦

طنطا الجيش ت ٣١٩٢

التصوّف والفلسفة الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم

ذوق صريح

لسادتنا الصوفية ذوق صريح فى فهم آيات الله البينات وهذا الذوق يبدو واضحا لمن وقف على كلامهم فى روية وتدبر فى طهارة قلب وصفاء نفس وهو شأن من أعتقد فيهم الخير ولم يعادهم سفها وغرورا أو جهلا وزورا وصدق من قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

والى القارىء العزيز بعض ما بهرنى من اقوالهم الدالة على الذوق الصريح بل والعلم الصحيح .

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

ففى قوله تعالى [والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم] يقول السادة الصوفية : توحيد الخلق لله تعالى على درجات :

[أ] توحيد العامة ، وهو نفى الشركاء والانداد والصاحبة والاولاد والاشباه والاضداد ، وهذا التوحيد ينجو به صاحبه فى الخلود فى النار .

[ب] توحيد الخاصة ، وهو أن يرى المؤمن الافعال كلها صادرة من الله وحده ، ويشاهد ذلك بطريق الكشف لا بطريق الاستدلال ، لان الاستدلال حاصل لكل مؤمن ، وللخاصة يقين فى القلب بعلم ضرورى لا يحتا ج الى دليل ، وثمرة علمهم هذا الانقطاع الى اللهتعالى ، والتوكل عليه وحده ، فلا يرجو الا الله ، ولا يخاف أحدا سواه ، اذ لا يرى فاعلا سواه ، وهم يقولون أن نور هذا اليقين ابهر من نور الشمس،وجاء فىشعرهم فى هذا المعنى :

هذه الشمس قابلتنا بنور
ولشمس اليقين أبهر نورا
قد راينا بهذه النور ولكن
بهاتيك قد راينا المنيرا

[ج] توحيد خاصة الخاصة ، وهو ألا يرى المؤمن فى الوجود الا الله ، ولا يشهد معه سواه فيغيب عن النظر الى الاكوان والى نفسه بشهود المكون الذى كون الاكوان بقدرته ، وقضى أن تفنى فى النهاية ويبقى وحده سبحانه ، لا شىء قبله ، ولا شىء بعده ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . وهذا هو مقام الفناء ، ويقول فيه سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه فيما نقلناه عنه من الهامه الفورى :

تخل ولا تحفل بجن ولا انس
وعش فى هوى الرحمن تسعد بالانس
واقبل على مولاك بالقلب مخلصا
وأسلم وسلم واتجه طالب القدس

تجرد تجد مولاك أكبر ناصر
وفوض له ما كان فى الغد والامس
ومن لا يرى الا الاله مراده
حرام عليه الخوض فى العرش والكرسى
يقولون لى من أنت قلت موحد
الى ربه يسعى ولم ير من باس
اذا قيل لى اطلب قلت ربى مطلبى
وان قيل لى اشرب قلت انواره كاسى
سلونى عن العشاق قد ذقت حبهم
وانى لهم راس اذا كان من راس
حياة الورى حلو ومر وانما
حلا المر بالتوحيد من رقة الحس

وقد أرانا رضى الله عنه أنه انما وصل الى هذه الدرجة العالية بعد جهاد طويل لنفسه فقال فيما قال كذلك :

حسبت الهوى سهلا فخضت عبابه
فطورا به أطفو وطورا به غطس
الى أن أتتنى من لدنه بمنابة
وصلت بها بر السلامة والانس

وصدق سبحانه وتعالى اذ يقول فى وعده للمجاهدين فى سبيله [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين] وفى قوله تعالى [ان رحمة الله قريب من المحسنين] . وفى الحديث الشريف : « استعن بالله ولا تعجز » وقد علمنا سبحانه وتعالى أن نقول فى فاتحة الكتاب الكريم فى كل ركعة من ركعات الصلاة ونحن بين يديه نناجيه ويناجينا [اياك نعبد واياك نستعين] فما علينا الا ان نبذل الجهد فى الطاعة فى همة لا تعرف الملل مع توكل حتى لا يشوبه الخلل ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه امره ، وقد قرن الله التوكل بالايمان الحق فقال تعالى [وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين] وقد بين لنا جل جلاله صفات اهل الايمان الحق فقال سبحانه [انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم] .

ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف اشاراته عند تلك الايات خلاصته :

« الوجل شدة الخوف ، ومعناها ها هنا ان يخرجهم الخوف عن أوطان الغفلة فيذكرونه سبحانه ، وبمشاهد الذكر يسكنون الى الله عز وجل ، فيزيدهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقا على تصديق ، وتحقيقا على تحقيق ، فاذا طالعوا جلال قدره وايقنوا قصورهم عن ادراكه ، توكلوا عليه فى امدادهم بالرعاية فى نهايتهم ، كما استخلصهم بالعناية فى بدايتهم .

« ويقال : سنة الحق سبحانه مع أهل العرفان ان يرددهم بين كشف جلال ، ولطف جمال ، فاذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم ، واذا لاطفهم بجماله سكنت قلوبهم ، قال الله تعالى [ونطمئن قلوبهم بذكر الله] .

« ويقال : وجلت قلوبهم بخوف فراقه ، ثم تطمئن وتسكن اسرارهم بروح وصاله ، وذكر الفراق يفنيهم ، وذكر الوصال يصيحهم ويحييهم .

[أولئك هم المؤمنون حقا] اى حققوا حقا ، وصدقوا صدقا ، ويقال : حق لهم ذلك حقا .

[لهم درجات عند ربهم] اى على حسب ما أهلهم له من الرتب ، فيسابق قسمته لهم استوجبوها ، ثم يصادق خدمتهم ـ حين وفقهم لها ـ بلغوها ، لهم مغفرة فى المآل والستر فى الحال ، وأما الرزق الكريم فيحتمل أنه الذى يعطيه من حيث لا يحتسب ، ويحتمل أنه الذى لا يشغلهم وجوده عن شهود الرزاق ، ويحتمل انه رزق الاسرار .

ويقول شيخ الشيوخ سيدى أبو مدين التلمسانى رضى الله عنه :

الله قل وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته
عدم على التفصيل والاجمال

وهو بقوله هذا يعلمنا ان كل ما سوى الله يلحقه الفناء ، ولله سبحانه وحده البقاء ، ولا يصح فى الافهام الصحيحة أن ننشغل بالفانى عن الباقى [والله خير وأبقى] .

وقد سئل سيدى الشيخ على عقل طيب الله مثواه أن يأتى من الهامه الفورى بأبيات على وزن البيت الاول المتقدم ، فقال وأطال رضى الله عنه ومما نقلناه من قوله المرتجل :

الله قل وذر الوجود وما حوى
متادبا فى ساحة الاجلال
فتشت كل الخلق عن علم فلم
ار لى سوى رب السما من وال
فتركت كل العالمين وجنته
وجعلت ذكرى ذاته متوالى
ان كنت تحسب أن فى المال الغنى
أنا قد جعلت رضا المهيمن مالى
مد اليدين اليك أفضل شرعة
ولغير وجهك لا يصح سؤالى
فاجعل هواك شريعتى وذريعتى
واجعل شهودك لى مسرة حالى
يارب قلبى قد غسلت من الورى
اذ ليس غيرك ما حييت ببالى
روض المحبة قد شهدت جلاله
وجماله فثبت فى احوالى
يا نفس انى لا امالىء غيره
قومى الى خوض الكريم تعالى
الله قد بنى اليه بفضله
لم يرض لى فى الحب اى تعال
ان الذى فهم المحبة قلبه
فى القدر من بين البرية عال
ان الذى فهم المحبة قلبه
لم يتجه يوما لال زوال

سلم لربك أمره واترك له
أقداره واحذر من الاقوال
وذر العباد وشأنهم وفعالهم
ان كنت مرتادا بلوغ كمال

وكان رضى الله عنه يبدأ كلامه بالشطر الاول من البيت المسؤول فيه ويختم بالشطر الثانى كما ترى ، ولعل القارىء العزيز يعجب للجناس الذى كان يواتيه على غير تفكير فيه ، [والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم] .

وفي قوله رضى الله عنه :

ان الذى فهم المحبة قلبه
لم يتجه يوما لال زوال

يشير به الى قوله تعالى [كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام] ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه : [ويبقى وجه ربك] وفى بقائه سبحانه خلف عن كل تلف ، وتسلية للمسلمين عما يصيبهم من المصائب ويفوتهم من المواهب .

ونستشف صحة ما يقوله الامام القشيرى طيب الله ثراه من قوله تعالى [وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون] وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه اذا قرأ تلك الاية الاخيرة يقول : نعم العدلان والعلاوة ، فالعدلان الصلوات والرحمة ، والعلاوة هى الاهتداء . أقول ، وقد ابتلى الله تعالى انبياءه ورسله الكرام بمصائب الدنيا ، وقص علينا من ذلك فى القرآن الكثير ، لنتاسى بهم فى صبرهم الجميل ، ولنرى أن البلاء والابتلاء فى الحياة الدنيا : ولذلك قال بعض العارفين فى زهده للدنيا :

وعفت دنيا تسمى من دناءتها
دنيا والا فمن مكروهها الدانى

ويقول سيدى الشيخ على عقل نور الله مرقده فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه حين طلبوا اليه ان ياتى بابيات على وزن البيت التالى وقافيته :

عرش كسرى تغنى عنه كسرة
وعن البحر اجتزاء بالوشل

وكان مما قال فورا رضى الله عنه :

عرش كسرى تغنى عنه كسرة
ما وقى الملك من الموت أجل
كل عيش للردى مرجعه
هدم الموت به كل أمل
ليس من ورث عرشا ملكا
أو على الملك تفانى واتكل
انما الملك الذى حد الهوى
وعن اللهو تناءى وعدل
وحياة قد خلا سلطانها
من تقى الله قصاراها الفشل
ليس عندى أى مال انما
كل ما لى فيه علم وعمل
ان عيدى يوم ألقاه فما
لى عيد غير وجه الله جل

اذكر الله صباحا ودجى
ان من يترك ذكر الله ذل
كن مع الله تقيا صادقا
ان من يترك شرع الله ضل
شهدت روحى حمياه وقد
لاح لى نور المحيا واتصل
ايه يا دنيا افعلى ما شئته
ان شمس الحشر أدنى من زحل
عن مغانيك بشبر اكتفى
وعن البحر احتزاء بالوشل

وفى قوله رضى الله عنه :

ليس من ورث عرشا ملكا
أو على الملك تفانى واتكل

انما الملك الذى حد الهوى
وعن اللهو تناوى وعدل

[ورث بضم الواو وتشديد الراء المكسورة] يشير رضى الله عنه الى قوله تعالى [فاذا جاءت الطامة الكبرى . يوم يتذكر الانسان ماسعى . وبرزت الجحيم لمن يرى . فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى] .

وانما وجهنى الى هذا الفهم أن الله تعالى حكى لنا فى سورة النازعات نفسها ماكان من أمر فرعون الذى غره عرش دنياه وحمله على ان يدعى الالوهية فقال مرة [أنا ربكم الاعلى] وقال مرة أخرى [يايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى] وهذا هو الطغيان بعينه الذى كشف عنه سبحانه فى قوله لسيدنا موسى عليه السلام [اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى أن تزكى . وأهديك الى ربك فتخشى . فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الاعلى. فاخذه الله نكال الاخرة والاولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى]. فانظر رعاك الله عاقبة من غرته دنياه وباع بها اخراه ، وعاقبة من آثر أخراه على دنياه ارضاء الله عز وجل ، فقد كان للاول عذاب الغرق فى الدنيا وجحيم النار فى الاخرة وكان للثانى سعادة الصلة فى الدنيا بالله وجنات النعيم فى اخراه ، وما أبعد البدايتين والنهايتين [فريق فى الجنة وفريق فى السعير]. جعلنا الله بمنه وكرمه من الاتقياء السعداء واعاذنا بفضله وجوده من مال الاشقياء .

ويعلمنا رضى الله عنه بقوله :

ان عيدى يوم القاه فما
لى عيد غير وجه الله جل

ان عيد المؤمن الحق هو أن يحظى يوم القيامة برضوان الله الاكبر عندما يسعد برؤيته سبحانه مصداقا لقوله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة] وهى رؤية . كما بينا من قبل - بلا كيف ولا حصر بل بما شاء الله أن تكون جعلنا الله تعالى من اهلها بعطائه واحسانه .

يقول الامام القشيرى رضى الله عنه عند قوله تعالى [انك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون] : نعاه عليه السلام اليه ، ونعى المسلمين اليهم ففزعوا باجمعهم من مأتمهم ، ولا تعريه فى العادة بعد ثلاث ، ومن لم يتفرغ من مأتم نفسه وأنواع همه ، فليس له من هذا الحديث شمة [يقصد الفناء عن كل مايشغله عن الله تعالى]. فاذا فرغ

قلبه من حديث نفسه ؟ ومن الكون بجملته ، فحينئذ يجد الخير من ربه ، وليس هذا الحديث الا بعد فنائهم عنهم وانشد بعضهم :

كتابى اليكم بعد موتى بليلة
ولم أدر انى بعد موتى اكتب

وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : لما نزلت [ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون] قال الزبير : يا رسول الله ، اتكون علينا الخصومة بعد النبى بيننا فى الدنيا ؟ قال : نعم ، فقال : ان الامر اذن لشديد · أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ·

وروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان المفلس من ياتى يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، واكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » · اقول : ويؤيد هذا قوله على أفضل الصلاة والسلام » كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » كما يؤيده القرآن الكريم فى آيات كثيرة كما هو معلوم · وعند قوله تعالى [والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون · لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه :
الذى جاء بالصدق فى أفعاله من حيث الاخلاص ، وفى احواله من حيث الصدق ، وفى اسراره من حيث الحقيقة ·

[ذلك جزاء المحسنين] الاحسان — كما جاء فى الخبر : ان تعبد الله كانك تراه ، واضاف رضى الله عنه يقول : فمن كانت اليوم مشاهدته على الدوام كانت رؤيته غدا على الدوام ، ومن لا ، فلا ·

وفى قوله تعالى [ليكفر الله عنهم أسوا الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه : من لا يكون مؤمنا فليس من أهل هذه الجملة ، ومن كان معه ايمان ، فاذا كفر عنه أسوا ماعمله ، فاسوا اعماله كبائره ، فان غفرت يجزهم بأحسن أعمالهم ، واحسن اعمال المؤمن الايمان والمعرفة ، فان كان الايمان مؤقتا ، كان ثوابه مؤقتا ، وان كان الايمان على الدوام ، فثوابه على الدوام ، ثم احسن الاعمال عليها أحسن الثواب ، وأحسن الثواب الرؤية فيجب ان تكون على الدوام ·

ويقول سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه فى شوقه الى الرؤية وتلهفه عليها وأمله فيها :

واذا سالتك ان أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

وهو رضى الله عنه انما يطلب الرؤية فى الاخرة ويطمع ان يحقق الله رجاءه ولا يقول له ربه عندئذ [لن ترانى] وهو ما قاله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام عندما قال لربه بعد سماع خطابه الكريم وتلذذه به [رب أرنى انظر اليك] وهذا الطلب من سيدنا موسى عليه السلام يدل على علو همته وشدة حبه لربه ، فقد ازداد بلذيذ خطاب الحق هياما وأواما ، ولو لم تكن الرؤية فى الدنيا جائزة ما طلبها من ربه ، ولذلك لم يعاتبه الله على طلبها بل قال له جل شانه [لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين] وعلق الله الرؤية على استقرار الجبل وكان فى الامكان أن يستقر لو أقره الله تعالى ، ولكنه سبحانه أراد بعدم استقراره أن يطمئن كليم الله عليه السلام على أن حجابه عن الرؤية لم يكن بخلا عليه وانما كان رحمة به لانه لا يقوى عليها ، وفى قوله تعالى [لن ترانى] دليل على جواز الرؤية لانه لم يقل له « لن أرى » بنفى الرؤية ، بل نفى الله أن يراه الكليم عليه السلام فقال [لن ترانى] ولما أفاق سيدنا موسى عليه السلام قال ما حكاه الله تعالى عنه [فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين] فلاطفه سبحانه وتعالى بقوله الكريم [قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين] ·

ولسيدى الامام القشيرى فى لطائف الاشارات كلام رائع حقا فى تعقيبه على تلك القصة ، وانى مقتبس للقارىء العزيز بعض ما قال · رضى الله عنه :

[ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا] جاء موسى مجىء المشتاقين ، مجىء المهيمين ، جاء موسى بلا موسى ، وجاء موسى ولم يبق من موسى شىء لموسى ، آلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكرهم أحد ، وهذا موسى خطا خطوات فالى القيامة يقرأ الصبيان [ولما جاء موسى ···] ·

ويقال : لما جاء موسى لميقات باسط الحق سبحانه ، سقط بسماع الخطاب فلم يتمالك حتى قال [ارنى انظر اليك] ، فان غلبات الوجد عليه استنطقته بطلب كمال الاصلة من الشهود وكذا قالوا :

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

[اود ان انبه ان دنوا العبد من ربه دنو مكانة وتكريم ليس دنو مسافة لانه ليس بين العبد وربه مسافة ، كما ان الله تعالى لا يحصره مكان لانه سبحانه كان قبل ان يخلق المكان] ·

ويقال : صار موسى عليه السلام عند سماع الخطاب بعين السكر ، فنطق ما نطق ، والسكران لا يؤخذ بقوله ، الا ترى انه ليس فى نص الكتاب معه عتاب بحرف ·

ويقال : اشد الخلق شوقا الى الحبيب اقربهم من الحبيب · هذا موسى عليه السلام ، وكان عريق الوصلة ، واقفا فى محل المناجاة ، ثم فى عين ذلك كان يقول [رب ارنى انظر اليك] كانه غائب عن الحقيقة ولكن ما ازداد القوم شربا الا ازدادوا عطشا ، ولا ازدادوا تيما الا ازدادوا شوقا ، لانه لا سبيل الى الوصلة الا بالكمال والحق سبحانه يصون اسرار اصفيائه عن مداخلة الملال ·

[فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا] فالجبل اعطى التجلى ، فالجبل رآه وموسى لم يره ، ثم امر الله موسى بالنظر الى الجبل الذى قدم عليه فى هذا السؤال ، وهذا والله لصعب شديد ، ولكن موسى لم ينازع ، ولم يقل انا اريد النظر اليك ، فاذا لم ارك لا انظر الى غيرك ، بل قال لا ارفع بصرى عما امرتنى ان انظر اليه ·

ويقال : لما رد موسى الى حال الصحو وافاق رجع الى راس الامر فقال [تبت اليك] يعنى ان لم تكن الرؤية هى غاية

المرتبة فلا أقل من التوبة ؟ فقبله تعالى لسمو همته الى الرتبة العلية .

وقوله [تبت اليك] اناخة بقوة العبودية ، وشرط الانصاف الا تبرح محل الخدمة وان حيل بينك وبين وجود القربة ، لان القربة حظ نفسك ، والخدمة حق ربك .

وفى قوله تعالى [قال ياموسى انى اصطفيتك على النـاس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين] بقول الامام القشيرى رضى الله عنه : هذا الخطاب لتدارك قلب موسى عليه السلام بكل هذا الرفق ، كانه قال : ياموسى انى منعتك عن شىء واحد وهو الرؤية ، ولكنى خصصتك بكثير من الفضائل ، اصطفيتك بالرسالة ، واكرمتك بشرف الحالة ، فاشكر هـذه الجملة ، واعرف هذه النعمة ، وكن من الشاكرين ، وفى قوله سبحانه [وكن من الشاكرين] اشارة لطيفة ، كانه قال : لا تكن من الشاكين ، اى ان منعتك عن سؤلك ، ولم اعطك مطلوبك فلا تشكنى اذا انصرفت .

وفى قوله تعالى [وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء] وفى الاثر : ان موسى عليه السلام كـان يسمع صرير القلم ، وفى هذا نوع لطف ، لانه ان منع منه النظر او منعه من النظر فقد علله بالاثر .

وفى قوله تعالى [فخذها بقوة] فيه اشارة الى ان الاخذ يشير الى غاية القرب ، والمراد ها هنا صفاء الحال ، لان قرب المكان لا يصح على الله سبحانه .

وفى قوله تعالى [وأمر قومك يأخذوا باحسنها] فرق بين ما أمر به موسى من الاخذ ، وبين ما أمر أن يامر به قومه من الاخذ اخذ موسى عليه السلام من الحق على وجه من تحقيق الزلفة وتأكيد الوصلة ، واخذهم اخذ قبول من حيث التزام الطاعة وشتان ما هما .

وفى قوله تعالى [باحسنها] بمعنى بحسنها ، ويحتمل ان تكون الهمزة للمبالغة ، يعنى : باحسنها الا معرج عن تاويل وارجع الى الاولى [يقصد لا تاخذ بالرخصة والتاويلات وخـذ بالعزائم التى ياخذ بها أهل الهمة من الصوفية] .

وفى قوله تعالى [ساريكم دار الفاسقين] بعنى عليها غبرة العقوبة ، خاوية على عروشها ، ساقطة على سقوفها ، منهد بنيانها ، عليها فترة العقاب .

والاشارة من [دار الفاسقين] الى النفوس المتـابعة للشهوات ، والقلوب التى هى معادن المنى وفاسد الخطرات ، فان الفسق يوجب خراب المحل الذى يجرى فيه ، فمن جرى على نفسه فسق خربت نفسه ، وآية خراب النفوس انتفاء ماكان عليها وفيها من سكان الطاعات ، فكما تتعطل المنازل عن قطانها اذا تداعت للخراب ، فكذلك اذا خربت النفوس بعمل المعاصى فتنتفى عنها لوازم الطاعات ومعتادها ، فبعدما كان العبد يتيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب شيئا من المحظورات ، يشق عليه فعل العبادة ، حتى لو خير بين ركعتى صلاة وبين مقاساة كثير من المشاق آثر تحمل المشاق على الطاعة ، وعلى هذا النحو ظلم القلوب وفسادها فى ايجاب خراب محالها .

وختاما اقول : اللهم اسعدنا بتقواك ولا تشقنا بمعصيتك ، وارزقنا حسن الفهم لايات كتابك بمثل النـور الذى نورت به بصائر اسلافنا الصالحين واجزهم عنا خيرا كثيرا يا رب العالمين آمين .

وقت النحر

الافضل بل هو الواجب لدى جمهرة من العلماء ان يكون الذبح بعد صلاة العيد لما روى أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : « من كان ذبح قبل ان صلى فليذبح مكانهاأخرى ، ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله » .

ولما روى من حديث جابر أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : « من كان ذبح قبل الصلاة فليعد » .

كيفية التصرف فى الاضحية

ينبغى أن تقسم الاضحية اثلاثا ثلثا للصدقة وثلثا للمضحى وثلثا للاهداء وهذا أدنى الكمال وأعلى منه :

أن يكون للصدقة نصفها وللمضحى نصفها يأكل منه أو يأكل ويهدى .
والله الهادى الى الرشاد والقابل الصالح من العباد .

أضواء على التصوّف الإسلامي

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

ان قضية التصوف الاسلامى من أهم القضايا التى ينبغى أن نلقى عليها بعض الاضواء ، لبيان الحق من الباطل والخير من الشر ، فقد يظن بعض الناس أن الصوفى هو الذى يعيش فى صومعته حبيسا لا يحب أنيسا ولا جليسا أو هو الذى يقطع الليل والنهار فى تبتل واذكار دون « عظة واعتبار » أو هو الذى ينتسب الى طريقة من الطرق أو الى فرقة من الفرق .

أو هو الذى يظهر كرامة تلو كرامة دون أن يتصف بالاستقامة وهذا ظن فاسد واعتقاد لم يستند الى دليل بل مبعثه الوهم والتضليل لان الصوفى الحقيقى عمله عمل باطنى قلبى يرجو لقاء الله ولا يشرك معه فى العبادة سواه قال تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وهذه الامور السالفة من الانزواء فى مكان بعيد عن الناس أو التبتل والذكر دون عظة أو فكر لا ينظر الله اليها لان الله لا ينظر الى الصور والاشكال وانما ينظر الى القلوب والاعمال .

فالصوفيون هم المقتدون بسيد الانبياء عليه الصلاة والسلام فى أقواله وأفعاله « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا** » والرسول صلى الله عليه وسلم بين السبل ووضح الطرق التى تجعلنا من المقربين المحبين والمحبوبين وقد كانت حياته الطيبة نورا يهتدى به ذوو البصائر القوية واصحاب الضمائر الحية فلم يعرف الكسل فى حياته بل كان يعمل كادحا ليرضى ربه بعمله لانه يعلم أن العمل عبادة وأن السعى على الرزق شرف كبير . لذلك رعى الغنم وتاجر وحلب الشاة وخصف نعله وقاد جيوشه موضحا لنا أن الامور الدنيوية لا تنفك عن الامور الاخروية ويضاعف الله الثواب لصاحبها اذا ما خلصت النية فكل عمل يعمله الانسان فى دنياه يعود عليه وعلى اخوانه وعلى مجتمعه بالخير يأخذ عليه الاجر العظيم اذا كانت نيته اسعاد الناس وارضاء الههم سبحانه وتعالى **قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه .**

فالصوفى الحقيقى هو الذى يحسن نيته فى أعماله ويراقب ربه فى سائر أحواله ولا ينتظر الى أقوال الناس عليه ولا ينتظر ثناء ولا شكورا من أحد بل يخلص العمل للواحد الاحد فليتاجر ما شاء وليتزوج ما شاء وليأكل ما شاء فى اطار ما رسمته له الشريعة الاسلامية وما هدته اليه الحقيقة

الالهية فليس التصوف حرمانا ولا انعزالا ولا ادعاء فهذا الذى يصلى ولا يفتر وذاك الذى يصوم ولا يفطر وذلك الذى يعتزل النساء فلا يتزوج ليس صوفيا لانه لم يسر فى طريق الشريعة فلا يمكن له أن يصل الى الحقيقة . عن أنس رضى الله عنه قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت **أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا أعتزل النساء فلا أتزوج وقال الثانى أما أنا أصوم فلا أفطر ، وقال الثالث أما أنا أقوم الليل فلا أفتر .**

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم قلتم كذا وكذا أما والله انى لا خشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » متفق عليه واللفظ لمسلم .

ويتضح لنا من هذا الحديث أن التصوف الحق هو المتوسط والاعتدال فى جميع الاحوال .

وهناك قوم أدعياء فى التصوف يظهرون خلاف ما يبطنون ويتغالون كل الغلو فى حركاتهم وسكناتهم يوهمون الناس أنهم أوتوا حظا وفيرا من الولاية وأصبحوا قدوة وأئمة فى الهداية فيقومون ببعض الضلالات ويدخلون فى التصوف الخرافات وهؤلاء فى الحقيقة شياطين الانس وأعداء التصوف لانهم خالفوا التعاليم السماوية فلا يصح أن ينتسبوا أبدا للصوفية لان الصوفية الحقيقية هى النابعة من الشريعة الاسلامية . جاء فى الرسالة القشيرية « الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبولة وكل الحقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة . فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة جاءت لتعريف الحق فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود بما قضى وقدر ، واخفى واظهر » .

ولكن اعوجاج بعض هؤلاء وظهورهم بالمظهر الذى لا يتفق مع التصوف لا يوهن من أمر التصوف ولا يقلل من شأنه لان التصوف طريقة قويمة وخطة راشدة حكيمة ترمى الى تخليص الاعمال من الحظوظ والامراض الفاسده وتهدف الى تكيف الحياة الانسانية تكييفا دينيا صالحا سداه ولحمته تقوى الله تعالى ومراقبته وذكره باللسان والجنان وغايته حضور القلب معه عز وجل فى كل حال وهذه المثل العالية والاغراض الشريفة السامية هى التى جاء بها الكتاب والسنة النبوية وهما باقيان خالدان ما بقيت هذه الاكوان . هذه بعض أضواء ، أحببنا ان نلقيها على قضية التصوف الاسلامى فى مستهل هذه السلسلة من الاحاديث التى نريد - بتوفيق الله تعالى - أن نكشف فيها النقاب عن أهم حقائق التصوف الاسلامى فى ضوء الكتاب والسنة ، والتاريخ الصحيح ، حتى لا يتخذ الناس من بعض الدخلاء والادعياء ثغرة لهدم هذا المحراب العتيق ، وحتى لا يتسرب الشك الى ضعاف العقول أو من أصابهم الغرور العقلى ، فراحوا يهرقون بما لا يعرفون ويشوهون حقائق أهل الله وأوليائه .. كل ذلك ستأتى مناقشته فيما سيأتى بأذن الله تعالى من أحاديث « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »

للبحث بقية

حكم الاضحية

ذهب كثير من العلماء الى القول بوجوب الاضحية على كل ذى سعة فيثاب عليها ويعاقب على تركها واستدلوا على ذلك بأن النحر ورد فى القرآن بصيغة الامر «**فصل لربك وانحر**» **والامر للوجوب** وبما روى عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : «من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا» .

ورأى بعض العلماء انها سنة يثاب عليها : وهى ان لم يكن على تركها عقاب ففيه العقاب ، فقد ثبت ان رسول الله[صلى الله عليه وسلم] يعتب على تارك سنته يوم تحشر الخلائق للحساب عتابا يكاد من تأثيره يتساقط لحم وجهه .

واستدلوا على عدم وجوبها بما روى عن جابر قال : صليت مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فلما انصرف اتى بكبش فذبحه فقال : « بسم الله والله اكبر اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من امتى » .

فالظاهر من الحديث ان تضحيته [صلى الله عليه وسلم] اجزات عن كل من لم يضح بصفة عامة سواء كان متمكنا من الاضحية أو غير متمكن .

أخذ كل من الفريقين يرد على الاخر فى موضعه من المراجع الفقهية .

والذهاب الى الوجوب يميل اليه ويعمل بمقتضاه كل من يريد الاخذ بالاحوط فى دينه ويرجو براءة ذمته بيقين ..

العلم والإيمان

دعم للجبهة الإسلامية يسد الطريق أمام الاستعمار

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

شهدت الايام الاخيرة فى نطاق الجبهة الاسلامية حركة من حركات التاريخ الصادقة . أعادت بها طلائع اليوم ما سجله التاريخ من امجاد الطلائع الاسلامية الاولى ، وأقل ما توصف به هذه الحركة فى هدفها وغايتها انها بعث جديد لحياة الامة الاسلامية .

ودعم لجبهتها على التعاون والتآلف ، وابراز لادارتها فى مواجهة المآرب الدخيلة والمطامع المتهمة، واذا كانت آثار هذه الحركة قد ظهرت تباشيرها اليوم وحدة فى الرأى ، وقوة فى الارادة ، وتنسيقا فى العمل ، وايثارا للبذل والتضحية . فان الذى لا شك فيه ان نتائج هذه الحركة ستكون بعيدة الاثر فى مستقبل الامه الاسلامية ، وبخاصة فى هذه المنطقة الحيوية التى تعتبر قاعدة العالم الاسلامى ومجتمع روابطه ومقوماته .

بدات هذه الحركة التاريخية طريقها من مراكز الاسلام فى القاهره وطهران والرياض ، ثم اتسع نطاقها فشملت بغداد والكويت ودول الامارات ، وكان للجزائر فى نطاق هذه الحركة دور عظيم خالد ، وكانت البداية من صنع القائد الحكيم الصادق الرئيس انور السادات ، فقد انتقل من القاهره الى طهران ، وكان لقاء تاريخيا مع شاه ايران ، ثم تعددت اللقاءات وتتابعت بين القادة فى القاهره . وفى الرياض ، وفى بغداد ، وفى الجزائر ، وفى الكويت . وكانت لقاءات صدق بين القادة والزعماء ، تفتحت فيها العقول والقلوب وتلاقت فيها الرغبات الطيبة والنوايا الصادقة على أساس من الفهم للحاضر والوعى للمستقبل ، وتقدير المسئولية أمام التاريخ .

ولقد تناولت مجلة « الاخاء » الايرانية اللقاءات التى تمت بين القادة والزعماء بالتعليق فى كلمة موجزة أشارت فيها ما تنطوى عليه هذه اللقاءات من خير عظيم لصالح الامة العربية والاسلامية ومستقبلها الزاهر فى هذه المنطقة الحيوية من العالم فقالت :

« ان قادة بلدان منطقة الشرق الاوسط الذين عرفتهم التجارب السياسية والاحداث التاريخية المعاصره لا يمكن أن تكون بينهم صعوبات فى استيعاب الابعاد الحقيقية للاحداث العالمية القائمة ، وادراك ما قد تؤدى اليه هذه الاحداث من نتائج وآثار بالنسبة لشعوب هذه المنطقة وبلدانها التى تحتل مكانة خطيرة فى العالم » .

« ومن المسلم به تاريخيا أن الامور المصيرية والمواقف التاريخية فى حياة الامم والشعوب لا يمكن ان تواجه بالارتجال والتسرع ، ولقد أدرك القائدان المسلمان الشاهنشاه آريا مهر والرئيس محمد أنور السادات هذه الحقيقة . حقيقة الموقف الصعب الذى يجتازه العالم وآثاره القريبة والبعيدة على شعوب

وبلدان المنطقة ، ولهذا التزم القائدان العظيمان بضرورة اللقاءات والاتصالات المستمرة بين قادة بلدان المنطقة التى ترتبط شعوبها بمصير واحد ، ولقد اثمرت اللقاءات والاتصالات بين القادة بشكل يبشر بتعاون تام ومخلص فى المستقبل القريب بين شعوب المنطقة لدفع الخطر عنها من اى مصدر كان ..

« ون مواقف ايران من اشقائها العرب ووقوفها الى جانبهم بكل قوة وعزيمة لاسترداد حقوقهم المشروعة ومشاركتهم فى السراء والضراء ، ليست مواقف ارتجالية ، وانما هى مواقف فرضها التاريخ المشترك ووحدة العقيدة والمصير ، ولقد اكد الرئيس انور السادات هذه الحقيقة حين قال : ان ايران معنا ، وقد اطمان العرب وهم يرون شقيقتهم ايران القوية الى جانبهم بكل امكانياتها . وهو حلم كان يراود خيال كل مسلم ، وقد اصبح الحلم حقيقة .. »

وهذا هو الواقع والحق ، فان أحدا من الناس مهما بلغ به التفاؤل وحسن الظن بالناس والايام لم يكن يتوقع او يتصور ان يلتقى قادة هذه المنطقة على التالف والتعاون وان يكونوا قلبا واحدا وجبهة واحدة فى مواجهة الاخطار التى تتهددهم وتتهدد مصالحهم ، وان ينهضوا لتقدير المسئولية التى يفرضها عليهم التاريخ ووحدة العقيدة والمصير ، ذلك لان الاستعمار بكل الوانه وبجميع اشكاله عاش دهرا وهو مسلط عى هده المنطقة ، يبث الفرقة فى الصفوف ، ويزرع النفرة بين القادة ، ويرسم الخطط ويدبر المؤامرات حتى يعيش ابناء العقيدة الواحدة والتاريخ الواحد والمصير المشترك فى فرقة تتسع دائما ولا تضيق ابدا ، لانه عن طريق هذه الفرقة يجد الباب مفتوحا الى تحقيق مآربه واغراضه ، والى نهب ثروات المنطقة والتسلط على مواردها الضخمة وبخاصة موارد البترول التى اصبحت قوة لها تاثيرها على العالم كله ، وكان الاستعمار فى سبيل اغراضه ومطامعه يحرص على الا يستقر لهذه المنطقة قرار من الامن والراحة والصفاء ، فكان يثير النزعات الطائفية ، ويورث العدواوات فى القلوب ، ويخلق الشكوك فى النفوس ، وكان يعمل جاهدا على ان يفصل بين الجبهة الاسلامية فى المنطقة العربية ، والجبهة الاسلامية فى ايران وما بعدها خارج المنطقة العربية .

كانت هناك نفرة بين ايران وبين الجزيرة العربية صنعها الاستعمار حول ماسماه بالمطامع فى منطقة الخليج ومستقبل هذه المنطقة التى اكسبها البترول اهمية كبيرة .

وكانت هناك نفرة بل حرب قائمة بين ايران والعراق حول الحدود ومناطق النفوذ وهى لا شك حرب صنعها الاستعمار وحشد لها ذلك البرزانى الذى اخذ يثير لجاجها سنوات وسنوات .

وكان هناك صدام بين العراق والكويت حول الحدود فى الوطن العربى الواحد .

رواسب كثيرة خلفها الاستعمار ، وشوائب كثيرة خلقها الاستعمار ، ولقد اشاعت هذه الرواسب والشوائب الظلمة فى جو المنطقة ، وخلقت الريبة فى النفوس ، وكان من الطبيعى أن يكون هناك التنافر والتناحر بين ابناء التاريخ المشترك والعقيدة الواحدة والمصير الواحد ، وهذا هو الذى مع الاسف ، وبكل الاسف .

ثم كانت ارادة فى الخير لهذه الامة ، الهمها أهل الحكمة والرشاد من القادة الصادقين المخلصين ، وخرج الرجل المؤمن الرئيس انور السادات الى اخونه القادة قلبا الى قلب وعقلا مع عقل ، داعيا الى الخير والى الحب والتآلف ، والى التساند والتعاون ، والى تقدير المسئولية التاريخية فى مواجهة الطغيان والعدوان ، والى ايثار الصالح المشترك لخير الامة ولشعوب المنطقة ، وسرعان ما استجابت القلوب والعقول ، وكان هذا الموقف العظيم من مواقف التاريخ .

أجل انه موقف من مواقف التاريخ الخالدة ، وانه لعمل مجيد تستعيد به هذه الامة الاسلامية ما كان لها من ارادة وقوة فى خدمة الانسانية واسداء الخير للعالم ، وانه لدعم للجبهة الاسلامية فى هذه المنطقة سد الطريق امام المطامع الاستعمارية والمآرب المتهمة التى لا تبغى الا نهب ما فى المنطقة من خيرات ، وسلب كل ما لشعوبها من قدرات .

انا لنرجوا ان يبارك الله سبحانه وتعالى فى هذه الحركة التى تلاقت عليها قلوب القادة المخلصين الصادقين وان تمضى فى طريقها الى الحق والخير والقوة صاعدة ان شاء الله .

حول
الاجتماع القادم
لوزراء خارجية
الدول الاسلامية
في جدة

المسلمون قوة دولية خطيرة على مستوى المجتمع الدولي المعاصر

الأستاذ
صبري أبو المجد

◆◇◆

تلقيت شاكرا دعوة من المملكة العربية السعودية لمتابعة أعمال مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى سيعقد فى جدة بمشيئة الله فى ١٢ يوليو القادم بجدة ، وكنت فى صيف العام الماضى قد تابعت فى جدة أيضا مؤتمر وزراء المالية بالدول الاسلامية وكنت قبل ذلك أيضا قد تابعت كصحفى وكاتب مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ومؤتمر القمة الاسلامى الثالث فى لاهور - درة شبه القارة الهندية - فى فبراير ١٩٧٤ وكنت قبل ذلك كله قد حرصت على المشاركة فى العديد من اللقاءات والمؤتمرات الاسلامية ، التى عقدت على مستوى العالم الاسلامى ابتداء من ١٩٦٥ والذى استطيع أن أقول - فى البداية - وبكل الصراحة والوضوح والايمان الذى يدعونا اليه ديننا الحنيف ان خطواتنا فى طريق العمل الاسلامى الموحد تسير بخطوات بطيئة لا تتفق تماما مع آمال ، وطموح شعوبنا الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، صحيح أن محاولاتنا التى سبقت مؤتمر القمة الاسلامى الاول الذى عقد فى الرباط عام ١٩٦٩ كانت غير ناجحة تماما لان العمل الاسلامى الموحد لم يكن قد تبلور بعد وصحيح أن الظروف السياسية التى عقد فى ظلها مؤتمر القمة الاسلامى الاول لم تكن مواتية تماما لتوحيد كلمه القادة المسلمين والانتقال بالعمل الاسلامى الموحد من مرحلة الرجاء والامل ، الى مرحلة العمل الجاد ، البناء وصحيح ان كثيرا من الاختلافات والخلافات فى كثير من وجهات النظر من القادة المسلمين ، أو بين بعض القادة المسلمين بمعنى أدق ، كانت تعيق الى حد ما أى عمل مشترك .

◆◇◆◇

صحيح كل ذلك ٪ وأكثر من ذلك ولكن الصورة الآن تغيرت تماما وخاصة فى السنوات الثلاثة الاخيرة : لم تعد هناك انشقاقات بين صفوف القيادات الاسلامية ، لم تعد توجد عقبات ضخمة تعيق وحدة الصف الاسلامى لم تعد هناك حساسيات تؤخر تقدم اى لقاء اسلامى لم يعد ذلك ولا غيره له وجود ، بل على العكس اصبحت كل الظروف مواتيه تماما ليخطو المسلمون خطوات سريعة ، قوية نحو توحيد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، وفرض ارادتهم على المجتمع الدولى الذى طالما انكر عليهم حقوقهم المشروعة وحال بينهم وبين تحقيق وحدتهم المنشودة التى لن يعود خيرها العميم عليهم وحدهم بل سيمتد ليشمل الجنس البشرى كله ولذلك فلن نكون مغالين ولا متفائلين اكثر من اللازم اذا ما املنا الخير الكثير فى الاجتماع القادم لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ولمؤتمر القمة الاسلامى الرابع ، الذى نرجو ان ينعقد قريبا خاصة وان كل الظروف التى تضمن له النجاح متوافرة كما ان هناك العديد من المشاكل التى تواجه العالم الاسلامى والتى تتطلب سرعة اتخاذ القرارات القوية والحاسمة ، وفى مقدمة ذلك تلك المشاكل بالطبع انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ وفى مقدمتها القدس ، وتقرير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى : لقد راح العدو الاسرائيلى كعادته يماطل فى الانسحاب كما راح فى الوقت ذاته يكدس السلاح الحديث ، ويتأهب لشن عدوان جديد على الارض العربية لكى ، يثأر لنفسه من الهزيمة الساحقة التى حلت به فى حرب العاشر من رمضان . كما أن العدو الصهيونى الذى وقف الرأى العام العالمى ضده والذى قطعت كل دول افريقية وآسيا علاقاتها به بعد انكشاف امره ، وظهور اهدافه العدوانية التوسعية بصورة واضحة جدية قد راح من جديد يبذل جهودا شاقة مضنية محاولا كسب الارض السياسية التى افتقدها ، وخاصة فى افريقية وآسيا ودول العالم الثالث .

وفى الوقت ذاته راح يدبر المؤامرات تلو المؤامرات محاولا الوقيعة بين الصفوف العريضة التى تراصت بشكل رائع ملفت للنظر فى حرب العاشر من رمضان وبعدها ، ولعل مما يبعث الامل فى النفوس ان الدول الاسلامية كلها قيادات وشعوبا قد اصبحت متفهمة تماما للقضية العربية مدركة الى ابعد حدود الادراك ابعادها السياسية ، والاقتصادية والروحية . لقد بذل العدو - وكانت لديه الامكانيات الكثيرة ، والوفيرة طوال سنوات عديدة مضت جهودا شاقة واموالا وفيرة ليشق كلمة المسلمين وللايحاء بأن القضية العربية قضية محلية وليست قضية اسلامية فى نفس الوقت وقد نجحت فى الماضى محاولاته الى حد كبير ، حتى ان كثيرين من أبناء القارة الافريقية الذين يدينون بالاسلام قد تأثروا بتلك الدعاية الكاذبة التى اعتمدت على تزوير الحقائق ، وتزييف المعلومات ، بل ان بعض أبناء الدول الاسلامية فى افريقية قد وقفوا من القضية العربية موقف الخصومة متأثرين بأقوال الاسرائيليين حتى انهم كانوا - ولهم عذرهم فى ذلك لاننا لم نكن نعمل ما يجب ان نعمله تجاههم لتنوير افكارهم وآرائهم - كانوا يعتبرون اسرائيل نموذجا لهم يجب أن يحتذى . شاركت كعضو فى المؤتمر الاسلامى لشباب افريقية وآسيا ، الذى عقد فى باندونج فى ربيع ١٩٦٥ وعندما اختيرت اللغة العربية لتكون اللغة الرسمية للمؤتمر وجدنا بعض الاخوة من وسط افريقية وغربها يحتجون لاسباب لا أساس لها من الصحة ، كما وجدنا لديهم مرارة من مفهوم القومية العربية التى وقر فى اذهانهم بسبب نشاط العدو الاسرائيلى عندهم ، وخمول حركتنا لديهم ، انها معادية للقومية الافريقية ، بل ان بعض هؤلاء بكل اسف بسبب جهلهم بحقيقة التاريخ كانوا دائما يتحدثون عن الرق ، ودور العرب فى توسيع نطاق تجارته ، ناسين او متناسين ان الاسلام الذى حارب الرق ، كما لم يحاربه اى دين آخر ، وان العرب المسلمين كانوا يبذلون كل جهود ممكنة للقضاء على هذا الوباء ، الذى استشرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى القارة الافريقية ، وفى كثير من المؤتمرات الاسلامية التى عقدت فى كثير من ارجاء القارتين الافريقيتين والاسيوية لم نكن ابدا نجد وضوح رؤية عند بعض الاخوة الاسيويين ، والافريقيين فيما يتعلق بالقضية العربية ، وقد تذكرت ذلك كله عندما قرأت مقالة ممتازة لكاتب افريقى ممتاز تحدث فيها أخيرا بافاضة عن اسرائيل التى تحولت من النموذج ، الى العدو ، كما تذكرت مقالة أخرى لكاتب بلجيكى اسمه ميشيل دوبونيون نشرها فى صحيفة لوسوار البلجيكية منذ ثلاث سنوات كاملة كان عنوانها : الدول الاسلامية تشدد موقفها تجاه اسرائيل ، وقد عقب ميشيل دوبنيون على بعض القرارات التى اتخذت فى المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الاسلامية وفى مقدمتها الاحتجاج على تهويد القدس ، وانشاء صندوق لمساعدة المقاومة الفلسطينية وكذلك القرار الخاص بشأن الشرق الاوسط ، الذى نص على مساندة المؤتمر للدول العربية الشقيقة فى الجهود التى تبذلها بهدف تحرير أراضيها من الاحتلال الاسرائيلى بالوسائل التى يعتقد انها تتفق مع مصالحها وأمنها وسلامة أراضيها بدون أن يتعارض ذلك مع حقوق الشعب الفلسطينى الذى يعتبر صاحب الحق الوحيد فى تقرير مصيره .. وقد اعتبر الكاتب البلجيكى تلك القرارات تطورا واضحا وبارزا فى المؤتمرات الاسلامية ، وقد أشاد الكاتب البلجيكى بكلمة للسيد عمر السقاف رحمه الله قال فيها : ان ديننا لم يكن ولن يكون ابدا دين التعصب والانعزال ، بل على العكس تماما فالاسلام هو الدين الذى يدعو الى الانفتاح والى انتشار الحب مع جميع البشر » وقد تذكرت أيضا مقالة للكاتب الفرنسى بيروندو نشرها فى صحيفة لوموند قال فيها : « ما زال الشعور الاسلامى فى العالم العربى يشكل قوة سياسية هامة . ان الاسلام

هو الاساس الحقيقى للحضارة التى يمليها الضمير الجماعى العربى وما زال الاسلام بدون شك هو العماد الحقيقى للمجتمع العربى فى مجموعه ، فالاسلام نظام كامل تقترن فيه الروح بالمادة وطبقا للاسلام كما يجب ان يكون لابد ان يضم الجماعة الاسلاميه كل منتمى العالم وأن تتحد وتعبر عن نفسها من وجهة النظر السياسية من خلال دولة واحدة وهنا فقط يكون من حق هذه الجماعة أن تسمى نفسها اسلامية وتذكرت مقالة أخرى جاءت فى افتتاحيه صحيفة التيمز البريطانية صبيحه افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى الثالث فى لاهور تحت عنوان هل يتحد المسلمون ؟ وجاء فى تلك المقالة الافتتاحية :

من الطبيعى – فى عصر التحرر من الحكم الامبريالى الغربى – ان تكون لدى الدول الاسلاميه الرغبه فى ان تؤكد روح الاخوة التى يقضى بها دينها واكثر من ذلك فانه فى قلب العالم العربى خاصة ذكريات الامجاد الماضيه وهذا لابد ان تبعث الامال بشأن قيام نهضة جديدة . لقد كان العالم الاسلامى تتمثل اطرافه سمرقند ، وأصفهان والقيروان واليوم فان الرقعه التى تشغلها الدول الاسلامية لا تزال هائلة وتمتد من اندونيسيا الى الغرب ، بل ان الامر الاكثر تاثيرا فى النفس ، عند مقارنة الاسلام بغيره من الاديان هو أن الاسلام لا يزال ينتشر خاصه فى اتجاه الجنوب فى افريقيا ومع وجود مركز التقاء يتمثل فى مكه تجتذب مئات الالاف من الحجاج ، على مر الزمن فان الاساس الضرورى لتحقيق الوحده والهدف يبدو منهاجا بدرجة كافيه ، وتقول الصحيفة البريطانيه – ولم يكن مؤتمر لاهور قد بدأ بعد – سوف يكون من السهل تحقيق اجماع فى الاراء عندما يكون الامر متعلقا بالقضيه العربية وسوف يسعى العرب على وجه الخصوص الى الحصول على تاييد كامل لمطالبهم ولحقوقهم فى القدس ، وسوف تتمكن – فى المؤتمر – الدول العربيه المشتركة بصوره مباشرة فى صراع الشرق الاوسط من تحقيق تنسيق افضل فى موقفها » وقد جاءت نتائج مؤتمر القمه الاسلامى الثالث مؤكدة تماما ان العالم الاسلامى قد قطع اشواطا هائلة فى طريق وحدته ، وتضامنه : كان المؤتمر بحق – كما سبق أن ذكرنا – أكثر من مرة هو أول تجمع اسلامى شهده التاريخ وكان وقوف ، أكثر من ثلاثين ملكا ، ورئيسا لدول اسلامية يؤدون صلاة الجمعة فى مسجد بادشاهى بلاهور من المناظر الرائعة ، التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، وكنت أرى الرئيس المؤمن محمد أنور السادات قبل المؤتمر وفى اثنائه شعلة من الايمان الصادق تتحرك فى كل مكان : ما من ازمة طرأت قبل أن ينعقد المؤتمر أو فى اثنائه الا وقام الرئيس السادات بدور بارز فى حلها ، وكان التعاون بين الملوك والرؤساء المسلمين فى هذا المؤتمر نموذجا حيا للعمل الاسلامى ، الضخم ، الذى يستهدف جمع كلمة المسلمين والنهوض بشعوبهم ، وقد انزعجت اسرائيل من نجاح مؤتمر لاهور انزعاجا لا مثيل له عبرت عنه – مثلا – صحيفة ها تسوفيه الاسرائيليه قائلة : ان نداء تحرير القدس الذى وجهه المؤتمر يأتى فى وقت اصبح فيه العالم الاسلامى اقوى من الناحيتين السياسيه و الاقتصادية بصورة لم يحدث منذ اربع سنوات وقالت صحيفة معاريف : ان المؤتمر قد اوضح تماما التناقض بين الواقع الذى يحيط بنا والوضع الذى نعيش فيه وبين الوحده المتزايدة للعالم العربى والفرقة التى تهددنا ، ان كل الخلافات التاريخيه والاجتماعيه والدينية بين المسلمين – هكذا فى الاصل – دخلت اليوم فى ثلاجة واقفل عليها من اجل القضيه الموحدة وهى الوقوف ضد اسرائيل . ثم يطرح احد السؤال من هو المسلم : هل الشيعة أم السنة او ابناء الطوائف الاخرى ، التى بعثت بمندوبيها الى المؤتمر اما نحن – هكذا تقول الصحيفة الاسرائيلية فنحن ما نزال نتساءل من هو اليهودى ؟

وقالت الديلى تلجراف البريطانيه – لاول مرة فى التاريخ يتم اجتماع اسلامى من غرب افريقية والشرق الاقصى الى الدول العربية ، التى اتى الجميع معتبرون منظمه التحرير الفلسطينيه هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .. وقالت صحيفه لوموند – فرنسية – ان العالم الاسلامى يحق له ان يفخر بهذا المؤتمر .. انه ليس باستطاعه اى دين اخر ان يجمع ممثلى شعوب ومناطق جغرافيه مختلفه ويتخذ قرارات مشتركه بصدد العديد من المشاكل الدوليه ..

ولعل من الكلمات الرائعه التى قرأ تلك التى نشرتها صحيفه « مشرق » التى تصدر فى باكستان : قالت الصحيفه الباكستانيه : باختتام مؤتمر لاهور الاسلامى يبدأ عهد جديد من الجهاد فى حياة الامة الاسلاميه ، لقد اعلن المؤتمر ان اعادة الحكم العربى الاسلامى الى القدس هو شرط اساسى واولى لحل القضية الشرق الاوسط وان اى حل يتعارض مع هذا القرار لن يقبل كما ان اى تغيير فى وضع القدس مرفوض ان تجديد العزم والسعى بالاتحاد على تحرير القدس واسترجاع حقوق شعب فلسطين لا يعنى قصر هذا السعى والجهاد على ذلك ولكن دائرته يجب أن تتسع لتشمل العالم الاسلامى كله من أجل تحريره واستقلاله ورقيه ، ورفاهيته وليس هذا بالامر الهين ولكنه صراع طويل وشاق لانه يقف فى وجه القوى الكبيره .

انه لا تكفى الخطب ولا تكفى القرارات ولكن لابد من العمل ضمانا للتنفيذ ولابد كذلك من خطة مرسومة وتوحيد وسائلنا . ان مؤتمر القمة بلاهور ، قد خلق شعورا جديدا فى الامة الاسلامية ومن الضرورى ، علينا اتخاذ خطوات عملية لابرازه فى شكل واقعى ، اننا لازلنا محتاجين الى الدول المتقدمة ، فى كثير من ضرورياتنا ، لدرجة اننا لا نستطيع بغير مساعدتها أن نملأ البطون وكثير من الاشياء الضرورية اللازمة للاستعمال اليومى لازالت كذلك تجبرنا على مد الايدى اليه بالسؤال فايديهم حول اعناقنا وسيوفهم مسلطة فوق رؤوسنا ولهذا ما لم ننم اقتصادنا ونرتقى

باتتاجنا فانه لا نجاة لنا ، والواضح من هذا ان الامر ليس الحرب لتحرير فلسطين واستعادة الاراضي المحتلة في سيناء والجولان بقدر ما هي حرب تأخذ من جاكرتا الى الرباط في الحقول ، والمصانع ، وميادين التعليم وادارات التدريب وأعداد الخبراء تؤدي دورنا في الحياة وفقا لديننا وأخلاقنا وما لم يتحقق لنا ذلك فلا سبيل أمامنا للنهوض أو النجاح واذا نجحنا في احداث هذا الانقلاب في حياتنا فسوف نهزم اسرائيل ، ويبوء مناصروها بالخيبة وسوء المصير .. وقد اصابت صحيفة « مشرق » كبد الحقيقة ـ كما يقولون ـ ذلك أن العالم الاسلامي في أمس الحاجة الى نهضة اقتصادية وعلمية تغير وجه الحياة فيه : ان ديننا يحضنا على الالتجاء الى ذلك الطريق بل يحرضنا عليه ولو اننا سرنا في ذلك الطريق منذ سنوات عديدة لما استغلنا الغير ، ولما احتلتنا جماعات لم تمثل يوما في التاريخ الا الحقد ، والكراهية ولم تقم لها في يوم ما اية دولة ، او لم تعرف في يوم ما أى نظام !!

لقد انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الاول في أعقاب النكسة فكان مصيره الفشل ، وانعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث في أعقاب معجزة العاشر من رمضان فكان النجاح من نصيبه .. انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الاول بدون تحضير وبدون لقاءات واجتماعات على اعلى المستويات فاختلفنا فيه وانعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بعد مزيد من التحضير ومزيد من اللقاءات فكانت كلمتنا فيه واحدة . كان اسلوب المزايدات السياسية شائعا في المؤتمر الاول ، اما في المؤتمر الثالث فلم يكن لذلك الاسلوب أى تأثير او نفوذ . في المؤتمر الاول لم يكن لدينا فكرة واضحة عن مفهوم الوحدة الاسلامية . وفي المؤتمر الثالث تحددت الاهداف ، والابعاد ، واتسم العمل الاسلامي بالدقة ، والوضوح ، والتنسيق . في المؤتمر الاول اجتمعنا ، ونحن منفعلين بالاحداث وفي المؤتمر الثالث اجتمعنا ونحن صانعين للاحداث وشتان بين اجتماع ١٩٦٩ ، واجتماع ١٩٧٤ .

وليس معنى ذلك ابدا اننا في اجتماع لاهور قد حققنا كل شيء : اننا في لا هور لم نفعل اكثر من اننا فهمنا بعضنا جيدا ، ووثقنا ببعضنا جيدا ، مباحثتنا معا بصراحة ووضوح بلا مزايدات ، ولا مناقصات ، ولا « حساسيات » ثم وضعنا اقدامنا لاول مرة على الطريق الصحيح ، وقد نفذنا بعض ما جاء في مقررات مؤتمر لاهور ولم ننفذ بعض ما جاء في تلك المقررات رغم أهميتها ، البالغة بالنسبة الى حاضرنا ومستقبلنا ، على أننا لا يجب ان نفرح بما نفذناه ولا يجب أن نيأس لاننا لم ننفذ بعض ما قررناه ، لقد قطعنا أشواطا لا بأس بها من فبراير عام ١٩٧٤ حتى الان ، لم تكن سرعتنا كما نأمل ، ولم تكن وحدتنا كما نتمنى ، ولكننا على اية صورة من الصور سرنا في

نفس الطريق الذى بدأنا السير فيه ؟ لم نتخذ طريقا آخر ولم نتراجع خطوة واحدة ولم ندع الانفعالات والحساسيات تغير من اتجاهنا او تنحرف بنا عن أهدافنا الكبيرة وذلك في حد ذاته حقيقة عمل عظيمة !!

ان المسلمين باعتراف الخصوم والاصدقاء قد أصبحوا بعد يقظتهم الاخيرة قوة دولية خطيرة يحسب الاخرون لها الحساب ، والمسلمون ـ كدول اسلامية تحتل مساحات شاسعة وهامة من شتى ارجاء المعمورة . لديهم امكانيات كثيرة يستطيعون بها ـ بلا جدال ـ ان ينقلوا أحوالهم الاجتماعية والسياسية الى أحوال اخرى اكثر سعادة ، واطمئنانا وامنا وبهذه الامكانيات الكثيرة يستطيعون في نفس الوقت ان يكسبوا الكثير من الاصدقاء ، وان يخيفوا اعداءهم وان يلعبوا في توجيه السياسة الدولية ادوارا اكثر اهمية من تلك الادوار التي يقومون بها اليوم ، والذى لا شك فيه ـ كما سبق ان ذكرنا ـ في مقدمة هذا المقال ، ان ظروفا عديدة ، كانت تحول بين الدول الاسلامية ، وبين اداء دورها كما يجب ان تؤديه . كان هناك الاستعمار الاجنبي الذى جثم فوق الشعوب الاسلامية قرونا عديدة ، استغلها الى ابشع درجات الاستغلال فرقتها ومزقتها ، حتى عندما اجترا على الجلاء ترك رواسب تاريخية عديدة تخلق الخلافات والاختلاف بين كل دولتين أو أكثر من الدول الاسلامية المجاورة ، وما فعله الاستعمار في تمزيق ، شبه القارة الهندية والحيلولة دون تجمع المسلمين في دولة واحدة ، وتمزيق دولة باكستان ـ في البداية ـ بين الشرق ، والغرب ، وقضية كشمير وغيرها ، وغيرها من القضايا التي شغلت اكثر من ستمائة مليون من سكان شبه الجزيرة الهندية من بينهم أكثر من مائتي مليون مسلم في حروب واضطرابات لم تنقطع ، وما حاول الاستعمار ان يفعله في نيجيريا وتمزيقها ـ اداريا على الاقل ـ بين شمال وجنوب وشرق وغرب ؟ وتركيز كل الامكانيات الصناعية والتجارية في بعض المناطق غير المسلمة ، والعمل على ان تكون غالبية المناطق المسلمة فقيرة لاتملك اية امكانيات اقتصادية او تجارية ، ثم محاولات لاشعال نيران الحروب هناك وخلق « دولة » بيافرا ، لتكون خنجرا في قلب نيجيريا ، أكبر الدول الاسلامية ـ عددا ـ في القارة الافريقية ، ثم محاولاته الاخيرة لضرب المسلمين في شرق باكستان وغربها ، فاذا اضفنا الى ذلك كله ان عمل منذ مطلع هذا القرن ، على اضعاف الاقطار العربية ـ وغالبيتها مسلمون ـ بوضع السرطان الاسرائيلي في الجسم العربي المسلم ، كل ذلك لم يكن ابدا اعتباطا ولم يكن ابدا بدون خطط بعيدة المدى ؟ وليسمح لى القارىء ان اقول انه على ضوء دراساتي لتاريخ الاستعمار بشتى صوره واشكاله في العالم كله طوال الاربعة قرون الماضية . ان الاستعمار يوقن تماما ان في مقدمة اعدائه الحقيقيين الدائمين ، هو الاسلام ، فالاسلام ، دين لا يعرف الاستغلال دين لا

يعرف التفرقة ، العنصرية دين يدعوا الى المساواة ، ينادى بالعدالة الاجتماعية الى ابعد الحدود وهو فى كل اهدافه ،ووسائله ،واتجاهاته ،ومراميه يتصادم دائما وابدا مع الاستعمار ، لذلك فان الاستعمار منذ ان ظهر الى الوجود كقوة عسكرية وسياسية كبرى تخضع تحت سيطرتها الدول والشعوب قد وضع فى اعتباره الاول معاداته للاسلام كعدو اساسى يجب التخلص منه او على الاقل يجب اضعافه ، ليسهل عليه البقاء فى تلك المناطق الشاسعة ذات الاهمية ، الاستراتيجية والاهمية السياسية بالاضافة الى الاهمية الاقتصادية التى ظهرت اخيرا بعد اكتشاف البترول فى كثير من الدول الاسلامية ، والذين يتصورون أن الاستعمار بمختلف صوره وأشكاله قد انتهى بتحرر البلدان الاسلامية مخطئون ، الى ابعد حدود الخطأ فان الاستعمار قد ترك وراءه فى كل المناطق التى اجبر على اجلاء قواته عنها اعوانا ينفذون له بحذق ومهارة مخططاته ، ويحاولون تحقيق اهدافه – وهؤلاء ، هم الذين يقفون حجر عثرة ضد تقدم الشعوب التى ابتلت بالاستعمار قرونا عديدة والتى يجب ان يكون فى مقدمة اهداف الدول الاسلامية القضاء عليها والتخلص منها نهائيا والى غير رجعة !!

وتلك هى البداية بالنسبة للعمل الاسلامى الموحد ، الذى نرجوا أن تتاح له فى هذه المرحلة التاريخية من مراحل التطور الانسانى السريع ، فرصة دفع الدول الاسلامية ، الى أن تحتل مكانتها بين الدول الكبرى فى العالم يبقى بعد ذلك كله الحديث عن بعض المعوقات التى ابقاها الاستعمار والتى كانت تحول باستمرار دون لقاء ، بعض الدول الاسلامية على طريق ، التضامن الاسلامى ، وقد شهد العالم الاسلامى وخاصة فى جزئه العربى تطورات هامة فى العامين الاخيرين كان من نتائجها حل كثير من الخلافات الاقليمية التى هى بالطبع مخلفات استعمارية ، كما أن ازالة الخلاف التقليدى الذى كان بين العراق ، وايران – وهما الدولتان الاسلاميتان اللتين تحتلان مكانة مرموقة فى كل عمل اسلامى قد ساهم الى حد كبير فى ازالة كثير من العقبات التى كانت تحول دون تقدم دول الخليج العربى والتى كانت فى الوقت ذاته تشغل بال الدول ، عن تخصيص كل امكانياتها للتقدم الاقتصادى ، والاجتماعى ، الى جانب حل الخلافات السعودية العراقية ، والعراقية السعودية وغيرها من خلافات الحدود ، كل ذلك جعل العالم الاسلامى – والعالم العربى جزء منه بطبيعة الحال – مهيئا للقيام بدوره كقوة دولية خطيرة والذى استطيع أن أقوله فى النهاية – بعد هذا الاستعراض الموجز – لما حدث من تطورات على الصعيد الاسلامى فى السنوات الاخيرة ، ان الدول الاسلامية مهياة اليوم للقيام بدور كبير ، المسلمون فى كل انحاء العالم ، ينتظرون منها الكثير بل ودول العالم كله تنتظر من الدول الاسلامية ، ان تقوم ايضا بالكثير الذى يتفق مع ماضيها التليد ، ومع امكانياتها الكبيرة ، ومع الاهداف العظيمة ، التى يدعو اليها دينها الحنيف .

اننا نرجو كشعوب اسلامية من مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ان يتخذ قرارات عملية ينتقل بها العمل الاسلامى الموحد من مرحلة التحضير ، الى مرحلة التنفيذ الفورى ،كما اننا نرجو كشعوب من ذلك المؤتمر ان يتابع فى اول جلسة له كل القرارات التى اتخذت فى مؤتمراته السابقة حتى يكون هذا المؤتمر خطوة جديدة على طريق العمل الاسلامى الموحد .

رسالة الدعوة الإسلامية وأهداف العمل الوطني

الدكتور حامد محمد شعبان جمعة

لا ريب فى ان أهداف العمل الوطنى فى المرحلة الجديدة أولى واحرى باهتمام الدعوة الاسلامية ، بما لها من جلال الشان وعلو القدر ، ولا جدال فى ان التفريط فى اعطائها حقها نقص وعجز والتوجه نحوها بالعزيمة الصادقة فضل وعز ، فليست هذه الاهداف فى غنى عن الدعوة الاسلامية ، وكل ذى فطنة بصير بخطورة تاثيرها وعظمة قدرتها ، وسمو مكانتها ، فتلك الدعوة تسقيها ما ينفعها وتحميها ما يضرها وتنصر حقها الذى يحاول الهوى تغطية وجهه المشرق وتشد ازرها وتنفتح فيها من روحها وتضفى عليها ما تزداد به قوة وسناء وبهجة وسطوعا ، وتعطيها الهدى الذى تهتدى به ، وتمنحها النشاط والحيوية والصورة الرائعة حتى لا تنظر الى المستقبل نظرة الخائف المتوجس . ولا يرتاب أحد فى قوتها وتاثيرها العظيم اذا ما صدرت عن جد وايمان وحسن فهم : فالحق انها عندما تتقدم الى العمل الوطنى بطاقات مؤثرة ، نابعة من الدين الخالص ، فانها تؤكد ان الدين روح الحياة الموجه خطواتها والمرشد لمعانيها والمحقق امانيها .

واعتقد أن من اهم اهداف العمل الوطنى فى المرحلة الجديدة التى نحتفل بها ما يأتى :

١ — تحقيق آمال الجماهير بالعمل الكثير الجاد واعداد الجبهة الداخلية لاستكمال مسيرة التحرير .

٢ — العمل على تحقيق سياسة الانفتاح الشامل ، وتنفيذ خطط التنمية وصولا الى مجتمع الكفاية والعدل .

٣ — الالتزام بعدالة التوزيع ، والقضاء على شكوى الشعب من بعض مظاهر تكدس الثروات بطريقة « طفيلية » وتجنيبه وطأة الغلاء العالمى ومحاربة ألوان الفساد والاستغلال .

ورسالة الدعوة الاسلامية تملك مقدرة هائلة على النفاذ الى أعماق هذه الاهداف وتناولها بأسمى ضرب من ضروب الادراك والالتزام بالجهاد فى سبيلها ، والسعى المتصل للظفر بثمراتها .

اما الهدف الاول .. فرسالة الدعوة الاسلامية تستطيع خدمته ونفعه بوسائل كثيرة منها :

[ا] دراسته دراسة واعية تتمكن من ادراك أغواره وتحديد أبعاده وفهم ما يحيط به من ملابسات وأسبابا باعتمادا على منهج سليم يفسح المجال لمشاركة كل صاحب علم أو فكر أو راى أو خبرة ، ويعنى بكل ضوء يساعد فى استجلاء مراميه وكل جهد يملك صفاء الفكر واشراق الذهن فلا يسرف فى

التقدير أو ينحرف عن الطريق أو ينأى عن الواقع المشهود او يغرق فى اوان الامل او يتوغل فى عالم الاحلام .

[ب] ايمان الدعاة به ، واعدادهم اعدادا قويا للكفاح فى سبيله بكل ما استطاعوا ولن يتيسر ذلك الا فى ظل توعية فكرية تقتلع جذور الشك ، وتؤكد شرف هذا الهدف ونبل مقصده وسمو غايته وأن السعادة فى العناية به والخير فى الدعوة اليه .

[جـ] سعى الدعوة الاسلامية الى الناس فى كل مكان امتداد صوتها القوى الى المصانع والشركات والمؤسسات والجامعات والمعاهد والمدارس والنوادى والاسواق والمعسكرات وغيرها ــ بنشاط واسع واجهزة متطورة ووسائل متنوعة وتخطيط شامل وفكر واع يحسب حساب الانسان وميله الى التغيير وحرصه على التنويع وسأمه من الرتابه وطلبه المزيد من البراعة والتفتح وحسن العرض والحوار الممتع والجدال الشيق واقباله على توعية الفكرية التى تستهويه وتثير اعجابه وتبعد عن الجفاف والتحجر . ولا مفر من هذا السعى فالدعوة تعرف خطر التراخى وضرر الكسل وايثار الراحة ، والتحرك المطلوب على النحو السابق سيتيح لها الانطلاق لتناول ما يشغل الناس والاندفاع فى كفاح جديد لمساندة العمل الوطنى النبيل بجهاد قوى فى سبيل الهداية ومشاركة فعالة فى تحقيق التنمية الاجتماعية تتقدم لمحاربة الامية وتعقبها ومواجهة الانسان لتغيير ما بنفسه عن طريق غرس وتأكيدانماط السلوك السليم وترسيخ أسمى قيم الحياة فوق أرض هذا الوطن وهذا السعى سيكون ظافرا منتصرا حينما يقرر تأييد الاسلام اهداف العمل الوطنى وعندما يثبت انها تستمد منه شرف المقصد وسمو الروح وكراهية الانحراف والفساد والظلم وحتمية الاعداد القوى لتحرير الارض واسترداد الحق .

[د] اجتهاد الدعوة الاسلامية فى حث المسجد على الانتفاع بثمرات الايمان واستغلال جذور الدين المتأصلة فى الناس تأصلا متينا ، والاستفادة الواسعة بكل ما يجده من استعداد طيب للتضحية والايثار والتكافل والتعاون ليكون جيشا قويا يتقدم الى العمل الوطنى مسلحا بعقيدة راسخة ومشحونا بطاقات هائلة تثرى خطواته ، وتمده بالمناضلين فى صفوفه فى مختلف الاماكن والجهات من امثال المسلمين الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى ، والمهندسين الصادقين الذين وجدوا حلاوة الايمان ، والاطباء المخلصين الذين وجهتم التقوى الى الرحمة والخبراء المتخصصين وغيرهم ممن يخشون الله ويخافونه ويملاون الدنيا بالبناء والتعمير ويصونون المجتمع من العبث بالحقوق والواجبات ويحفظونه من تفشى الزور والبهتان واختلال موازين العدالة .

وتستطيع الدعوة ان تنهض بثورة عظيمة فى هذا المجال بالتحرك الواسع بعيدا عن القواعد الجامدة التى لا تتغير ولا تتبدل فتحول مجتمع المسجد الى فرق مؤمنة تتنافس وتتسابق فى رحاب الايمان ، ولن تتمكن من ذلك كل التمكن الا اذا اجتهدت فى تصنيف الناس . وحددت المستوى الملائم لكل صنف ، وتوصلت الى احسن السبل فى التأثير لتعطى التربية الخلقيه السليمة أطفالنا وتثبت فيهم تعاليم دينهم بفيض من التشويق والجذب ، ورغبة اكيدة فى نشر القيم الرفيعة حتى اذا دخلوا مرحلة اخرى عرفوا الصلاة والطهارة والاداب الاجتماعية والفضائل الاسلامية وبالتدريج يدركون فى مرحلة تالية ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق ويفهمون أسرار دينهم ، وفى الشباب يبدو لهم جمال الاسلام سافرا رائعا ، ويقبلون على بستانه يجتنون منه ما يشتهون ويتحملون التبعات فى أمانة وشموخ ، وينضمون الى جيش الاسلامفى حركة جياشة متوثبة تعيد له مجده وتسجل فى صفحات العمل الوطنى جهودا صادقة تسعده وتقوده الى اسمى ما يتمناه .

[هـ] ألا تغفل عن الاعتماد على تجلية الايات القرآنيه والاحاديث النبويه ــ التى تتصل بالهدف المذكور ــ بأسلوب قوى مؤثر يسلك مسلك الترغيب والترهيب ، ويفضل اثارة الهمم وايقاظ الضمائر وتحريك المشاعر . ويستولى على الافئدة بما فيه من ايمان عميق يتدفق بسعه الافق ودقة النظر ، ويعلن ان القرآن هو المدد فى تحقيق الامال اذا عولنا عليه فى كل أمورنا وأخذنا منه التوجيهات الرشيدة وانتفعنا منه بالصراط المستقيم الذى نسير عليه ، واعتصمنا بنظمه وقواعده ومبادئه مؤمنين بقوله تعالى « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » .

واذا كان هناك تطور عمرانى وسكانى شغل الناس ، أو حب للشهوات لاحق خطواتهم وصرفهم عن أمور دينهم ، فأن رسالة الدعوة الاسلامية يجب أن تتدخل بكل قوة وأن تقدم العلاج بأحسن السبل وأشرفها وأن تبرز قضية الدين على احسن وجه ، فهو اساس الفلاح ولا خير الا فى قبول آثاره وامتثال أمره والنزوع اليه ، ولا ينبغى التفريط فيه أو الاستعلاء عليه ولا يكلف الناس ما لا يطيقون أو يثقل كاهلهم بما لا يستطيعون .. « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** » وانما يلون الحياة بالخير ، ويصقل النفوس ويهذبها ، ويشفى القلوب ويرحمها ويخلصها من الشوائب ويسلمها الى الاطمئنان والسلامة والفوز . يقول الله « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا** » ويقول الرسول

لمعاذ فى العمل الصالح « ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم قرأ : تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

واسقاط الدين من الساحة والارتباط بالمقاييس المادية او دنيا المتاع يؤدى الى الخسران والضلال ويقود الى ظلمات بعضها فوق بعض تتولد من الفوضى والاضطراب والشرور والنقائص وغيرها مما لا يستقيم مع العقيدة السليمة والانصراف عن دعوة الاسلام لن يعطل الا شعور الرحمة والبر والتسامح والوئام والاخوة الانسانية مما يسبب فقدان الضمير وضياع نوازع الخير واشمال البوادر الضارة واظهار الغوائل الخفية والاستغراق فى الشهوات .

[و] بيان علاقة قيم الدين بتحقيق آمال الجماهير ، ولهذا شأن كبير فى دفع العمل الوطنى الى الانطلاق . ورسالة الدعوة الاسلامية يجب ان تثبت قيم الدين بعزيمة لا تفتر ، وبجهد كبير يرشد ان الاسلام لا يعترف بالنظرة التى تحتقر الحياة الدنيا او تميل الى التهوين بشأنها ومتاعها ولا يقر المذهب الذى يثبط الامور بواقعه ويؤثر الانعزال والزهد والتقشف والخمول والبؤس والمسكنة ولا يحترم من ينفر من الكفاح والانتاج والعمل . ومن يطمع فى الدنيا ويجعلها غاية فى ذاتها ، والاسلام يؤمن بآمال الجماهير المشروعة فى الاستمتاع بطيب الحياة وخيراتها وزينتها والانتفاع بما فيها على ان يكون ذلك فى اعتدال وان يتم فى ظل العمل الشريف واستغلال المواهب والقدرات والبعد عما حرمه الله والايمان بالروح بقدر الايمان بالمادة بلا طغيان او شطط يقول الله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .

والعمل الوطنى اذا استلهم تعاليم الدين فانه سيحقق التواصل معها ، ويذهب مذهب الامل فى الصلاح والخير والكمال . والحق أن الدعوة الاسلامية مطالبة بالاحتفاء بالمنتجين، وتكريم العاملين ولديها كثير من الادلة التى تعظم مكانتهم وترفع شأنهم ومنها «ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ... » : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

وتلك الدعوة مكلفة بتأكيد الملازمة بين الايمان والعمل الصالح وتأكيد الارتباط بين الرخاء وزيادة الانتاج والتنبيه على ان من يقصر فى الانتاج لا يجوز له ان يتوسع فى الاستهلاك على حساب الآخرين .

[ز] المشاركة فى دعم الايجابيات ومواجهة السلبيات فى حزم وحسم ، ورسالة الدعوة الاسلامية يجب ألا تمل من ذلك الواجب، فهذا من اسمى ما تلتزم به لتصنع جوا موشحا بالصواب، ملتزما بالاصلاح ، وعملا بريئا من الخلل وصورة تفتح أبواب الامل للعمل الوطنى ، وتقضى على العوائق التى تحول بينه وبين الانطلاق . ودستور الدعوة وهو القرآن يحتم علينا المضى فى هذا المسلك لتنحية القذى عن الطريق واقصاء ما يمنع التحليق واهتمامه بمنهج الموازنة اهتماما بالغا يوحى بما سبق ، ومن صور الموازنة الرائعة قوله تعالى « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل اعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم » .

ومن صورها الهادية العظيمة ما جاء فى قصص الامم السابقة وما حكى فى الصراع بين الحق والباطل وحرص القرآن على تكرار القصص يدل على الرغبة القوية فى التدبير والايقاظ واعلان عاقبة المفسدين وجراء المؤمنين وحسبنا مثال من الامثلة الكثيرة التى جاءت فى الكتاب الخالد بقول المولى عز وجل « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير » .
ومسلك رسولنا الكريم يؤيد اللجوء الى دعم الايجابيات ومواجهة السلبيات مسيرته تفيض بمواقف كثيرة تجلى فيها تكريمه العمل الشريف خير تكريم، وسعادته بالعمل مع العاملين ، وتقدمه الصفوف ، ومحاسبته المتقاعسين ، واشادته بالمجاهدين ، وتوجيهه أصحاب المسألة وكراهيته المتسولين وفضحه المنافقين والمرجفين ومحاربته المفسدين والمخادعين والخائنين ولا يمكن ان تقف الدعوة حائرة مكتوفة لا تقدم نفعا أو تسدى خيرا فى نبذ التعصب المذموم والجمود الضار والاصرار على البقاء ضمن نطاق ضيق جامد واهمال العقل والفكر الذى يكون فى مدار الشريعة ودستورها من الكتاب والسنة فالدعوة لا ترضى عن التعصب الا للحق ولا تقيد نفسها الا بالقرآن والسنة ولا تهمل العقل حتى تضمن شيئا كريما من المرونة وسعة الافق بدفعها الى التوفيق والانتظام وحسن الاختيار والصواب والقضاء على كل من يقف حجر عثرة فى سبيل الصلاح والاصلاح .

[ح] تأكيد ان طريق تحقيق الامال ليس بالطريق الذهبى الذى تحفه الورود والرياحين، وانما هو طريق وعر وشائك تكتنفه المشاق والصعاب وهذا واجب اساسى من واجبات الدعوه فالناس فى حاجة الى من يذكرهم بان الصعاب التى يمر بها العمل الوطنى جاءت نتيجه معركة شريفه حرصنا فيها على الحق العربى كاملا، وصمدنا فيها طوال سنوات قاسيه، ولابد ان يعرفوا ان الابتلاء حق « **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين** »، « **الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** » وكلما اجتهدت الدعوة فى ذلك استقامت الامور، وفشل اليأس فى اتلاف الانفس وعجز القنوط عن جلب الحيرة الخانقة وأخفق فى اثارة المتاعب والمساوىء والشكوك ولا شىء أقوى من درس الصبر تردده الدعوة دائما وتهتم بأمره كما صنع القرآن، لتسلح النفوس ضد الاخفاق المتوالى أو الشقاء المضاعف او الابتلاء المتكرر، وتساعد على التغلب على الوهن أو الحزن وتثبت انه لا جدوى من شكوى الزمان أو الحياة والناس ولا فائدة من الضيق بالفقر والحرمان وانما العاقبة للصابرين والفلاح لمن يصمد ويعتصم بالايمان ولا يجب أن تحيد الدعوة عن الانتفاع بالامجاد التاريخية التى حققها المسلمون بالتمسك بالصبر، ولا ينبغى ان تتأخر فى اضفاء هالته او بعث أنواره ليعلم الناس جميعا أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

وأما الهدف الثانى .. من اهداف العمل الوطنى وهو تحقق سياسة الانفتاح فرسالة الدعوة الاسلامية تستطيع خدمته ونفعه بما يلى:

[أ] ابراز الحاجة اليه والتنويه بأثره والاشادة بفوائده وكشف أضرار الاستهانة به أو تجاهله وأخطار الانكماش عنه أو بعثرة العوائق فى طريقه. ومن واجب الدعوة الاسلامية ان تؤكد انه لا تعارض بين تعاليم الاسلام وتوجيهاته وبين الطموح الى ما يحققه الانفتاح فالحق انه من مقتضى تلك التعاليم لانه يحقق القوة للوطن، وقوته قوة للاسلام والمسلمين يقول المولى عز وجل « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوه ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون** ». والتقدم المنشود والنهوض الاسلامى الناجح يحتم تقوية الاقتصاد والانخلاع التام عن دعوات الجمود والانغلاق والخمول والمسكنة ويدل على ذلك دعوة القرآن الى الهجرة والتحرك والنشاط وعنايته بمواجهة المستضعفين فى الارض والتنديد بمسلكهم ولومهم وعقابهم على ضعفهم واستسلامهم وعجزهم وخمولهم .. يقول القرآن « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** ».

ويدعو المولى جل شأنه الى السعى والانفتاح والاخذ الطيب الحلال حيث يقول « **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** ».

[ب] ان تقرع اسماع الناس بنظرة الاسلام الى الانفتاح على انه ضرب من التكافل وسعى للتعاون، ونوع من التعامل الطيب الحلال، وجهاد من اجل البناء والتعمير والتصنيع والتنمية والاستثمار والرواج والرخاء وطريق يحاول التغلب على الصعاب يعطى حياتنا شعورا حقيقيا بالامان والخير ويتصدى لتحديات العصر بما يملكه من انطلاق وينتزع مكاسب جديده تجعلنا أقوياء، ويقف فى وجه المتغيرات العالمية فى ثبات ويقين من الصمود والتقدم والظفر والاحساس بالمستقبل وحقه. واذا حثت الدعوه الاسلاميه على التكافل وارتفع صوتها فى الامة العربية مناديا بالاعتصام به والتعلق برباطه المتين وصورته الرائعة فانها تخدم سياسه الانفتاح اجل خدمه يؤيدها قول المصطفى صلى الله عليه وسلم « **من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له** » واذا نجحت هذه الدعوة فى جمع الشعوب العربية حول آياته البينات، ونظامه الشامل وثماره الطيبة فانها تمهد للانفتاح وتخلصه من سوء الظن، وترد ابلغ الرد على من يريد تشويه صورته، وتبعد وجهه عن المجاملة الرخيصة والنفاق الكاذب والمؤاخاة الزائفة، وتضمن له حرارة التحمس ولهفة الاخلاص والتمسك بمبادئه.

[ج] يجب أن تجاهد الدعوة جهادا مستمرا فى دعم الاخاء الانسانى وغرس مشاعر العطف والحب والود للبشر جميعا واقرار الاساس الذى يقوم عليه العلاقات بين دول وهو اساس الالتقاء على صلة الرحم ومفاهيم الرحمة واقصاء الخصومة والتقاتل وبغض التعصب المقوت، والالتزام بالاصل فى علاقة المسلمين بغيرهم وهو السلم والسلام حتى يتيسر تبادل المنافع والتعاون فى بلوغ النوع الانسانى درجة الكمال والتمسك بأن الدين لا يمنع حسن معاشرة المسلمين لغير المسلمين لانه يعد الناس جميعا متساوين فى الانسانية استجابة لقوله تعالى « **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** »

وقوله « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » وديننا يراعى دائما قواعد العدالة والمساواة وضرورة الاختلاط والمشاركة والمعاملة والاحتياج ، وهو يحث على البر والاقساط والى غير المسلمين من المسالمين المتضامنين معنا والذين يتركوننا وشأننا غير متعرضين لعقائدنا او صادين احدا عن الدخول فيها ولم يخرجونا من ديارنا يقول رب العزة :

« **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون** » .. واذا كانت سياسة الانفتاح توصل الى التضامن فى السراء والضراء ، وتضمن الحب والتعاون والرخاء والصفاء فان الاسلام يساندها بسماحته وشجبه البغضاء والعداء وكراهيته الاعتداء والاغتصاب « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » .

[د] ان تذكر الناس بأن الانفتاح يتمشى مع سنن التطور التى تفسح الطريق لنظام حسن يدعم الصناعة والاقتصاد والتجارة بعد ان تخليه من نظام سيء يقف عاجزا فى عصر المتغيرات ، ولا يمكن اقصاء الانفتاح وتغليب العويل او البكاء او اليأس عليه فذلك يسوق الى الفشل والنكوص امام الصعاب والهزيمة فى الصراع ، ومن يرتاب فى ذلك عليه ان يعلم ان الاسلام يحارب الجمود الذى يؤدى الى الانكسار والخذلان ويجلب الضعف والذل والمهانة والغباء ، ومن ينكر ضرورة الترحيب به فانه يظلم ما فيه من محاسن ويتجاهل ما يمتاز به من سعة الافق ومرونة التطبيق وسمو الاهداف كما انه ينسى انه جانب هام من جوانب التقدم الى الامام اذا نحن تفهمناه وخلصنا طريقه من العراقيل والعقبات .

واما الهدف الثالث ... وهو عدالة التوزيع ، والقضاء على شكوى الشعب من بعض مظاهر تكدس الثروات وتجنيبه وطأة الغلاء ، ومحاربة ألوان الفساد والاستغلال — فان رسالة الدعوة الاسلامية تستطيع خدمته ونفعه بما يأتى :

[ا] المشاركة فى مراقبة التوزيع والانضمام الى المسئولين فى حملات واسعة لارساء دعائم التوزيع العادل ، والتخفيف عن الشعب الصابر الذى تحمل واظهر استعدادا لا نظير له للتضحية . وفى استطاعة الدعوة أن توجه ضربات قاصمة لاسباب الجور وان تشتد فى محاربة دواعى الظلم ، ولا يخفى على أحد أن الرشوة فى مقدمة الاسباب التى يعول عليها البغى فى التوزيع ، لانها تفسد المثل العليا واهدار الكرامات والحقوق وفى مكافحة أساليبها تستند الدعوة الى قوله تعالى « **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون** » وقول الرسول لعن الله الراشى والمرتشى **والساعى بينهما** » .

وفى مطاردة سطوتها يمكن اصدار نشرات تتضمن موقف الدين منها وتبرز ما صنعه الرسول مع هؤلاء الذين حاولوا ان يلبسوها ثوب الهدية او يوجهوها الى ازياء مختلفة تتخفى فيها وفى القضاء على خطرها لا مندوحة من بث أجهزة الدعوة فى كل مكان للتربص بها وكشف النقاب عن وجهها الكالح حتى تنقى المجتمع من شرورها . ومن أسباب الجور فى التوزيع روح الاحتكار التى تسعى الى العدوان والجشع ورواج السوق السوداء المظلمة التى لا ترحم احتياج الناس والتى تريد ان تغتنى حيث يفتقر الناس ، وتشبع حيث يجوع الناس وتكتسى حيث يعرى الناس وتسعد حيث يشقى الناس . ولا يجب أن تقف الدعوة الاسلامية أمام هذه الروح الا موقف الجهاد والسخط على هؤلاء الذين قست قلوبهم ونأت عن الاخاء والحب والتعاون .

ومن اسباب الجور ايضا روح اكتناز الثروات والانطلاق الى جمع المال عن طريق الاثرة واغتصاب حقوق الاخرين وحرمان المجتمع ، وليس امام الدعوة ازاء تلك الرو ح الا ان تثور عليها ثورة عارمة تبيد نشاطها وتوقف خطرها . ومن أسباب الجور فى التوزيع الميل الى الخيانة الذى يحتم اهتمام الدعوة بقضية الامانة وجعلها سلوكا يتولى الهداية الى الصراط المستقيم . ومن واجب رسالتها ان تستفيد من نظام المحتسب — الذى عرفته الدولة الاسلامية فى اخذ الناس بالامانات وترك الخيانة والغش والتدليس فيما يتعاملون فيه ومن واجبها الا تألوا جهدا فى توجيه النصيحة لولى الامر ان يولى على كل عمل من عمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل قال النبى صلى الله عليه وسلم « **من ولى من امر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله** » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة او قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله » وعليها ان تنبه الى انه ليس لولى الامر ان يقدم رجلا لانه طلب الولاية او لانه سبق غيره فى طلبها بل ان طلبه احرى ان يكون سببا لمنعه ما طلب . يقول الرسول لابى ذر فى الامارة « انها امانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها » وليس لولى الامر الا أن يعمل بجهده فى

الاختيار فالله يقول « فاتقوا الله ما استطعتم » واذا استطاعت الدعوة الاسلامية توجيه الضربات القاسية الى عناصر المحاباة والشبهة والاتهام والمحسوبية — فانها تكون دعوة ظافرة منتصرة على ألوان الهوى وأخطار الخيانة . واذا تمكنت من توعية الناس بأن أقلهم وأدناهم من حقه أن يستوجب الحاكم بالطريق المشروع ويسأله عن اى شىء يتوهم ان فيه مساسا لحقوقه او تضييعا لها فانها تكون بحق قد قامت برسالتها فى تبديد القلق واحلال الامن والاستقرار وستجد فى ذلك أمثلة سلوكية قيمة تساعدها فى الدعوة لعدالة التوزيع ومنها ان عمر ابن الخطاب وهو أمير المؤمنين كان يخطب الناس فقال :

أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فاعترض واحد من الناس قائلا لا سمع ولا طاعة فسأله عمر لماذا ؟ قال لانك تلبس ثوبا أطول مما نلبس نحن فقد اعطيت نفسك أكثر مما تستحق فنادى عمر على المنبر يا عبد الله بن عمر أجب فأعلن عبد الله بن عمر أن عمر رجل طوال وان ثوبه لم يكفه فأعطاه عبد الله ابنه ثوبه فعندئذ قال الاعرابى : الان قل يا عمر نسمع ونطيع .

وأعظم من هذا كله تجلية آيات العدالة فى القرآن وترديدها فى كل وقت وجعلها اساس خطة الدعوة ونبراسها الهادى الى سواء السبيل .

[ب] بذل جهود واسعة فى العمل على يقظة الضمير وخشية الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واعطاء التربية الخلقية عناية كبيرة لتواجه وسائل الفساد من تسليط الشهوات واشاعة الالحاد ، ونوازع الهوى ودوافع الانحراف واذا استطاعت الدعوة ان تصل الى المستوى الذى يجعل الضمير يبلغ من اليقظة حد الاعتراف بالجريمة التى لم يطلع عليها أحد بقصد أن يطهر الانسان نفسه فانها تكون قد أنجزت شيئا رائعا فى الانتقال من الانحراف الى الاستقامة والانصراف عن طغيان الحيوانية الى الطهر والعفاف والهدى . وليس هناك ما هو اعظم من تنحية القذى عن طريق العمل الوطنى الطيب .

[جـ] دفع اولى الامر الى الاسراع فى تنظيف المجتمع وتطهيره من المعتدين والمجرمين بكل ما وضعه الاسلام من عقوبات صارمة رادعة متناسبة مع نوع الجريمة ومع الضرر الذى يصيب الناس يقول المولى عز وجل « **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم** » .

[د] اعتبار الحث على الكسب الحلال والتنديد بالكسب غير المشروع فى كل مكان — مسئولية هامه تتطلب النضال الدائب والحماسة المتقدة والاخلاص الشديد ، والقيام بفضح الجشعين المتهافتين على الثراء من اى طريق وبأية وسيلة والاشتراك فى تعقب خطوات الاستغلال والاستيلاء على مال الغير بغير حق ومحاربتها حربا سافرة تنهى نشاطها ، وتعرقل حركتها قبل أن تؤدى الى نزاع او خصومة أو عداوة أو جرائم وحشية ، وبذلك تقف الدعوة الاسلامية ضد المغامرة والتهرب والمضاربة والمتاجرة بأقوات الشعب موقفا حاسما .

[هـ] بث دعوة الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى تطبيق قانون من اين لك هذا حتى لا يظلم بعض الناس على حساب بعض ، فهو وسيلة هامه من وسائل منع تكدس الثروات بطريقة طفيلية ، واعتقد ان الحرص على تنفيذه وثبة قوية تطوى الظلام وتصون الانسان وتحفظ مصالحه فى جو مشبع بالعدالة والثقة والنظام والتقوى ولذا كان عمر بن الخطاب يحصى أموال عماله قبل ولايتهم ليحاسبهم على ما زاد بعدها ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه . ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز استفتح حكمه برد المظالم الى أهلها وقال [لا أبدا بأولى من نفسى] واذا كان العمل الوطنى سيلجأ الى فحص اقرارات الاشخاص فى المناصب القيادية العليا والتعرف على حالتهم فان الدعوة الاسلامية تكون موحية باحسن الوسائل فى المراقبة والمحاسبة وحفظ الحقوق .

[و] التاكيد لاولى الامر ان لهم الحق فى الاقدام على تجاوز الزكاه الى قدر آخر من الاموال يزيد عليها — اذا دعت الضرورة الى ذلك فى سبيل مواجهه الاوضاع المحرجه والالتقاء على التعاون والبر وحماية المجتمع والقضاء على شكوى الناس واقتلاع مظاهر الفوضى . وبذلك تقدم الدعوة الاسلامية تأييدها لمشروعات قوانين الضرائب الجديدة التى تكفل للدولة الحصول على حقوقها قبل الافراد وتعطيها سندا تقر به وتطمئن .

هــذه هى رسالة الدعوة الاسلامية فى المرحلة الجديدة وهى رسالة الفلاح الذى يمتدحه المولى عز وجل ويجب أن نعتصم به ونهتدى بقوله « كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

أثر اللغة العربية على اللغة الفارسية والاردية والبشتو

الدكتور مير ولي خان المسعودي

٢

ولكي يعرف القارىء مدى اثر اللغة العربية على اللغة الفارسية يحسن بى ان اقدم القارىء قطعة من كلام الشيخ مصلح الدين سعدى يرى بنفسه تأثر الاديب الفارسى بالادب العربى اذ يقول :

تلميذ بى ارادت عاشق بى ذراست وروندہ بى معرفت مرغ بى بر وعالم بى عمل درخت بى بر وزاهد بى علم خانه بى درمراداز نزول قرآن تحسين سيرت خراب ست ، نه ترتيل سورت مكتوب عامى متعبد بياده رفته است ، وعالم متهاون سوار خفته ، عامى كه دست برداردبه ازعابدكه عجب درسر دارد، ٩

الترجمة : الطالب بدون العزيمة عاشق مفلس وابن السبيل بدون المعرفة طير بدون الجناح والعالم غير العامل شجر غير مثمر والزاهد غير العالم بيت بلا باب ، الهدف من نزول القرآن هو اصلاح السيرة السيئة وليس الهدف منه قراءة السور ، الجاهل العابد هو المسافر راجلا والعالم المتكاسل هو الراكب نائما ، الاثم الذى يتوب عن الاثم افضل من العابد المتكبر .

هذه القطعة كما يجدها الدارس مليئة بالالفاظ والتراكيب والاساليب العربية حتى أن القارىء يكاد يحس انه يقرأ اللغه العربية المحرفة وأنه اذا أراد أن يفهم القطعه المذكوره فهما صحيحا فلابد من ان يكون له معرفة تامة باللغة العربية اذ أن الكلمات المستعملة فيها هى كلمات عربية محضة وهى : تلميذ ، ارادت ، عاشق ، معرفة ، عامل ، عمل ، زاهد علم ، نزول القرآن ، تحسين ، سيرت ، ترتيل سورت ، مكتوب ، عامى ، متعبد ، عالم ، متهاون ، عامى ، عابد ، عجب .

والقارىء يستطيع بسهولة تامة أن يعرف مدى اثر اللغة العربية على اللغة الفارسية فى القطعة المذكورة .

واذا أراد الدارس للادب الفارسى أن يعرف بالتفصيل تأثر الادب الفارسى بالادب العربى من حيث اللفظ والمعنى والاسلوب فعليه الرجوع الى الادب الفارسى ومقارنته بالادب العربى وأنا على يقين تام من أنه سيعرف هذه الحقيقة الواضحة بمجرد قراءة بضع صفحات من أي كتاب فى الادب الفارسى اذ ان الادباء

والشعراء فى الادب الفارسى كلهم متأثرون باللغة العربية وعلومها وفنونها حتى أن البحور المستعملة فى الشعر الفارسى هى نفس البحور التى استعملها شعراء العرب قبل ظهور الاسلام كماسبق ذكره .

وخلاصة القول ان كل اديب وعالم فى اللغة الفارسية قد تأثر فى أدبه وعلمه باللغة العربية وعلومها وفنونها ولا يمكن أن ينكر ذلك الا المتعصب الذى يتمسك برأيه والعنيد الذى لا تزحزحه الادلة الواضحة والبراهين البينة عن موقفه الذى اختاره لنفسه فى الميدان العلمى والادبى هذا .

أثر اللغة العربية على اللغة الاردية

أما أثر اللغة العربية على اللغةالارديهفهوواضح جدا .. ذلك أن اللغة الاردية لغة حديثة ابتكرها الحكام والامراء فى القارة الهندية كى يسهل عليهم التعامل مع الناس وان تكون هذه اللغه لغه التفاهم بين الحكام والرعية وبين قادة الجيش وجنودهم .. لان سكان القارة الهندية كانوا يتحدثون بلغات شتى .. ولم يكن للحكام والقواد بد من طلب حل للمشكلة .

وقد لجأت الحكومة الى ايجاد لغة يفهمها الجميع بسهولة ألا وهى اللغة الاردية .. وذلك أن اللغة الاردية هى خليط من اللغة العربية والفارسية والبشتوية والسنسكرتية وكانت أغلبية سكان القارة الهندية تتحدث باحدى اللغات المذكورة لذلك وجدت الحكومة نفسها فى حاجة شديدة لايجاد اللغة الاردية على ان اصحاب الطرق ورجال الدين لم يتركوا جهدا فى ترويج اللغة الاردية لانهم كانوا فى حاجة ماسة اليها . ذلك ان اللغة الاردية كانت ذريعة لاتصالهم بعامة الناس فى المواعظ وكتابة الرسائل والمنظومات الدينية وقد أيد هذا الرأى الدكتور سيد عبد الله اذ يقول :

« ان اللغة الاردية فى وجودها ضروره خاصة كضرورة بقية الاشياء فى هذا العالم وأن ضرورتها كانت لغرض تسهيل المعاملة بين شعوب القارة الهندية المختلفة وتفاهم الولاة والعساكر الذين كانوا يتحدثون بلغات مختلفة اذ انهم كانوا ينتمون الى مناطق عدة فى القارة الهندية . ولكن ضرورتها القصوى كانت لاصحاب الطرق الصوفية الذين لم يجدوا بدا من استعمال لغة يفهمها عامة الناس عندما كانوا يخطبون جماهيرهم فى المواعظ أو يكتبون رسائلهم أو ينظمون اشعارهم لهذه الغاية .. فكانت هذه الرسائل وتلك المنظومات بمثابة حجر الاساس للغة الاردية

على ان الدارس للغة الاردية وعلومها وآدابها نثرا كان أو نظما يجد بدون شك أن العلماء والادباء الذين كتبوا باللغة الاردية كانوا قبل كل شىء علماء وأدباء فى اللغة العربية .. وان الافكار العلمية والفنون الادبية التى عبروا عنها باللغة الاردية كانت أفكارا علمية عربية بحتة وفنونا أدبية عربية أصلا .. وكل ما هنالك هو أن هؤلاء العلماء والادباء قد عبروا عن هذه الافكار وتلك الفنون الادبية العربيه باللغة الاردية - وكان فى حقيقة الامر مصدر تفكيرهم فى العلوم ومنبع آرائهم فى الفنون ومرجع مذاهبهم فى الادب هو العلم والفن والادب العربى .. وان الثقافة الاسلامية العربية وحدها كانت ثقافة كل عالم وفنان وأديب فى اللغة الاردية وبذلك يمكن القول بأن اللغة الاردية هى مدينة الى حد كبير للغة العربية التى أمدتها أولا بالالفاظ والتراكيب ثم بالمعانى والاخيلة .

وهناك شىء آخر لابد من الاشارة اليه وهو أن اللغة الاردية قد تأثرت باللغة العربية عن طريق غير مباشر أيضا .. وتفصيل ذلك أن اللغة الارديةقدتأثرت باللغة الفارسية الى حد كبير واللغة الفارسية بدورها قد تأثرت باللغة العربية كما سبق ذكره .

ويمكن لنا القول بأن اللغة الارديه هى خليط من اللغه العربية والفارسية من جانب كما أنها خليط من البشتوية والسنسكرتيه من جانب آخر .

وعلى كل حال فان صبغة اللغه العربيه فيها واضحة بل هى غالبة عليها سواء أكانت من ناحية الحروف أو الالفاظ أو التراكيب أو الاسلوب أو من ناحية المعانى والاخيلة وتحقيقا لقولنا هذا أقدم للقارىء على سبيل المثال الاشعار التالية المأخوذه من قصيده سودا فى مدح على كرم الله وجهه ليرى القارىء بنفسه مدى تأثر هذا الشاعر الفذ باللغة العربيه سواء أكان من حيث اللفظ والتركيب والاسلوب أو من حيث التفكير والمعنى والخيال اذ يقول :

انهـ كيا بهمن وادى كاجمستان سى عمل
تيغ اردى نى كيا ملك خزان مستأصل
سجده شكر يى شاخ ثمردار بير ايك
ديكهـ كر باغ جهان يى كرم عز وجل

الترجمه انتهى عمل الشتاء فى البستان .. استأصل سيف الربيع سيادة الخريف .

لقد سجد كل غصن مثمر شاكرا عندما رأى فى البستان كرم الله عز وجل يأخذ قوة نموها فى النباتات طولها وعرضها من الغصن الى الورق ومن الزهر الى الثمر لاجل لباس يوم شم النسيم فى وسط كل بستان يقطع ماء النهر خضرة تشبه المخمل .. يهب تلون الورد المفتحة حديثا لون الرسام على القماش المعلم فى كل صحراء .

بعد هذا نرى أن كل أديب وكل عالم فى اللغة الاردية قد تاثر باللغة العربية كما نرى ان اصحاب الطرق الذين كتبوا باللغة الاردية قد تأثروا الى حد كبير باللغة العربية ونخص بالذكر هنا منهم . مسعود سعد سلمان وفريد الدين وخواجه غريب نواز من اهل الصوفيه الذين لهم رسائل ومنظومات باللغة الاردية ، ومثل ولى الدكنى ، سودا ، ميرتقى مير ، غالب ، مؤمن ، وشبلى النعمانى ، مجدد الف ثانى ، ابو الكلام ازاد ، وغيرهم من الذين كانوا يجيدون اللغة العربية واستفادوا منها فى اشعارهم وقصائدهم ورسائلهم ونثرهم الفنى ومقالاتهم العلمية والادبية باللغة الاردية كل هؤلاء الادباء والشعراء والصوفية قد تاثروا باللغة العربية .. بل ان الافكار والاراء التى عبروا عنها باللغة الاردية كانت فى حقيقة الامر افكارا وآراء عربية الاصل .. ذلك ان الاديب او الشاعر مرآه صافيه للمجتمع الذى يعيش فيه وان أدبه بنوعيه النثر والشعر هو صوره صادقة للبيئة التى يعيش فيها .. ولما كان هؤلاء العلماء والادباء والشعراء والصوفية يعتبرون انفسهم قبل كل شىء ممثلى التراث الاسلامى فى القارة الهنديه فكان لا محاله أن يكون تمثيلهم وتصويرهم لهذا التراث الاسلامى مستمدا من مصدره الاصلى وهو اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم والتى هى لغة نبيه عليه الصلاه والسلام فلا مجال للشك فى أن اللغة العربية وآدابها وعلومها قد اثرت فيما كتب هؤلاء الادباء والشعراء والصوفيه باللغة الاردية وانهم قد تاثروا الى حد بعيد باللغة العربية فى نثرهم وشعرهم وقصائدهم ومنظوماتهم ومقالاتهم ورسائلهم باللغة الاردية .

ومن أراد التفصيل فعليه الرجوع الى مؤلفات هؤلاء الادباء والشعراء والصوفية باللغة الاردية ليتحقق من تاثرهم باللغة العربيه وآدابها وعلومها وفنونها فى شتى الميادين الادبية والعلمية والفنية .

أثر اللغة العربيه على اللغة البشتويه

ان الدارس لتاريخ اللغة البشتويه سيجد حتما أن هذه اللغة قد اخذت شيئا غير قليل من اللغة العربية .. ذلك ان اقدم نثر قد وجد فى صورة كتاب مستقل فى اللغة البشتوية هو كتاب « خير البيان » لبايزيد الانصارى ، كان هذا العالم العبقرى قد درس اللغة العربية قبل اية لغة اخرى لذلك ألف باللغة العربية كتابه « مقصود المؤنين كما كان هذا العالم الفذ يجيد اللغة الفارسية ايضا وقد ألف فيها كتابه المسمى بـ « صراط التوحيد » ولما كان موضوع بحثنا هذا كتابه « خير البيان » الذى كتبه بايزيد الانصارى باللغة البشتوية والذى عد اساسا لنثر بشتو فلا مناص لنا من أن نذكر بعض امتيازات هذا الكتاب فنقول ان بايزيد الانصارى قد نهج فى كتابه خير البيان نهجا جديدا اذ انه عبر فيه عن معنى واحد بأربع لغات وهى العربية والبشتوية والفارسية والهندوكيه ولكنه بعد صفحات عدة ترك لسبب ما اللغات الثلاث العربية والفارسية والهندوكية واستمر فى بقية كتابه معبرا عن آرائه وأفكاره باللغة البشتويه مع انه لم يترك اللغه العربية كلية بل انه استعملها بدون اقتصاد الى أخر الكتب مؤيدا آراءه وأفكاره بالايات القرآنية والاحاديث النبوية .. وانى أرى من المناسب هنا تقديم قطعة من كتابه « خير البيان » ليرى القارىء بنفسه مدى تأثر اللغة البشتوية باللغة العربية فى هذا الكتاب الذى عد بمثابة الحجر الاساسى للنثر فى اللغة البشتوية والقطعة هى : « كوره ! دربى ذكر به ودو يو واد له اويا دزه واده به ذوره ذكر به دنى ، دزره ذكر به سه يوار له أويازده وارد ربى له ودو يا ده به دنى ، د فائدى دياره دآ دميان . « **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو** والاصال ولا تكن من الغافلين

الترجمة : ألا ان الذكر باللسان خفية مرة أفضل من الذكر باللسان جهرا سبعين الف مرة . وان ذكر القلب عن طريق النفس مرة أفضل من ذكر اللسان خفية سبعين ألف مرة .

ان الفكرة الاساسية فى هذه العبارة هى فكرة دينية صوفية محضة ومسلك خاص لاهل التصوف الاسلامى قد سبق اليها صوفية العرب غير ان بايزيد عبر عنها باللغة البشتوية وأتى فيها بألفاظ عربية بحتة كالذكر والفائدة كما أنه أيد مسلكه الصوفى بايات القرآن الكريم فهذا أثر واضح للغة العربيه على اللغة البشتوية من حيث اللفظ والمعنى والاخيلة والفكرة جميعا .

واما الادباء فى اللغة البشتوية الذين جاءوا بعد بايزيد الانصارى فيغلب على جميعهم بدون الاستثناء السمه العربية اذ انهم استعملوا بدون اقتصاد الالفاظ والتراكيب والمعانى والافكار والاخيلة العربية مع استعانتهم أحيانا باللغة الفارسية .. أما تاثر شعر البشتو باللغة العربية فهو ظاهر جلى لا يخفى على دارسى هذا الادب ولا يصعب على المحقق الالفاظ والتراكيب والاسلوب والمعانى والافكار والاخيلة العربية الاصيلة .. التى أخذها شعراء بشتو واستعملوها فى أشعارهم ومقطوعاتهم وقصائدهم واذا أردنا أن نعرف مدى أثر اللغة العربية فى شعر بشتو فعلينا الرجوع الى قول أمير الشعراء فى اللغة البشتوية ألا وهو « خو شحال خان خنك » صاحب القلم والسيف فى وقت واحد وشاعر مفلق ومؤسس شعر بشتو .. على أنه الى جانب هذا كان عالما جيدا درس اللغة العربية دراسة عميقة واستفاد منها فى شعره باللغة البشتوية بل زين بألفاظها الجزلة

ومعانيها القيمة وأساليبها الخلابة تشعره بـاللغة البشتوية .. واقدم للقارىء بعض من شعره الغزلى ليرى بنفسه مدى تأثره باللغة العربية

جـه يار مهر وافنه كاندخـوك خه كا
جه لى جود وجنانة كاندخـوك خـه كا
دوجهود به هم زيمه سوئى راباندوشى
جـه بادر حم يه مانه كاندخوك خه كا

الترجمة .. اذا لم يكن المحبوب وفيا فلا يقدر أحد أن يفعل شيئا واذا لم يكن يمتنع عن الجور والجفاء فلا يقدر احد أن يفعل شيئا ويمكن أن يحرق على قلب العدو وهى قلب صلب .. ولكن اذا كان المحبوب لا يرحم على ، فماذا يقدر أحد فعله ؟؟ ففكرت أن بكائى يمكن أن يرتق قلبه ولكنه اذا كان البكاء لا يؤثر عليه فماذا يقدر أحد فعله ؟؟ وان كان وصله فى الدنيا الذ من العمر كله .. ولكنه اذا كان غير وفى دائما فماذا يقدر أحد فعله – ان حالك غير مخفى من المحبوب يا خو شحال ولكنه اذا كان لا يهتم بك فماذا يقدر احد فعله ؟؟

واذا أردنا أن نبحث عن أثر اللغة العربية على أدباء اللغة البشتوية وشعرائها وعلمائها بالتفصيل فيأخذ منا هذا البحث وقتا طويلا لا يتناسب ومقالتى هذه وعلى كل حال فانه يمكن القول بأن جميع الشعراء فى اللغة البشتوية مثل مير زاخان انصارى ورحمان بابا ومصرى خان ككيا وحافظ البورى .. وغيرهم قد تاثروا الى حد كبير باللغة العربية .. بل اننا نقدر أن نقول ان الالفاظ المستعملة فى اللغة البشتوية ثمانين فى المائة على الاقل منها قد أخذت من اللغة العربية .. على أن الحروف الهجائية فى اللغة البشتوية هى الحروف العربية بعينها سوى حروف عدة يمكن الاستغناء عنها – اذا أرادت الحكومات توحيد لغاتها أو تقريبها .

وعلى كل حال فان تأثر أدباء بشتو وعلمائها باللغة العربية واضح جدا يمكن للدارس مشاهدته فى مؤلفات أخو ند درويزه وصديق الله خان ورشتينى وعبد الحى حبيبى . وغيرهم من الادباء والشعراء والعلماء والمؤرخين .

هذا والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

من خلال متابعة الخطب النبوية

يقول ثقة من الرواة تتبعت خطب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، فوجدت أوائل أكثرها :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

ووجدت فى بعضها :

« أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته » .

ووجدت فى خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه :

« ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، وان المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ الانسان من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار » .

ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد الا خطبة العيد ، فان مفتاحها التكبير : يكبر – وهو على المنبر – أربع عشرة تكبيرة .

نماذج من الرجال

ان من يتتبع تاريخ الامم وسيرة الشعوب باعتبار أن التاريخ رقيب الحياة ، يقرأ الانسان فى ضوئه الماضى ، ويأخذ منه العظة والعبرة للحاضر ، ويخطط على هديه للمستقبل ، يدرك أن كثرة الرجال الشرفاء فى أمة من الامم وشعب من الشعوب أمارة صادقة على عزتها وكرامتها ومنعتها ، فبقدر ما يكثر الرجال فى أمة من الامم يكون نصيبها من الرفعة والكمال : فتشق طريقها فى الحياة عزيزة الجانب مرهوبة السلطان ، وبقدر ما تجدب دولة من الدول ويقل حظها ونصيبها من الرجال يكون نصيبها من الضعة الوضيعة والحقارة والمهانة بين أمم الارض وشعوبها وجماعات البشر ، ويصبح كل شىء فى مثل تلك الدول فى غير محله الصحيح ، وعلى غير هيئته .

الأستاذ عبد العظيم منصور

حتى اذا شاءت الاقدار أن تضع تلك الدول موضع الابتلاء والاختبار ، فلا تلبث أن تعصف بها ريح الحياة فيكون انجعافها مرة واحدة وتلك طبيعة الكون وسنة الحياة .. ان ما أريد أن أؤكد عليه ان المجتمع الذى تتراحم فيه اقدام الرجال يظل يمد امته بكل عناصر البقاء والامتداد يحيا بها ويموى ، والمجتمع الخالى من الرجال يتجه به أفراده فى تحركاتهم الى الهدم والتقويض وصدق الله العظيم فى قوله تعالى « **والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا** » .

ان الاسلام عندما واجه البشرية كان يواجه مجتمعات ليس لها من بصيص الفكر الا أردأ بقاياه ، وليس لها من حرية الارادة الا ما للسوائم والعجماوات مع من يقتنيها ، رأى انسانا قد هانت عليه انسانيته فكان أجهل الناس ، وأعظمهم حجابا ، وأكثفهم نفسا ، وابعدهم عن الله وعن حقيقة الانسانية ، وحقيقة ما خلق لاجله ، فكان لابد من اعتاق البشرية مما كانت تعانيه من آلام وجراح ولم يكن ليتأتى ذلك الا على ايدى جيل من الرجال مدرك للهدف منظم الصفوف بصير بمعالم الطريق يعرف مواقع الحق ومسالكه ، ويدرك منابع الظلم وروافده ، ويواجه البشرية بما هى غارقة فيه فى شجاعة عالية لا تعرف التردد ، وفى قوة لا تعرف الضعف ، وفى يقين لا يعرف اليأس ولا القنوط ، وفى تضحية بالنفس والمال ليس لها أمد تنتهى اليه أو حد تقف عنده لا تتعداه يتوج كل ذلك فناء كامل فى الهدف ومنبع صاف عذب يستقى منه هؤلاء الرجال فى فترة تكوينهم ليكون هذا الجيل من الرجال خالص القلب خالص العقل ، خالص الشعور والتصور ليرى الحق بدليله فينتصر له ، ويرى الباطل على حقيقته فيمقته ويدفعه .

ومن هنا كانت الاصول والقيم التى جاء بها الاسلام من تصورات أعتقادية ، وشعائر تعبدية وشرائع قانونية وقيم خلقية ، كما جاء بها القرآن ، وفصلتها السنة النبوية ، هما النبع الصافى الذى استقى منه كل من انحاز الى الاسلام بجد واخلاص ، متحررا من كل أوضاع الجاهلية وعاداتها وموروثاتها وتقاليدها وانظمتها ، وكان هذا هو شرط الانتماء الى الدين

والانفول فى حزب المؤمنين ؟ وكان من نتيجة تلك التربية الجادة التى أخذ بها النبى المسلمين مستقاة من السنة والقرآن الكريم ، ان ظهر على مسرح الحياة جيل من خاصة الصحابة وعامتهم كانوا بحق الجيل المثالى الفذ فى تاريخ البشرية كلها لم تر أمة من أمم الارض مثله ولن ترى مثله مرة أخرى . وحقا ما قيل « شموسا طلعت فى سماء الانسانية مرة ولا تطمع الانسانية أن تطلع فى سمائها من هم من طرازهم وعلى شاكلتهم مرة أخرى » . لقد فتح الله بهذا الجيل أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوبا غلفا ، واحيا بهم قلوبا كانت قد أجدبت فماتت فى صدور أصحابها ، وحطم بهم عروشا طالما تجبر أصحابها تحت سلطانها ، وأجلس بهم على كراسى العزة والكرامة شعوبا طالما عاشت فى مهاوى الذلة والمهانة ، جعل الله تبارك وتعالى الحق شريعتهم والعدل سيرتهم والتقوى ضميرهم والبر شعارهم ، والهدى امامهم ، أهدى الله بهم بعد الضلال ، وأعلم بهم بعد الجهالة وارفع بهم بعد الخمالة ، وأكثر بهم بعد القلة ، واغنى بهم بعد العيلة ، واجمع بهم بعد الفرقة والف بهم بين أمم متفرقة وقلوب شتى ، الهمهم الله التسبيح والتحميد والثناء والتكبير والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم ، يصلون قياما وقعودا ، ويقاتلون فى سبيل الله صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاة الله الوفا ، قربانهم دماؤهم وارواحهم على أكفهم ، وقرآنهم فى صدورهم ، رهبان بالليل ، فرسان وليوث بالنهار ، دائرة السوء على من بغى عليهم واراد ان ينتزع شيئا مما فى ايديهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وصدق الله العظيم حين يصفهم « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » .

هكذا كان الجيل المثالى الذى تربى على يد معلم الانسانية رأتهم البشرية فى مواقف اليأس وعند الشدائد يخرجون عن اموالهم ، ويبيعون لله أرواحهم ، كما رأتهم البشرية فى السلم يتحرون الحق ويذعنون للانصاف فى حياتهم السلمية ، وقد شاع هذا الخلق السامى فى الخاصة والعامة من المسلمين . ولنأخذ مشهدا واحدا من مشاهد الحرب لنرى كيف كان هؤلاء الرجال نتدبر هذا المشهد ونعقله ، ونرى مدى ثقله ووزنه فى تلك الايام التى تهيج فيها نيران الحروب فتغلى الدماء وتطيش الاحلام ، وهذا المشهد هو ما جرت احداثه يوم سار النبى عليه السلام بالمسلمين الى بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ليناجزوا ثلاثة اضعافهم من اهل الرجولة والحماسة والبأس من المشركين ، وقد اراد النبى عليه السلام أن يختبر أصحابه ويطمئن الى ايمانهم ، فأخبرهم عن قريش واستشارهم فى الموقف فقام الصديق الاعظم أبو بكر فقال واحسن ثم قام عمر ابن الخطاب الذى أعز الله به الاسلام فقال وأحسن ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو الاسود الكندى فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد ـ مكان بعيد ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له . ثم قال عليه السلام : « أشيروا على أيها الناس » فقال له سعد بن معاذ سيد الخزرج واقوى زعيم فى الانصار : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ » . قال عليه السلام : « أجل » . قال سعد : « فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك . فوا لذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله » . وسعد بن معاذ هذا هو الذى قال للنبى عليه السلام : خذ من اموالنا ما شئت ودع واترك ما شئت وما اخذت منا خير مما تركت لنا » . وهكذا تظهر لنا أخلاق المسلمين فى الحرب خروج عن المال فى سبيل الله ، وخروج من الدنيا كلها ببيع النفس ابتغاء مرضاة الله . فما أحوجنا اليوم نحن المسلمين الى امثال هؤلاء الرجال ونحن نتعرض لحملات قاسية شريرة عمادها جبلات جاحدة لئيمة وخبيثة من كل المخالفين لنا فى عقيدتنا وملتنا ان اعياهم منطق القوة الصريح استبدلوه بمنطق المكر والخداع يساند المخالفين فى تربصهم بالاسلام والمسلمين عينات من البشر تنتسب الى الاسلام بحكم الوراثة وتتمثل تلك العينات فى مجموعة من أصحاب الهمم الساقطة والنفوس الوضيعة من المنافقين والمرجفين والذين فى قلوبهم مرض وغيرهم ممن استهوتهم الانظمة الوضعية بشعاراتها المزيفة وببريق خداع من المدنية الزائفة والمتع الرخيصة والخلاعة الماجنة والوعود الكاذبة وبأساليب من الانحلال الخلقى تأنف منه السوائم والعجماوات ثم عمدت تلك الانظمة الوضعية فى النهاية الى تشكيك هذا الصنف ـ وقد اردت ان اخصه بالذكر ـ فى عقائده وقتل القوى الروحية التى تعصمه من ان ينمحى فى غمار الغاصبين حتى يصبح فى النهاية وكأنه سمكة ابتلعت طعما لا تستطيع أن تفلت من قبضة الصياد الماهر وهكذا تم تجنيد هذا

الصنف فى خدمة هذا النظام الوضعى أو ذاك ، فقد ولاءه لارضه التى ولد وعاش عليها وتزعزعت عقيدته التى ارتبط اسمه بها وقد وصل بهذا الصنف ولاؤه لهذا النظام الوضعى او ذاك الى الاستغناء عن الروابط المنزلية والارحام الدموية والشرائع الخلقية ليكون غارقا فى الهدف الذى تم تجنيده من اجله ، ثم يعقب ذلك تسلل هذا الصنف الى مختلف قطاعات الدولة يعبث ويفرق ، ويشكك ويمزق ويربك ويعرقل وهو لا يحمل الا علما واحدا وهو علم الهدم . اقول ما احوجنا فى هذه الايام الى رجال مؤمنين صادقين ، مؤمنين بالهدف يستعذبون الموت فى سبيل الله كما فعل اجدادهم الاولون ، ويعبرون الى الاسلام على قنطرة من جهاد وتضحيات ليستطيعوا مواجهة التحديات التى تواجه المنهج الالهى سافرة ومستترة وصدق الله العظيم حيث يقول « **الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير** » .

اعود الى استعراض مشهد من مشاهد هؤلاء الرجال من المسلمين فى أوقات السلم وقد رأيت أن اسوق هذا المشهد بالذات لانه يستند بالدرجة الاولى الى سلطان الضمير الذى رباه الاسلام كما انه كفيل بأن ينهى كل مشاكل المسلمين التى يعانون منها وخصوصا تلك المرتبطة بالمال وهو الافة القاتلة لحقوق الناس والمضيعة لحقهم فى الحرية والحياة والدافع الاول للصراعات العنيفة التى نشاهدها بالعين وندركها ونحس بها كل يوم على مستوى الافراد والاسر والجماعات والدول .

لقد تحدثت أم سلمة رضى الله عنها عن هؤلاء الرجال فيما رواه عنها الامام احمد فى مسنده وأبو داود فى سننه ـ قالت : « جاء رجلان يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواريث قد درست ليس بينهما بينة . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم تختصمون الى ، وانما انا بشر ، ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض ، وانما اقضى بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار يأتى بها اسطاما فى عنقه يوم القيامة فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما ، حقى لاخى . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اذا قلتما ذلك فاذهبا فاقتسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما [أى اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما] ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » . فأى حاجة بهذه الامة وهذا الجيل المثالى الفذ الى القضاء والمحاكم وهى امة الحق ، ورجالها يسألون عن الحق ويتحرون عنه ويذعنون للعدل والانصاف .

فأين رجال اليوم من رجال الامس الذين خصهم الله بالذكر واثنى عليهم الى يوم القيامة فى محكم آياته على صفحات القرآن الكريم ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» «ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما » « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا » . انهم حقيقة رجال بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، رجال لانهم قطعوا رحلة العمر كلها فى نصب وعناء ومشقة دون ان ينتظروا من احد اجرا ، ودون ان يلتمسوا عند بشر ذكرا ، انهم رجال لانهم حين اعطوا المال ، والدماء اعطوا دون ان ينتظروا فى هذه الارض ثوابا ، لان حسابهم قد وقع أجره على الله ، ومن وقع اجره على الله فقد فاز فوزا عظيما ، انهم حقيقة رجال لانهم انتصروا بعقيدتهم على الحياة ، وانتصرت ارواحهم على المادة ، وانتصر ايمانهم على الخوف والالم انهم حقيقة رجال لانهم انتصروا انتصارا لازال ، وسيظل يشرف الجنس البشرى كله الى ان تقوم الساعة .

ما احوجنا نحن المسلمين على مستوى هذا العالم العريض الى رجال مؤمنين ونساء مؤمنات يعرفون الهدف ويقفون على الطريق ويلتمسون الى ذلك الهدف الوسيلة التى سبق ان التمسها اجدادهم وعندئذ سيستجيب الزمان للامة الاسلامية وستسمع البشرية مرة اخرى وقع اقدام التاريخ وهو يحمل اليها رسالة الحق والعدل والسلام بدلا من التمزق والضياع والانحلال والالام والجهل والطغيان الذى تعيشه البشرية الان يستوى فى ذلك الاقوياء والضعفاء ، الاقوياء يعيشون التمزق أيا كان شكله ومظهره وهم يحاولون الدفاع عما اغتصبوه وسلبوه من الضعفاء ، والضعفاء يعيشون حالة التمزق وهم يحاولون انتزاع ما تم اغتصابه وسلبه منهم ، ومن هنا فلن ينقذ البشرية المعذبة الا رسالة الحق وليست هذه الرسالة الا الاسلام بشعائره التعبدية ، وتصوراته الاعتقادية ، وشرائعه القانونية ، وقيمه ومثله الاخلاقية ، ولن يعود الاسلام الى ضمير الفرد وواقع الجماعات الا على ايدى رجال ، واعنى صنف مخصوص من الرجال يستقى من منهل واحد هو القرآن والسنة ، يأخذ هذا الصنف الامور جد الجد ويبايع الله على كل انواع التضحيات ولو تناولت الحياة ، ويعرف الخروج عن الاهل والولد والمال اذا استدعت مصلحة الاسلام ذلك ، ويعرف العمل الفورى والتحرك السريع ولو وقفت فى طريق المسلمين قوى الارض جميعها ، صنف لا ينحنى امام الهزائم العارضة ولا يقبل الشعور

بالوهن والحزن مهما أصابه وحل به ؟ ولا يقبل الضعف أو يرضى بالاستسلام أمام تهديد الطغاة الجبارين ، صنف يعمل ويخلص النية لله فى العمل بعيدا عن الشعارات المزيفة والنداءات الخالية من نية الاخلاص فيها ، صنف يحدد الاعداء وتحديدهم على وجه القطع واليقين ساقه القرآن العظيم ورصيد التجربة التى خاضها المسلمون الاوائل لازالت ماثلة قائمة ، مع الاخذ فى الاعتبار وبالدرجة الاولى أن المخالفين لن يهدأ لهم بال أو يستقر لهم حال على قوتهم الباغية الطاغية الا اذا راوا الاسلام وقد اختفى من على مسرح الحياة وراوا المسلمين صرعى كأعجاز نخل خاوية لم يبق منهم على وجه الارض باقية ، يستوى فى ذلك الاعداء المعاندين المكابرين الظاهرين منهم والمستترين ، ويستوى فى ذلك أيضا المدعين الصداقة للمسلمين ، فكلهم فى الكيد للاسلام والمسلمين سواء ، ومن ظن غير ذلك من المذبذبين والمضطربين من ابناء الاسلام فهو تائه يجب ايقاظه وحائر يجب تبصيره بحقائق الماضى التى خاضها الاسلام ضد أعدائه وشواهد الحاضر التى يخوضها الاسلام وتكشف عنها مجريات الامور تباعا ما ظهر منها ، وما خفى ومآله الى الظهور والشعور .

فهنيئا لمن يرفع لواء الدعوة الى الله ، وتعسا لمن يجرى وراء هواه ، وبؤسا لكل من يضيع آخرته من اجل دنياه ، وما اجمل قوله تعالى يناشد المسلمين الاصفياء الاتقياء بألا يكترثوا بالباطل ولا يعملوا حسابا لزهوه وغروره وصلفه وعناده فيقول تعالى « **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار** » .

ان للباطل نهاية مهما تطاول وتبجح فضلا عما ينتظره من منقلب فى الاخرة اليم ، وللحق نصر وتمكين ولاصحابه عند الله جنات النعيم وما أجمل هذا المشهد الكريم الذى يسوقه رب العالمين للباطل واهله وللحق واهله فى قوله تعالى « **ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون .. واذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين . واذا راوهم قالوا : ان هؤلاء لضالون – وما ارسلوا عليهم حافظين – فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** » .

واخيرا : « **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد** » .

صحائف مشرقة

فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول

نشأ بمكة واشتغل بالتجارة فكان الامين الصادق الذى يتحرى الحلال المبارك ويعمد الى اللقمة الطيبة فان الله سبحانه طيب لا يقبل الا طيبا . وقد شب رضى الله عنه على كرم الشيم وحسن السيرة وانبل الصفات محببا فى قومه يحوطونه ويجلونه وبلغ من تعلق قومه له وتعلقهم به ان كان العقائل والامهات يتغنين وهن ينشئن اطفالهن .

فلقد حكى ابن عساكر ان كانت المراة من العرب ترقص حبيبها وهى تقول .

أحبك والرحمن — حب قريش عثمان

شرح الله صدره للاسلام مبكرا واستجاب لما يجيبه بدعوة من ابى بكر الصديق رضى الله عنه ولقد كان وفيا لدينه متفاعلا مع عقيدته مخلصا للدعوة المحمدية الرشيدة الذى آمن بها عن طواعية واختيار فقد عذب فى سبيلها فلم تلن قناته ولم يهن عزمه ولم تفتر عزيمته .

أخرج ابن سعد فى الطبقات أنه لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم فأوثقه رباطها وقال – أو ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا ادعك ابدا حتى تدع ما انت عليه – فقال عثمان – والله لا ادعه ولا أفارقه – فلما رأى الحكم صلابة عثمان فى الحق وتفانيه فى ذات الله أطلقه –

علم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيه نبل العاطفة ورقة الشعور واشراق العقيدة فزوجه ابنته

في حياة
عثمان بن عفان

يطيب لنا أن نعيش مع صفحات مشرقة وضاءة خيرة ونلتقى مع علم من أعلام الاسلام وصحابى عظيم وخليفة كان المثل الكامل والقدوة الطيبة للخلق الاسلامى الرفيع تمثل فيه سخاء اليد ونبل العاطفة وشدة الحياء وعفة اللسان وطهارة القلب وسلامة الطيبة ذلكم هو الخليفة الجليل عثمان بن عفان ابن ابى العاص الاموى القرشى يلتقى فى النسب الطاهر مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى عبد مناف فهو فى الذروة من قريش ويكنى آبا عبد الله وأبا عمرو .

رقية رضى الله عنها التى شاركته حلاوة الجهاد ووقفت الى جانبه تشد ازره وهاجرت معه الى الحبشه وكانت فى هجرتها معه المثل الكامل للزوجة الوفية المخلصة امتى عمر قلبها بنور الايمان فكانت تجسيدا عمليا للنبع الصافى وللاخلاق الكريمة والبعد عن سفاسف الامور وانتقلت الى الله فى ايام بدر فزوجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ابنته الثانية أم كلثوم رضى الله عنها تكريما له وصار عثمان يعيش مع هذا اللقب الخالد بتلك المعاهدة الشريفة ـ ذو النورين ـ

وفى السنة التاسعة للهجرة انتقلت السيدة أم كلثوم الى ربها فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كلمته التى خلدت فخار عثمان قالها وهو مرزوء بابنته ـ لو أن لنا ثالثة لزوجناك ـ

اتسم عثمان رضى الله عنه بخلق الحياء فكان معه ذا نسب عريق والحياء شعبة من شعب الايمان يصون صاحبه ويحوطه بالمكارم ويبعده عن النقائص فصاحبه لا يحمل الا ضميرا حيا ونفسا مطمئنة وفؤادا راضيا .

أثر عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله [**أراف أمتى بامتى ابو بكر الصديق واقواهم فى دين الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على) .**

لقد بايع عثمان رسول الله ووضع يده فى يده الشريفة وتعمق فى نفسه مدلول قول الله تبارك وتعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ـ **فلم تمس يده بعد ذلك ما يغضب الله يتنافى مع الخلق وكان يتحدث عن نفسه فيقول انه** ما تغنى ولا تمنى ولا شرب خمرا فى جاهلية ولا اسلام ولا لامست يده ما يستحيى من ذكره ـ وبلغ من شدة حيائه أنه كان يستحى أن يرى نفسه عريانا وهو بعيد عن الانظار ايمانا منه بأن الله العلى العظيم أحق أن يستحيى منه .

قال الحسن بن على رضى الله عنها ـ لقد كان عثمان يكون فى جوف الليل والباب عليه مغلق فيضع ثوبه على جسمه وهو يصب عليه الماء وكان مع شدة حيائه رقيق العاطفة ذا احساس مرهف يحافظ على شعور المسلم ويكرم آدميته ويأخذه باللين وحسن المعاملة روى على بن مسعدة عن عبد الله الرومى قال ـ كان عثمان يلى وضوء الليل بنفسه فقيل له لو امرت بعض الخدم فيكفوك قال لا ـ الليل لهم يستريحون فيه ـ وروى الزبير بن عبد الله قال حدثتنى جدتى ان عثمان كان لايوقظ احدا من اهله اذا قام من الليل ـ ولم يؤثر عنه رضى الله عنه انه لقى احدا بما يكره أو يخدش كرامته وكان ذلك شأنه مع عماله حتى اذا ما ارتأى عزل احد ولاته عزله بخطاب رقيق يقطر أدبا وعاطفة .

كان عمرو بن العاص رضى الله عنه عاملا على مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما ولى عثمان أمر المسلمين جعل على الخراج عبد الله ابن سعد وعلى الصلاة عمرو بن العاص ويشاء الله أن تجد النميمة طريقها بين الصاحبين الجليلين فكتب عبد الله بن سعد الى عثمان قائلا ـ ان خراجى لا يستقيم مادام عمرو على الصلاة فكتب عثمان الى عمرو بن العاص فى أدب جم قائلا ـ لا خير لك فى

صحبة من يكرهك – ومما يعزز أن هذا الخليفة الكريم كان هينا لينا سمحا فى معاملته ٠

ماأخرجه ابن عساكر عن عطاء قال اشترى عثمان من رجل أرضا فأبطأ البائع على عثمان فلما لقيه قال له مامنعك من قبض مالك قال الرجل انك غبنتنى فما القى من الناس أحدا الا وهو يلومنى قال عثمان أذلك يمنعك قال نعم قال فاختر بين أرضك ومالك ٠ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا أو بائعا وقاضيا ومقتضيا] ٠

كتب معاوية بن أبى سفيان وهو وال على الشام الى عثمان يشكر اليه الصحابى الزاهد اباذر الغفارى ويصب رأيه – فكتب الى معاوية يقول – ان الفتنه قد اخرجت خطمها وعينيها فلم يبق الا ان تسكت فلا تنكأ القرح جهز أباذر الى وأبعث معه دليلا وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وهكذا سافر أبوذر عزيزا كريما وما أن استقبله الخليفة حتى خاطبه فى رفق وبعد أخذ ورد قال عثمان – ياأباذر على أن أقضى ماعلى وأخذ ماعلى الرعية ولا أجبرهم على الزهد٠

ولما رأى ابو ذر ان الناس قد اخذوا عليه قوله ورأيه **قال للخليفة أن الناس قد أنكرونى فقال له أختر حيث تقيم فاختار الربذة خارج المدينة فخط بها مسجدا وأقطعه عثمان نخيلا ووهبه ابلا وجعل فى خدمته مملوكين وكان يقول يا أبا ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك –**

ومن الصفات التى لازمت عثمان فضيلة الكرم والسخاء فقد وهبه الله ثروة طائلة وكان يرى انه مستخلفا فى هذا المال الوفير وان المال مال الله ولهذا كان يعطى عطاء من لا يخشى للفقر تفاعلا مع قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيما يرويه عنه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه [**ان الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكريم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود**] ٠

ومما يعزز أن الخليفة أعد نفسه وماله لنصرة الدين واعزاز الحق منارة العدل والتيسير على المعسر وتفريج كرب المكروب تجهيزه جيش العسرة الذى أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بسيره لغزوة تبوك بألف بعير والف دينار وقال رسول الله يومئذ [**ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم**] وحينما شكا المهاجرون تغير الماء فى المدينة أشترى رضى الله عنه بئر رومة العذب من صاحبه اليهودى الذى كان يبيع ماءه للمسلمين بثمن عال وجعلها للمسلمين وصفة البذل والانفاق كانت سجية فى عثمان لازمت حياته فلقد حدث فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن أصاب الناس قحط فلما اشتدبهم الامر ذهبوا الى الخليفة وقالوا له ياخليفة رسول الله السماء لم تمطر والارض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فماذا نصنع فقال لهم انصرفوا واصبروا فانى ارجو الا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار وردت الانباء بأن عيرا لعثمان بن عفان قد قدمت من الشام وتأتى المدينة صباحا فلما استقرت بداره جاءه التجار فقال لهم ماذا تريدون فقالوا انك لتعلم مانريد بعنا من هذا الذى وصل اليك فانك تعلم حاجة الناس اليه فقد أجهدهم القحط فقال رضى الله عنه كم تربحوننى على شرائى قالوا الدرهم درهمين قال أعطيه زيادة على هذا قالوا نربحك الدرهم ثلاثة وزادوا الى خمسة قال عثمان أعطيت أكثر من هذا فقال التجار مافى المدينة تجار غيرنا وماسبقنا اليك أحد فمن الذى أعطاك أكثر مما أعطينا قال ان الله أعطانى بكل درهم عشرة فهل عندكم زيادة قالوا لا قال فانى أشهد الله انى جعلت ماحملت هذه اليد صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين ثم أخذ يفرق بضاعته فما بقى من فقراء المدينة أحد الا أخذ مايكفيه وأهله ٠

ولقد كان موفقا فى سياسته الخارجية فواصل الفتوحات التى تحققت فى عهد الشيخين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فأرسل الجيوش التى تجاوبت مع عقيدتها وباعت فى سبيل الله نفسها وحرصت على الموت حرصها على الحياة ففى السنة الاولى من خلافته فتحت الرى وفى سنة سبع وعشرين غزا معاوية بن ابى سفيان قبرص وفيها فتحت ارجان وفى هذه السنة غزا عبد الله بن سعد بن أبى السرح افريقية وتم له فتحها وفى سنة ثلاثين فتح كثيرا من بلدان خراسان وفتحت نيسابور صلحا وبهذا توالت الفتوحات الكثيرة المتلاحقة وكان الله معهم بالنصر والتاييد فبارك جهادهم وأصبح علم الاسلام خفاقا على كثير من بلاد العالم

ومن مآثر عثمان الخالدة التى يحفظها له التاريخ اهتمامه بجمع القرآن وجمع المسلمين على مصحف واحد فقد كان القرآن المجيد مكتوبا فى الصحف مجموعا كله بين دفتين فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما ولى الخليفة عثمان أمر المسلمين حدث فى عهده ما اضطره الى عمل مجيد بشأن كتاب الله الدستور الخالد ٠

روى البخارى عن أنس بن مالك أنه قال – ان حذيفة ابن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى اهل الشام فى فتح أرمينية وآذر بيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلتها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير – وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من

[البقية ص ١٣٨]

ضوابط النفس

الأستاذ عبد المنعم مغربي

اذا تتبعنا آى القرآن الكريم وجدناه عنى بتطهير النفس البشرية من جميع الخواطر السيئة والاخلاق النفسية الذميمة فقد دعا القرآن الى تطهير النفس من اليأس لان اليأس يقتل الطموح ويقضى على كل أمل في تقدم البشرية فقال تعالى « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

ودعا القرآن الى التخلص من الخوف « فلا تخافوهم وخافون » ؟ واياى فارهبون » أى لا ترهبوا احدا غيرى .

ودعا فى كثير من آياته الى تخليص القلب من الخضوع لاحد غير الله فقال تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » .

ولما كانت هناك عوامل خارجة عن النفس البشرية قد تنحرف بها عن الطريق المستقيم لذلك فقد تكفل الله سبحانه بوضع ضوابط لحماية النفس ودعا الى تنميتها وهياها لتصل بالنفس الى المستوى الانسانى الرفيع فتعلو بها عن صغائر الاخلاق وتحفظ عليها فطرتها كما برأها الله تعالى .

ومن أقوى هذه الضوابط تأثيرا على النفس وسلوكها العقل وهو قوة فطرية فضل الله بها الانسان على الحيوان فليس الانسان فى حساب المعانى السامية الا عقلا ولسانا كما قال الشاعر العربى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى » .

ونرى فرقة من فرق المسلمين الكبرى ــ وهى فرقة المعتزله ــ ترى أن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل وان الامم التى لم يرسل الله اليها رسلا محاسبة على كفرها بالله وتفسر الرسول فى قوله تعالى « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » تفسر كلمة الرسول بكلمة العقل .

والعقل المكتمل يدرك الشر على حقيقته ويدرك الخير على حقيقته وهذا الادراك من اكبر الحوافز على كره الشر ومحاولة الابتعاد عنه وعلى حب الخير والعمل على الاستزادة منه .

وجمهرة فلاسفة المسلمين يرون انه لا يقال للانسان عاقل لمجرد ادراكه الاشياء بل يشترطون ــ مع ذلك ــ ان يكون العاقل ذا دين وفضيلة .

ويقول بعض المعاصرين : ان المعقول ما كان متفقا مع قواعد الاخلاق وأوامر الدين وغير المعقول ما خرج على هذه الاوامر والقواعد .

فالعاقل هو الذى يتحكم فى أفعاله ويستطيع ان يخضعها لمصلحته أو لمصلحة المجتمع .

ومما روى عن سيدنا عمر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

والقرآن الكريم جعل ضعف العقل سببا فى الكفر والضلال « **وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى أصحاب السعير** » ووصف الذين يستهزئون بالاسلام ويشرائعه بأنهم لا يعقلون « **واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون** »

بل نفر اشد التنفير من الذين لايستعملون عقولهم ووصفهم بأقسى وصف يوصف به انسان فى قوله « **ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون** ! » .

وقد دعا القرآن الى تنمية العقل فحث على التأمل فى ملكوت السموات والارض وفى آفاق النفوس البشرية لمعرفة أسرار الكون وعجائب الفطر .

وما تدركه الحواس من مظاهر الحياة ثم التأمل الداخلى فى النفس لهذه المدركات فهذا هو ما ينمى هذه القوة الفطرية التى أودعها الله فى الانسان وهى العقل .

والعقل ككل جزء فى الالة وكل عضو فى الانسان متى أهمل ضعف عن أداء وظيفته كما أن أى جزء من أى آلة اذا اهمل صدىء وتوقف وكذلك فان أى عضو فى جسم الانسان اذا ظل زمنا طويلا لا يعمل فقد القدرة على العمل أو كاد .

وعمل العقل هو الفكر والتأمل ومن هنا كرر القرآن فى آيات كثيرة الدعوة الى النظر والتفكر وكان ذلك عناية بالعقل وعملا على تنشيطه وتقويته .

وانما كان العقل ضابطا من ضوابط النفس وعاصما من جموح الغرائز لانه ـ اذا صفا ـ يحجز عن الشر ويبعد صاحبه عن الغواية .

فالنفس البشرية قد يسول لها الشيطان الشر ويدعوها اليه وقد يزين لها الاشرار طريق الغواية ولكن العقل يعصمها ويحول بينها وبين الخسران والهلاك .

والعلم يوسع آفاق العقل وهما أمران متلازمان ، وقد رفع الله من شأن العلم والعلماء ، بل جعل خشية الله لا تكون الا من العلماء « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » وبالغ فى الحث على التعلم فكانت أول آية نزلت من القرآن تشيد بشأن العلم وتأمر به « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » .

فالعلم ينمى العقل ويزكيه ويمده بزاد لا ينضب ومن ثم يستطيع أن يميز بين الخير والشر كما يدعم به ارادته فيكون عقله أقوى من عاطفته فاذا ما زين له الشيطان سوء عمله كان عقله واقيا وهاديا الى سواء السبيل .

فاللهم نسألك علما يكون زادا لعقولنا وقلوبنا وهاديا الى الطريق المستقيم .

بقية مقال « صحائف مشرقة »

القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ففعلوا وبعد أن تم نسخ الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة » .

وبعد ان تم هذا العمل الجديد ارسل عثمان نسخة من المصاحف الى بعض الامصار الاسلامية كمكة والبصرة والشام وترك لاهل المدينة مصحفا وقد عرفت هذه المصاحف التى كتبت فى عهد الخليفة عثمان باسم ـ المصحف الإمام ـ أو ـ مصحف عثمان ـ وبهذا حفظ عثمان كتاب الله الذى استودعه المسلمين وتكفل بحفظه من الضياع والتحريف مصداق قوله [انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون] .

ولئن أثر عن الخليفة عثمان رضى الله عنه شدة الحياء والجود والعطاء والقوة فى الحق وأصالة الخلق فقد أثر عنه أيضا غزارة العلم المقرون بالعمل وأصالة الخلق وبعد الاناة وسعة الحلم .

عرف أبو بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فيه ما أفاء الله عليه من وافرا نعمه وتمام أفضاله فكانا يأخذان برأيه فى كثير من مشكلات الامور ولقد كان صاحب قدم راسخة فى باب المناسك وبعد النظر فى الاجتهاد وفى منزلة عثمان الرقيقة تقول عائشة رضى الله عنها كان الرسول صلى الله عليه وسلم مضطجعا فى بيتى كاشفا عن بعض ساقيه فاستأذن أبو بكر رضى الله عنه فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر رضى الله عنه فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان رضى الله عنه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فدخل وتحدث فلما خرج قلت يارسول الله دخل أبو بكر فلم تنهض ودخل عمر فلم تنهض ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال رسول الله [**ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة**] **وحسب الخليفة عثمان رضى الله عنه انه رفيق رسول الله صلوات الله** وسلامه عليه فى الجنة .

[**وفى هذا المقام الرفيع تروى عائشة رضى الله عنها عن رسول الله قوله [ابوك فى الجنة ورفيقه ابراهيم عليه السلام وعمر فى الجنة ورفيقه نوح عليه السلام وعثمان فى الجنة ورفيقه أنا] رضى الله عنك يا خليفة رسول الله بقدر ما ارضيت ربك ودينك وسلام الله عليه ورحمته وبركاته** .

مع كلمات
للسيدة نفيسة
رضى الله عنها

الأستاذ صلاح عزام

بالامس . كانت عشرات الالوف من المسلمين يحتفلون بذكرى السيدة نفيسة رضى الله عنها .. وفى مسجدها .. حيث أقامت خلال المدة التى عاشتها فى القاهرة .. تلتقى بالعلماء .. وتعلم الكبار .

وتاريخ السيدة نفيسة رضى الله عنها .. معروف ومشهور .. ولكن عبارة واحدة يطلقها المؤرخون عليها فيها المعانى الكثيرة .. انهم يقولون عنها رضى الله عنها . نفيسة العلم والمعرفة [ولقد كانت رضى الله عنها كذلك .. واكثر ..

فقد كان من اكثر المترددين عليها طلبا لمزيد من العلم .. وكثير من الايضحات . الامام الشافعى رضى الله عنه . وتوثقه بينهما المعرفة . . وكانت تكلفه بصلاة التراويح بمسجدها . وعندما مات رضى الله عنه قالت عنه كلمتها الرائعة [**رحم الله الشافعى .. فقد كان يحسن الوضوء ..**] ولم يذكر كثير من المؤرخين بقية العبارة . فعندما استوضحها بعض الحاضرين معنى هذا الكلام قالت رضى الله عنها [**ان الوضوء الصحيح هو الاساس الذى تبنى عليه العبادات فاذا كان الاساس قويا .. كان البناء سليما ..**] و .. [ان أعمال الوضوء كلها طريق الى غسل القلوب من صدء الذنوب وشرح للصدور وخطوة العبد يتقرب بها الى ربه ..] .

● والتقت السيدة نفيسة رضى الله عنها بالكثير من العلماء وراغبى العلم .. كالامام أحمد بن حنبل وبشر الحافى وآخرين .

● وخلال جلسات علمها المبارك كانت كلمات كثيرة ومشرقة فأخذ بعض عباراتها كدليل قاطع على أنها استاذة العلماء .. والكبراء ..

ومن ذلك :

● انها سئلت رضى عنها عن رأيها فى مصر فقالت [.. لقد أراد الله بمصر خيرا .. وكفاها شرفا انه ذكرها فى القرآن كما ذكر مكة .. ولهذا فان هذا البلد سوف يرقى اسلاميا بمن يوفقهم الله لقيادته فى هذا السبيل وان ما عانته مصر بصفة عامة كامة وهو ما يعانيه من يبتليه الله ليختبر ايمانه ..] .. و [.. اننى ادعو الله دائما ان يجعل مصر بعد الاماكن المقدسة محفوظة برعايته يشع منها نور الاسلام والهداية على جميع الارض وأساله تعالى أن يستجيب الدعاء انه سميع مجيب] .

● .. [لقد ذكر الصبر فى القرآن مائة وثلاث مرات وذلك دليل على قيمة الصبر وعلو شأنه وحسن عاقبته ..]

● و .. [العبد يلازم المؤمن بقدر ما فى قلبه من ايمان وحسب الصابر آن الله معه] .

● و .. [على المؤمن ان يستبشر بالميثاق التى تعترضه دائما فانها سبيل لرفع درجته عند الله وقد جعل الاجر على قدر المشقة] والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم] .

● .. [لا مناص من الشوك فى طريق السعادة فمن تخطاه وصل ..]

● و .. [من ثمرات التذوق لحلاوة الايمان تدرج المتذوق رويدا .. رويدا فى طريق الصالحين حتى يصل الى ما وصلوا اليه] .

● و .. [ان الجهاد فى طلب الرزق عبادة يدخر أجرها ليوم الحساب] .

● و .. [لا يكمل حب المسلم لرسول الله الا بمتابعته فى جميع أعماله وأقواله ولا تمجيد لذكراه كالعمل على مرضاته باتباع سننه وترديد الذكريات المجيدة لحياته ..] .

● و .. [ان الخشوع الذى اشار اليه فى قوله « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » لن يتحقق الا اذا كانت الصلاة صافية من كل مثقال ذرة من شواغل الدنيا . ويكفيك الله شر تلك الشواغل بمقدار اخلاصك له وتفكيرك المركز فى كل كلمة تقولها .. وكل آية تقرؤها .. وكل حركة تتحركها .. أثناء الصلاة ..]

و .. [من استقام مع الله كان الكون بيده وفى طاعته ..]

● و .. [ان الصلاة بين العبد وربه هى المفتاح الذى تفتح به خزانة الروحانيات وركعتان توافرت فيهما هذه الصلة خير من ألف من الركعات المجردة منها ..] .

● و .. [حذار من الغرور فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حفه الصحابة بألوان من التعظيم والتكريم يمرغ خديه فى التراب ..] .

و .. رضى الله عن السيدة نفيسة العلم .. بنت الامام حسن الانور .

دعائم بناء المجتمع القوى

فضيلة الشيخ
عبد الرحمن النجار

المجتمع القوى هو المجتمع الذى تقوم العلاقات فيه بين افراده على دعائم ثابتة ، وأسس راسخة ، فلا يهتز امام الاحداث ، ولا يفزع فى مواجهة التحديات ، بل انه يواجه الصعاب بالايمان الذى لا يتزعزع ، وبالصف الواحد المجتمع الذى يرهب اعداء الله واعداء الحق والفضيلة ، وقد رسم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة حية لهذا المجتمع القوى فى توجيه نبوى شريف ، يقوم على صفات ثلاث ايجابية ، وصفات ثلاث سلبية ، فقال: [ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله عليكم ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال [.

الصفات الايجابية : تعتمد أولا على الايمان بالله الواحد ، واخلاص العبادة له دون سواه ، هذا الايمان هو النور الذى يهدى ابناء المجتمع الى طريق الصواب ، وهو الدليل الذى يدلهم على هذا الصراط المستقيم ، ولو فقد المجتمع هذا الايمان لتزلزلت اركانه وانصدع بنيانه .. انه يكون اشبه بهضبة عالية ولكنها من الرمال ، اذا ما هبت عليها رياح عاصفة تناثرت هنا وهناك ، والنفس الانسانية فى فطرتها الصافية يكمن الايمان ، وعمل الاسلام هو اسداء المعونة الكاملة للانسان كى يدعم فطرته ، ويجلى اشعتها ، ويسير على هديها . والاسلام نفسه هو دين الفطرة النقية الخالصة ، قال الله تعالى [**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**] وما دام الدين هو الفطرة الانسانية فعلى ابناء المجتمع ان يرجعوا الى ربهم وان يعرفوا الطريق اليه ، وان ينحوا عنهم المبادىء المستوردة التى تدعو الى الالحاد وهز العقيدة فى النفوس ، وربط الناس بالارض وصرفهم عن السماء حيث المصدر الذى لا ينضب للهداية والارشاد .. ولهذا تقول الاية الكريمة التالية للاية السابقة : [**منيبين اليه ، واتقوه ، واقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون**] ...

ومن هذا المنطلق تأتى الصفة الايجابية الثانية وهى وحدة الصف مع وحدة الهدف . فيكون المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ... والناس أن لم يجمعهم الحق شعبهم الباطل ، واذا لم توحدهم عبادة الله ، مزقتهم عبادة الشيطان ، واذا لم يتعلقوا بالسماء تنازعوا على الارض ، والله تعالى لم يخلق الناس ليختلفوا ويتنازعوا ، ولا ليتباغضوا ويتخاصموا وهو اذا خاطبهم لم يخاطب فردا بعينه ، امرا كان او نهيا فهو يقول :

[**يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**] ويقول [**يايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم**] ويقول فى معرض النهى [**يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسو ولا يغتب بعضكم بعضا** ...

ولان الاختلاف يكون معولا هادما لكيان الامة نجد رسولنا الكريم محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام يشدد فى التحذير من عواقب الفرقة ، ويعتبرها من الشيطان ، روى عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**الشيطان يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم**] وقد رأى فى سفره ان القافلة عندما تستريح يتفرق اهلها هنا وهناك ، فكره هذا المنظر الذى يشعر بالاختلاف والتفرق ، وحذر منه ، روى عن ابى ثعلبة قال : كان الناس اذا نزلوا منزلا تفرقوا فى الشعاب والاودية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم [**ان تفرقكم هذا من الشيطان**] فلم ينزلوا بعد الا انضم بعضهم الى بعض ، حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم .

ومن شان اجتماع الكلمة ووحدة الصف ان تتعاطف جميع طوائف الامة وأن يكون رائدهم التعاون الكامل ، واخلاص كل من الحاكم والمحكوم ، اخلاصا يتطلب المشورة من الحاكم ، والنصيحة من جماهير الشعب ، ولهذا يوجه رسول الله الصفة الايجابية الثالثة فيقول : « وان تناصحوا من ولاه الله عليكم » .

ان الدين هو النصيحة وعلى افراد الشعب اذا طلب منهم الرأى فى شأن من شئون حياتهم ان يقولوا كلمة الحق من غير خوف او مداهنة ، والذى يعرف الحق ويكتمه شيطان اخرس ، والذى يقول بغير ما يعتقد انه صدق يكون شاهدا للزور ، وشهادة الزور تعدل الاشراك بالله حسبما قال القرآن الكريم [**فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور**] وكان سلفنا الصالح يطلبون النصيحة من الرعية ، فيقول كل واحد رأيه فى صدق واخلاص ، ولو كان هذا الرأى لا يوافق رأى الحاكم

وينزل الحاكم على رأى الاغلبية احتراماً لحق الجماهير فى ابداء رأيها بشجاعة، وكان الواحد منهم يقول لا خير فيكم اذا لم تقولوها [أى النصيحة] ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها ، لقد طلب رسول الله النصيحة من اصحابه للدخول فى معركة بدر ، وطلبها بشأن الاسرى من المشركين فى هذه المعركة ، كما طلب المشورة يوم احد ، ونزل على رأى الاغلبية التى ارادت دخول المعركة ، وكان رأيه الشخصى التحصن بالمدينة ، ولما حدثت النكسة للمسلمين نزل قرآن كريم يؤكد حق المسلمين فى الشورى ووجوب ابدائها والنزول على رأى الاغلبية مهما تكن النتائج ، قال تعالى : [**فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**] ...

هذه الصفات الايجابية الثلاث تجلب السعادة للمجتمعات ، وتحقق لهم الحياة الطيبة العزيزة فى دنيا الناس .. وفى نفس الوقت على ابناء المجتمع ان ينحوا عنهم صفات ثلاث سلبية ، حتى لا يكون هناك معول يهدمما تبنى الايدى العاملة.

وليس كثيرا الف بان يهادم
فكيف ببان خلفه الف هادم

الصفة السلبية الاولى : قيل وقال ، ومعناها ان ينصرف ابناء المجتمع عن العمل ويشغلوا أوقاتهم كلها فى لغو الكلام ، وفارغ القول ، انهم ينشرون الشائعات الضارة ، ويروجون الاباطيل ويفترون الاكاذيب ، ولا هم لهم الا بلبلة الافكار ومحاولة ايقاف تيار العمل المنتج البناء .

وهناك اقلام مأجورة تزيف الحقائق، وتروج الاباطيل ،وتخدع البسطاء بمعسول القول ، ويحذرنا القرآن الكريم من امثال هؤلاء فى قوله تعالى [**ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا**] ..

الصفة السلبية الثانية : كثرة السؤال، بأن يترك العمل انسان قادر عليه ويسأل الناس لكى يعينوه بالصدقات ، ان الصدقة لم تشرع الا للعاجزين الذين لا يقدرون على كسب قوتهم بعرق جبينهم وكد يمينهم من اليتامى والارامل والعجزة والمرضى ،اما الاقوياء القادرون فسؤالهم الناس والاستجابة لهم فتعطيل لقوة عمل تحتاج اليها الامة وهى فى طريق تطورها وتقدمها .. ويشمل كثرة السؤال ما دأب عليه بعض الناس من محاولات الاستفهام عن كل شىء ، مما لا يعنيهم ان ذلك يكون مضيعة للوقت وتدخلا فى امور خاصة بالغير ، وبعض الناس يبحثون فى مسائل لا تفيد الناس فى دينهم ولا فى دنياهم ، بل تذهب بقيمة اوقاتهم سدى ، ولذلك يقول رسول الله فى حديث شريف : [**ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**] .

الصفة السلبية الثالثة : اضاعة المال : ويكون ذلك بالتبذير والاسراف فى وقت يكون فيه المجتمع فى اشد الحاجة الى مدخرات ابنائه لزيادة استثماراته ومضاعفة انتاجه ، مما يعود على الامة كلها بالخير الوافر ، وما تدخره اليوم ينفعك غدا ، والدهر قلب ، فقد تكون اليوم صحيح الجسم قادرا على العمل وعلى الكسب من الطريق الشريف ، ثم يأتى عليك صباح لا تستطيع فيه اداء عملك لتعب او شيخوخة ، فماذا تفعل اذن ان لم يكن لك مدخر لمثل هذا اليوم؟ وقد ورد فى الحديث الصحيح [نعم المال الصالح للرجل الصالح] وجاء القرآن الكريم ينهانا عن الاسراف كما ينهانا عن التقتير الى حد البخل وامساك اليد عن الانفاق الحلال قال تعالى : [**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**] ..

هذه هى الاسس التى ينبغى ان نقيم عليها حياتنا ، وان نصوغ عليها مجتمعاتنا ، حتى ناخذ مكاننا الجدير بنا بين امم العالم ، وحتى تعود لنا حضارتنا التى كانت فى يوم من الايام هى الحضارة التى تنشر نورها فتضىء العالم كله وكانت الامة الاسلامية آنئذ رائدة التقدم والرقى فى هذه الحياة .. وما ذلك على الله بعزيز .

اثر البكاء من خشية الله

ابو سعيد الدارمى قال : حدثنى جدى عن أنس بن مالك قال : جاء فتى من الانصار الى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وقال : ان أمى تكثر البكاء وأخاف على بصرها أن يذهب ، فلو أتيتها فوعظتها فذهب معه فدخل فقال لها فى ذلك .. فقالت : يا رسول الله ، أرأيت ان ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى الجنة أيبدلنى الله خيرا منه ؟ فقال : نعم .. قالت : فان ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى النار أفيعيد الله بصرى ؟ فقال النبى للفتى : ان أمك صديقة .

عن ثابت بن سعيد قال : [ثلاث أعين لا تمسها النار : عين حرست فى سبيل الله ، وعين سهرت فى كتاب الله ، وعين بكت فى سواد الليل من خشية الله] .

وعن محمد بن الفضيل ، عن العلاء بن المسيب ، عن الحسن ، قال : قال النبى [صلى الله عليه وسلم] : « ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دم فى سبيله ، وقطرة دمع فى جوف الليل من خشيته ، وما من جرعة أحب الى الله من جرعة مصيبة موجعة ردها بصبر وحسن عزاؤه ، وجرعة غيظ كظم عليها » .

أعظم حوار ديمقراطى فى الإسلام

الأستاذ ابراهيم مصباح

بهرتنا الاحداث ولا زالت حين قام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعلن انه أحق بالخلافة من أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وكانت قريش قد تباطأت فى بيعة الصديق ولكنها رأت أن الانصار وهم ثقل خطير قد أعطوا المقادة الى صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام وليس فيهم - أى فى قريش - من يفضل الصديق علما وفضلا وسبقا الى الاسلام وقربا من رسول الله عليه الصلاة والسلام . فلم يكن مفر من الدخول فيما دخل فيه الانصار والناس جميعا .

ولكن عليا وجد ان الاسباب التى اجتج بها ابو بكر وعمر وغيرهما حتى يكون ابو بكر هو الخيفة تنطبق عليه هو اكثر من غيره . . فهم قد احتجوا بأنهم من قريش وهو كذلك من أشراف قريش . وهم قد احتجوا بأنهم السباقون الى الاسلام وهو كذلك وهم ارتكنوا على قرابتهم ونسبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اقرب قريب الى النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا رفض الامام على أن يبايع ابا بكر بل انه انتقل بين نوادى الانصار وقد أردف فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم يجادل الانصار بعد فوات الاوان . والانصار يخبرونه بأنه لو تقدم بأسبابه يوم السقيفة ماتأخر أحد عن البيعة ولكن ماذا يحدث الآن وقد انتهى الامر وبايعوا الرجل [أبا بكر] وليس فيه مايعيب حتى يسحبوا عنه البيعة ..

وهذه الاحداث كما قلنا قد تكون للوهلة الاولى مجرد سرد تاريخى من واقع تطور تحركات المجموعات والافراد ... القادة والمقودين على السواء .. الذين يؤثرون والذين يتأثرون .. ولكن الامر اعمق من هذا اثرا ونتائج .. فان يتحرك فرد ومعه جماعة من بنى هاشم يدعو لنفسه . بعد أن انتخب الناس الخليفة أمر يستوجب المعارضة من الخليفة نفسه . فان مايحدث انما هو ثوره او انقلاب ضد الخليفة لابد ان يتصدى له قبل ان يستفحل امره وتصبح السيطرة على احداثه ونتائجه امرا فوق الطاقة . والمعارضة درجات كما نعلم .. فهى كلمة منطوقة او مكتوبة تعبر عن موقف المعارض او المعارضين ثم ترتفع النغمة او الدرجة الى استخدام القوة . وذلك امر وارد فى الاسلام فيما يلى من أحداث التاريخ ... وربما يكون من ابرزها المعارضة أيام عثمان رضى الله عنه تلك التى ادت الى حصاره فى داره ومقتله ثم تطور نوعية المعارضة الى معارضة أميه لحكم على بن ابى طالب واستفحل امر هذه المعارضة الى حد استخدام القوة المسلحة والقضاء على الخليفة الشرعى واستتباب الحكم لمعاوية . وهنا تنشأ معارضة جديدة لحكم معاوية من بنى هاشم

والشيعة .. الى آخر الصراع السياسى المعروف فى التاريخ الاسلامى .

اما الخطوط التى نريد ان نضعها تحت بعض الاحداث الان ... فاننا نضع خطوطا من الاعجاب لموقف الشموخ الديمقراطى للخليفة الاول ابى بكر الصديق .. **فقد كانت تصله أنباء على بن ابى طالب** وعن سخطه ويدعو عمر الى الاعتصار ولا يحرك **ساكنا .. بل انه لم يستخدم معه أى نوع من الاكراه او الضغط ..**

وتقول بعض الروايات ان عمر كان شديد الحماس لتغيير موقف على من ابى بكر . وان القوم هددوا عليا ان لم يبايع : قال اذن تقتلون عبد الله واخا رسوله .

فقال عمر « أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا .. »

وكان ابو بكر صامتا يتأمل هذا الموقف المؤسى .. فما بال على يقف منه هذا الموقف وهو اول من يعلم سبقه وفضله وسنه .. ومابال فاطمة تؤيد عليا بدلا من ان تنصحه .. وما بالها ترفض دخولهم عليها بيتها امعانا فى اشعارهم بغضبها وهى تعلم ان غضبها يحطم أعصابهم لانها ابنة المصطفى وحبيبته ..

قال القوم وتقول الرواية ان عمر هو القائل !! ياخليفة رسول الله الا تأمر بأمرك فيه [أى فى على]

فقال ابو بكر رضى الله عنه : لا أكرهه على شىء مادامت فاطمة الى جانبه وهذه الجملة تحتاج الى تفسير بغير شك . ولو قال ابو بكر : لا أكرهه على شىء ثم سكت لكانت كافية دليلا وبرهانا على امتداد الموقف المتسامح فى الزمان كله .. حتى يقضى الله امره فى احد الرجلين ابى بكر او على ..

ولكنه اشترط لعدم الاكراه وجود فاطمة بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم الى جانبه ..

الى جانبه حية ؟ أم الى جانبه تؤيده فى دعواه .. على أى حال ليس لنا ان نفسر هذه الجملة الخطيرة تفسيرا ذهنيا لان احداث التاريخ قد كفتنا وهى المفاتيح الحقيقية لتفسير كل غامض ان فاطمة رضى الله عنها كانت على راى على وبنى هاشم ... هذا مما لاشك فيه .. ولكن مما زاد موقفها بعدا من ابى بكر قضية فدك وفدك قطعة ارض كانت فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات أشرف الخلق ارادت فاطمة أن ترث هذه الارض .. فابى ابو بكر لانه كان قد سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا يقول فيه : **« لا نورث .. ماتركناه صدقة »**.

وربما كان هذا الموقف قد أوصى لفاطمة ولغيرها مع قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم ان موت النبى ثم تولى ابى بكر معناه بداية الضياع والنزول من المرتبة العليا التى كانوا فيها الى مرتبة لا تليق بهم ... وان خير ضمان لهم فى استمرار مكانتهم أن تكون الخلافة فى فرد من بنى هاشم .

الى هنا واتضح الموقف .. ولكن لماذا لم يحاول ابو بكر استرضاء فاطمة وعلى .. ؟ لماذا لم يعوضهما عن فدك بأرض اخرى ان اراد ان يطبق حرفية الحديث الشريف .

الم تحدثه نفسه او يحدثه اصحابه بأن يحاول استرضاء هذا الفرع من البيت النبوى بطريقة او بأخرى ؟

بلى .. لقد حدثته نفسه بذلك ..

وحدثه اصحابه بأمور اخرى .. ولكنه رفض الا الطريق الذى مضى به الى الغاية وسما به الى الذرى ..

اما فدك فلا ..

واما تعويض عن الارض من بيت مال المسلمين فلا .. وكل شىء بحقه حسب الشرع .. وليس المال جنودا يصرفها الحاكم لابقاء قواعد ملكه وحكمه .. وانما بيت مال المسلمين أمانة يدخل منه الداخل بالحق الى الجنة .. والمتعرض بالباطل الى النار .. والدنيا باطل والشهوات جحيم .. وشهوة الحكم طاغية ولكن قلب الصديق قد اضاء من نور النبوة فلا يخالطه نزغ الشيطان فلتذهب الخلافة الى غير رجعة ان كانت تشترى بالمال .

وهكذا يعلنها الصديق من اول يوم !!

بايعونى على حق .. او اتركونى .. ولا انفق مال الله فى شأنى وأهوائى .

ومع ذلك فهو حريص أشد الحرص على استرضاء فاطمة .. انه يذهب الى دارها ولكنها ترفض مقابلته .. واخيرا تسمح له ولعمر ونفر من كبار الصحابة بأن يدخلوا عليها .. ويدور الحديث حول فدك .. ويخبرها الصديق بحديث ابيها .. وتسخط فاطمة وتقول لابى بكر وعمر اشهد الله وملائكته انكما قد اسخطتمانى وما ارضيتمانى .. فيبكى ابو بكر عطفا ورقة ويقول : أنا عائذ بالله تعالى من سخطك يافاطمة . ثم يخرج وهو اشد ما يكون حزنا وزهدا فى الخلافة التى جرت عليه كل هذه الاحن والخصومات !!

فماذا ماتت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم فماذا يكون موقف الخليفة من على ؟

لقد علق عدم اكراه على .. على وقوف فاطمة الى جنبه ..

و لان وقد ماتت فاطمة ! هل جرد عليه حملة ؟ هل جرده من ماله او فرض عليه الحراسة .. لم يحدث من دلك شيء على الاطلاق ، فان كرامة على مصونة ، وحريته مكفولة ، لا يكره على شيء ولا يلوى عنقه ليقول مالا يعتقد .

الان وقد ماتت فاطمة فان الخليفة لم يحرك ساكنا ازاء على الذى كان مصرا على عدم البيعه .. ولكن التاريخ يقول لنا ان ابا بكر يرغب فى ان يبايعه على .. لان عليا كان يمثل مركز ثقل فى بنى هاشم ويعيد على رضى الله عنه دراسة الموقف .

ان الاستمرار فى الرفض ليس له معنى .. فالخليفه يمارس اختصاصاته رغم ان البعض لم يبايعه . وقد استفاد من معارضته فى جس النبض دراسة الاحوال .. فاذا به يدرك مدى حب الناس له وتقديرهم لفضله ولكنه لازال بعيدا عن السن التى ترضح فيها مشيخة قومه .. وقد كان ذلك حديث ابى عبيده بن الجراح حيث قال له : ـ

يا ابن عم ، انك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ، ولا ارى ابا بكر الا اقوى منك على هذا الامر . واشد احتمالا واستطلاعا . فسلم لابى بكر فانك ان تعش ويطل بك بقاء فانت لهذا الامر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك .

وربما استعاد سيدنا على رضى الله عنه حديث ابن الجراح وهو يعيد تقدير الموقف بعقله الراجح وفكره الحصيف .. بين التقديرات والملابسات المطروحة .. وعلى اى حال فان التاريخ يسجل لعلى انه ارسل لابى بكر ان اقبل الينا فأقبل عليه ثم ان عليا كان عنده بنو هاشم فقاموا تعظيما لابى بكر وعندئذ قام على وحمد الله واثنى عليه ثم قال « أما بعد يا ابا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكارا لفضيلتك ولا نفاسة عليك ، **ولكنا كنا نرى ان لنا فى هذا الامر فاستبددت علينا ثم** ذكر على قرابته من الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يزل يذكر ذلك حتى بكى ابو بكر فقال ابو بكر رضى الله عنه :

« لقرابة رسول الله أحب الى أن أصل من قرابتى وانى والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه الا صنعته ان شاء الله تعالى »

فقال على : موعدك غدا فى المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله .. ثم خرج فاتى المغيرة بن شعبة واقترح ان يأتلف ابو بكر العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون بنو هاشم قد وحدت رأيها الى رايه . وقام على فى المسجد الجامع فعظم حق ابى بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على على فقالوا :

ـ أصبت يا ابا الحسن واحسنت

فلما تمت البيعة لابى بكر اقام ثلاثة ايام يقيل الناس ويستقيلهم يقول قد أقلتم فى بيعتى .. هل من كاره هل من مبغض .. فيقوم على فى اول الناس ويقول

ـ والله لا نقيلك ولا نستقيلك ابدا . فقد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا . من ذا الذى يؤخرك فى توجيه دنيانا

وهكذا تتم بيعة تكاد تكون بالاجماع لابى بكر .

وان كنا قد ركزنا على معارضة على بن أبى طالب كرم الله وجهه فليس معناه ان عليا كان المعارض الوحيد ولكنه كان ابرز المعارضين وكان حقيقا بشخص آخر ان يخشى على نفسه منه فيتبع اساليب القهر او المكر والخداع او الرشوه ولكن ابا بكر يضرب أعظم مثل واروعه فى الديموقراطية والحرية فلا يكره ولا يحجر ولا يضرب ولا يحدد اقامة او يضع مال هذا او ذاك تحت الحراسة لاذلاله وامتهانه .. فالمسلمون قد يختلفون فى هذا الامر او ذاك ولكنهم اولا واخيرا اخوة فى الدين والعقيدة .

وان خطبة ابى بكر التى القاها بعد بيعة على يمكن ان تتصدر الخطب العظمى فى تاريخ الانسانية كلها فهى دستور كامل للعلاقة بين الحاكم والمحكوم فى ظل حرية الراى وفى اطار المنهج الكلى للاسلام .

من وحي المدينة

الدعاة إلى الله في فجر الإسلام

لقد أفرغ الداعية الاول صلى الله عليه وسلم ايمانه وعقله وجهده وراحته ، بل حياته وكل ما وهبه اللهفى الدعوة الى الله راضيا بكل ما يبذل ، بل هانئا بكل ما يقدم ، لا يبتغى الجاه الذى ينشده بعض دعاة الاصلاح ، ولا السلطان الذى تتهافت عليه حركات النفعيين ، وانما يؤدى ما يؤديه ابتغاء وجه الله ، وطمعا فى انتشال الانسانية من كل ما جرتها اليه الاهواء والانحرافات والتيارات والاشراك واللادينيات .

الدكتور محمد محمد خليفة

لقد ملأ الايمان بالله قلبه ، فلم يبق فيه مكان يشغله حب الدنيا ، او يجثم فيه الشيطان فيخلخل رواسخ الايمان ، أو تنصب المرأة فيه عرش جمالها فتستشعر به شيئا من السلطان على قلب ذلك الداعية .

ان ذلك القلب الكبير لم يتسع لشىء غير الله ، فهو وحده الذى يعيش فيه ، وهو وحده الذى يملؤه ، وهو وحده الذى ينبض بحياة القلب كله .

ومن هذا القلب الكبير تدفق فيض الايمان الى القلوب الصالحة التى خلق الله فيها الاستعداد للخير ، ثم كانت هذه القلوب جميعها روافد من الايمان الصافى فاضت فى الشرق فغيرت طبيعة دنياه الى دنيا الخير العامل الذى أخصب كل ما فيه ومن فيه .

وصاغ الله عقل رسوله صلى الله عليه وسلم من الحكمة ، فصنع منه على عينه النور الذى تألق فى غمرات الباطل حجة خشعت لها العقول البصيرة ، والتاثت أمام منطقها العقول التى عشش الضلال فيها وافرخ ، وجعل الله على بصيرتها غشاوة ، فلم تنتفع بآيات ، ولم تدرك نور اليقين .

وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته يصنع عقله عقول من حوله ، ويملؤها رشدا وفتها وحكمة ومنطقا وبيانا وبصيرة نفاذة الى اغوار النفوس لا تتوارى عنها امراض النفس ولا البيت ولا المجتمع ، حتى جعل من أصحابه هداة وقادة وساسة وقضاة ورعاة بذوا فى كل ميدان أصحاب الحضارات الموروثة منذ قرون .

وانطلق المسلمون بعقولهم الجديدة فى الافاق يصنعون دنيا جديدة فى ظل كتاب الله وسنة رسول الله ، وتفتحت العقول فى العراق والشام ومصر وفارس للنور الجديد الذى يشرق فيه وحى السماء ، ولا يشوبه دخان البشرية الذى يفسد اشراقه أو يعوق اشعاعه عن الانطلاق .

ووهب الله رسوله جهدا بذله كله فى الدعوة الى ربه ، فما مسه فى ميدانها كلال ، ولا الم به فى كفاحه قنوط ، اصطفاه الله فى الشباب الذى يستطيع معه أن يواجه كل ما عسى أن يكون من عناد الوثنية ، بل تحدى كل سلاح تتخذه لمواجهة الدعوة :

واجه رسول الله منطق الوثنية الاحمق : « **انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** » .

ثم واجه سلاح الاغراء بالملك والمال ..

ثم واجه قذائف استهدفت شخصه « **اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا** » . « **افترى على الله كذبا أم به جنة** » « **أم يقولون تقوله** » .

ثم واجه الشطط فى طلب الايات !!

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أوتاتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاب نقرؤه » .

وكان واجب السماء على كل ما طلبوا **« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا »** .

وخلال كل ذلك اسرفت الوثنية فى التفنن فى ضروب الايذاء تصبها عليه وعلى من حوله من صحابته ، ولكن جهده الذى خاض به ميدان الدعوة لم يكن يستسلم لمنطق عفن أو لاغراء شيطانى أو لعسف بشرى أو لتحد وثنى أو غير وثنى ، وانما هو الجهد الذى اتخذ الايمان سلاحا ، وهيهات لسلاح الايمان أن تفله كل أسلحة البشر .

وقد انعكس جهده على أصحابه ، وعمل فيهم وحى السماء عمله ليعدهم ليوم الجهاد التى خاضت فيه القلوب المؤمنة بعد الهجرة معارك ضارية ووحى السماء يؤذن فيهم : **« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »** وأمر الله يهتف فيهم : **« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة »** .

وانطلقت الجهود المؤمنة فى العالم تحمل الدعوة الى الله فى ظلال كتاب الله وفى ايديهم سيوف الله ، وما هى الا أعوام حتى جلجل الحق فى ايوان الاكاسرة وقصور القياصرة : **« الله أكبر الله أكبر »** .

ودانت لجهود الحق ودعوته جهود الباطل **« ان الباطل كان زهوقا »** .

وقد بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم راحته خلال ثلاث وعشرين سنة للدعوة فلم يهنأ بما هنىء به الناس من لذة النوم ولم يخلد ساعة الى راحة يستشعر بين أحضانها ما يستشعره الناس من الاستقرار والدعة والاسترخاء : فنهاره بين تربية أصحابه وتهذيبهم وتعليمهم واعدادهم لحمل المسئوليات من بعده ، والنظر فى أقضيتهم وبعث السرايا واعداد الجيوش وتقسيم الغنائم والزكاة وبناء المجتمع أو الدولة الاسلامية ؟ وليله بين يدى ربه قائما وراكعا وساجدا يرجو رحمة الله ولا يكاد يسترخى جفنه حتى ينفث الوحى فى روعه من آيات الله .

وكانت حياته مرآة لاصحابه يحاكونه فى كل ما يفعل ويهبون راحتهم لله كما يهب ، فكانوا من حوله طاقات تعما للاخرة ، ولدنيا المجتمع الجديد وقد أسلموا لبنائه وتوطيد دعائمه راحتهم وجهودهم ، وعاشوا حيثما عاشوا ايمانا عاملا والسنة داعية الى الله لا تفتر ولا تنى عن الارشاد والتوجيه .

وان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ اصطفاه الله ليكون خاتم الرسل الى البشرية كلها كانت للدعوة ، فكل ما فى حياته من حركات ونبضات كانت ملكا للدعوة قولا وعملا وبناء وتثبيتا وجهادا وعاشت حياة أصحابه جميعا تحت ظلال القرآن دعاة الى ربهم أو تحت ظلال السيوف مجاهدين لتكون كلمة الله هى العليا ، وانطلقوا من الجزيرة العربية وهم بين السنة تدعو وأخرى تثقف وتفقه وتعلم وبين حاملى المعاول والسيوف يحطمون بها الارباب الصخرية ، ويشجون بها هامات الارباب البشرية التى استعبدت الناس ، واستغلت عقولهم وجهودهم وحياتهم كلها لاشباع شهوات الجاه والسلطان ، وتفتحت بصائر الشرق للفجر الصادق يشرق فيبدد ما ران على الشرق من فساد قطع الاسباب التى ربطته فى عهد النبيين من قبل بالسماء .

ورأى الشرق فجر حياة جديدة يربطه بالنور ، ويشد حياته الى السماء ليعيش مع وحيها عقيدة وتشريعا ، وسال دعاة الحق مع اشراق الفجر الجديد يتدفقون فى اجادب الدنيا فيحولونها حيثما حلوا الى واحات تثمر الخير .

وقد استعذب الدعاة الى الله كل ما لاقاهم من صعاب فما صدهم عن رسالتهم العناد المتحدى ، ولا الاعراض الضال ولا ردتهم عن المضى فى سبيل الله الاهوال ، بل جابوا بايمانهم الصحارى فى الحر اللافح ، وعبروا البحار فى الريح العاصف وأذنوا بدعوتهم بين الاحراش والادغال ، وارسلوا كلمة الله تدوى بين متاهات آسيا وأفريقيا حتى مكن الله للحق سلطانه فى الشرق . فهل يعيد الله لحاضرنا أمة من الدعاه المؤمنين تواجه الحملات المناوئة التى تستهدف القضاء على العقيدة الاسلامية ؟

وهل يعيد الله لهذا الشرق تاريخه المشرق الصفحات بالايمان والعمل والبناء ؟

وهل تتحقق المعجزة فيستعيد الشرق سلطانه فى ظل كتاب الله وسنة رسول الله ؟

ملامح شخصية المؤمن

كما يحددها الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندي

• • •

[٧]

شخصية الانسان المؤمن فى مجتمعنا الجديد ، وفى ظل ما أبرزه وحدده لنفسه من طريق : على صعيد العلم والايمان ، وعلى طريق الانفتاح الى أقصى حد فى كافة ميادين السياسة والاقتصاد ، والتقدم والنمو : والرفاهية والازدهار . هى شخصية لابد وان تبرز ملامحها ، وأن تتجدد معالمها : وتتضح خصائصها . اذ هى المحور الذى يقوم عليه كل ما يرجى لاوطاننا من خير ونمو ، وتقدم وحضارة . فبالانسان المؤمن : الذى اصطنعه الايمان لنفسه ، ورباه النبى صلى الله عليه وسلم على عينه ، وبتوجيهه ورعايته قام اول مجتمع اسست دعائمه على التقوى والخير ، وعلى العقيدة والايمان من اول يوم : فكان هو وغيره اللبنات التى اقيم على أساسها ، وبها خير أمة اخرجت للناس : تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ..

• • •

ومن هنا كان هذا الجهد المتواضع : أداء لبعض الواجب نحو أمتنا التى رفعت شعار العلم والايمان ، ومن غير من ينتسبون الى أهل العلم بالشريعة هو أولى باداء هذا الواجب ؟ والقيام بهذه المهمة التى هى فى واقع الامر من صميم قضية الدعوة الى الله ، ومن جوهر رسالة وأمانة التبليغ عن الله رب العالمين .. ؟

وفى ست من المقالات السابقة التى ظهرت تباعا على صفحات هذه المجلة الغراء ، سردنا من ملامح المؤمن الكثير الذى وفق الله تعالى الى الاهتداء اليه ، وبقى أن نضيف اليوم الى ما سبق أن سردناه ، وسقناه الى القارىء الكريم جديدا فنقول وبالله تعالى وحده التوفيق الى كل خير :

٤٧ ــ ومن ملامح المؤمنين التى تلازمهم ، ولا تنفك عنهم ، كما تلازم آحادهم وأفرادهم : الصمود والثبات أمام معارك الايام ، وأحداث الدهر ، والثبات للعدو مهما كانت قوته ، ومهما بلغت سطوته ، وترك الفرار من الزحف يوم لقائه فى ساحات القتال وميادين الحرب ، استجابة منهم لما أمر الله به عباده المؤمنين فى ندائه لهم حين قال : [**ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم** تفلحون « الانفال » وانتهاء منهم عما نهى الله تعالى عنه أهل الايمان من الفرار عند لقاء الكفار فى الحرب ، الا أن يفر الرجل ليتحيز وينضم الى فئة أخرى من اخوانه المقاتلين ، ليجهز على العدو ويستأصله ، أو ليتربص له ويترصد لقتاله فى مكان آخر يتمكن فيه منه ، وذلك قوله سبحانه [ياايها الذين **آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**] [الانفال] .

ولحديث عبد الله بن أبى أوفى فى صحيح البخارى « **لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاثبتوا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » .

٤٨ ــ ومن ملامح المؤمن التى تبرز من حاله كأوضح ما تكون صبره العظيم ، الذى لا يملك الانسان بازائه الا أن ينحنى اجلالا ، والا أن يمضى مبهورا متعجبا ..

ولكن اذا عرف السبب فى صبر المؤمن ، بطل العجب ، ذلك أن مثل المؤمن الاعلى ، وأسوته فى ميدان الصبر هو نبيه صلى الله عليه وسلم الذى أمره ربه الكريم بالصبر فقال سبحانه [**واصبر وما صبرك الا بالله**] .

وقوله له « **واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور**] .

كما أن ما يهتدى به المؤمن وهو فى مسيرته فى حياته انما هو هذا النداء الموجه لاهل الايمان فى كل ارض ، وفى كل زمان ، وهو قوله سبحانه فى ختام سورة آل عمران : [**يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**] .

كما أن ما يصبره على ما أصابه فى دنياه هو ما بشره به ربه فى قوله سبحانه : [**وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**] [البقرة] .

وأهل الايمان فى صبرهم ، انما يصبرون على ما يلاقون ، لانهم يعلمون أن من طبيعة دنياهم الفتن والبلاء ، والامتحان بشتى ما يكرهه الانسان ويبغضه فى دنياه ، كالامتحان بالخوف وعدم الاحساس بالامان ، والامتحان بالجوع وضيق المعايش ، والامتحان بالنقص فى الاموال وفى الانفس وفى الثمرات .. وذلك بعينه هو ما فهموه من كتاب ربهم ، وما اقسم عليه فى قوله : [**ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ، ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين**] [البقرة] .

وهم فى صبرهم الجميل ، يفهمون من دينهم ومن هدى نبيهم صلى الله عليه وسلم ، أن ما ينالهم من بلاء فى دنياهم ، ليس لقلة حظهم من محبة ربهم لهم ، أو عدم رضاه عنهم ، أو لحرمانهم من رحمته ، ولكن الامر على العكس من ذلك بكثير ، بعدما علموا من هدى نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله : « **أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الارض ما عليه خطيئة** » اخرجه ابن حيان .

كما فهموا من قضايا دينهم ، ومن أسرار فعله فى خلقه ، وقضائه فيهم ، وابتلائهم بما قد يكرهون « **أن من يرد الله به خيرا يصب منه** » أخرجه البخارى .

وأنه « **اذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط** » [**اخرجه الترمذى**]

و « **ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله فى جسده ، أو ماله أو فى ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه الله المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل** » [آخرجه أحمد] أما عن صلة الايمان بالصبر فيكفى فيه ما روى عن ابن مسعود مما اخرجه أبو نعيم والخطيب من قوله صلى الله عليه وسلم « **الصبر نصف الايمان** » .

وبقيت كلمات لابد وان تقال لمن اراد ان ينال فضيلة الصبر فى دنياه ليكون ذخيرته فى أخراه ، لقد استعملت اللغة الصبر بمعنى الحبس ، وكذلك فعل الدين فان الصبر فى مفهومه : هو حبس النفس وتوطينها على احتمال آلام الحياة الحاصلة ، من الشرور والمظالم التى قد تقع بالانسان بحيث لايخرج الانسان بسبب وقوعها به عن مقتضى الحكمة فى علاجها ، ولا عن مقتضى الكرامة فى سلوكه مع الناس ، وبحيث يبدو فى شدة مصائبه : وقورا لا يهتز ، صلبا لا ينحنى ، كريما لا يذل متفائلا لا ييأس ، عاملا لا ينهزم ، مستبشرا غير عبوس ولاساخط ، ولا منطلق فى اذيال الشكوى ، والتعلق بمواساة الخلق .

والصبر : هو من أعظم دلائل الرجولة ، وأقوى مظاهر الايمان ، وأظهر امارات العزم وقوة الارادة وعلامة سيطرة النفس على أسباب اضطرابها فيما يعرض لها أو يصيبها من أمور الحياة وفتن الايام ولن يكون الانسان المؤمن صبورا : الا عن طرق معرفته لمكانه وحقيقة موضعه فى دنياه فمكان الانسان وموضعه فى الدنيا هو : كموضع السفينة فى البحر المحيط ، فاذا لم تكن السفينة ثقيلة الوزن ، ثابتة القرار على صفحة الماء ، ذهبت بها الامواج ، ولعبت بها العواصف ، وابتلعتها المياه .

فالصبر للانسان هو بمثابة جانب الثقل فى السفينة ، ولذلك كان الصبر هو العاصم للانسان من أن تبتلع الاحداث ذاته ، أو أن تذهب بايمانه .

ومن العجب : أنك تجد [أيها القارىء العزيز] أن الحياة أوسع ما تكون بالصبر ، لان الصبر مصدر القوة والتفاؤل ، والامل وحسن الرجاء فى الله تعالى الذى عند ظن عبده به ، كما أن الحياة أضيق ما تكون بالجزع ، وعدم الصبر ، ذلك : لان الجزع وعدم الصبر هما منبع لليأس والقنوط ، والظلام ، وانقطاع الامل والرجاء .

لذلك كان الصبر هو الاشراق فى حياة الانسان ، وهو الضياء الذى ينير جوانبها ويبعث فيها الامل الضائع ، والرجاء المنقطع . وذلك ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم فى قوله « **الصبر ضياء** » [أخرجه مسلم فى صحيحه] .

ولن يستحق انسان الوصف بالصبر ، وأن يدرج فى عداد الصابرين : حتى يحتمل من آلام الدنيا ، وحتى يلقى من فتن الايام ما يقال عنه انه غير محتمل .

ولا سبيل الى ذلك ، ولا وسيلة اليه ، الا بممارسة الصبر ، وتجرع كؤوسه المرة ، والتدريب على احتمال غصته والمران عليها : كما تمارس الرياضة وكما يرتاض الانسان بالمران والتدريب عليها ، فمن اخذ نفسه بالمران على الصبر ، والتدرب على احتمال غصته ولذعة مراراته منحه الله اياه ، وزينه بزينته ، وتوجه بكرامته ..

وذلك معنى ما قد أشار اليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوله :

« **ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر** » .

وثمة كلمة أخيرة :

ان سر انتصار الشخص فى دنياه ، ونجاحه فيها : أن يكون عند وقوع أحداث الخير والشر فى حياته : ساكن النفس ، رابط القلب ، مضىء العقل : لا تضطرب نفسه عند الشر او الخير جزعا ولا غرورا ، ولا ينطفىء ضياء عقله غضبا ولا كبرياء .

٤٩ - ومن ملامح المؤمن التى تبرز فى خلقه وسلوكه وكلامه وسمته وحاله كله : اعراضه عن اللغو وهو الباطل الذى لا يعنيه فى شىء ولا يتصل بقصد صحيح ، ولايكون لقائله فيه فائدة بل ربما كان وبالا

« البقية ص ١٥١ »

معبود بنى اسرائيل

فضيلة الشيخ فراج احمد دردير

لقد تهيأ لهذه الجماعة احوال وظروف لو آتت ثمارها على النحو المألوف ، أو طبقا للنتائج التى توصل اليها المقدمات لبلغت مكانا رفيعا فى الايمان بالله ، وحسن التقدير لعظمته وجلاله ، نعم كثيرة ، وعبر وعظات ناطقة ، ورسل وأنبياء وملك وآيات من كل ما يذلل القلوب القاسية ، ويلين الصخر الاصم ، ولكنهم عتوا واعرضوا وكذبوا وقتلوا الانبياء ، وفتنوا بالمتاع القليل والعرض الزائل .

جاءهم رسول الله موسى بن عمران وفى يده التوراة ، ومعه المعجزات الناطقة ، والايات الباهرة ، يدعوهم الى عبادة الله ، ويذكرهم بما انعم به عليهم خلصهم من ذل فرعون واستعباده ، ومنحهم ارضا واسعة ، وسلطانا عريضا ، واطعمهم المن والسلوى ، يرشدنا الى ذلك قول الله تعالى : **« واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين »** ، ولكن النفور والاعراض كان عندهم اقوى من الهداية ، والعتو والضلالة اشد من معرفة الايادى ، وشكر النعم ، ادرك ذلك منهم موسى فحاول ان يشدهم الى الصراط المستقيم بكل ما أوتى من قوة ، متذرعا بالايات البينـات أحيانا ، ولائذا بالغضب الشديد طورا آخر ، وما اظن انه حدث فى تاريخ الرسالة أن رسولا أخذ أخاه — وقد كان رسولا — بلحيته وراسه كما فعل موسى مع هارون ، ولكنها الغيرة الشديدة على توحيد الله أن يترك ، والضيق البالغ مما تورط فيه قومه من عبادة العجل على وفرة ما يتمرغون فيه من فيوضات النعيم ، او ان الله سبحانه وهو الذى يزود كل كائن بما يعينه على مواجهة ظروفه ، وبما يمكنه من أداء دوره ، اعد نبيه موسى اعدادا خاصا يتغلب به على هذا النوع من الجحود والمروق من قوم انصرفوا عن عبادة ربهم الى عبادة حيوان استولى على قلوبهم بريق ما صنع منه من ذهب وحلى هو غاية قصدهم ، ومالك نواصيهم ، المال الذى لا يشغل خواطرهم سواه ، ولا ينال تقديسهم غيره ، هو الذى أحبوه وصرفوا كل حياتهم فى جمعه ، تحت تأثرهم به ، وانقيادهم لفتنته نسوا ربهم الذى نجاهم من العبودية وقتل الابناء واستحياء البنات ، وانفلاق البحر ليكون لهم طرقا ، ولعدوهم غرقا ، وهم بعد فى انتظار قائدهم ومرشدهم وجالب الخير لهم ليعود لهم بعد مناجاة ربه ، وتلقى الانوار من قبله ، فى هذا الظرف الحافل بالمبرات والعبر ، المبشر بما يأتى من خير وخبر يملك قلوبهم عجل له خوار يقدمون امثاله قرابين ، ويجتمعون على لحمه آكلين ، وما ذلك الا لانه صنع من ذهب ، والذهب عندهم هو الخليق بالخضوع ومواصلة الطلب ، لم يرجعوا بأبصارهم الى ما حول هذه الموقعة من عبر ، ولم يرجعوا بذكرياتهم الى ما اكرمهم به الله ، فسلط نقمته على خصومهم من فرعون وقومه يوم قالوا لموسى عليه

السلام [مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . وعندئذ يسلط الله عليهم صنوفا من المقت والعذاب] بينه قول القدير العزيز «فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات» ومن عجب ان يعمر ماء المطر منازل آل فرعون وبيوت بنى اسرائيل بمنجاة لا ينالها الغرق ، او ان يتحول ماء البحر دما فى ايدى وافواه طائفة المتكبرين ، وهو عذب سائغ لدى المستضعفين ، ينظرون الى كل هذا البلاء يصيب أعداءهم جزاء تجبرهم وتكبرهم واعراضهم عن آيات الله عندما ارسل الله لهم موسى واخاه هارون، ورزوده بالعصا تنقلب ثعبانا ، ويده السمراء يدخلها فى جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء آيتان من ايات الله يفاجئهم بها رسول الله فتذهل عقولهم ويظنون ان ذلك من براعه السحر الذى شاع بينهم وعملوا فيه الاعاجيب فيجمعون السحرة من كل مكان ويضربون مع موسى موعدا للقاء

وفى اليوم المشهود يظهرون اكبر ما تصل اليه الجهود حتى يدخل الروع فى قلب موسى فيأتيه النداء من قبل ربه وناصره [ان الق عصاك] فاذا هى تبتلع وتلقف ما صنعوا فينقاد اليه السحره ويتكبر فرعون وقومه ، يتحدون الايات ، ويعلنون عدم استجابتهم للدعوة ، واستهانتهم بكل آية مهما عظمت فيصيبهم بكل ما سلط عليهم من بلاء كل ذلك أمام انظار بنى اسرائيل ، وقد نجاهم الله من كل ذلك ، بما ظهر من انقيادهم الى جانب موسى ، وركونهم الى صفه ، وقد يكون ذلك لانهم لا يملكون زمام القوه والمنعة ، أو انحيازهم الى رسول هو واحد منهم يشاركهم المحتد كما يشاركهم ما هم فيه من اضطهاد ، فلما اورثهم الله الارض ، واغدق عليهم من النعم تقاعسوا فيما دعوا اليه ، فظهرت لهم ايات اخرى ، يضرب امامهم موسى الحجر الاصم فتتفجر منه العيون اثنا عشر عينا لكل سبط عين ، ويرتفع الجبل فوقهم كانه ظله ، الى غير ذلك من كل أمر يعلن بكل وضوح قوة ربهم ، وتأييده لنبية ، ورغم كل ذلك يدعون الى دخول الارض المقدسة فيحجمون ، ويتوسل اليهم موسى بكل حجة ووسيلة فيجادلون ويجادلون حتى يتجه موسى الى ربه معلنا انه لا يملك الا نفسه وأخاه ويطلب منه أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين ، ما هذا المروق العاتى ، والشقاق المرير مع نبى ارشدهم وجاءهم بالخير الكثير انه الضعف فى الايمان والاستمساك بالحياة وما فيها من متاع ، ان الحياة عندهم هى كل شىء يتشبثون بها ، ويحرصون عليها كما يقول خالقهم والعليم بكل أمرهم فى قرآنه الحكيم [ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون » وان كان العمى قد طمس اعين المشركين فعقفوا عن حياه بعد هذه الحياه وقالوا [ماهى الا حياتنا الدنيا] فحرصوا على حياة ليس لهم سواها، فما بال هولاء القوم. وقد جاءهم رسول وكتاب ، وتبين لهم يوم الحساب ، وما فيه من ثواب وعقاب ، لقدران على قلوبهم حب الحياه ، والحياه لها متطلباتها من صنوف اللذائذ والمتاع ، وارضاء شهوات النفس وجموحها وسبيل ذلك كله المال فمالوا اليه بكل ثقلهم ، يرونه بابصارهم . ولا يرون الله الذى اخبرهم به الرسل . وتبهوا عقولهم الى التفكير والتدبر فى ملكوت السموات والارض ، بهرهم المنظور ، وشغلهم عن المعقول ، وصرفهم عن العبره بما اصاب فرعون وقومه ، والعاقل من اتعظ بغيره . ولكن سلطان المال طغى على كل سلطان ، وحبه اطاح بكل حب . هو الذى يحقق الامل ، وهو الذى يقر العين ، يهيىء اللباس القشيب، والفراش الوثير ، والطعام الشهى ، ويحظى صاحبه بين الناس بالتقدير ، مظاهر طمست البصائر فكان عندهم كل شىء . هو الحبيب ، وهو المطلوب ، وهو الجدير بالسعى والكدح هو المعبود الذى لا يغيب عن القلب ، الحبيب الذى لا يهدأ عنه الطلب ، يسمع جماعة منهم القرآن يقول « ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم » فيقولون « ان الله فقير ونحن أغنياء » . شغفوا بالمال وغفلوا عن جلال الله ، وحسبوا ان الله بحاجه الى الاقتراض منهم لقلة فى المال عنده ، ووفرته فى ايديهم ولم يعلموا ان الله هو الغنى ، لا تنفد خزائنه ، ولا تقف قدرته عند حد ، ولم تكن عبارة القرض الا ترغيبا فى السخاء ، ودعوة الى البذل ، وترقيقا لقلوب الاغنياء نحو البؤساء ، فصور لهم ان اللقمة تطعم فم الجائع والدرهم يصل الى يد الفقير ، والعون ينقذ صاحب الحاجة لايضيعه رب العباد ولا ينقص منه شيئا ، بل يرده اضعافا يوم الميعاد ، وليس بينه وبين القرض الا ضمان الاداء وحسن العوض ، والنفس تتخلى عن الشح الذى طبعت عليه اذا تيقنت من الاداء والعوض من القادر الغنى ، صادق الوعد ، وافر العطاء .

ما هذا التنكب عن سواء السبيل ، وما هذا التهجم على مقام الجليل ، وما هذا القياس السقيم ، والموازنة الضالة ، انها موازنة لا تفرق بين الخالق والمخلوق ، وتوازن بين الرازق والمرزوق ، ثم تبعد حتى تقلب الاوضاع فترجح جانب الضعيف الذى لا يملك من امره شيئا على جانب القدير الذى وهب لنا انفسنا وكل ما نملك من قوة ومتاع ، هذا هو صنيع المال الذى هو من حبائل الشيطان ، فان القلب المفعم بحب المال ليس فيه مكان للتوجه الى الله والايمان به ، والسير على تعاليمه وتوجيهه ، انه التعارض الشديد بين اشباع الرغبات الفانية للنفس ، والتعلق بالاجر الكبير فى

الدار الاخرة ، جانبان متقابلان واتجاهان متناقضان ، وما كان للماء أن يحفظ اتقاد الجذوة ، وما كان للصخرة الصماء ان تنبت الكلا ، وما كان للنار المشتعلة ان تهب سلسبيل الماء كل طرف من ذلك له طبيعة تجافى الاخر ، وما اجتمعا الا بقدرة تعلو قدرة المخلوقين ، حرص شديد على الحياة يصورها فى صورة الخلود ، وكلما امتدت الحياة كثرت مطالبها ، والمال هو الكفيل بتحقيقها ، فكان عندهم هو المطلب ، وطرق جمعه هى المذهب ، لامستهجن فيها ولا مستحسن ، كل ما وصل الى قدر أكبر فى زمن أقرب فى نظرهم هو الاقوم ، لا يرون بأسا بأكل اموال الناس بالباطل ، فأباحوا الربا ، وافتنوا فى طرائفه ، ووصلوا الى الفاحش من صوره وقلدهم فى ذلك من سار على نهجهم من الطوائف الاخرى حتى تعقد التعامل ، وضاقت الحلقات حول عنق من انتابته النوائب ، واصابته الكوارث ، واحتاج الى شىء من المال يرده الى اصحابه عند اليسار ، ومن عجب ان يكال أمر الربا بمكيالين ، هو فيما بينهم حرام لا يجوز ارتكابه ، واذا تعاملوا مع غيرهم من بقية الناس ساغ الاستغلال الى ابعد حد ، وانقلب المحرم حلالا مستطابا ، جاء فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية فى التوراة كما نقرؤها الان : لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام او ربا شىء مما يقرض بربا ، للاجنبى يقرض بربا ولكن لاخيك لا تقرض بربا ، ما هذه العنصرية التى تجاوزت كل شىء حتى دخلت فى الاحكام المشروعة ، المحرم محرم لحكمة تقتضى التحريم لاشتماله على ما يضر وتنفر منه الطباع ، لا يختلف أمره بين انسان وانسان فكيف يكون حراما فى هذه الدائرة الضيقة ، حلالا فى الجبهة الواسعة ، والجميع من خلق الله وايجاده ، والكل من سلالة واحدة هى سلالة آدم ابى البشر كما بينته التوراة كتاب الله الذى أنزله على موسى عليه السلام اين هذا من قول القرآن الكريم « **وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله** فأولئك هم المضعفون » . وما فيها من بيان ان الزكاة وهى انفاق المال تكون سببا فى زيادته ومضاعفته ، والربا وهو فى النظر القريب زيادة ، ولكنه لا زيادة فيه عند الله ، على ما جاء فيها من شمول التحريم ونزع البركة فى كل محاولة للربا فى اموال الناس ، أموال الناس جميعا لا فرق بين جنس وجنس ودين ودين نظرة شاملة ، وحكم عام لا يخضع لميل خاص ، أو نظرة قاصرة ، أما هؤلاء فتحت وطأة التعلق الشديد بالمال راوا ان هذا العبء اليم الوقع على اخوانهم ومن أشربت قلوبهم بحبه ، ولعلهم ارتأوا ان اشد عقوبة تنالهم ليست الا فى انتزاع الاموال من ايديهم ، فكانت تلك المحرقات التى يقومون فيها باحراق الطعام قربانا الى الله ، وهو نعمة من نعم الله لها مجالها الفسيح فى انتفاع الناس بها ، وليس فى احراقها مطلب للناس ولا تبدو حكمة فى ضياع ما خلقه الله للانتفاع ، هدانا الله الى الصواب وجعلنا من انفع الناس للناس حتى نحشر مع خير الناس .

بقية مقال « ملامح شخصية المؤمن »

عليه ، كالغيبة والنميمة ، والكذب ، والتورط فى كل ما فيه اثم دون مبرر أو ملجىء اليه .

ان الخط الذى يتخذه المؤمن طريقا لحياته هو خط مستقيم وواضح ينتهى به حتما الى الفلاح والفوز ، لانه طريق لا التواء فيه ولا غموض ، ولا مكان فيه للغو او باطل ، لان المؤمن مقتنع بأن العمر قصير ، وان الحاضر الذى يحيا الانسان فى نطاقه ضيق ، وخير له ان يشتغل بالحق ، وأداء الفرائض ، والالتزام بالواجب . لان الطريق طويل ، والزاد قليل ، والحساب على اليسير والجليل ، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :

عن عمره فيم افناه ؟ وعن شبابه فيم ابلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ » [أخرجه الترمذى] .

ان الطريق الذى اختطه المؤمن لحياته هو بعينه نفس الطريق البعيد عن اللغو والباطل الذى اشار اليه سبحانه فى قوله :

[**قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون**] المؤمنون والذى جعله سبحانه سمة من سمات عباد الرحمن من أهل الايمان فى قوله :

[**والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما**] [الفرقان] .

انهم الذين زكى الله سيرتهم ، وبارك مسيرتهم فى دنياهم واثنى عليهم ثناء جميلا فى قوله [**واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه**]

انه الطريق الذى ينتهى بهذا السلوك الذى أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى سلمة عن ابى هريرة وعلى بن الحسين عن ابيه عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » [رواه الترمذى وابن ماجة]

الحديث موصول باذن الله تعالى .

هل تصبح اللغة العربية لغة العالم الإسلامى كله واللَّبِنَة الأولى فى بناء الوحدة الإسلامية

منذ ان طوق الاستعمار [العالم الاسلامى] وسيطر عليه كان من اول خططه ايقاف اللغة العربية عن النمو حتى لاتساير الاسلام فى حركة توسعه : وكان ذلك من اخطر التحديات وأضخم المحاذير التى واجهت حركة الاسلام النامية القوية المندفعة الى الامام فى محاور متعددة : الى قلب افريقيا ؛ والى جنوب شرق آسيا والى الغرب . وما تزال تلك من اكبر القضايا الجديرة بالعناية والبحث لازالة العوائق التى تقف فى طريق تكامل النمو الاسلامى : دينا ولغة ، ذلك ان هذا الدين كتابه القرآن ولغته العربية ، وان اى نمو له يغير هذه اللغة معه من شانه ان يقلل من أصالته وعمقه ، ولقد شهد التاريخ كيف سيطرت اللغتين الفرنسية . والانجليزية فى مختلف الاقطار الافريقية والاسيوية التى احتلها الاستعمار الغربى كما سيطرت اللغة الهولنديه فى اجزاء كبيرة من الملايو .

الأستاذ أنور الجندى

وفى العالم العربى سيطرت اللغتين الاجنبيتين واوقفتا نمو اللغة العربية ايضا فى بلادها غير ان انكسار الموجة الاستعمارية والتفرقة فى السنوات الاخيرة قد جدد الامل فى العودة الى الخط الطبيعى الجامع بين الاسلام واللغة العربية بحيث تصبح العربية الفصحى هى لغة المسلمين فى كل مكان بعد لغتهم القومية ، لانها لغة الفكر والثقافة والعقيدة ، ولانها اللبنة الاولى فى بناء الوحدة الاسلامية التى هى فى اساسها وحدة فكر وعقيدة وثقافة .

وفى الباكستان تظهر منذ سنوات اثمة كثيرة لهذا العمل ، ويحمل رجالها الدعوة الى ان تصبح اللغة العربية لغة رئيسية فى الثقافة الاسلامية الباكستانية التى تعتمد على اللغه [الاوردية] وتقرير الباحثون لذين حملوا لواء هذه الفكرة منذ اكثر من ثلاثين عاما ان للغة العربية مكانتها العظمى لانها هى التى حملت رسالة السماء [القرآن] هذه الرسالة [الاسلام] التى اضاءت افاق الكون برشدها وهم يردون الفضل الى الامة العربية التى رفعت راية التوحيد وفتحت مشارق الارض ومغاربها وحملت معها لغتها وثقافتها من حدود فرنسا الى ارض السند ، مما ادى الى انكباب الناس على تعلم العربية وثقافتها] وخاصة فى الشعبين العظيمين الفرس والترك ومسلمى الهند ، ومن ثم تجلى ان اللغة العربية : لغة لاتعرف الحدود الزمانية والمكانية لانها حاملة لرسالة الاسلام ، ويقول [جل سعيد تام بن قريب الله] فى بحث له : ان الباكستان دولة اسلامية غرسها العرب فى اول رحلة لهم فى فتح السند : وها هى الشجرة تعطى ثمارها ، واللغة العربية بوصفها لغة القرآن والحديث فان

تعلمها فريضة على كل متعلم ؟ وأول مايبدأ به مسلموا باكستان فهو تعليم ابنائهم القرآن الكريم ثم اللغة العربية، كما يتعلم هؤلاء الاطفال اللغة العربية فى المدارس المصرية ، ويقول الباحث انه اذا كانت اللغات المحلية تتصادم مع بعضها فان هذه اللغات لاتتصادم مع العربية ، لانها لغة مقدسة لها مكانها فى نفوس جميع أبناء الاقاليم ، هذا فضلا عن أن اللغه الاوردية تكتب بالحروف العربية ، كذلك فان اللغات الاقليمية فانها جميعها تكتب بالحروف العربية واقربها الى العربية اللغة السندية التى تحمل ستون فى المائة من الفاظ اللغة العربية لان اقليم السند الذى فتحه العرب قد انجب سفراء وادباء مازالت لهم شهرتهم المدوية امثال : عطاء السندى الذى يعد من فحول الشعراء فى الادب العربى كما تصدر عدة مجلات وصحف باللغة العربية»

٢ ـ وفى اكثر من قطر فى افريقيا وآسيا تتردد الدعوة الى وجوب جعل العربية لغة ثانية فى البلاد الاسلامية التى لاتتكلم العربية وان فى العالم الاسلامى حسبما اورده احصاء اخير اكثر من ٣٥٠ مليونا من المسلمين يكتبون الحروف العربية وان الحروف العربية قد انتشرت منذ جاء الاسلام وكتبت بها لغات اسلامية كثيرة منها الفارسية والافغانية والكردية والمغولية والبربرية والسودانية والساحلية ولغة اهل الملايو واللغة التركية [قبل عام ١٩٢٦] وذلك هدا اكثر من مائة مليون عربى يكتبون بالخط العربى .

٣ ـ وتقول الدكتورة جاكين ماركس الاحصائية فى علم اللغات فى مدينة سان باولو بالبرازيل بعد ان امضت سنوات فى دراسة لغات العالم ، ان العربية من بين عشر لغات الاكثر انتشارا وانه لايسبقها الا الصينية [٦٠٥ مليون] والانجليزية [٢٣٣ مليون] .

٤ ـ ويشير الاستاذ [بيروجيرو] الاستاذ بكلية الاداب والعلوم الانسانية بمدينة نيس ان اللغة العربية اثرت تاثيراضخما وعميقا فى اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية ، ويقول فى كتابه الكلمات الاجنبية فى اللغة الفرنسية ان من بين الكلمات التى يرجع اصلها الى العربية كله [الكحول] و [الاكسير] وهى كلمة تعنى حجرا معينا يستعمل فى العلاج وان العرب قد كشفوا للعالم بصفتهم مبرزين فى ميدان الكيمياء والصيدلة عدة مواد ومحاولات مثل [الكافور] و [القطران الملاصق] والنترون والبرنيز الذى يستعمل فى الصباغة ومادة العنبر التى تحتفظ بنفس الحروف فى اللغات اللاتينية .

ويقول : ان عدة كلمات اجنبية يرجع اصلها الى اللغة العربية قد دخلت الى اوربا عن طريق التجار العرب الذين كانوا يقصدون بلاد ايطاليا وخاصة البندقية وتستعمل هذه الالفاظ اليوم فى البحرية والموازين والميدان العسكرى كدار الصناعة التى تحولت الى [ارسنال] وكتجم الندير والزنيت وكلمة الصفر والكارا والقنطار وكلمات الزعفران والخروب والسبانخ والغزال والببغاء .

ويقول وقد بدا يقل مفعول تأثير الادب العربى على الغرب ابتداء من القرن الرابع عشر واقتصر تزويد القاموس الفرنسى عبر اسبانيا وايطاليا طيلة القرنين الخامس عشر والثامن عشر لعدة كلمات ومفردات اثرت العلم الحديث واللغات اللاتينية لعدة مفردات وكلمات

٥ ـ ويؤكد المستشرق [ارنة امبروس] ان الثقافة الانسانية تعتمد على لغتين فحسب هما العربية واللاتينية ، ويقول : ان اللغة العربية بقيت عزيزة صنيعة لم تتأثر بغيرها من اللغات بل على العكس لقد كان لها تأثير واضح فى غيرها من لغات الارض جميعا ، وانه لايمكن فهم المصنفات الادبية الفارسية او التركية بدون العودة الى الكلمات العربية وذلك ان وحى القرآن الكريم الذى لايجارى يعد بلا ريب اساس عقيدة الانسانية والثقافة البشرية .

ويقول : لقد صدق قول [وليم رول] من ان اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما مضى امام لغة من اللغات التى احتكت بها وذلك ان لها لينا ومرونة تمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر ، ويقول ان تاثير اللغة العربية فى لغات الامم المسلمة امر طبيعى ، فبفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لاتكاد تعرفه اى لغة من لغات الدنيا والمسلمون جميعا مؤمنون بان العربية وحدها هى اللسان الذى اهل لهم ان يستعملوه فى صلاتهم وبهذا اكتسبت العربية من زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع اللغات الاخرى التى تنطق بها شعوب اسلامية.

ويشير هذا الباحث الى الكلمات العربية اقتحمت اللغات الغربية كلها ووصلت الى اكثر من الف وخمسمائة كلمة فى مجال العلم والحديث اليومى .

وبالاضافة الى الكلمات : الكحول وامير الماء والقنطرة والقاضى ، فانه يضيف كلمة [بنزين] : وكان الناس فى اوربا يعتقدون انها جاءت تكريما للصناعى بنز ومنها كلمات مشتقة مثل بنزول وغيره ولكن العلامة [اميروز] يبين ان كلمة [بنزين] معروفة قبل هذا فما هو اصلها . يقول : لقد اكتشفت ان عبارة [لبان جاوى] العربية تعنى [المادة الطيارة العطرية] ثم حرفت هذه الكلمة منذ انتقالها الى البندقية لكى تصبح [بانجارى] ونظرا لان الاسبان والبرتغاليين يلفظون الجيم زايا اصبحت [بان زوى] وهى الكلمة الاسبانية المرادفة للبنزين وثمة مثال آخر كلمة [Laute] فهى من كلمة العود وتعنى نفس الشىء ولقد جاءت من البرتغالية [لاوده] المأخوذة عن العربية.

وكلمة [Jopp] وهى تعنى كساء ومنها Jupe الفرنسية وهى من العربية [الجبة]

اما حرف [X] فى الرياضيات والذى يرمز الى المجهول فانه مأخوذ من اللاتينية التى تلفظه [ش] وقد اخذته ترجمة من العرب عندما استعملوا هذا الحرف عوضا عن كلمة [شىء] للدلالة على المجهول فى الرياضيات .

٦ ـ ولا ريب ان هذه النماذج من تقديرات الغرب اليوم للغة العربية ليكشف بوضوح من حقها الوافر فى آن تصبح لغة المسلمين بعد ان حجبها الاستعمار اكثر من ثلاثمائة عام عن النماء بمختلف اجزاء العالم الاسلامى ، وهو خير ما يرد به على الدعوات الهدامة التى تحاول ان تدعو الى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، او مشروع اللغة العربية الاساسية الرامى الى احلال العامية مكان اللغة العربية الفصحى ، ولا ريب ان هذه دعوات قديمة تتجدد ولكنها فى حاجة دائمة الى اليقظة والى الكشف عن زيفها وردعها .

ولا ريب ان الترابط بين الاسلام واللغة العربية هو ترابط جذرى وان كانت الحوائل قد حالت دون استمرار الخطوة الواحدة ، ولكن ما يتحقق الان فى افريقيا بالذات من انتشار جماعات حفظ القرآن الكريم ونموها سيحقق العودة الى الارتباط الطبيعى بين الاسلام واللغة العربية مما يؤهلها فى وقت قريب لتكون لغة المسلمين فى عالم الفكر والثقافة والعقيدة .

ماذا نقصد بالحرّية في الإسلام

جاء الاسلام بحرية الانسان وهو مقتضى تكريمه وتعظيمه فى قوله عز شأنه : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ، ويعنى بها استغلال الانسان لاخيه الانسان من نواحيه الدينية والمالية والاجتماعية والسياسية فلا يخضع فى الناحية الدينية الا لله الذى خلقه فسواه وسخر له ما فى السموات وما فى الارض وجعل له ما فى الارض جميعا وكان أعظم مرب فى هذا التوجيه السليم السديد استاذ البشرية ومنقذها محمد رسول الله الذى تلا فى سمع الزمان قول الحق تبارك وتعالى « قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين » .

فضيلة الشيخ عبد الحكيم محمد سرور

وربى عليه الصلاة والسلام اخوانه على الثبات فى اشد المواقف واكثرها حرجا اذ قال لواحد منهم ارتجف فؤاده حياء وخجلا حينما دخل عليه : « **هون عليك يا أخى فانا ابن امرأة كانت تاكل القديد** » وجذب يده الشريفة من يد آخر اراد تقبيلها قائلا له : « **هذا ما كانت تفعله الاعاجم بملوكها ولست ملكا فيكم انما انا بشر منكم** » . وحمل متاعه بنفسه وهو يقول موجها الخطاب للصحابة : « **صاحب الشىء أحق بشيئه ان يحمله** » وهل ينتظر غير ذلك من رجل اعلن على العالم اجمع انه لا اله الا الله ولا معبود سواه أحد لا شريك له صمد قائم بنفسه ومطلوب لخلقه وكافتهم وبالغ امرهم لم يولد ولم يكن له كفوا أحد وليس كمثله شىء وهو السميع البصير . فأنكر بذلك عليه الصلاة والسلام العبودية لغير الله الذين لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون ، وحرر عليه الصلاة والسلام كما اوحى اليه ربه ، ودعا الى تحرير الرقاب فى الكفارات صغيرها وكبيرها وفى التطوع ابتغاء مرضاة الله . قال جل ذكره فى كفارة اليمين : « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة** » وفى كفارة القتل الخطأ « **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا ان يصدقوا** » وفى كفارة الظهار : « **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** » وفى التطوع : « فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة » وجاءت السنة بالتحرير فى الافطار المتعمد فى رمضان وبأنه لا شىء يعدل فضل الوالد الا ذا رآه ولده رقيقا فيحرره » ، وانه **جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال : « عتق النسمة وفك الرقبة » ذلك لان رق الانسان مذلة وهوان ويأبى الله لمن فضله تفضيلا ان يذل او يهان .**

والتاريخ يشهد بان الذين حرروا من ذل العبودية لغير الله أتوا العجب العجاب من الوان التضحية والفداء فعزت بهم الدنيا وذاع بهم الدين ..

وللحفاظ على حرية الانسان الغى الاسلام كل اعمال واقوال الاكراه وابى الله تعالى ان يكره امرؤ على ايمانه واسلامه من غير تصديق قلبى ووعى نفسى « لاكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » ، وانما نعى الله عليهم هذا الجمود الفعلى حينما قال : « **واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** » .

وما اغرى رسول الله الناس بمال ليدخلوا فى دين الله افواجا وما وعدهم بمنصب أو متاع ولكنها النبوة وفطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .. فقل لاولئك الذين يبشرون بغير هذا الدين اريحوا انفسكم فانكم تدعون الى الاصم الاعمى ولن تفلحوا اذن ابدا مهما انفقتم من أموال واهديتم من مساكن وقدمتم من نساء .

ولقد عنى الاسلام اشد عناية بحرية الاسلام والانسان فى ماله فى حدود ما شرع وقنن ، فلا ينفقه فى زنا أو شر أو فسق ولا يتجر فيما حرمه الله من خمر ومخدرات ولا يتناول ما يضر صحته وعقله ويودى بأسرته ولا يبعثره ذات اليمين وذات الشمال اسرافا ومخيلة لان امانة الله والعبد متخلق فيه والله خير كله فلا ينبغى ان ينفق مال الخيرين فى غير الخير الذى ارادوه ورغبوا فيه وجعل سبحانه الاعتداء على اموال الغير منكرا وجريمة : « **ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون** » وجعل مال الزوجة حراما على زوجها الا بطيب نفسها «فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » ولا يزال الرجعيون الغربيون الى يومنا هذا ينكرون ملكية الزوجة ويحرمونها من املاكها مهما اتسعت وفاضت وليس لها شبهة حق فى اى نوع من انواع التصرف الا باذن زوجها ، وانما لها كل الحرية فى ان تبيع – تعطى جسدها لمن تشاء او تبيع هواها لمن تحب

حتى كانوا كلهم أو جلهم أولاد زنا يقطعون الرحم ولا يتراحمون ..

والله تبارك وتعالى لما خلق الانسان خلق له بيئته التى يستطيع التنفس فيها والعيش معها ، وقضى بضرورة وضعه فى بنى جنسه من اولاد آدم وحواء وفى مجتمع من نفسه ليعطى ويأخذ ويفيد ويستفيد وينفع وينتفع نتعمر الاكوان ونهض السكان ويؤدون رسالاتهم على أكمل وجه وادق نظام ومن طريف ماقرأت لاحد المفسرين لقوله تعالى فى قصة الهدهد مع سليمان : [**وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين**] ان عذاب هذا الهدهد لا يتأتى طبعا عن طريق ضربه ولا يتسنى له عن طريق قتله فى مثل [الفلقة] وانما المعقول فى طير من جنسه كالغربان ليزيد التباعد ويقل التقارب ثم يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فالانسان اخو الانسان ينبغى عونه وتقديره ، وتوقره وصيانة حريته بصرف النظر عن لونه أو عقيدته الا ان كان محاربا فيطبق عليه حكم الله على قدر عمله : « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** » ورحم الله أمير المؤمنين عمر يرحب ببلال بن رباح يوما فيقول : « أهلا بسيدنا وخادم سيدنا » ، وكأنى به يتأثر ويتأسى بترحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن ام مكتوم الاعمى كلما قابله : « **أهلا بمن عاتبنى فيه ربى** » ذلك دأب الاسلام منذ اشراقه على الناس كافة يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فى جاهليتها الجهلاء وضلالتهم العمياء وعصبيتهم الرعناء لا تربطهم رابطة من عطف ولا وشيجة من رحم ولا لون من اخوة كهؤلاء الاخوة الثلاثة شقيقين واخ لهما من ابيهما ومن ام اعجمية فارادا حرمانه مما ترك لهم ابوهم فحكم حاكمهم بقسمة المال بينهم بالسوية . فقال اكبرهما : أيعطى الهجين مثل القطين . قال الحاكم : نعم . قال يغلب على ظنى أن أمك مثل أمه ورفض الحكم وأجمل من ذلك ما رأيناه اليوم فى دول تدعى التمدن والتحضر كجنوب افريقيا وروديسيا .. الخ جعلت الجنس الواحد ثلاثة : أبيضا وله كل الحقوق وملونا وله أقل من القليل وأسودا وهو المحروم من كل شىء يتمتع به أخوة الانسان والحروب بينهم الى اليوم سجال وسيتم النصر مهما طغى الباطل .

ومقومات حرية المسلم ودعائمها تنحصر فى عمله وتوكله لا فى كسله وتواكله وقد استعاذ نبى الامة الاسلامية عليه أفضل صلاة وأتم تحية « فقال اللهم انى اعوذ من الهم والحزم واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » والكسل ولا شك مطية الفاقة والذل والاحتياج وما أصعب ذلك على كل نفس ابية عزيزة واذا توفرت للانسان الحرية الاجتماعية الاسلامية فلا مندوحة من أن تتوفر له حريته السياسية بمعنى الديمقراطية فى عصرنا هذا ولا يخفى انها طريق الصواب وسبيل الرشد وصمام الامكان من الزمن .. والشورى الاسلامية لابد فيها من جمع الكلمة وتوافق الاراء واسهام احصف العقول وأثمن الافكار . ويتحقق النصر باذن الله . وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أماما فى اتباع الشورى والنزول على أمرها فى أكثر غزواته ، ولا تزال كلمته المدوية فى الدنيا « أشيروا على » .. بمثابة قانون من حاد عنه ضل ومن شذ عنه سقط وهى من أمر ربه الذى يعلم المفسد من المصلح : « وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

هذا وبالله التوفيق .

التقليد فى المعانى

اتفق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم ، فليس على أحد فيه عيب الا اذا أخذه بكل لفظه ، أو أفسده فى الاخذ ، أو قصر فيه عمن تقدمه .

فمما وقع للشعراء من ذلك قول أبى تمام :

خلقنا رجالا للتجلد والاسى
وتلك القوافى للبكا والمآتم

اخذه من قول عبد الله بن الزبير لما قتل مصعب بن الزبير :

« **انما التسليم والسهو لدماء الرجال**
وان الجزع والهلع لربات الحجال »

ومنه قول أبى الطيب المتنبى :

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

اخذه من قول أرسطو طاليس :

اذا كانت الشهوة فوق القدرة ، كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة .

ومما وقع للكتاب من ذلك قول ابراهيم بن العباس فى فصل من كتاب :

اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه ، وللمسيء من العقاب ما يقمعه ، ازداد المحسن فى الاحسان رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة .

أخذه من قول على [كرم الله وجهه] : يجب على الوالى ان يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ، وان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الامر وضاع العمل .

الإسلام دين الإنسانية

■ الأستاذ عبد الفتاح العروى ■

يبدأ الاسلام نظرته الشاملة الى الانسانية بنظرته العميقة الى الفرد ، وبين الشمول والعمق تستقيم الرؤية الاسلامية على أرفع مستوى من الاصالة والاحاطة .. بعض النظريات الوضعية يحظى بالتقدير لانها تتعمق الجزئيات حتى ولو جاء ذلك كنوع من التعويض عن القصور فى الاحاطة ! وبعضها الاخر يحظى بالتقدير لانها شمولية حتى ولو كانت هذه الشمولية نتيجة العجز عن التعمق فى الجزئيات ، وسبر اغوارها .. وكانه قد كتب على نظريات البشر أن تكون اما سطحية فى نظرتها الشاملة ، واما متعمقة في جزئية من الجزئيات ولكن دون احاطة بأطراف الموضوع ..

بيد أن الاسلام العظيم ، وهو دين الواحد الاحد الذى خلق العقول والافهام جميعا ، يصل الشمول بالعمق ، والاتساع الافقى بالغور الراسى ، ويبهر الباحثين هذه الخصيصة المستحيلة فى غيره ، وهى . أن له فى شئون الانسان نظرة شاملة لم يفرط فيها من شىء ، وحين تأخذ هذه النظرة الشاملة جزئية جزئية فسوف تجد الاعماق البعيدة ، والاغوار التى تروعك وتهولك ، ولكنها لصفائها ، وسهولة مأخذها ، وحلاوتها ، كأنها البئر العميقة التى يرى الناظر اليها قعرها لشدة صفائها ...

وهكذا فان الاسلام ، فى نظرته الانسانية الشاملة ، بدأ بالفرد ، واقام التوازن فيه على أساس الحق والواجب والمسئولية.. على الانسان ان يروض نفسه رياضة روحية شديدة ، وله فى سبيل ذلك ألا ينسى نصيبه من الدنيا ، وفى الحالتين ، حالة الرياضة الروحية وحالة أخذ النصيب من الدنيا بما لا يفسد فطرة النفس التى خلقها الله وسواها ، فان كل نفس بما كسبت رهينة ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وبهذا الفرد المتوازن السوى الذى استقام فيه القسطاس بين الحق والواجب وما بينهما من تبعة ومسئوليه ، يخرج الاسلام الى دائرة أوسع من دوائر العلاقات الانسانية ، ويظل يخرج الى دائره اوسع باستمرار حتى تحيط الدائرة بالانسانية كلها على اتساع أقطارها ، وترامى اقطابها .

ولا شك أن الاسرة هى أقرب الدوائر الى الفرد ، فاذا استطاع مجموع افراد الاسرة الواحدة ان يقيموا فيما بينهم علاقات سليمة ومتوازنة ، تقوم على اسس المحبة ، والمودة ، والتكافل ، فان الاسرة ، بعد ذلك ، قمينة بأن تلعب دورها كخلية حية فى العلاقات الاجتماعية الاوسع ..

والواقع أن موقف الاسلام العظيم من الاسرة يستحق منا وقفة متأنية ، لان موضوع الاسرة قبل

الاسلام وبعده تعرض لتيارات كثيرة ، وكلها لا يستقيم مع العاطفة والعقل . فقبل الاسلام ، مثلا ، كان الاخوة ، لاب وأم واحدة ، يبنون بأخواتهم ، مما يعد امتهانا مزريا بعاطفة الاخوة ، وغريزة الجنس ذاتها . وقبل الاسلام ايضا كان الاب يئد ابنته الوليده خشية الفضيحة والاملاق ، وهو موقف همجي من حيث دلالته على الافتقار الى العاطفة ، بل من حيث دلالته على تدنيس أنبل العواطف الانسانية واحتقارها ، وهى عاطفة الابوة . ثم انه موقف همجى من زاوية أخرى ، وهى زاوية امتهان المنطق ، بل انعدامه .. فاذا كان المرء يخشى الفضيحة لابنته ان هى شبت ، وتزوجت ، ومارست دورها فى الحياة كأم ، فكيف استساغ هو لنفسه أن يتزوج بابنة آخر ، وينجب منها ، ويقبل دورها فى بيته زوجا وأما ؟؟ ثم اذا كان الاب يقتل ابنته ، ضد كل العواطف فيه ، خشية الاملاق ، فلماذا لا يقتل ابنه الذكر ايضا ما دامت قضية التكلفة والاعاشة لا تختلف فى الحالتين ؟؟

ان الموقف من الاسرة ، قبل الاسلام ، كان موقفا اقل ما يوصف به انه لا يتفق مع العاطفة والعقل ، بل انه كان موقفا يقوم اساسا على امتهان العاطفة والعقل معا ، والزراية بهما ، ولذلك فان أصدق ما يصلح له من أوصاف هو أنه موقف همجي بكل معنى هذه الكلمة .. وما ظنك الان برجل يتزوج أخته ، ويمارس الجنس معها ؟؟ ثم ما ظنك الان برجل يقتل ابنته الوليدة ، ويدسها فى التراب ، خشية الفقر ، أو خشية العار ان هى كبرت ، وتزوجت ؟؟ افلا تعتبر هذا وذاك من فصيلة القرود أو الوحوش أو البهائم ؟؟!!

وبعد الاسلام ، ايضا ، فان نظريات استحدثت ، ولها رأى فى الاسرة أقل ما يوصف به أنه غير كريم ، وغير معقول . ان ثمة مذاهب مادية ، تحاول تقويض كيان الاسرة ، وهدمه . وفشل هذه المذاهب فى تحقيق هدفها لا يمنع انها ما زالت قائمة ، وما زالت تحاول . والحجة التى تقول بها هذه المذاهب ضد الكيان الاسرى هى أن الاسرة كيان اجتماعى يقوم على الاثرة والانانية ، وهم ينظرون اليها كنوع من التكتل ، أو التحوصل ، داخل المجتمع يحول دون التواصل الحر بين مختلف افراده . وأصحاب هذه المذاهب المادية ، أيضا ، يرون ان الاسرة كيان يحول دون شيوع الثروة ، ودون احتكار الدولة لجهود الافراد .وهم يقولون فى هذا ان التعصب الاسرى ، ونظام الارث ، يحولان دون الانسياب الحر للثروات داخل المجتمع ، ودون أن تصبح الثروة فى ذاتها حكرا للدولة صاحبة الحق فى الثمرة العائدة من جهود الافراد ...

ومن عجب أنه فى الوقت الذى تدل فيه الاحصاءات والدراسات على زيادة نسبة الايمان بالله وبرسله وانبيائه واديانه السماوية فان هناك ضجيجا عالميا حول بعض المذاهب المادية التى ترفض الزواج ، والرباط الاسرى ، وتجنح الى فوضوية العلاقات الجنسية . وأصحاب هذه النظريات يرفضون وصفها بالانحلال ، ويصرون على أنهم أصحاب فلسفة اجتماعية تقوم على اساس ان الرباط الاسرى قيد على حرية الحركة فى العلاقة الاجتماعية ، وعلى شيوع الثروة ودورتها فى المجتمع ، وعلى حق الدولة وقدرتها فى احتكار جهود الافراد لما يسمونه صالح المجموع .. وكأن بعض النظم التى قضت على كل المؤسسات النيابية لتمثيل التيارات المختلفة فى المجتمع تابى الا ان تقضى كذلك على المؤسسه الام ميه ، وهى الاسره التى تتكافل ، وتتكاتف لاقامه علاقاتها الخارجية على اساس الحق والواجب والمسئولية ، وليس على أساس السخرة واحتكار اية قوة خارجية لجهود أفرادها .. !!

وعلى النقيض من ذلك كله موقف الاسلام العظيم من الاسرة .. فهو يرى ان الاسرة ضرورة نفسية بيولوجية لا غنى للفرد عنها ، وليست له قدرة على الازدهار الا فى نطاق المبادىء والملكات والطبائع التى أرضعها بين ظهرانيها وفى حجرها .. وهناك امثلة على أطفال ربوا فى غير اسرهم ، أو فى الملاجىء ، او على أرصفة الشوارع ، **ولكل منصف ان يقارن اى النبتين اصلح ، الذى نما فى تربتـه ، وبين اهله وعشيرته المحبة له ، الحانية عليه ، الحريصه على تقويمه ، او الذى نما فى تربة غير تربته بغير رعاية ولا كفالة ولا تقويم ؟؟ ..**

ان فى تربية الطفل خصيصة ،وهى ان احدا ،مهما يكن شانه ، لا يمكن ان يقوم له بما يقوم له به والداه .. صحيح ان الدولة قد تتكفل به فى الملاجىء ، ولكننا هنا لا نتحدث عن كفالة الجسد بما يقيم أوده ، وانما عن كفالة الروح والقيمة والمثل بما يجعل للشخصية صلابة ونقاوة وهدفا نبيلا فى الحياة ...

ان الاسرة ، فى هذا ، بمثابة البؤرة فى العدسة ، تتركز فيها ، وحولها ، مجموعة المبادىء والاخلاق والاداب التى تنبثق بعدئذ على صعيد المجتمع لتعمل عملها فى دفعه ، وتطويره ، والارتقاء به .. انها كمنبع النهر ، أو كالشلال فوق الجبل ، تتدفق منه المياه بعد ذلك الى آفاق ابعد وأرحب .. وليس غريبا أن تفشل الشيوعية ، مثلا ، حتى الان فى قهر الرباط الاسرى ، وتقويض كيان الاسرة ، فهذا الفشل هو ما كان متوقعا فى الحقيقة ، لان هذه الحياة فيها دائما قدرة باطنية عجيبة على احباط كل ما لا يتفق مع العاطفة الصحيحة والمنطق السليم ، او بعبارة اخرى ، كل ما لا ينسجم مع الطبيعة البشرية ، أو يعاندها ...

على النقيض من هذه المذاهب المادية المعاندة للاسرة ، كحاجة طبيعية فى الانسان ، وفى المجتمع ، يفرض الاسلام التكافل بين جميع افراد الاسرة ، فى المجالين : المادى والمعنوى ، ويرى أن هذا التكافل هو العمدة فى دعم كيان الاسرة ، وجعله حقيقة صلبة راسخة فى البناء الاجتماعى كله ...

ويبدأ الاسلام بالعلاقة بين الولد والوالدين .. « **وبالوالدين احسانا** » . « **ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالديك** » .

... وهل هناك فى الحياة ما هو اقدس وانبل من العلاقه بين الابن ووالديه ؟ انه لو فسدت هده العلاقه فقل على الدنيا كلها العفاء والسلام ، فالذى لا خير فيه لوالديه اللذين رلياه ، وحملاه وهنا على وهن ، لا خير فيه لاحد مهما لبس أمام الناس من وجوه ، ووضع من أقنعة ..

ثم تتسع دائرة التكافل الاسرى من نطاق العلاقة بين الولد ووالديه الى نطاق العلاقة بين أولى الارحام والقربى ، بغير تخصيص ، ولا تمييز ، ولا تعيين « **وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » .

فهل هذه عصبية اسرية كما زعم الزاعمون ؟ ان الفرق بين العصبية والتكافل ليس فرق شعرة ، كما يقولون ، وانما هو حبل من مسد ... !! ان التكافل تضامن من أجل الخير ، وعلى اساس قانون الحق والواجب والمسئولية الذى بدأ الاسلام بارساء أسسه فى عالم الفرد ذاته ، كما أوضحنا فى المقال السابق .. والناس متكافلون ما أخذ كل منهم حقه ، وأعطى ما عليه من واجبات ، والتزم بما يترتب على قانون الحق والواجب من تبعات ومسئوليات .. وان زاد المرء على هذا ، فبها ونعم ، ويعد هذا من قبيل الاحسان الذى هو مرتبة فوق القانون ، وفوق العدل ، وفوق منطق المبادلة بالحقوق والواجبات .. وهذا الاحسان مطلوب ، لان الاسلام الذى يطلب من الافراد التكافل على أساس الحقوق والواجبات والمسئوليات المتبادله ، يزكى فيهم نخوة الاحسان ، ويحثهم على استشراف هذا الافق الاعلى من آفاق التكافل الاجتماعى .. ويبدأ الاسلام بتربية ملكة الاحسان فى الفرد من نطاق الاسرة ، لان العلاقة الاسرية هى اجدر العلائق باستثارة النزوع الى الاحسان فى الفرد ..

فأين من هذا العصبية التى يزعمونها .. ؟ ان العصبية قوة للتدمير ، والتكافل قوة للبناء ، والذين يتعصبون لا يرون الامور فى اطارها من الحق والواجب والمسئولية ، وانما يرونها بيضاء طالما هى معهم ، وسوداء طالما هى عليهم بغير نظر الى قيمة الحق فى ذاتها .. ولكن الاسلام العظيم يرسم الحقوق والواجبات وما يترتب عليها من مسئوليات فى داخل الفرد ذاته ، ثم يخرج بها بعد ذلك الى صعيد العلاقة الاسرية ، ثم هو لا يقف عند حد الاسرة ، كما سنرى فى مقالات قادمة ، وانما يتجاوز هذا الحد الى الصعيد الاجتماعى الواسع ، والصعيد الانسانى الاوسع .

لو كان الاسلام يربى الفرد على غير منطق الحق والواجب ، لجاز لنا أن نقول انه يثير فيه الانانية وحب الذات ، ولو كان يقيم العلاقة بين هذا الفرد واسرته على غير نفس المنطق ، لجاز لنا أن نقول انه يزكى روح الاثرة أو العصبية فى الاسرة .. أما وان الاسلام لا يقيم علاقة بين الفرد وذاته ، أو بينه وبين اسرته ، الا على أساس تبادل الحقوق والواجبات والمسئوليات فانه اقمن ان يعد من قبيل استثمار الاسلام للعواطف الذاتية والاسرية القوية والنبيلة من اجل ارساء بناء اجتماعى ووطنى وقومى وانسانى على نفس المنطق والاسس ، أى التبادل العادل والنزيه للحقوق والواجبات والمسئوليات .. وانعم بهذا من منطق !! وانعم به من تكافل .. !! فما بالنا ، اذن ، وان الاسلام لا يكتفى بهذا المنطق ، وانما هو يستثمر نبل وقوة وطموح العواطف الذاتية والاسرية لتحقيق قدر أسمى من التكافل ، ولاستشراف افق أعلى فيه ، وهو الاحسان الذى يتجاوز مجرد العدل ، والافاضة التى تعلو على مجرد الاخذ والعطاء .. ؟ !

ولعلنا نلاحظ ان الاحسان الوارد ذكره فى الاية الكريمه له شقان : احسان معنوى ، اى بالكلمة الطيبه ، والمعاملة الحسنة ، واحسان مادى ، أى بالمال .. وقد يتصور بعض الناس أن الاحسان المادى أهم ، وقد يتصور البعض الاخر أن الاحسان المعنوى هو الاهم ، ولكن الاسلام العظيم يقطع الطريق على اختلاف هذه النظرات ، لانه يفرض الاحسان المعنوى كما يفرض الاحسان المادى . بل الحقيقة هى أن المادى والمعنوى فى الاسلام لا ينفصلان ابدا ، لانه لا يغفل عن أحدهما لحساب الاخر ، ولا يحفل بشق منهما على حساب الشق الثانى . فللاسلام فلسفة نظرية ، ما فى ذلك ريب ، ولكنها فلسفة تضرب فى أعماق الارض بجذورها وان تلامست أفنانها مع أعلى الافاق ، وهى تفسر مظاهر السكون والحركة والطبيعة ، وسلوك الفرد وعواطفه ، لا على أساس الفكر المجرد وتهويمات العقول الجامحة ، وانما على أساس من حقائق الحياة ، وطبائع الاشياء .

وحتى تكون الاسرة معملا لتفريخ ما هو جدير بعد ذلك ان يكون علائق سويه خارج نطاقها فان الاسلام حرص على تطبيق فلسفته بجانبيها المعنوى والمادى فى نطاق الاسرة لتقوية الفرصة أمام امكانيه تطبيقها ، بنفس الجانبين ، على الصعيد الاجتماعى والانسانى الاوسع .. وفى الجانب المعنوى فان الاسلام العظيم يقول « **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما** » .

واما فى المجال المادى فان نظام التوريث فى الاسلام يبرز حقيقة التكافل الاسرى ، وعمقه ، وابعاده .. وبالطبع فانه لا حاجة بنا الى الخوض فى تفاصيل هذا النظام ، لانه يخرج عن نطاق هذا المبحث ، كما أن القول فيه انتهى الى فصل الخطاب وانما نحن نشعر ان حاجتنا قوية وماسة الى توكيد ان هذا النظام المرسوم فى الاسلام لتوريث المال من سابق الى لاحق فى دائرة الاسرة لا يؤدى بالضرورة الى ما

؟ البقية ص ١٦١ !

رسول الله قائدا...

السلام فى الاسلام : هوالاصل والمنبع، وهو من صفات‌الله تبارك وتعالى • ومن اسمائه الحسنى ، « هو الله‌الذى لا اله الا هو الملك‌القدوس السلام » ، ولهذا كانت الدعوة اليه تمضى فى الناس‌رفيقة لينة ، منورة بآيات الله‌الكريمة المنزلة على رسوله الكريم ، يسعى بها اليهم فى‌مجامعهم ، وحيثما يكونون ،مبشرا ونذيرا ، يعلمهم مالا يعلمون من الحق ومكارم‌الاخلاق ، ولكن المشركين لفرط‌جهالتهم وعنادهم رفضوا الدعوة واعلنوها على الرسول واتباعه« حربا » لا هوادة فيها ، كانوايسلطون عليه سفهاءهم لايذائه ، ويلاحقون من شرح‌الله صدرهم‌للاسلام من أصحابه فيعذبونهم‌أقسى عذاب ، وفرضوا عليهم وعلى الرسول صلى الله عليه‌وسلم وعشيرته مقاطعة غيرأنسانية، لايبيعونهم ولا يشترون منهم ، ولا يسمحون لاحدبالاتصال بهم ، فعانوا من ذلك‌بلاء شديدا ، وكانوا رغم هذه الحرب المحمومة يتزايدون يومابعد يوم • وفيهم الشباب المؤمنون‌أولوا العزم وكاد الامر يحملهم على أن يلاقوا أعداءهم بالمثل‌دفاعا عن أنفسهم وعقيدتهم ،ولكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان ينهاهم عن هذافالاسلام سلام ومحبة • وهم‌يبذرون بذوره ، ويغرسون غراسه • ويطهرون الارض‌الطيبة التى دنسها المشركون بالكفر والفساد • فعليهم أن يحتملوا ويصبروا • •يبقى لهم فضل السبق الى‌رضوان الله ، ذلك الى أن الله تبارك وتعالى لم يامره بقتال ،وانما أمره بالدعوة على النهج‌الذى جاء فى قوله عز وجل : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة‌والموعظة الحسنة وجادلهم‌بالتى هى أحسن • ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله‌وهو أعلم بالمهتدين » •

الاستاذ أحمد وافى

غير ان الامر عند اصحابه كان قد جاوز حدود الصبر والاحتمال ، فامرهم‌بالهجرة الى حيث يجدون السلامة والامن ، وكان ذلك أمرا شديدا عليهم ، لانهم يفارقون بلدهم الذى ولدوا وعاشوا فيه ، ويفارقون الرسول الحبيب الذى لايطيقون فراقه لحظة من نهار أو ليل ، ويتركون دورهم واموالهم الى اعداء الله ، ولكنهم لم يكونوا يملكون الا الطاعة ، فهاجروا وتفرقوا فى البلاد .

وظل امر الدعوة المحمدية فى مكة‌على هذا النحو ثلاثة عشر عاما ، حتى اذن الله لرسوله الكريم بالهجرة الى المدينة، وكان عليه السلام يومذاك فى الثالثة والخمسين ، لم يشارك خلالها فى حرب ولاقتال ، ولم يكن فى طبعه الذى عاش به بين قومه شابا وكهلا ، سوى الرحمة وطيبة القلب والعزوف عن الشر •

ولكنه بعد الهجرة ، وبعد ان شرى امر المشركين ينزل عليه أمر الله بالقتال، فى قوله سبحانه وتعالى : « كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خيرلكم ، » و « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا » و « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » الخ .. ومامن شك فى ان اوامر القتال قد جاءت فى اوانها ، فأن اجتماع الرسول واصحابه المهاجرون والانصار بالمدينة قد شكل مجتمعا اسلاميا ، مفتوحا على العالم الخارجى ، والدعوة الى الاسلام عالمية ، فمن المدينة ينطلق نورها الى مختلف الافاق ، وقد كان هذا عسيرا اشد العسر فى مكة ، فما منبد ان يكون هذا المجتمع ، مؤهلا مستعدا للقتال لحماية دينه ونشره والدفاع عنه.

وقد وقع ماكان مقدرا وقوعه ، فمشركو قريش لم يتركوا رسول الله لشأنه بعد الهجرة ، فكانوا لاينفكون عن ملاحقته بقواتهم وبمن يغرونهم به من مشركى البادية ، يوجهونها غارات على المدينة ابتغاء القضاء عليه وعلى دعوته واتباعه ؟

فمشركو قريش مابرحوا خطرا على الدعوة ومجتمعها الجديد ، ولم يغب عن فطنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى داخل المدينة نفسها قوما ليسوا أقل من مشركى قريش عدواة ولددا ، وفيها من المشركين واليهود منافقون دخلوا فى الاسلام ظاهرا ليكيدوا له باطنا ؟

ولم يبدأ رسول الله بقتال ، ولكن عيونه اليقظى كانت على تحركات المشركين ، فان علم منهم شرا وخروجا بعث اليهم بمن يلقونهم ويصدونهم ، فالمشركون فى شتى المعارك كانوا هم البادئين بالعدوان .

وقد قاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه أشد هذه المعارك هولا .
كان هو « القائد الاعلى » الذى يمسك بالزمام ، ويزن حجم المعركة ويختبر مناخها ، ويشاور أصحاب الراى ، ويختار القادة ، وينظم الصفوف ، ويخطط للهجوم ، والدفاع والتموين والمدد والاغاثة ومواقع القتال ، ثم يامر بالسير والتنفيذ ، وفى سائر المعارك كان يسن للقادة والجنود اسمى آداب الحرب قديمها وحديثها ، كقوله فى أحدى

وصاياه لهم « لاتغدروا ولا تغلوا ولاتقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا ولا فانيا ولا منعزلا بصومعته ، ولاتقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء » .

كان رسول الله فى ملاقاة اعداء الله قائدا شجاعا ، لم يؤت أحد مثل شجاعته واقدامه ، ومع هذه الشجاعة النادرة المثال ، عبقرية الرأى والنظرة البعيدة والقرار الحكيم ، ليست الحرب عنده جيشا الى جيش ، وقلة او كثرة انما هى قبل ذلك ايمان وعقيدة ورأى ومشورة وخدعة واستعداد لكل الاحتمالات ؟

وقد واجهته فى عدة معارك مآزق معقدة استطاع ان يحلها ، وينتزع من اعماقها نصرا كان وقتها يبدو عسير المنال .

ففى غزوة بدر التى كان النصر فيها معجزة كبرى ، كان رسول الله قد خرج فى ثلاثمائة من المهاجرين والانصار لايريد حربا ، ولا يتوقع ان تكون هنالك حرب، وانما هى قافلة من قوافل قريش عائدة من الشام ، خرجوا للاستيلاء عليها تعويضا لبعض ما انتهبه اصحابها المشركون من دورهم واموالهم قبل الهجرة ، فالامر نوع من مصادرة اموال الاعداء فى احوال الحرب ، وقريش ماضية فى حربهم بما تبعث به اليهم دراكا من قوات الاغارة والعدوان ، فانهم لسائرون الى غايتهم هذه ، اذا بهم يفاجأون بالمشركين فى ألف مقاتل على رأسهم كبارهم ورجال حربهم ، وكانوا شر اعداء الرسول واصحابه بمكة ، ورأى رسول الله انه لا مهرب من القتال، مع مايبدو من فقدان التكافؤ بين القوتين ، ولكنه رأى فى الوقت نفسه ان من معه من الانصار [أهل المدينة] ليسوا ملزمين بحكم البيعة ان يقاتلوا معه خارج المدينة ، فلكى لايورطهم فيما قد لايرغبون فيه ، تحدث الى الجميع مبينا خطورةماهم مقدمون عليه ، وانه لاأكراه على احد، وعرف الانصار انه يريدهم بهذه الاشارة، فاكدوا له بحماس شديد أنهم معه بارواحهم ، ولو خاض البحر لخاضوه معه ، فسار بهم رسول الله حتى اذا جاء ادنى ماء بدر نزل به ، فقال له الحباب بن المنذر الانصارى « يارسول الله، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ »قال : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » قال الحباب : « يارسول الله ، فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس ، حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب [عيون الماء] ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أشرت بالرأى» ونهض ومعه الناس وانفذ رأى الحباب المقاتل المجرب ؟ وكان ذلك عاملا لاينبغى اغفال حسابه فى هزيمة المشركين على كثرتهم ووفور عدتهم ، فالماء فى حرب الصحراء عامل هام مؤثر فى نتائجها والفضل هنا راجع الى [الرأى والحرب والمكيدة] مضافا الى تأييد الله الذى تجلت مظاهره الرائعة فى البطولات العظيمة النادرة ..

وفى المعركة الكبرى الثانية بعد بدر، وهى معركة « احد » كان قد علم بمخرج المشركين فى ثلاثة آلاف ، وكان الرأى الغالب فى المسلمين حين شاورهم رسول الله ، ان يخرجوا لهم حتى لا يظنوا بهم ضعفا ، وكانت عدة من خرج من المسلمين سبعمائة رجل فقط ، أى اقل من ربع جيش المشركين ، وكان عليه الصلاة والسلام يعلم بثاقب بصره ان أقوى اسلحتهم الخيل وعليها أقوى فرسانهم وادهاهم كخالد بن الوليد وعكرمه بن ابى جهل ، وعمرو بن العاص وغيرهم من الذين وترتهم موقعة بدر فى اعز واشرف رجالهم ، فاختار خمسين مقاتلا مسلما ممن يحسنون القذف بالنبال ، ورتب لهم مواقعهم وامرهم ان يقذفوا بنبالهم فى الخيل ، فانه لاشىء أشد من ذلك يفزعها ويردها بمن عليها ، واوصاهم ان لايتركوا مواقعهم قط سواء كانت للمسلمين او عليهم ، وقام الرماة بدورهم ، وارتدت الخيل على اعقابها ، وفقد المشركون أقوى قوتهم فى القتال ، ولم يستطيعوا ان يثبتوا امام المسلمين الابطال ، فلحقوا بخيلهم هاربين ، وظن الرماة ان المعركة انتهت بهزيمة الاعداء ، ورأوا الساحة مليئة بقتلاهم وعتادهم ، فتركوا مواقعهم وانشغلوا عنها بالاسلاب والغنائم ، ولكن المشركين لم يكونوا قد ابتعدوا عن المعركة ،ولعلها كانت احدى حيل الماكرين من قادتهم ، فلما رأوا ان الرماة تركوا مواقعهم ، كروا بخيلهم ورجلهم على المسلمين واصابوا منهم من اصابوا ، وقد اصيب رسول الله نفسه بجراح دامية، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقية الجيش المهزوم ، آسفا على ما اقترف الرماة من خطأ بمخالفة أمره، ولم يكد يستقر حتى جاءه من يخبره ان ابا سفيان قائد جيش المشركين قد اجمع الرجعة الى المدينة بمن معه ، لاستئصال المسلمين والفراغ من امرهم ؟ فرأى رسول الله ان يخرج بالمسلمين اليهم قبل ان يحاط بهم فى المدينة وهم فى غمرة الهزيمة ، والحزن على الشهداء ، وانما اراد بذلك ارهاب المشركين وايهامهم انه قد استرد القوة وجمع الجموع واكمل العدة للظفر بهم ، مع انه فى مخرجه هذا اعلن انه لن يقبل فيه رجلا لم يكن ممن صحبه فى احد ، فالذين خرجوا معه اذن كانوا البقية الباقية من المعركة واكثرهم من المصابين والجرحى ومنهوكى القوى . ولكنها حيلة القائد فى المأزق الشديد ، وتكاملت عناصر الحيلة عندما لقى رسول الله معبدا الخزاعى وبين الرسول وخزاعه مودة ومواصلة ؟ فرغب اليه ان يلقى فى الطريق ابا سفيان ومن معه فيخبرهم بخروج المسلمين أوفر عددا وعدة وأشد حنقا وتصميما للثأر منهم ، وانهم أقسموا ليعيدونها بدرا الثانية ، فلقى معبد الخزاعى ابا سفيان واخبره الخبر وهول عليهم فيه ، وكان معبد لايزال مشركا مثلهم فلم يرتابوا فى مقالته، وروعهم الخبر ، ورأوا السلامة فى العودة ، وحسبهم مابلغوا من المسلمين فى هذه المعركة ؟

ونجحت حيلة القائد العظيم ، ونجت المدينة واهلها من شر كبير كان وشيك الوقوع .

فهنا كان الرأى والمكيدة والخدعة ، سلاحا من امضى اسلحة الجيش المقاتل فى ذلك اليوم .. وفى غزوة الاحزاب التى جاءت بعد ذلك بعامين كان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم المواقف دلالة على عبقريته القيادية الفذة ، جاء مشركو قريش فى عشرة آلاف مقاتل ومعهم غطفان فى مثل هذا العدد ، يريدون احتلال المدينة معقل الاسلام والقضاء على محمد واصحابه ، نفس الهدف الذى لايكفون عن العمل والحشد له ، وحطوا رحالهم بظاهر المدينة .

وكان رسول الله قد علم بخروجهم بهذه الكثرة الكبيرة ، فامر بحفر خندق يحاجز بينهم ، وشارك بنفسه فى عملية حفره الشاقة فى قلب الصخر تشجيعا للذين يعملون به ، وقد أجهدهم العمل ،وفيهم من صبر وفيهم من ضجر ، لانهم قضوا فى ذلك ايام وليالى طوالا ، بعيدين عن بيوتهم واهلهم وكان الرسول وهو فى قلب العمل معهم كادحا عارقا مثلهم، كان قد نظم امور المدينة واقام على سائر بيوتها من يرعاها ويقضى حاجاتها ، ويؤمن مخاوفها ، وقد دهش المشركون حين رأوا الخندق امامهم ، وقالوا : هذه مكيدة ما كان العرب يعرفونها ؟ وقد حاولوا اختراقه مرات فلم يفلحوا ، ولكنهم لم ييأسوا كان اليهود الذين جاؤهم فى بلادهم واستنفروهم لقتال محمد ، قد عاهدوهم على انهم سيكونون معهم فى المعركة من خلف المسلمين ، فهم ينتظرون قيام اليهود بدورهم فيطبقون على المدينة جميعا من اعلاها واسفلها ، وقد كان بنو قريظة هم الذين بقوا من اليهود على عهد رسول الله ، فلم يشاركوا يهود بنى النضير الذين اقصاهم رسول الله عن المدينة ، فى حركاتهم العدوانية ضده ، ولكن حيى بن اخطب النضرى اليهودى المطرود استطاع ان يفتن كعب ابن أسد سيد بنى قريظة ، وان يحمله على الغدر ومشاركة المشركين الذين جاءوا | كالبحر الطامى || للقضاء على محمد الخ ..

وعلم رسول الله ان بنى قريظة نقضوا العهد ، واراد ان يستوثق من الخبر ، وهو فى الخندق لايفارقه ، فارسل اليهم من يستخبرون خبرهم وقال لهم : « ان كان مابلغنا عن هؤلاء حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ، ولاتفتوا فى اعضاد الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس » . فذهبوا ووجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم ، وعادوا الى رسول الله فلحنوا له لحنا عرف به هذه الحقيقة المؤلمة والخطيرة ، فهتف رسول الله كانه تلقى خبرا مسعدا « اللهأكبر » .. أبشروا يامعشر المسلمين » كان حريصا فى هذه الظروف على ان لايعرف المسلمون شيئا من غدر اليهود ، حفاظا على معنوياتهم وحتى لايزعجهم الخوف على من وراءهم من اهليهم واعراضهم ، ولكنه رأى ان الموقف قد أشتد خطره ، وخاصة بعد ان طالت الايام . [وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر] وخيف على المسلمين من هذا الغزو المشترك ، فهنا رأى ان يحتال لصدع الوحدة بين قريش وغطفان ، وهو يعلم ان ليس لغطفان من مآرب سوى ان تغنم مغنما من المدينة وهى ريف الحجاز الخصيب ، فأرسل الى قادتها يمنيهم بثلث ثمار المدينة ، اذا تركوا مابينهم وبين قريش وانفضوا عنه، ففعل هذا العرض فعله فى نفوسهم وانشغلوا بالمفاوضة فيه ، وخف بذلك الضغط على المسلمين [ولم تتم المراوضة والمكاتبة فى ذلك لان رسول الله انما اراد تلهيتهم وكسر حدة القتال فيهم] على انه من خلال هذه المراوضة انبثق نور الاسلام فى صدر واحد من صفوة رجالهم فكرا ومقاما وكان أحظى الناس منزلة ومودة عند قريش واليهود معا ، وهو نعيم بن مسعود ، فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يارسول الله ، انى قد اسلمت ، وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت فقال رسول الله : « انما انت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فأن الحرب خدعة » .

فمشى نعيم بن مسعود بين اليهود وقريش وغطفان ، وحدث كل منهم حديثا، القى به الشكوك فيما بينهم من علاقات ونوايا ، فانفرط العقد ، وانحل العهد ، وانتفت الثقة ، وانقلب بعضهم لبعض عدوا يحذره ويخشاه ، فلم يجد المشركون مناصا من العودة ، قانعين من الغنيمة بالاياب .

وحققت هذه الخدعة الى ماسبقها من تدبير رسول الله من موقع القيادة ، نصرا له ولا صحابه .. وبعدها وجهوا الضربة القاضية الى اليهود الذين نكثوا العهد وغدروا وخانوا . « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ..

وهكذا كان رسول الله صلى اللهعليه وسلم،مع اطمئنانه الى تأييد الله ونصره، يستن للقيادات الاسلامية سنة الرأى والمكيدة مع صدق الايمان ، ومعنى ذلك الاحتياط والحذر ودقة النظر فى احوال الاعداء ، وخدعهم واخفاء الحقائق والاتجاهات عنهم ، ومن هنا فانه كان كلما خرج فى غزوة كنى عنها ، وبخبر انه يريد وجها غير الوجه الذى يقصد اليه .

وحين تجهز لفتح مكة ، واجتمع له جيش كبير ، قال : [اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتىنبغتها فى بلادها] وقد تحقق ذلك فى سرية محكمة فدخلها بجيشه الكبير سلما بغير قتال ؟

وكان فى الجملة لايخرج لقتال أو يخوض غمار حرب الا مضطرا وعندما لايجد غير ذلك سبيل دفاعا عن دين الله الذى ارسله الله به للناس كافة ، ولقد كان اعداء الله وأهل الكفر والضلال يواصلون مبادرته بالعدوان ويقفون على طريق الدعوة الى الله لوقف مسيرتها ومنع انتشارها ويستخدمون فى ذلك كل وسائلهم الشريرة .

وما أكثر مانجد فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مواقفه الراشدة الحكيمة ، وتدبيراته الملهمة الموفقة فى قيادة المعارك ومقاتلة الاعداء المناكير ، ويكفينا منها اليوم ماتقدم ، ولنا عودة اليها ان شاء الله .

بقية مقال « الاسلام دين الانسانية »

يسميه البعض بالانانية الاسرية أو الاثرة العائلية .. كذلك فانا نريد أن نؤكد أن نظام التوريث فى الاسلام لا يمكن أن يفضى الى حصر المال فى دائرة محدودة لا يخرج منها الى حيث يمكن أن يسهم فى الحضارة الانسانية الشاملة .. ثم نسأل : وكيف ذلك ؟

هناك أمران لابد أن نلتفت اليهما بشدة فى هذا الصدد :

اولهما أن نظام التوريث فى ذاته يضمن تفتيت الثروه وتوزيعها بين الورثة لكى لا تتضخم فى صورة اقطاعية أو رأسمالية تضر بالمجتمع ، وتقلب موازين العدالة فيه ، ثم هو يبث هذه الثروه فى المجتمع عن طريق التزاوج والمصاهرة . ولقد كانت بعض النظم قبل الاسلام تبيح التزاوج بين الاخوة والاخوات ، وكان هذا هو الذى يؤدى الى أن تكون كل اسره وحدة منغلقة على ذاتها ، اما وأن الاسلام قد حرم هذا ، وفتح باب المصاهرة بين الاسر المختلفة ، فان هذا هو اوسع الابواب للتواصل الاسرى على نطاق المجتمع كله مما يؤدى الى تكافل اجتماعى أقوى ، وعصبية أسرية أقل . والتاريخ الحضارى شاهد على أن المصاهرة كثيرا ما كانت المدخل الى ازالة الخلافات العصبيه والقبلية بين الاسر والتجمعات الاجتماعية المنغلقه .

اما الامر الثانى الذى يجب ان نلتفت اليه فهو ان نظام التوريث فى الاسلام لم يغلق الباب أمام التوصية بشىء من المال المورث لمن لا يمتون اصلا الى افراد الاسرة ، أو لا يستحقون شيئا عن طريق الوراثة .. « **فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها** » فالوصيه ، بهذا الاعتبار ، نوع من البر والتكافل الاجتماعى ، بقدر ما هى أسلوب لشيوع الثروة بين جموع الناس ..

ولعل هذا أن يكون مدخلنا الى الدائره الثالثه من الدوائر المتسعة باستمرار أمام التكافل الاسلامى حتى يصل الاسلام حقيقة ، وبحق ، الى أن يكون دين الانسانية كلها ..

نظرية المعرفة الإسلامية

فى فكر ابن حزم

الأستاذ
محمود معوض

تعرض المجتمع الاسلامى فى عصر ابن حزم لفساد خطير بعد سقوط الدولة الاموية وفى عهد ملوك الطوائف فى الاندلس عامة وفى قرطبة خاصة . فقد بلغ أمر مجتمع هؤلاء الملوك غاية الاضطراب استهتارا وضعفا وقلة اكتراث بالدين والخلق، وشغل الامراء بجمع الاموال وبناء القصور وفرض الجزية والمكوس على رقاب المسلمين ، فضعفوا عن مقاومة خصوم الاسلام فى هذا المجتمع المضطرب تورط الفقهاء فى التأويل والتحوير والاستنباط ، وكان ذلك نتيجة نفاق ومجاراه للحكام فأخضعوا النصوص لهوى الامراء ، واتخذوا من القياس وغيره من وسائل الاستحسان سبيلا لتبرير الواقع ومحاولة اقرار انحراف المجتمع .

ازاء هذا الانحراف الخطير الذى وصل اليه المفهوم الاسلامى فى عصر ابن حزم جاءت دعوته الى التماس مفهوم القرآن والوقوف عند النص ، حيث انه الفصل الدقيق الذى لا يمكن معه المساومة ولا يجوز فيه التغيير أو التلاعب .

لقد كان أبرز معطيات فكر ابن حزم فى تلك الظروف نظرية المعرفة الاسلامية التى سبق بها الفكر الغربى بسبعة قرون وهو الذى سبق علماء المسلمين الى أقرار المفهوم القرآنى فى قيام المعرفة فى الاسلام على أساس العقل والقلب معا ، محررا النظرة الاسلامية من مفاهيم الفلسفات اليونانية والفلسفات الهندية والفارسية التى تقصر مفهوم المعرفة على العقل وحده او القلب وحده فتنحرف وتضل .

يقول ابن حزم « المعرفة تكون بشهادة الحواس ، وبأول العقل « أى بالضرورة » وبالعقل من غير استعمال الحواس وببرهان راجع من قرب أو من بعد الى شهادة الحواس » .. « انللانسان ست حواس ، والنفس تدرك المحسوسات المادية بالحواس الخمس كعلمها أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها ، وأن الرائحة الرديئة منفرة لطبعها ، ولعلمها ان الاحمر مخالف للاخضر ، وكالفرق بين الخشن والاملس والحواس الخمس لا تدرك أحوال المحسوسات الا بالمقابلة أو التفاضل ، أو بأن يعظم الفرق بسرعة ، اى ان من يجتمع منه جملة يمكن ان تدركها الحواس ، فالانسان لا يدرك تبدل الظل على الارض الا بعد أن ينتقل ذلك الظل انتقالا يستطيع البصر ان يقدره ، وكذلك لا ترى الانسان يدرك ببصره نمو الشجرة الا بعد أن تكون قد نمت قدرا تسهل ملاحظته ، ومثل ذلك الشبع والرى وكثير من أعراض العالم ، أما الحاسة

السادسة فهى علم النفس بالبديهيات وتعنى أن هناك امورا يدركها الانسان ذو العقل بداهة من غير أن يعرف دليلا عليها ،فمن ذلك علم النفس بأن الجزء اقل من الكل ، فان الصبى الصغير فى أول تمييزه اذا اعطيته تمرتين وبكى ثم زدته ثالثة سر،وهكذا علم منه بأن الكل أكثر من الجزء » .

ولقد بلغ منهج ابن حزم فى المعرفة الاسلامية مبلغا عاليا من الاصالة ، تدعمها الشجاعة النفسيه التى واجه بها أخطاء عصره ومجتمعه ، فقاوم الخرافات والانحرافات فى مختلف جوانب الفكر الاسلامى .

رفض الاسرائيليات التى تقول بأن الانهار تنبع من الجنة [النيل ودجلة والفرات] وقال : « ان كل من له ادنى معرفة بالهيئة يدرى ان مخرج النيل من عين الجنوب ن خارج المعمور ، ومصبه قبالة الاسكندرية وان مخرج دجلة والفرات من الشمال » .

وانكر ابن حزم **الخوارق على ايدى أى أحد من الناس وقال** : ان الناس جميعا سواء لا فضل فى الخلق أو التكوين لاحد فلا يقدس صالحا ولا يعتقد قوه خارقة لصالح او غير صالح ، واثبت تكوير الارض بالبرهان العقلى وقال : لو لم تكن الارض كرويه لكان من يسكن فى اقصى الشرق يصلى الظهر فى اول النهار ضروره اثر صلاه الصبح بيسير .

ودعا ابن حزم **الى دراسة الهندسة والمنطق والطب والفلك** وقال انها لا تخالف الشريعة ، معارضا آراء الفقهاء فى عصره وقال : ان بعض هذه العلوم يسند الشريعه ويؤيدها وينفى مزاعم اليهود فى انهم ملكوا من نهر مصر الى نهر الفرات وقال : « ان بنى اسرائيل ما ملكوا قط من نهر مصر ولا على نحو عشره أيام منه شبرا فما فوقه وما ملكوا قط من الفرات ولا عشره أيام منه .

ورد ابن حزم على الدهرية والقائلين بقدم العالم ، ودحض الفكرة المأخوذة من اليونان والقائله بأن الافلاك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع وقال : ان برهان صحه الحكم على ان الفلك والنجوم لا تعقل اصلا هو أن حركتها أبدا على رتبة واحده لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد الذى لا اختيار له .

ويتصل بنظريته فى المعرفة مفهومه للعقل فهو يكرم العقل ولكنه لا يسلم له تسليما مطلقا على النحو الذى يقول به غير المسلمين . يضعه فى مكانه الحق ، **يقول** : « من أبطل العقل فقد ابطل التوحيد ، اذ لولا العقل لم نعرف الله عز وجل » ، وحقيقة العقل عنده « انما هو تمييز الاشياء المدركة بالحواس والفهم ، ومعرفة صفات هذه الاشياء على ما هى عليه والبرهنة على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصحة النبوة ووجوب طاعة الرسل» .

ويضيف « **أما من ادعى أن العقل يحلل أو يحرم او ان العقل يوجد عللا لكون ما اظهر الله تعالى فى هذا العالم من جميع افاعيله الموجودة منها من الشرائع وغير الشرائع فهو بمنزلة من ابطل موجب العقل جملة وهو طرفان أحدهما افرط فخرج عن حكم العقل ، والثانى قصر فخرج عن حكم العقل ومن ادعى فى العقل ما ليس فيه كمن أخرج ما « فيه » ولا فرق** .

ويرفض ابن حزم ان يحكم العقل على الله نفسه وهو خالق العقل فليس فى مقدور أن يستدرك على خالقه ، والعقل لا يحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ما هو به .

واذا انتقلنا الى منهجه العلمى نجده غاية فى الانصاف من النفس وتقبل الحق أينما وجده يقول « ان طالب الحق لا يصح ان يعميه التعصب لقوله عن التماسه حيث يكون ، وهو فى اخلاصه للحق لا يبغى به الغلب ، ولكن يبغى به نصر الحق المجرد ، وأن يكون مستعدا لترك قوله الى قول غيره أن رأى عند غيره الحق السائغ الذى لا يشوبه باطل ، وكذلك يقول فيما يصح عندنا حتى الان ، فنقول مجدين مقرين ان وجدنا اهدى منه اتبعناه وتركنا ما نحن فيه . ولا يقف ابن حزم عند هذا الحد بل يرى أن العالم والمفكر لابد أن يضيف جديدا ، وأن يكون له ذاتيته الخاصة .

يقول ابن حزم «ما مذهبى ان امتطى مطية سواى ولا اتحلى بحلى مستعار ، التقليد حرام ولا يحل لاحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان » .

ويضيف « **أنه لا يجوز لمن يملكون أدوات الاجتهاد والعقل أن يقلدوا اماما فى كل ما يقول من غير ترجيح بدليل على دليل** .

وقد اعطت آراء ابن حزم فى مجموعها مفهوما متكاملا عميقا للاسلام ، ملتمسا فيه منابعه الاصيلة بحيث أصبح اساسا لحركات الاجتهاد والتجديد المتوالية التى استهدفت تطهير الاسلام وما علق به من الاسرائيليات والاساطير . ولقد طوف ابن حزم بمختلف فروع الفكر الاسلامى وترك فيها بصماته واجتهاداته فقد ترك ابن حزم آراء مازال جديدة غاية الجدة ، حية غاية الحياة تكشف عن عظمة الاسلام وارتباطه بالحياة والمجتمع والاقتصاد والتربية فليس الاسلام دين عبارات فقط بل هو دين ومجتمع وحضاره قادر على الحياة والحركة ، متصل بالتطور تمتد منه جذور العدل الاجتماعى والشورى والاخوة والمساواة وهو متصل بالعصر لا تتخلف فيه كفاءة الالتقاء بالازمان والعصور والبيئات .

وفى أكثر من مجال يتحدث ابن حزم عن مفهوم الاسلام ويناقش أخطر القضايا على سبيل المثال : التعليم اجبارى والارض لمن يزرعها ، والمرأة والرجل يتساويان فى العلم والثقافة ، ولكل مواطن حلتان ومسكن وتدعونا تلك المفاهيم التى اثرى بها ابن حزم الفكر العربى الى الكشف عن هذه العقلية النافذة العميقة لابن حزم الذى ولد فى قرطبة من الاندلس فى عام ٣٨٤ هـ ـ ٩٤٤ م ، وكان ابوه من وزراء الدولة الاموية فى آخر عهدها بالاندلس وقد نشأ فى فترة قلق واضطراب بعد وفاة المنصور بن ابى عامر فى بيت سؤدد وامارة بعد ان انتهى العصر الذهبى للدولة، وعمل وزيرا للمستظهر ، ولكن أمره لم يدم أكثر من شهرين وبعد انتهاء الدولة الاموية ذاق صنوف الظلم والاضطراب ، وكان اهم ما ازعجه واقلقه تفرق كلمة المسلمين وانقسامهم حينئذ بدأ مهمة الاصلاح والتصحيح .

وقد عرف ابن حزم بالاسلوب الرائق البليغ مع حسن البيان حتى وصف بأنه « جاحظ الاندلس » غير منازع ويبدو فى كتاباته التى من ابرزها : « المحلى » و «الفصل فى الملل و «النحل» ، و «الاحكام فى اصول الاحكام » و « الاخلاق والسير » اثر عقليته المرتبة المنطقية حيث يحسن ايراد المقدمات واستخلاص النتائج، ويتحرر من اللغو والاستطراد وكان أبرز مقومات فكره تحريم التقليد والوجه الاخر للشخصية يعكس صورة نفس كريمة عفيفة تؤمن بالمرءوة والاستعلاء على الصغائر ، وتؤمن بالوفاء والمودة وقد كان آية عزة النفس انه لم يكن يغشى أبواب الامراء والخلفاء ، وهو عميق التجربة يكشف بنصائحه عن طبيعة قادرة على مواجهة الحياة فى قوة فيقول « احرص على أن توصف بسلامة الجانب وتحفظ من ان توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك ، ويقول : « ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ، ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على دينك ومن استخف بحرمات الله فلا تأمنه على شىء تشفق عليه » .

وعنده أن الغاية من السلوك الانسانى هو « طرد الهم » سواء كان هذا الهم هو الفقر او الخمول أو المرض او الجوع ، وحيث أن العمل « أى الحركة » هو السبيل الى طرد الهم كيفما كان ، فعلى الانسان الا يعمل الا من اجل تحقيق هدف سام لا يخضع لتقلبات الايام والاحوال .

ولقد أعطت التجربة الطويلة والازمات المتعددة ابن حزم عبرة بعيدة المدى فى فهم الحياة وتعميق الناس، فاستطاع ان يقول من الحكمة ما نحن فى حاجة اليه ، يقول :

« لا تبذل نفسك الا فيما هو أعلى منها وليس ذلك الا فى ذات الله عز وجل فى دعاء الى حق وفى حماية الحريم وفى دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى وفى نصر مظلوم ، باذل نفسه فى عرض الدنيا كبائع الياقوت بالحصى » .

ويذكر ابن حزم عيوبه فى صراحة الرجل القوى الذى لا يخاف أن يوصف بالعجز يقول « كانت فى عيوب فلم أزل بالرياضة واطلاعى على ما قالت الانبياء والحكماء فى الاخلاق وآداب النفس اعانى مداواتها حتى أعان الله على اكثر ذلك بتوفيقه ومنه تمام العدل ... »

وقد حاول ابن حزم ان يرسم منهج وقاية للشخصية الانسانية يحول بينها وبين الاضطراب والانحراف ايمانا منه بأن الغرض الذى يستوى الناس جميعا فى طلبه واستحسانه يقول :

« من أراد خير الاخرة وحكم الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الاخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله وليستعمل اخلاقه وسيرته ما أمكنه » .

وتكشف شمائل ابن حزم عن نفس صافية وعقل واع وقد كشف عن أعماق الطبيعة مرتين : الاولى فى كتابه طوق الحمامة ، واخرى فى كتابه « الاخلاق » والسير على نحو يرسم صورة غاية فى السماحة والنبل فهو وفى غاية الوفاء لمن عرف ولو لحظة باق على الوفاء بالرغم من تبدل الزمان والمكان .

وقد أجمع مؤرخوه وخصومه جميعا على جلال قدره ، وتعدد جوانبه ، فهو الفقيه الشاعر الاديب المؤرخ ، وهو صاحب الذكاء المفرط والذهن السيال قال عنه الغزالى : «ان مؤلفه عن اسماء الله يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه » . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : ما رأيت فى كتب الاسلام من العلم مثل « المحلى » لابن حزم وقال الذهبى صاحب سير النبلاء : ان أعظم الكتب فى عصرنا اربعة أحدهما لابن حزم .

الإسلام ضرورة فطرية

الأستاذ عبد المنعم حمادة

يمر العالم فى هذا العصر الذى نعيشه وتعيشه البشرية جمعاء بمرحلة دقيقة وظروف عصيبة تحتاج من المسلمين جميعا فى كل بقاع الارض أن يكونوا على حذر من التردى فى المعاصى . وعلى يقظة من الوقوع فى الشراك التى تنصب لهم ومجابهة الصعاب التى توضع فى طريقهم وعلى معرفة بأضواء الفتن والمغريات التى تزين لهم المسالك والضروب لغوايتهم وفتنتهم عن دينهم الذى ارتضاه لهم الخالق جلت قدرته وتحويلهم عن منهجهم فى الحياة . وذلك المنهج الذى وضعه لهم رسولهم الامين صلوات الله وسلامه عليه وفق ما جاء به كتابهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

واذا نحن نظرنا فى تاريخ البشرية الطويل ، الضارب فى اعماق الزمن منذ ان خلق آدم عليه السلام ، وركبنا سفينة تمخر بحر الايام والسنين التى لا تحيط بأولها حصر ، وامعنا النظر فيما يحتويه هذا البحر لوجدنا امما وممالك اختلفت فى قدراتها الثقافية ، والاقتصادية ، وظروفها الاجتماعية ، واتجاهاتها العقائدية .. ومن هذه الممالك ما ضربت بسهم وافر فى الثقافة والاقتصاد ، والظروف الاجتماعية ، واستقامت لها عقائدها الدينية ومنها ما ضربت بسهم وافر فى الثقافة وضاقت امامها سبل الحياة ، وبعدت عن شاطىء السلامة والامن ، فتاهت فى خضم هذه البحر المتلاطمة امواجه ، ورات نفسها تتخبط فى ظلام دامس بينما الفساد قد نخر فى جسمها حتى تركها لاتقدر على التماسك والصمود .

وهكذا كان شأن العالم قبل بعثة الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – اشبه شىء بالجبل المنهار الذى يجابه الاعصار الشديد فاذا به رمادا تذروه الرياح ، او اشبه شىء بالقصر الشامخ الذى تداعت جدرانه فأصبح قاعا صفصفا يعشش فوقه الخراب كأنه لم يكن شيئا مذكوراً ، ظلام يخيم على كل ركن من اركانه ، وفساد ينطلق فى كل جانب من جوانبه ، وضلال يأخذ بخناقه ويقوده الى التفكك والانحلال .

كان هذا هو حال العالم قبل البعثة المحمدية ، وقبل ان يوحى ربنا ذو الجلال والاكرام الى محمد النبى الكريم بالدعوة الى دينه القويم الذى شاءت ارادته ان يجعله نعمة منه ينعم بها على البشرية بدليل قوله عز وجل : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .. كان العالم يهتز اهتزازا عنيفا يقوض اركانه ، وتنهار من قوته اعمدته .. يقول الاستاذ على عبد الحليم محمود فى كتابه « الدعوة الاسلامية دعوة عالمية » ، صفحة ٢١ :–

« بعث الله رسوله محمدا – صلوات الله عليه – والعالم اشبه ما يكون ببناء اصيب بزلزال شديد هزه هزا عنيفا جعله يبدو وان كان كل شىء فيه باقيا لم يذهب الا آن منه مانكسر ، ومنه ما التوى ، ومنه مافارق محله اللائق به وشغل مكانا آخر ، ومنه ما تكدس وتكوم .. فى وسط هذا الخليط المتداعى نظر الرسول الى العالم بعين الانبياء فرأى ، ويا لهول ما رأى .. رأى انسانا هانت عليه انسانيته فسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل مالا يملك لنفسه النفع او الضر » .

كان الانسان الذى خلقه ربه فسواه واكرمه وجعله خليفته فى الارض ، قد فقد الكرامة التى أنعم بها عليه الخالق سبحانه وتعالى ، وامره ان بطيعه فيفعل الخير الذى طالبه به ، ويبعد عن المنكر الذى نهاه عنه ، حتى يحفظ لنفســه كرامتها ، ويبقى عليها . فلما فرط فى الامانة التى اودعها الله فيه ، فسـدت عقليته ، فلم تعد تستسيغ البديهيات ، وتعقل الجليات ، وضل تفكيره وقاده الى الطريق المعوج الذىلا تستقيم معه الامور ، واذا به يرتاب فيما لا يستوجب الريبة ، واذا به يشك فيما لا يستأهل الشك ، واذا بهينكر التوحيدوهو اساس العبادة ، واذا به يتخذ اربابا آلهة من دون الله لاخير فيها ولا غناء ، واذا به يتخـذ الوانا من هذه الالهة كالشمس والقمر ، والنـار ، والاحجار الصماء ، والاصنام الجوفاء وغير هــذه وتلك من المعبودات التى ما انزل الله بها من سلطان .

ونظر الرسول الذى بعثه ربه هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فرأى : « مجتمعـا هو الصورة المصغرة للعالم : كل شىء فيه فى غير شكله ، او فى غير محله ، قد اصبح فيه الذئب راعيا ، والخصم الجائر قاضيا ، وأصبح المجرم فيه سعيدالحظ ، والصالح محروما شقيا .. ليس انكرفى فى هذا المجتمع من المعروف ، ولا اعرف من المنكر ، كما يقول الاستاذ على عبد الحليم محمود فى كتابه السابق الاشارة اليه ،لقد ساء تفكير الناس ، وفسـدت اتجاهاتهم ، وانحرفت طبيعتهم ، مـع ان الانسان خلق وفى نفسه ميل الى الخير ، كما فى نفسه ميل الى الشر ، وقد اختلف الباحثون والمفكرون منذ القدم فى طبائع الانسان وغرائزه ، فمنهم من قال انه خلق خيرا بطبعه ، وان الشر طارىء عليه ، ومنهم من قال انه خلق شريرا بطبعه وان الخير طارىء عليه .. ومن هؤلاء الباحثين والكتاب من ذهب الى ان الناس ليسوا سواء ، فمنهم من خلق خيرا بطبعه ، ومنهم من خلق شرا بطبعه ، ونادوا بأن مايكون عليه الانسان من خير او شر من الامور التى لاتقبل التغيير والتبديل ، يقول فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمد فرج السنهورى فى كتابه « حاجة المجتمع الى الدين » ، صفحة ١١ ، غير ان : —

« ما ورد فى الكتاب الكريم وفى السنة الصحيحة ، وما استنبطه الائمة المحققون يهدينا الى الطريقة المستقيمة ، ويوجهنا التوجيه الصحيح ، وهو ان الانســان قد ركبه الله جلت حكمته من عنصرين ، الروح والمادة ، فالعنصر الروحى هو الروح اى النفس الانســانية ، النفس الناطقة العاقلة المفكرة المتخيـلة ذات الاحاسيس والمشـاعر ، وهى لطيفـة ربانية من امر الله سبحانه ، اى من عالم الامر ، عالم الملا الاعلى ، عالم الكمال ، والعنصر المادى ، وان كان للعنصر الروحى كالوعاء وكالالة فى يد العامل ، له خصائصه ومميزاته ، وله حاجتهومطالبه التى يوحى بها الى الروح ، وله اغراؤه ، والروح متى اتصلتبالمادة حجبتها عن عالمها وانتسـبت اليهـا وتعشقت لذائذها ، واستجابت لما توحى به ، واصبحت فى عالمها الجديد بين امرين ،طيب عنصرهاوفطرتها ،والايحاءات التى تتلقاها من مستقرها ومستودعها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخــرى ، فالروح حين تنفخ فى الجسد لم يخلقها الله سبحانه الخلق الكامل المستجمع لكل اطوارها ، كما لم يخلقها جل شأنه جامدة ضعيفة غير قابلة للنمو والمقاومة ، بل خلقها وليدة تساير فى نموها وبلوغ اشدها نمو البدن وتدرجه فى القــوة ، منطوية على كل أمكانيات الكمال ، وقابلة بفطرتها وحكم العالم الذى انتقلت اليه ، كما يشاء الله ، من درجات الترقى أو درجات التجلى والانحطاط ،فهى منذالبداية احوج ما تكون الى التعهد والتربيـــة والتأديب والتهذيب » ..

ويستمر الشيخ فرج السنهورى فى بيان حاجة النفس الانسانية الى التهذيب ويستمر فى هذا التحليل المنطقى الجميل الى ان يقول : —

« **فالنفس الانسانية ابان اتصـالها بالجسد فى حاجة الى التربية والتـاديب والتهذيب والهداية ، وهى قابلة للترقى فى معارج الخير حتى تبلغ درجة الاشراق والقرب فى عالمها الاصلى ، كما انها قابلة للتدلى والانتكاس حتى تصل الى حضيض شر الدواب ، فى احوج ماتكون الى تربية القوى الذى يقوم على حراستها ويكفل لها الهداية والسير فى طريق الخـير والاعمال الصالحة لها نفسها وللمجتمع الذى تعيش فيه ، وكلما ازدادت قوة الوازع كان ابلغ اثرا واعظم نفعا .. وهو انما يستمد قوته من مصدره ، ومن منهجه ، ومن الاثار التى تنجم عن اتباعه او عن مخالفته .. ومن الناس من يعتمد على الوازع الخلقى ، وازع الاداب والعادات والتقاليد ، ومنهم من يعتمـد على الوازع العقلى وحده ويرى فيـه الكفاية ، ومنهم من يتجه الى الوازع القانونى ، الوازع الذى يخلقه قانـون الجريمة والعقاب الوضعى .. وهنـاك الوازع الدينى ،وازع الالهى المستمد مما شرعه الله سبحانه لعباده وسنة العليم الخبير لهدايتهم** » .

ونظر الرسول حوله فاذا العالم يتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، الظـلام العقلى الذى انحرف بالتفكير فانســاق الناس وراء المعتقدات الباطلة ، والاوهام الكاذبة ، والافكار الفاسدة .. والظلام الاخلاقىالذى انحدربالناس الىالموبقات ، فجروا وراء الضلال الذى هوى بهم الى الهلاك ، وقادهم الى المحرمات من تعاطى الخمور ، واغتصاب الاموال ، والطمع والشهوة ، والظلم والقسوة الى حد واد البنات وقتل الابرياء واستعباد العباد والبلاد ، واعلان بعضهم التعبد والخشوع لانفسهم من دون الله .

ونظر النبى بالهام من الله ، وثاقب نظره ، وبوحى من فطرته ، فاذا العالم — وهذه هى حاله التى كان عليها قبل الدعوة — كان فى اشد الحاجة الى وازع دينى ، يعيد الناس الى فطرتهم السليمة المستقيمة ، وحينما نقول ذلك فانما نعنى انه كان فى حاجة الى دعوة اصلاحية تعيده الى الفطرة التى فطر عليها الناس ، اى الى الدين القوى الذى يقود الى الطريق الحق ، فالدين هــو الفطرة التى فطر عليها الانسان .. يقول الدكتور احمد محمود البربرى فى كتابه « الدين بين الفرد والمجتمع » ، صفحة ٣٥ : —

« **فالدين من صميم الفطرة .. شأنه فى ذلك شأن كل الصفات الفطرية الاخرى التى جبلت عليها النفس الانسانية ، ان كل نفس تحس فى اعماقها بالله ، وعلى نحو من الانحاء ، ولا اعنى بذلك ان كل انسان يحس بالله سبحانه بالصــورة الحقيقية الصحيحة ، بل ان تصور الحقيقة الالهية قد ينحرف على اختلاف درجـات الانحراف ، بل وقد يصل هذا الانحراف الى الالحاد ، ومع ذلك أقول انه بقى فى صميم الفطـرة ذلـك الادراك العجيب لوجود خالق قوى جبار لهذا الوجود** ».

وبناء على ماجاء به القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل ، وبناء على ما قرره من ان الدين امر فطرى فطر الله عليه جميع خلقه بدليل قوله عز من قائل فى سورة الروم « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر النـاس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** » .. وبناء على ما قاله الحق تبـارك وتعـالى وهـو أصدق القائلين ، من ان الدين هو الفطرة التى فطر الناس عليها ، وانه لا تبديل لخلق الله ، نستطيع ان نقرر عن ثقة ويقين ، وبايمان قوى ، ان اتجاه الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — الى البحث فى الكون ، والنظر فى بديـع خـلق السماوات والارض ، كان بدافع من الرغبة الملحة فى الوصول الى ضالته المنشودة التى امتلأت بها نفسه ، ومن الشوق الزائد ، والتطلع القلق الى

الاهتداء الى هذه الفطرة او هذا الدين القيم الذى يتجه بالبشرية الى الطريق المستقيم بعد ان يهذب نفوسها ويربيها على الخير ، ويقوم اعوجاجها ، ويرشدها الى التقوى والصلاح ، ويوجهها الى عبادة الله وحده لاشريك له ، ولا تصريف للامور الا بارادته .

ورغبة فى العثور على هذه الضالة المنشودة ، والاهتداء الى هذه الفطرة السليمة ، او هذا الدين القويم ، اتجه الرسول الكريم ، بوحى من الله ، الى غار حراء ليتعبد ، وليقلب نظره فى خلق السماوات والارض ، والوقوف على عظمة الحق تبارك وتعالى ، والتماس صفاته فى آثار مخلوقاته .. انفرد محمد بنفسه منقطعا الى تأملاته رغبة فى الاهتداء الى خالق الكون ، والتوجه اليه بالعبادة بعد التصديق والايمان ، فالتصديق والايمان بعد الاهتداء الصحيح يصبح عقيدة لاغنى عنها للفرد ، فالعقيدة ضرورية لازمة لكيانه ووجوده .. **يقول الدكتور احمد محمود البربرى فى كتابه الذى سبق الاشارة اليه ، صفحة ٤٦ :ـ**

« ان الدين فطرة ، وان النفس الانسانية جوعة فطرية تدفعها الى محاولة معرفة خالقها .. وبالتالى ان تكون لها عقيدة تربطها بهذا الخالق وتحدد علاقتها به ، ثم تنعكس على واجباتها نحو نفسها ونحو غيرها من الناس ، وتلك « الفطرة » فى النفس الانسانية طبيعية جدا ومنطقية جدا ، فان كل موجود يدين بوجوده للواجد وحده ، فهو « الموجود » وبالتعريف .. وكل ما سواه موجود بوجوده ، قائم بارادته .. فلا غرو اذن أن تكون فى الفطرة البشرية تلك المقدرة العجيبة على التوجه لمعرفة واجدها ، والبحث عنه ، والوصول فى شأنه الى قرار تطمئن وتستريح اليه » .

كان محمد يذهب الى غار حراء بعيدا من الناس ، منقطعا عن الدنيا ابتغاء التماس الحقيقة ، والوقوف على ذلك الشىء الخفى الذى تستريح اليه نفسه ، ومعرفة حقيقة الفطرة او الدين او المنهاج الذى شرعه خالق الوجود لهداية الناس واصلاح شئونهم ، والارتفاع بهم الى مايريده لهم من سمو ومن عزة ، وهو كان يلتمس ذلك فى آثار الحق تبارك وتعالى ، وفيما يرى من عظمته وقدرته سبحانه فى خلق الوجود .. **يقول الدكتور حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » : صفحة ١٢٨ :ـ**

« ولم يكن يطمع ـ اى محمد ـ فى ان يجد فى قصص الاحبار وفى كتب الرهبان الحق الذى ينشد ، بل فى هذا الكون المحيط به : فى السماء ونجومها وقمرها وشمسها ، وفى الصحراء ساعات لهيبها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة اللالى ، وساعات صفوها البديع اذ تكسوها اشعة القمر واضواء النجوم بلباسها الرطب الندى ، وفى البحر وموجه ، وفى كل ما وراء ذلك مما يتصل بالوجود وتشمله وحدة الوجود .. فى هذا الكون كان يلتمس الحقيقة العليا ، وكان ابتغاء ادراكها يسمو بنفسه ساعات خلوته ليتصل بهذا الكون وليخترق الحجب الى مكنون سره » .

لقد ادرك الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بوحى من ربه ، وبعقله الراجح ، وفكره الثاقب ، وبوحى من فطرته السليمة ، وتفكيره العميق ، وحسن بصره بالأمور ، أن العالم لايمكن ان يستقيم له حال مالم تربطه بالسماء وشيجة من وشائج التقرب والاذعان بالايمان ، وشيجة من وشائج المدد الذى لا ينضب معينه ، المدد الذى يقوى العزائم ويشحذ الهمم .. وليس من شك فى ان هذه الوشيجة تكمن فى الضمير الدينى الذى يربط الانسان بالرقيب الذى لاينام ، وبالعالم الذى لايجهل ، وبالقوى الذى يؤمن الانسان بقوته ، والذى يتلقى منه نظم حياته ، وليس من شك فى ان معرفة ذلك الرقيب العالم ، القوى القاهر ، موجودة كامنة فى الانسان فهى امر فطرى فيه .. **يقول الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر السابق :ـ**

« فطر الانسان ، منذ خلق وكون ومنح العقل والادراك ، على ان لهذا الكون ـ الذى يقلب بصره فى ظاهره ، وفكره فى باطنه ، ثم يرتد اليه بصره وهو حسير ، وينكمش عقله وهو كليل ـ ربا ، خلقه ونظمه ، وشد بعضه الى بعض ، حتى أفرغ عليه وحدة متماسكة ، تنطق بوحدة الخالق المدبر ، وبهيمنته عليه ، عن طريق العلم الذى لا يعزب عنه شىء ، والحكمة التى لاتضل فى شىء ، والقدرة التى لا تعجز عن شىء ، سبحانه « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » .

ان الله سبحانه وتعالى منزه عن الوصف ، لايمكن ان يشابه الممكنات فى شىء من صفاتها ، فليس بجسم ولا عرض ، ولا محدود ، ولا متحيز ، ولا يستطاع ادراكه الا بآثاره ، كما قلنا ، وهو غير قابل للحلول ولا للصعود ولا للنزول ، وقد حاول اعرابى ان يصل الى وصف الله ، تنزهت ذاته ، فلم يستطع على ان يزيد على القول بفطرته السليمة :
« البعرة تدل على البعير ، واثر الاقدام يدل على المسير ، فسماء ذات ابراج ، وارض ذات فجاج ، كيف لاتدلان على الخبير اللطيف ، اولم يزد احد الانجليز على ان يقول فى وصفه ، كما جاء فى كتاب « الاسلام دين الفطرة والحرية » للاستاذ عبد العزيز جاويش ، صفحة ٤٣ : ـ « ان فى القرآن الكريم آية لا امل فى تكرارها ولا من ترديد النظر فيها ، جاءت فى وصف الله تعالى بما ليس فى استطاعة احد من ائمة الاديان الاخرى ، على ذكائهم وسعة اطلاعهم ، ان يأتوا به ، ثم قال ما ترجمته بالانجليزية تلك الاية الكريمة ، اية الكرسى : **الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات ومافى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » .**

هذا الضمير الدينى الفطرى فى الانسان ، وهذه النزعة القوية الكامنة فى نفس هذا الانسان ، تلك النزعة التى تدفعه الى محاولة استجلاء حقيقة هذا الوجود وخالقه ، كانا وراء الشوق الملح عند محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وكانا من خلف الدافع القوى الى الانفراد بنفسه ، والبعد عن الناس ، ليخلص له تفكيره ، ويستبين له ما يبحث عنه من سر هذا الخالق وعظمته .. ولقد كان محمد يستعين فى تفكيره ، وفى بحثه ، بما يطمئن اليه هو نفسه ، وبايحاء من الله عز وجل ، ويرى فيه وجه المنطق ، وبمسايرة نواميس الطبيعة ، بعكس غالبية الناس فى زمانه ، الذين بنوا قضاياهم وافكارهم على الخيال ، او الوهم ، أو الشاعرية ، لذلك استطاع الرسول الكريم بايحاء من السماء ان يضع اصبعه على الحقيقة فيفجر طاقات هائلة من الهداية والرشاد ، بينما ضل الاخرون ، وتشعبت امامهم السبل .. **يقول الاستاذ عبد العزيز جاويش فى كتابه السابق الاشارة اليه ، صفحة ٤٣ :**

« أن علماء المنطق بنوا عقائدهم وقضاياهم على البرهان العقلى فأمكنهم ان يسلموا بأن من الاشياء مالا يمكن للعقل ان يحيط به ، بخلاف السواد الاعظم من العامة ، فمعظم افكارهم وقضاياهم اما خيالية أو وهمية ، او شعرية ، فلا يكادون يبنون شيئا من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر صحيح وفكر سليم ، ومن هنا نشأت ، كما يظهر ، الاديان الوثنية فى كل امة وفى كل جيل وفى كل زمن ، فاختلفت لذلك صور الالهة باختلاف ما صوره خيال معتقديها » .

من هنا .. ومن اختلاف تصور الالهة .. اختلف الضمير الدينى فى الانسان واختلف التعرف على الواحد .. فتاهت الافكار فى غياهب هنا

الاختلاف ، والانحراف للتفكير عن جادة الصواب ، وتشعبت الحقائق حتى ضل الانسان الطريق فى زحمة هذه الالهة وهذه المعتقدات التى ملات الممالك والامصار فى ذلك الوقت .. وكان لابد ، والحالة كذلك من رعاية السماء حتى تكسر حدة هذه الضلالات ، بل وحتى تقضى عليها وتعيد البشرية الى الطريق الصواب ، طريق الحق تبارك وتعالى ، الواحد الصمد ، الذى لاشريك له ، له ملك السماوات والارض ، بيده الامر وهو على كل شىء قدير ..

وقد تجلت هذه الرعاية فى رسالة نبينا وامام المجاهدين — محمد — صلى الله عليه وسلم — وفى الاسلام الذى بعث به ليكون خاتمة الرسالات كلها : **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .. « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** » وليكون الرسول الكريم نذيرا للعباد من عذاب يوم عظيم ، « **وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه ، قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين . او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** » .. وليكون فى الشريعة السمحة التى انزلها على رسوله اصلاح شأن العالم الانسانى ، والقضاء على ما كان سائدا من الضلال المطبق .

ان الضلال الذى كان يغمر العالم ، وان الظلام الذى كان يخيم على جميع اطرافه ، والفجور الذى عم على جميع جوانبه ، والقسوة والظلم اللذين ملا قلوب اهله ، والطغيان والجبروت اللذين ملكا قياد العباد ، والفساد الذى انحدروا اليه ، والتنكر للمعبود الواحد جل جلاله ، واتخاذهم الهة اربابا من دون الله .. كل هذا قد اوجب هذه الرعاية الالهية ، وقرب عناية السماء لتبسط يدها الحانية

لقد كان العالم وسط هذا الضلال الذى غمر جميع النفوس والقلوب ، وفى خضم هذا الظلام الذى اطبق على جميع الاركان ، فى حاجة الى هداية السماء ، الى الدين الذى تستقيم معه الامور .. كان لابد اذن من تصحيح عقائد الناس ومعتقداتهم ، بدين كامل متكامل يجمع شرعة الله كلها ، والفضائل والمحاسن التى يجب ان يأخذ بها هذا الانسان للنجاة بنفسه الى شاطىء السلامة والامن ، الذى يؤمن به ويقبل عليه بقلبه وحسه ومشاعره الفطرية السامية ..

ولما كان الاسلام هو الدين الذى ارتضاه الحق تبارك وتعالى للبشرية كلها ، والذى لن يقبل من احد غيره هاديا لطريق الحق ، وعاصما للنفس من الشر ، ومنقذا للروح من الضلال ، فهو اذن الدين الواجب على كل نفس ان ترشد به ، وهو اذن دين الفطرة الضرورى للحياة .

يقول الاستاذ محمد احمد فرج السنهورى فى كتابه « حاجة المجتمع الى الدين » ، صفحة ٢٩ : —

« لا منجى ولا ملجأ للانسان فى هذه الحياة الا نفسه القوية الصافية المطمئنة وقواها الروحية الخيرة ، فهى وحدها التى تنجيه من المهالك وتقيه الانزلاق فى مزالق الرذيلة والتردى فى مهاوى الشرور والاثام ، وتحول بينه وبين طغيان المادة واغرائها وتحسن توجيهه فى جميع المناحى ، وهى خير هاد يهديه فى كل ما يأتى وما يدع مع نفسه ، ومع خالقه ، ومع اسرته ، ومع مختلف الافراد والجماعات ، ولن ينال الانسان من كل هذا حظه الاوفر الا من طريق الدين السماوى الالهى الذى ارتضاه العليم الخبير لعباده ، فهو خير مرب ومهذب للنفوس ، وافضل مصقال الارواح ، واقوى حارس يقوم على حراستها فى جميع اطوارها ، وليس كمثله فى هذا اية وسيلة من الوسائل الاخرى .

فليس الاسلام كما يفهم كثيرا من الناس ، دينا جديدا ، وانما هو — كما نص القرآن الكريم — دين الله ، اوحاه الى جميع رسله ، ارسل به اول رسول الى خلقه ، ثم ارسل به رسله تترى لافهام الناس على اختلاف عقلياتهم ، وتنظيمهم حسب اجتماعاتهم ، حتى كملت الانسانية وبلغت رشدها فى العقل والتفكير ، فارسل محمدا ، يجدد ويصدق دعوة اخوانه السابقين ، ويكمل ما يقتضيه النضج الانسانى ، والرشد البشرى وبذلك كان رسل الله كما صورهم رسول الله محمدا بناة بيت واحد ، وسعادة واحدة ودعوة واحدة « مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى دار باكملها واحسنها الا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة ؟ فانا اللبنة وانا خاتم النبيين » .

وعلى هذا كان الاسلام ضرورة فطرية لازمة للانسانية لاغنى عنه حتى تستقيم لها الحياة ، وتسير فى الطريق السوى .

من هدى الرسالة المحمدية

عن الحسن قال : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : « أوصانى ربى بتسع ، أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، وبالعدل فى الرضا والغضب ، وبالقصد فى الغنى والفقر ، وان أعفو عمن ظلمنى ، واعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » .

وقال له رجل : يا رسول الله ، أوصنى بشىء ينفعنى الله به ، فقال : « أكثر من ذكر الموت يسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر فانه يزيد فى النعمة ، واكثر من الدعاء فانك لا تدرى متى يستجاب لك ، واياك والبغى فان الله قضى انه من بغى عليه لينصرنه الله ، وقال: «**يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم** » ، واياك والمكر فان الله قضى ان لا يحيق المكر السيىء الا بأهله » .

وقال ايضا [صلوات الله وسلامه عليه] : « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم .. ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال واضاعة المال

الفن الإسلامي

الزخارف الايرانية

الاستاذة ثريا سيد أحمد نصر

ان تطور الفنون القديمة فى الشرق الادنى تم على يد الايرانيين ، وكان لهم بعد ذلك القسط الاعظم في الفنون الاسلامية . والواقع أن الترك نقلوا عنهم معظم أساليبهم الفنية .

ومما ساعد على ازدهار الطرز الفنية الايرانية أن ايران منذ القرن الرابع الهجرى [العاشر الميلادى] استعادت استقلالها السياسى والثقافى ، فبعثت المدنية الايرانية ، ونمت وترعرعت فى ربوعها الاداب والفنون .

ولا ريب فى أن الطرز الفنية الايرانية التى ازدهرت فى العصر الاسلامي زخرفية قبل كل شىء . وهى تشبه فى هذا الميدان سائر الطرز الفنية الاسلامية عامة . والواقع أنها تشبهها أيضا فى تجريد الموضوعات الزخرفية والبعد بها عن أصولها الطبيعية والجمع بينها وربطها وتوزيعها توزيعا يتجلى فيه التعقيد والبراعة والابتكار بدون أن يؤثر ذلك فى عناصر الزخرفة ذاتها .

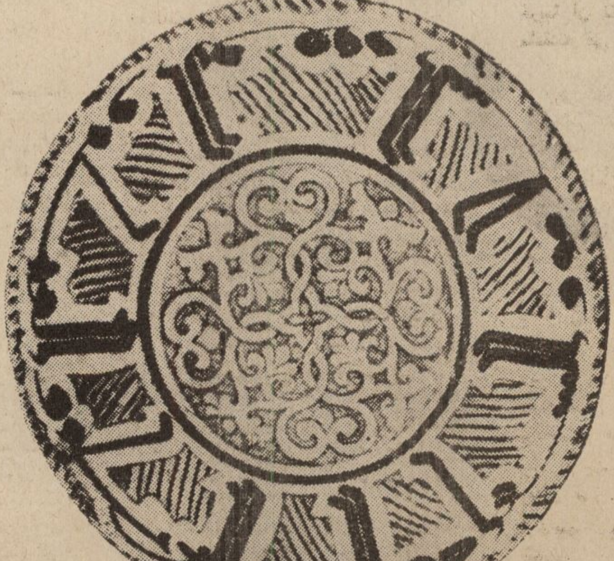

لوحة [رقم ١]
سلطانية من نيسابور : الزخارف كتابية وأرابيسك
ايران : القرن [١٠ م]

ونستطيع ان نقسم عناصر الزخرفة الايرانية فى الاسلام خمسة اقسام :

الرسوم النباتية والصور الادمية والصور الحيوانية والزخارف الكتابية والزخارف الهندسية .

ونلاحظ بوجه عام أن الثقافة الفنية القديمة فى البلاد التى قامت فيها الفنون الاسلامية كان لها أثر كبير فى توجيه الزخارف الاسلامية فيها ، فنرى مثلا ان الطرز الاسلامية التى ازدهرت فى الشام ومصر وشمالى أفريقيه والاندلس قد قامت على أنقاض اساليب فنية هلينية ورومانيه ، فسادت فيها الزخارف النباتية والهندسية ، بينما قامت الطرز الاسلامية فى العراق وايران على أنقاض الاساليب الفنية القديمة فى هذين الاقليمين . ولذا غلبت عليها الزخارف الحيوانية والادمية .

وقد كانت ايران أكثر الامم الاسلامية استخداما للصور الادمية فى زخارفها . ولكنا نلاحظ أن تلك الصور لها صفاتها الخاصة ، فالفنان لا يقصد بها الا التوضيح ، ولذا كانت فى أكثر الاحيان رسما تخطيطيا مجردا وملخصا . وليس السبب فى هذا مانعرفه من كراهية التصوير فى الاسلام فحسب ، وانما الحق أن الايرانيين لم يكترثوا بتلك الكراهية الى حد كبير ، وأنهم رسموا الصور الادمية فى الكتب وعلى التحف ، ولكنهم لم يتجهوا فى رسمها اتجاه الامم التى ورثت الفنون الكلاسيكية واتخذت جسم الانسان غرضا لذاته فنقلته كما هو واحترمت قوانين الرسم فى تصويره .

والواقع أن الايرانيين لم يكونوا على استداد فطرى لاتخاذ ذلك الاتجاه ، ثم أن الاسلام لم يكن من شأنه أن يشجعهم على اتخاذه .

وكانت آسيا منذ العصور القديمة أغنى القارات فى استخدام الزخارف الحيوانية ، بل أن الفن البيزنطى اخذ عن اشور وايران معظم ما استخدمه من حيوان فى رسومه وزخارفه . ولا غرو فقد كان الفن الايرانى فى العصور القديمة ثم فى العصر الاسلامى غنيا جدا بزخارفه الحيوانية .

ولعل أكثر الحيوانات والطيور التى استخدمها الايرانيون فى زخارفهم هى الاسد والفهد والغزال والارنب والطاووس والبط والخيل فضلا عن الحيوانات الخرافية التى تسربت الى ايران مع غيرها من الاساليب الفنية الصينية . كالتنين مثلا . والطائر الذى يتدلى من منقاره فرع نباتى على الطريقة الساسانية

وكانت الرسوم الحيوانية الايرانية فى بداية العصر الاسلامى تشبه كثيرا رسوم العصر الساسانى فى القوة . ولا سيما فى رسم المفاصل . كما كانت تشبهها أيضا فى اتباع التماثيل والتوازن ورسم الحيوانات والطيور متواجهة أو متدابرة ، أو رسمها متتابعة فى شريط من الزخرفة .

لوحة [رقم ٤]
تربيعات قاشانى فى قصر باصفهان
الزخارف تمثل الرسوم الادمية والزخارف النباتية
ايران العصر الصفوى : القرن [١٧ م]

وعلى اى الحالات فان الايرانيين لم يعنوا فى الزخارف الحيوانية بتقليد الطبيعة تقليدا صادقا الا فى العصور الذهبية التى تقدم الفن فيها . وفى الحقبات التاريخية التى تأثر فى اثنائها بالاساليب الفنية الصينية فى رسم الحيوان والنبات .

وقد كان من حسن حظ ايران أن الذين فتحوها من عرب وتتر وأفغان كانوا أقل منها فى المدنية وافقر فى الاساليب الفنية فلم يأتوا بشىء يطغى على العبقرية الايرانية طغيانا تاما . والامم التى كانت لها أساليب فنية زاهرة كالاغريق أو الصين أو الهند لم يقدر لها أن تغلب ايران على أمرها . ولذا بقيت السيادة الفنية فى الفنون الايرانية لايران نفسها وأخذت ايران عن تلك الامم كثيرا من الاساليب ، ولكنها طبعتها بعد ذلك بالطابع الاسلامى القوى . وظلت العبقرية الفنية الايرانية قوية وغالبة فى كل مراحل التاريخ الفنى الايرانى .

وهناك ميزة عامة فى الفنون الاسلامية ولكنها أظهر اتكون فى الطرز الايرانية ونقصد طموح الفنان الى الكمال الفنى ، وقدرته على الصبر واستهانته بالوقت فى هذا السبيل . ولا سيما فى الزخارف الدقيقة على التحف ، وعلى الخزف ، وعلى المنسوجات، وفى صور المخطوطات وبذلك تدرك الوقت والصبر اللازمين لها

والواقع ان هذا طبيعى ولازم الى حد كبير فى الفنون الاسلامية . وهى كما نعرف فنون زخرفية قبل كل شىء . وليس غريبا أن تكسب فى ميدان الزخرفة مافقدته فى الميادين الاخرى .

وقد وفق الفنانون الايرانيون فى العصر الاسلامى الى تعضيد السلاطين والامراء ولعل هذا من أعظم أسباب ازدهار الطرز الفنية الايرانية ، لان المصور الذى يقضى السنين فى تزيين مخطوط واحد ،والفنان الذى يعمل الاشهر الطوال فى انتاج تحفة أو اتمام زخرفة ، كل هؤلاء كانوا يحتاجون الى من يقوم بتقديرهم ، ويجزيهم عن هذه الاعمال خير الجزاء . وكان السلاطين والامراء هم الذين يفعلون ذلك ، ولا عجب فان الفنون الاسلامية عامة فنون ملكية الى حد كبير ، والامير وحاشيته هم الدعامة التى يقوم عليها الفن ، ويعتمد عليها أهله . اما رجال الدين فى الاسلام فلم يشملوا الفنانين برعايتهم كما فعلت الكنيسة المسيحية فى الغرب .

ومجمل القول أن أكثر الملوك والحكام فى ايران كانوا يقدرون رجال الفن وينفقون الاموال الطائلة فى تشجيعهم والانتفاع بجهودهم وتيسير سبل وآفاق العمل لهم .

ازدهرت صناعة الزجاج عامة فى مصر والشام زمن الايوبيين والمماليك ، وفى ظل رعايتهم ، وذلك فيما بين القرنين ١٢،١٥م . والراجح ان جذور اساليب تلك الصناعة ترجع الى العصر الفاطمى ، حين زينت التحف الزجاجية بالبريق المعدنى او بزخارف مدهونة تشبهه .

اما الزجاج المموه بالمينا فازدهرت صناعته بمصر والشام فى القرن ١٣ م، وبلغت اقصى رقى لها فى القرن ١٤ م . واهم مراكزه القاهرة ودمشق وحلب . وكان لهذا الانتاج شهرته فى اوروبا والشرق ، فاشتراه الحجاج الاوربيون من الشام ، كما ارسلت بعض تحفه الى الصين وامراء اليمن ، وكانوا شديدى الاعتزاز باقتنائها . وبعد فتح تيمور للشام واستيلائه على دمشق وحلب عام ١٤٠٢ م ، نقل مهرة صناع الزجاج الى سمرقند ، وحاول احياء هذه الصناعة فى بلاده لكنه فشل .

والمينا عبارة عن بودرة زجاجية مصبوبة ، فيرسم الصانع الاناء او المشكاة ، ثم يحدد الزخارف بأن يذهب القطعة اولا ، ثم يحدد بخطين بالمينا الحمراء ، ويملأ المينا بخطوط ذات الوان مختلفة .

الزجاج المموه بالمينا

الأستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل

ولقد انتشرت هذه الصناعة فى اقاليم عديدة من العالم الاسلامى،فعرفتها ايران والعراق . فعثر بمدينة الرقة على قطعة مكسورة ، فنسبت لها تحف كثيرة فى اوائل القرن ١٣ م ، ومعظمها كؤوس مفرطحة ، ومن اشهرها الكاس المنسوبة الى شارلمان والمحفوظة بمتحف شارتر . كما ينسب للرقة ايضا كأس ترجع الى نهاية القرن ١٢ م ، محفوظة بمتحف مدينة دواى تسمى « كأس القسس الثمانية » مزخرفة بأشرطة كتابية ودوائر وأشكال هندسية بها حبيبات ،لكنها اقل دقة من تحف الشام .

وينسب دكتور لام للفسطاط وحلب ودمشق بعض مجموعات من الزجاج المموه بالمينا . ولقد اهتم صناع الزجاج الفاخر بالرسوم الادمية فى زخارفهم ويتجلى ذلك فى دورق من هذا النوع كان محفوظا بالقسم الاسلامى بمتحف برلين ويرتفع ٢٨ سم ، ومحيطه ٥٩ سم ، مذهب وميناه متعددة الالوان ، والزخارف كتابية بخط الثلث على الرقبة باللون الازرق وسط فروع نباتية ، واسفل هذه العصابة شريط من الزخارف المجدولة ، وعلى البدن رسوم لاثنى عشر فارسا يلعبون الصوالجة وحول رءوسهم هالات، وفوق المنطقة حيوانات تجرى [ارانب ـ كلاب ـ غزلان] ، يفصل بينها وريدات من خمس فصوص ، ويعلو الافريز نباتات محورة . وزجاج هذا الدورق دقيق مضلع ، اما المينا فلقد وفق الفنان فى استعمالها ، وهذه القطعة الاثرية ترجع للقرن ١٣ م ، ويظن انها من صناعة حلب او دمشق .

ومن بلاد الجزيرة تميز قنينة من الزجاج المموه بالمينا وترجع الى سنة ١٣٥٠ م تقريبا . من مجموعة الامير يوسف كمال اوقفها على متحف الجزيرة برقم ٤٨٥ ، وارتفاعها ٢٩٫٥سم ويغلب على رسومها الموضوعات النباتية بأسلوب صينى به رسوم حيوانات، وميناه متعددة الالوان (ذهبى ـ ازرق ـ ابيض) ، وعلى البدن ثلاث جامات مستديرة على كل منها منظر ، فى احداها صورة جارية تعزف على آلة موسيقية (هورن) ، اوتارها ملونة بالمينا البيضاء ، وفى الثانية الجارية تضرب على الدف وسط مناظر طبيعية ، وفى الاخيرة شخص يرقص ممسكا كأسه ، وبين تلك المناطق صور لديوك تتعارك واوز ، وعلى الرقبة رسم للطائر الخرافى فينكس (العنقاء) . ويرجح الدكتور محمد مصطفى ان هذا الدورق من انتاج مصر فى اوائل القرن ١٤ م ، وتبادلها حكامها مع ملوك الصين ، فهى قطعة للتصدير تغلب عليها الزخارف الصينية .

المشكايات .

فى الحديث عن الزجاج المموه بالمينا لانستطيع ان نغفل المشكايات ، اذ برع المسلمون فى صناعتها ، وبمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة اغلب هذه التحف النفيسة ، يليه متحف المتروبوليتان بنيويورك .

والمشكايات اغطية مصابيح ، فلا يوضع الزيت والفتيل بها لاضاءتها مباشرة ، بل توضع فى مسرجة مثبتة بحافة المشكاة. فهى تمثل الغلاف الخارجى، ولكل مشكاة مقابض او آذان تشبك فيها ثلاث سلاسل او اكثر من نحاس اصفر او فضة تتجمع عند كرة بيضيه او مستديرة تبدأ عندها السلسلة التى تعلق بها المشكاة فى السقف ، ورقبة المشكاة على شكل قمع ، وبدنها منتفخ مسحوب لاسفل ينتهى بقاعدة تقوم عليها المشكاة اذا لم تعلق ، ويلاحظ ان الكرة البيضاوية حلقة اتصال بين المشكاة كبيرة الحجم والسلسلة الطويلة الرفيعة ولتوجد التناسق الذوقى بينهما .

وزجاج المشكايات ابيض يميل الى الصفرة او الخضرة ، وبه فقاعات هواء لاتصل الى درجة تشويهه ، وترجع الى عيوب فى الزجاج الشرقى . اما مينا المشكايات فالوانها حمراء وخضراء وزرقاء وبيضاء بلون وردى .

اما زخارف المشكايات فتتناسب مع الوسط الدينى التى عملت من اجله ، فترى اشرطة من الكتابات النسخية المملوكة تحمل آيات قرآنية ، وعبارات دعائية او كتابات تاريخية ، تتخللها رنوك [شارات] اصحابها من سلاطين او امراء ، مثل رنك الكأس على مشكاة الامير شيخو [شكل ٢] وترجع الى عام ٧٥٨هـ تقريبا ، وارتفاعها ٣٩٫٥ سم ومحفوظة بالمتحف الاسلامى برقم ٨٢٨ .

ومن الكتابات التى شاع استخدامها لزخرفة المشكايات [الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ـ المصباح فى زجاجة ـ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر ـ عز لمولانا السلطان الملك الظاهر ابو سعيد نصر الله ـ عز لمولانا السلطان الملك الناصر الدنيا والدين حسن بن محمد عز نصره] ويلاحظ شيوع الغلطات الخطية على تلك التحف النفيسة .

كما زخرفت المشكايات ايضا بموضوعات هندسية ونباتية ، واحيانا اشكال طيور ، ورسمت الوحدات الزخرفية بالالوان الذهبية والحمراء والخضراء ، وغالبا ما تحدد بخطوط حمراء رفيعة ، وبعض المشكايات تغلب عليها رسوم نباتية كالوريدات وزهرات اللوتس والخطوط المتشابكة .

وتشير الى وجود مشكايات مزخرفة ليس مجال التعرض التفصيلى لها فى هذا المجال لانها مصنوعة من غير الزجاج المموه كالتى صنعت من الخزف من نوع رودس ذات ثلاث مقابض وعليها كتابات قرآنية واسفل الرقبة شريط من جديلة ترجع للقرن ١٦ م وترتفع ٢٨ سم من مجموعة الامير يوسف كمال ايضا واوقفها على متحف الجزيرة برقم ٣٥٩ .

ومعظم المشكايات المدهونة بالمينا ترجع الى القرن ١٤ م ، وتعرف اربعة منها تنسب للقرن ١٣ م وهى :

١ ـ مشكاة باسم الامير عيد كين البندقدارى المتوفى ٦٨٤ هـ [محفوظة بالمتروبوليتان] .

٢ ـ مشكاة باسم السلطان الملك الاشرف خليل المتوفى ٦٩٣ هـ ـ تحمل كتابات دعائية تدل على صنعها بعد وفاة السلطان ـ [محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة]

٣ ـ مشكاة باسم الاشرف عمر من سلاطين بنى رسول فى اليمن ـ المتوفى ٦٩٦ هـ [محفوظة بمتحف اللوفر] .

٤ ـ مشكاة باسم الناصر ناصر الدنيا والدين محمد عز نصره ، عثر عليها بمدرسة الناصر محمد وآخر كتابتها ٦٩٨ هـ ـ [محفوظة بمتحف الفن الاسلامى]

وهناك مشكايات ترجع للقرن ١٥ م منها :

١ ـ مشكاة باسم السلطان المملوكى المؤيد شيخ [مجموعة روبرت روتشيلد] .
٢ ـ مشكاة باسم السلطان المملوكى المؤيد شيخ [كانت بدير انطونيوس] ثم نقلت للمتحف الاسلامى .

٣ ـ مشكاة باسم الامير قانى باى الجركسى ، المتوفى ٨٤٥ هـ [بمتحف الفن الاسلامى]

ومن المشكاوات الفنية بالزخارف المشكاة المصنوعة من الزجاج المموه بالمنيا [شكل ١] للامير الملك الناصرى [او لملك الجوكن دار] بحافتها رنك عصوى بولو على ارضية خضراء ، وتركز المشكاة على قاعدة مخروطية الشكل متعددة الالوان ، وعلى البدن مناطق بها رسوم لطيور خرافية . وعلى عنق المشكاة كتابة نسخية مملوكة ممشوقة الحروف ومرموقة بالمينا الزرقاء ، وتتصل الحروف بعضها البعض بفروع من مينا بيضاء ذات وريدات حمراء وخضراء ، والكتابة مقسمة الى مناطق ثلاثة بوسطها ثلاث جامات مستديرة تضم كل منها شريط دائرى من وريقات نباتية مذهبة ، ويحيط الشريط دائرة تضم رنك عصوى البولو الصوالجة] مذهب على مهاد اخضر

ونص الكتابة : [مما عمل برسم المقر العالى السيف الملكى الناصرى] . وفوق واسفل الشريط الكتابى شريط آخر لرسوم نباتية مذهبة وزهور بالمينا الزرقاء والبيضاء والحمراء . وعلى بدن المشكاة شريط من زخارف نباتية دقيقة فيها مساحة عريضة بها ستة آذان لتعليق المشكاة ، كل منها فى وسط منطقة لوزية الشكل ، وفى المساحات المحصورة بين الاذان زخارف فى مناطق على شكل شبه منحرف ذى ضلعين منحنيين ، فى ثلاث من تلك المناطق رسوم لزهور بالمينا الزرقاء والحمراء والصفراء والبيضاء ، وفى الثلاثة الاخرى رسوم طيور مذهبة تحلق وسط وريقات

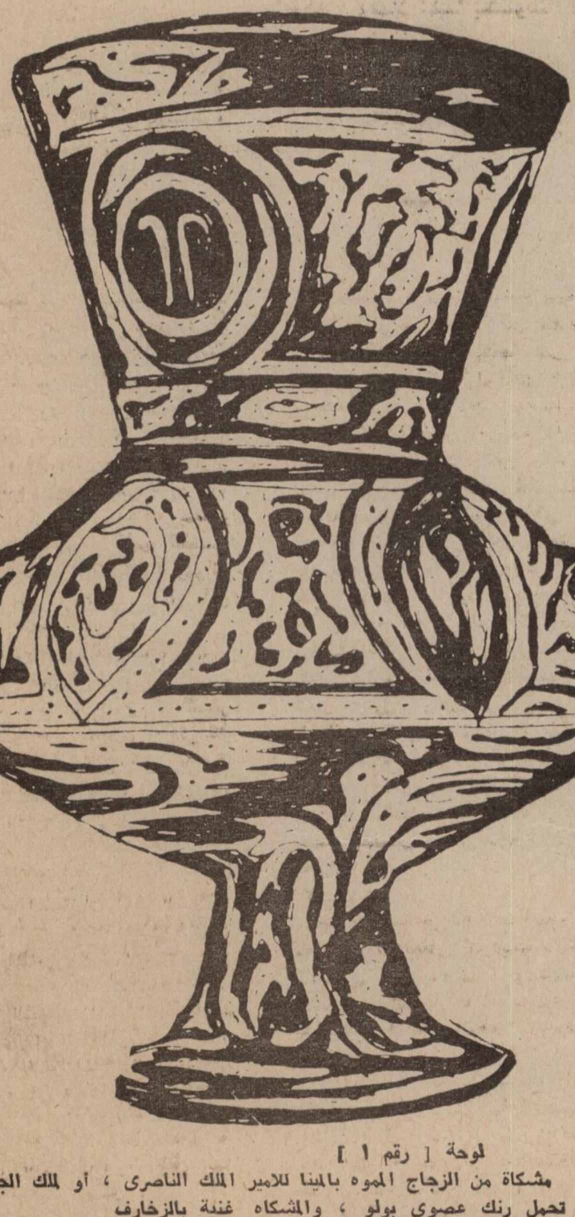

لوحة [رقم ١]
مشكاة من الزجاج المموه بالمينا للامير الملك الناصرى ، أو لملك الجوكن دار ، تحمل رنك عصوى بولو ، والمشكاه غنية بالزخارف [محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة]

بنيها • وأسفل البدن زخارف من رسوم حمراء مذهبة ، عليها نقط من المينا الزرقاء والبيضاء والحمراء • ومن هذه الزخارف ثلاث جامات مستديرة تضم رنك عصوى البولو ، يفصل كل جامة عن الاخرى رسم وريدة متعددة الفصوص ، تجدها فى شكل خط رفيع من المينا الزرقاء تزينها الفروع النباتية • وقوام الزخرفة على قاعدة المشكاة شريطان من رسوم لوريقات نباتية بينهما منطقة عريضة بها رسوم زهور ذات الوان براقة • وارتفاع هذه التحفة ٣٤٫٥ سم وقطر بدنها ٢٣ سم ، ومحفوظة بمتحف الفن الاسلامى برقم ٣١٢ وترجع هذه القطعة الى عام ٧١٩ هـ •

وتحديد اقاليم صناعة المشكايات ادى الى اختلاف الاراء عند مؤرخى الفنون ، منهم من يرجعها الى الشام لنهضة صناعة الزجاج بها فى العصر الوسيط ، ويرى المرحوم زكى حسن ان الاخذ بهذا الرأى يجعلنا ننسب معظم المشكايات للقرن ٨ هـ ، وبالتالى تنسب للغزوات المغولية ، اذ استولى تيمورلنك على دمشق ٨٠٣ هـ ، ونقل مهرة الصناع الى سمرقند • واصحاب الرأى السابق يعللون ندرة المشكايات فى القرن ١٣ م الى الحروب الصليبية التى اندلعت فى المنطقة ، وتعذر الاتصال بين مصر والشام بسببها • وهناك فريق آخر ينسب المشكايات المملوكية الى مصر لعراقتها فى هذا المضمار ، واقتصادا فى النفقات ، وان زخارفها تشبهما على العمائر والتحف المصرية الاسلامية فى تلك الفترة ، وهذا ينطبق فى رأيهم فى مشكاة السلطان حسن المزينة بزخارف تتفق مع زخارف تربته والرأى عند المرحوم زكى حسن ان مصر والشام زمن المماليك تكونان دولة واحدة غالبا ، ولهما عراقة فى صناعة الزجاج ، ونظرا لطبيعة تلك التحف من القابلية للكسر ، فانه لامبرر لتركيز تلك الصناعة فى اقليم دون آخر ، ويخلص الى ان هذه الصناعة الباهظة التكاليف ازدهرت فى البلدين معا وشهدت اقصى فترة ازدهارها فى منتصف القرن ١٤ م ثم بدأت بعد ذلك •

وعلى بعض المشكابات اسم الصانع ، فبالمتحف الاسلامى مشكاة على رقبتها بخط النسخ المملوكى [مما عمل برسم الجامع المعمور بذكر الله تعالى — وقف المعز العالى السيفى الماس أمير حاجب الملك الناصرى] ، والمعروف ان هذا الجامع شيده الامير الماس الحاجب عام ٧٣٠ هـ • وعلى قاعدة تلك المشكاة بالنسخى :

عمل العبد الفقير على بن محمد امكى [الرمكى ؟] غفر الله [له ؟] ، ونفس الفنان صنع مشكاة اخرى باسم الامير سيف الدين قوصون ٧٣٠ هـ محفوظة بمتحف المترو بوليتان •

وفى ختام حديثنا من المشكايات كأحد مصنوعات الزجاج المموه بالمينا تجدر الاشارة الموجزة الى الانية البديعة المصنوعة من الزجاج المموه بالمنيا ومنها طشت السلطان المؤيد اليمنى وهو من نوع زخارف المشكايات ، قوام زخرفته شريط عريض من كتابة نسخية مملوكية وسط فروع نباتية متشابكة مقسمة الى مناطق بينها دائرة ذات ارضية حمراء ، بها زهرة بيضاء ذات خمس ورقات هى شارة الاسرة الرسولية باليمن ، وترجع الى أوائل القرن ١٤ م •

لوحة رقم [٢]
مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ، للامير شيخو عليها رنك الكأس ارتفاعها ٣٩٫٥سم [محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة].

القصة

إسلام سلمان الفارسي

رضي الله عنه

الدكتور ابراهيم هلال

ما كان لسلمان ذلك الذى قطع تلك الرحلة الطويلة فى اعماق الزمن سعيا وراء التوحيد الخالص ، والتى بها هاجر من الوطن وهجر الابوين رغم حدبهما عليه - وهو لايزال فى يفاعة الشباب الاول ، وقطع آلاف الاميال من أصبهان الى الشام ثم الى الموصل ونصيبين ، ثم الى عمورية ، ومنها الى وادى القرى ثم الى المدينة المنورة ، وفى نهايتها يفقد حريته ، ويباع من يهودى الى يهودى !! . ما كان لهذا المسلم الحقيقى ، أن يتحمل كل هذا ، ثم يقنع فى النهاية بالعيشة الدون ، وحياة الاسترقاق عند رجل من اليهود . ثم هو يرى الاسلام أمامه تتأجج فورته ويشتد عوده : والكل يساهم المساهمة الفعالة فى سبيل اعلاء كلمته ونصرة رسوله .

ما كان لهذه الرحلة ، أن تقف عند هذا الحد ، ولا بد وأن يكسب صاحبها من تلك المكاسب الايمانية ، ولابد وأن يقف صاحبها تلك المواقف الاسلامية الخالدة . لابد وأن تأخذ هذه الرحلة مداها فى نفس صاحبها ، وأن يشعر بحلاوة الجهاد ، واعلاء مجد ذلك الدين الذى وهب حياته له . فما كان له ان يقنع بحياة الرق فى كنف ذلك اليهودى فى الوقت الذى وجد فيه أن المصادمة بدأت تأخذ طريقها ، ونقض العهود يتجه من اليهود الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

وما كان لرسول الاسلام الذى أحس بهذه المعانى كلها تجول فى نفس صاحبه الفارسى ، ثم لا يعينه على تحقيق غايته والوصول الى منتهى امله ، وهو الرسول الكريم الذى جاء بدين الحرية ، وتحرير البشرية من الرق لغير الله ، والوصول بالانسان المسلم الى درجة التكريم التى كفلها الله سبحانه وتعالى لاوليائه فى قوله تعالى « **ولقد كرمنا بنى آدم** »، «**أن اكرمكم عند الله أتقاكم**» . فليقف هو وأصحابه رضى الله عنهم تلك المواقف التى وقفوها من قبل فى مكة ممن اسلموا ، وكانوا أرقاء لغيرهم من الكفار كبلال الحبشى وصهيب الرومى وكثيرين غيرهم من العبيد نساء ورجالا ، والتى كان أبو بكر رضى الله عنه فارس هذه المواقف ، حتى لامه أبوه فى ذلك وكان لايزال كافرا وقال له : « يا بني انى اراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت انى انما اريد ما اريد لله عز جل » الخ .

انطلاقا من هذا كله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : كاتب يا سلمان . أى فاوض سيدك على العتق فى نظر عمل تعمله له ، او مال نجمعه لك فتقدمه له مقابل عتقك . فذهب سلمان الى سيده يفاوضه ، ولكن هذا السيد المتجبر يساوم ويساوم ، وأخيرا يشتط فى المكاتبة ، فيطلب من سلمان نظير عتقه ان يسلمه ثلاث مائة نخله يغرسها له سلمان فى أرضه ويسلمها له أحياء كلها ، يظل يسقيها ، ويتعهدها بالرعاية بعد الغرس حتى تشب، وتصير نخلا ، واذا ماتت واحدة من الغرس ، أبدلها سلمان بغيرها ، وتعهدها حتى تنمو وتصير نخلة .

ولم يكن هذا الشرط من العادة أن يتحقق ، ولا احياء هذا العدد الكثير بممكن لاى انسان ،وقد يقضى الانسان ـ فى مثل موقف سلمان ـ كل عمره فى غرس النخل واحيائه ولا يتحقق له مثل هذا العدد الذى تمسك به ذلك اليهودى القريظى فقد يغرس الانسان فى الموسم عشر نخلات فلا تحيا منها الا خمس على الاكثر ، فلم تكن موافقة هذا الرجل على المكاتبة بهذا الشرط موافقة على عتق سلمان أو مكاتبته على العتق ، وانما أراد بذلك أن يضرب على سلمان الرق الى الابد كى يظل يعمل عنده طول حياته فى احياء تلك النخيل ، فضلا عن أن يبهظه بأثمانها الى جانب ابهاظه له بأربعين أوقية من فضة أو من ذهب مخلوط » .

ذهب سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل له هذين الشرطين المجحفين واللذين هما بالنسبة لسلمان شىء وهمى ومتعذر التحقيق . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل هذين الشرطين بكل رحابة صدر وبكل تلبية لتحقيقهما ، واتجه الى الصحابة رضوان الله عليهم قائلا لهم : « أعينوا أخاكم » قال سلمان : فأعانونى بالنخل، الرجل بثلاثين ودية،[وهى فسائل النخل الصغار] ا والرجل بعشرين ودية : **والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما** عنده ، حتى اجتمعت له ثلاثة مائة ودية » .

وحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : اذهب ياسلمان ففقر لها [اى اصغر لها صغرها] فاذا فرغت ، فائتنى اكن انا اضعها بيدى ، قال سلمان : ففقرت واعاننى اصحابى ، حتى اذ فرغنا جئته فأخبرته فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى حديقة ذلك اليهودى وجعل الصحابة رضى الله عنهم يعاونون سلمان فى تقريب الودى الى الحفر والرسول صلى الله عليه وسلم يضعها بيده فى الحفر واحدة فواحدة ، حتى فرغوا منها جميعها ، وظل سلمان يتعهدها بالسقى الى أن تعدت مرحلة الانبات فنبتت جميعها لم تمت منها واحدة واستمر سلمان فى تعهدها حتى صارت نخيلا ، وحققت شرط القريظى بالنسبة لهذه الفقرة من المكاتبة .

قال سلمان : فأديت النخل، وبقى على المال وقد **كان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المال فسأل عن سلمان فقال ما فعل الفارسى المكاتب فقص الصحابة رضى الله عنهم على رسول الله صلى عليه وسلم ماتم بشأن النخل . فقال لهم : ادعوا سلمان لى . فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع اليه بمثل بيضة الدجاجة من الذهب وقال له خذ هذه يا سلمان فأدى بها مما عليك فأخذها سلمان وذهب الى مالكيه من اليهود قال : فأخذتها وزنت لهم منها ـ والذى نفس سلمان بيده اربعين اوقية فأوفيتهم حقهم منها . وعتق سلمان .**

وهكذا تبدو روح التعاون فى الاسلام فى قصة اسلام سلمان الفارسى ، كما بدت من قبل فى حياة غيره من العبيد الذين أسلموا ثم كان لهم من بعد شأن فى الاسلام وكذلك تبدو محاربة الاسلام للرق وتشجيعه للاحرار ولمن يريدون الحرية . وهى خاصة بارزة فى الاسلام شجع الله سبحانه وتعالى عليها كثير فى مختلف الايات والاحكام وبالاشادة بالمعتقين ومحررى الرقاب. مما جعل الفقهاء والمحدثين يبرزون للعتق بابا خاصا به بين ابواب الفقه والشريعة والاسلام اذ ينظر نظرة التقدير هذه للعبيد ، فانما هى نظرته الى الانسان الذى خلقه فسواه ، واودعه من المواهب مايمكن أن ينفع بها أمته ، لا فرق فى ذلك بين حر وعبد.ولهذا اذا حال الرق بين الانسان وبين ابراز هذه المواهب فلابد من القضاء على هذا الرق بأية وسيلة أو لا بد من القضاء على الرق ورفع نير العبودية لينفتح الطريق امام هذه المواهب وابرازها للوجود وقد انفتح الطريق ايضا امام سلمان وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم] بقية المشاهد قال سلمان : **فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حرا ، ثم لم يفتنى معه مشهد .**

وكان تدبير حفر الخندق حول المدينة كوسيلة للدفاع عنها ضد اليهود والمشركين من مختلف القبائل التى

البقية ص ١٨٦

قصة صناعة الدواء في مصر

وكيف حملت «صنع مصر»

تصدر الأدوية المصرية إلى ٤٥ دولة عربية وأسيوية وأفريقية وأوربية

هناك علاقة وطيدة بين المريض والدواء .. ومسئولية علاج المريض وتوفير الدواء تقع على عاتق وزارة الصحة بالدرجة الاولى ــ فوزارة الصحة مسئولة عن توفير الرعاية الطبية لكل مريض .. ومؤسسة الادوية مسئولة عن توفير الدواء للجميع .. وذلك لخلق مجتمع خال من الاوبئة والامراض ، ترفرف على أفراده الصحة والسعادة .

لقد بلغت معدلات الانتاج فى مصر ٨٧١ ٪ عن عام ١٩٥٢ وذلك بفضل مؤسسة الادوية ورجالها .

والامر المؤكد ــ على حد تعبير الدكتور فوزى السيد رئيس مجلس ادارة مؤسسة الادوية ــ أن الاستهلاك زاد كنتيجة منطقية لاشتراكية العلاج وتوفيره لكل مواطن .

ومع كل الاعتبارات ــ والكلام ما يزال للدكتور فوزى السيد ــ فان المؤسسة تمضى فى الانتاج والتصدير والتوزيع وكذلك الابحاث .

لقد كانت قيمة الانتاج من الدواء المحلى عام ١٩٥٢ نصف مليون جنيه وصلت عام ١٩٧٤ الى ٨ر٨٤ مليون جنيه . تغطى ٨٩ ٪ من جملة استهلاك الدواء الذى بلغ ٨ر٧٦ مليون جنيه عام ١٩٧٤ تنتج المؤسسة حوالى ١٤٠٠ دواء محلى يغطى ٤٠ مجموعة دوائية من مجموع ٤٤ مجموعة دوائية عالمية .

بلغت صادراتنا عام ١٩٧٤ اثنين مليون جنيه .

وهذا التقدم المذهل وراءه ٢٠ ألف عامل وفنى وصيدلى فى المؤسسة الام وشركاتها ومصانعها الاحدى عشر .. حتى تمكنوا من خلق صناعة من العدم .. صناعة حيوية تمس حياة كل انسان فى هذا الوطن .

ان أعلام شركات الادوية وفروعها ومصانعها أصبحت ترفرف بالحياة للعاملين فيها . وبالامل والطمأنينة للمرضى .. وبالثقة الكبيرة لثورة مصر الخالدة .

ان لمؤسسة الادوية ٤٥ علما تحمل اسمها فى ٤٥ دولة . وفى الطريق أعلام آخرى ترفع .. ومعها يرفع اسم مصر .

ان دوسيه صناعة الدواء المصرى يضم انجازات رائعة لم يتم تحقيقها وفق الصدف أو جزافا .. وانما بالجهد والعرق .. بالعلم والتخطيط .. بالاخلاص والمثابرة .. فكانت المسيرة الناجحة للدواء المصرى : سعرا وانتاجا واستهلاكا .

المؤسسة المصرية العامة للأدوية والكيماويات والمستلزمات الطبية

الشعر الإسلامي

آيات القدرة في مشاهد الطبيعة

فضيلة الشيخ الصاوي علي شعلان

فسبح بحمد الله فى ملكوته
واشهد جلال مقدر الاقدار
واقرا كتاب الكون وانظر ما حوى
من متعة الاسماع والابصار
طلع الصباح مع الربيع فاقبلا
يتساقيان سلافة الانوار
وسرى نسيم حالم وانى الخطى
يختال بين مباسم النوار
تلقى السماء على البنفسج لونها
كالنور تسكبه على الابرار
والاقحوان كانما هو فضة
فوق الزمرد رصعت بنضار
وعلى الغصون الخضر يانق الندى
دررا على استبرق معطار !!
والورد ياقوت تراه على الربى
عقدا ولكن ليس ن احجار !!
اهدى من العطر الندى رسالة
لينبه القمرى فى الاوكار !!
فغدا يترجمها نشيدا ساحرا
يصغى له سمع الخيال السارى !!
وتعيد هينمة الغدير غناءه
للشط والاغصان والاشجار !!
والصبح فضى الرداء كأنه
أمل الحياة ونشوة الافكار !!
فى الزورق الذهبى لاحت شمسه
ومن الغمام توشحت باطار !!
والنيل ليس يمل من اغداقه
والروض ليس يمل من تكرار !!
فانظر الى آثار رب قادر
سبحان ربى مبدع الاثار !!
ما بال افراح الطبيعة ها هنا
لم تمح ما فى الناس من أكدار ؟!
تلك الطيور الغاديات لرزقها
تسعى بعزمة مؤمن صبار !!
بالحب تملأ عشها والحب
ب٠٠يملأعيشهامنيمنة ويسار !!
ما أعجز الانسان عن درك المنى
يوما بمثل تآلف الاطيار ؟!
او لست مرآة الطبيعة فى الجما
ل٠٠وفى العلا والمجد والاكبار ؟!
من جاور الازهار فاز بعطرها
فوز الكريم بعشرة الاخيار !!
ورد وشوك فوق نبت واحد
لم يشك منه الورد سوء جوار !!
كن مثل انوار السماء هداية
أو مثل بعض الزهر فى الاثمار !!
وتعلم الاقدام من طير الربى
أو فابتسم يوما مع الازهار !!
سبح بحمد الله فى ملكوته
واشهد جلال مقدر الاقدار !!

أنا يارب بين يديك

الشاعرة روحية القليني

بحقــك لا تكلنى يا الهى
لغير نداك فياض العطــاء
وتعـلم انـنى روح أبــى
وأنت السر فى هـذا الاباء
فمـا اعتادت يدى مدا بذل
لغير الله فى نيـل الرجـاء
وما انهمرت دمـوعى خاشعات
لغيرك فى صـلاة الاتقيـاء
وتعلم يا الهى نبـض حبى
وهـذا الدمـع عنـوان الولاء
فـان قصرت ربى لا تلمنى
عييت وذاك بعض مـن حيائى
وكيف أصوغ شـكرى فى دعاء
وأين جـلال ربى من دعـائى
وهل يا رب ان صليت فجرى
وصبحى والضحى أو فى المساء
أحقق بعض ما أرجو رضـاء
وهمى أن أنال سنى الرضــاء
تركت ولى أمـرى كل أمـرى
لك اللهم نور الاوليــاء
وحـكمك دائمـا نور وعـدل
هو الحكم المنزه فى القضــاء
ومن يدرى سـواك مصير نفسى
وسوء الشر من حسن الجـزاء
أهـابك يا الهى حين أخـلو
لنفسى لا رقيب سوى السـماء
وكيـف أخاف مخلوقا وربى
عليم بالصغيرة فى الخفــاء
فحسبى الله فى سرى وجهـرى
وحسبى الله فى دنيـا الفنـاء
وحسبى الله أرضيـه فيرضى
وعنـد الله أسرار البقــاء
ومن يخش الاله بكل خطــو
يعنـه الله من وقع البـلاء
وكيـف اخاف غدر الدهـر يوما
ورب الكون فى الدنيـا وقائى
طبيبى ان مرضـت وحار طـب
وعنـد الله أسرار الشـفاء
أنا يا رب بين يديك عبــد
يحـب بلا نفـاق او رياء

مع موكب الاحرار

سفائننا عباب الماء حياها
وباسم الله مجراها ومرساها
واقبل موكب الاحرار يسبقه
على الشطين رايات رفعناها
أتى الاحباب من شرق ومن غرب
تهنينا وبالترحاب نلقاها
بساح الحرب هللنا وكبرنا
وقلنا فى نشيد النصر الله
وباسم الله أطلقنا شرارتنا
وغزوة بدر الكبرى أعدناها
بذور الغدر لم تنبت بتربتنا
جذور الشر ماتت واقتلعناها
ينوح على حطام الخط صانعه
وتنعى العصبة السوداء قتلاها
وكم يا مصر جابهنا جبابرة
وكم فى لحد سيناء دفناها
تعودنا الجهاد ومن مراتبه
الاستشهاد فى الميدان أسماها
وللسادات اسلمنا قيادتنا
فاوردنا من الغايات اقصاها
ونادى باتباع الحق أمته
وبالاوطان والايمان أوصاها
وأعلن أنور السادات للدنيا
أراضينا بأيدينا استعدناها
وبرأنا من العدوان شاطئها
وطهرنا من الالغام مجراها
فسيرى فى أمان الله قافلة
نزودها ونرشدها ونرعاها

الشاعر
محمد صلاح عفيفي

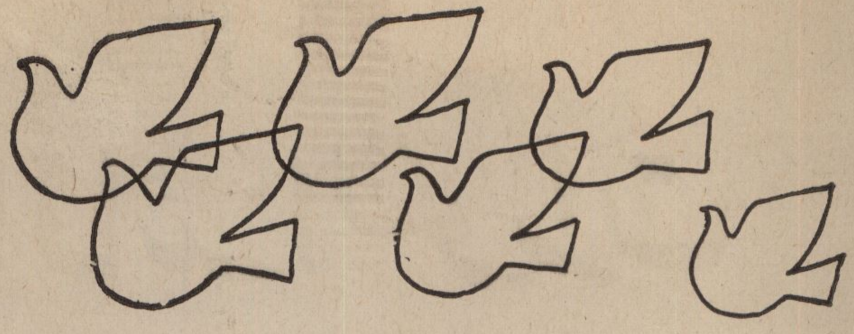

تعالى للقتال الحر عابرة
وزائرة وعائدة بذكراها
موانينا عروس فى تألقها
ورونقها يسر العين مرآها
عرفنا السعد فى ارجائها زمنا
وفيها أجمل الايام عشناها
نقبل تربها بل تبرها حبا
ونمرح بين منبتها ومرواها
أطل السحر براقا باعينها
أهل البشر نورا فى محياها
وضمتنا فما كانت سوى أم
وكنا خير أبناء فديناها
من التحرير للتعمير شمرنا
سواعدنا ومن عزم بنيناها
شهدنا اليوم بعد النصر أفراحا
وكان الامس أتراحا محوناها
هنا جندنا المجهوم نعرفه
فتى أعطى لها عمرا فأحياها
هنا البحران يمتزجان ألوانا
ويلتقيان حبا فى ثناياها
هنا الاغلال تحكى عن محطمها
هنا الاطلال مازالت بقاياها
هنا أحلام ماضينا وحاضرنا
هنا أعلى ربا مصر وأغلاها
وفتح قناتنا عيد لاولنا
وآخرنا وللاعياد معناها
فسجل أيها التاريخ خطوتنا
وعزتنا وأمجادا كسبناها

يا قائد الثورات

الشاعر
عبد المنعم عبد الله
حسن القن

حييتك مصر وشعبها حياك
يا قائد الثورات فى ذكراك
فى ثورة التصحيح من «مايو» التى
سهرت لترقب فجرها عيناك
لاحت فبددت الظلام وغدره
وأشع نور الحق من مسعاك
قد حطمت صرح الضلال فأشرقت
حرية الانسان ما أقواك ؟؟
وأزحت عنها قيد كل رقابة
فهى الطليقة فى ظلال حماك
فليعل صوت الحق خفاقا هنا
فسيادة القانون صيح نداك
شمس العدالة قد أهل ضياؤها
ببلادنا تزهو هنا وهناك
سقطت مراكز للقوى وتطهرت
مصر التى من أجلها محياك
زانت قيادتك الرشيدة عهدنا
فالعلم والايمان رسم خطاك
يا قائد الثورات ما من ثورة
فى مصر الا روحها دعواك
« يوليو ومايو » بل وقبلهما فكم
أعطيت مصر الام كل قواك
يا كم تحديت الزمان بقوة
فليفحم التاريخ بغى عداك
سريا ابن مصر فكلنا حرية
أرواحنا فوق الاكف فداك
هيا انطلق بطل العبور مؤيدا
شعب العروبة صامد ناداك
يا أنور السادات انا أمة
ثورية والكل رهن نداك
شرق وغرب ما أردت فأينما
تمضى فان الحق فى ممشاك
شرق وغرب ما أردت فأينما
تسعى فتوفيق العلا يلقاك
مادمت للحق المقدس داعيا
فالله جل جلاله يرعاك

إن من الشعر لحكمة ٥

فضيلة الشيخ
محمد خليل الخطيب

اى بنى أسمع وصـايا جمعت
سمع من يعمل كى تكفى الخطل
عمت النـاس لهـذا لم تكن
حكمـا خصت بهـا خير الملل
اطلب العـلم ولا تكسـل فمـا
بعضـه يعطيك ان لم تعط كل
خـاب فى الدارين كسلان ومـا
أبعد الخير على أهـل الكسل
واحتفـل فى الفقـه فى الدين ولا
فقـه فى الفقه اذا ضـاع العمل
اس مـا يقبله المولى فـلا
تشـتغل عنـه فمـا عنـه بدل
واهجـر النـوم وحصـله فمن
حصـل الفقـه على الفوز حصـل
واحتقر مـا فيـه انفقت فمن
يعـرف المطلوب يحقـر مـا بذل
لا تقـل قـد ذهبت أيامـه
جـد فيـه تبصر الغيث همـل
وابـغ مـا تبغيـه من سـنته
كل مـن سـار على الدرب وصـل
فى ازدياد العلم ارغـام العـدا
ورضـا الله وتحقيـق الامـل
وجمـال المـال انفـاق النـدى
وجمـال العلم اصـلاح العمـل
جمـل المنطـق بالنحـو فمن
جمـل المنطـق بالنحـو جمـل
مـا لمخطى الفعـل ان كان الذى
يحرم الاعـراب فى النطق اختبل ؟
انظـم الشـعر ولازم مـذهبى
حـكمة غـراء أو ضـرب مثـل
لا ترم رفـدا بـه مـن أحـد
فاطـراح الرفـد فى الدنيـا أقـل
فهـو عنـوان على الفضـل ومـا
أسهل العلم اذا الشـعر حمـل
نقـه معنى والفـاظا فمـا
أحسن الشـعر اذا لم يبتـذل

من تشطير لامية ابن الوردى

حكاية قناة السويس

الشاعر أحمد عثمان المراغى

وقفت على شطك الحالم
أناديك فى نشوة الهايم
سألتك عن قصة الطامعين
وكيف انتقمت من الظالم
وكيف انتصرت على كل عاد
وأصبحت أنشودة العالم
فانى احب سماع الحكاية منك لانك فصل الخطاب
وأنت حديث الحياة جميعا وقصة شعب أذل الصعاب
مان قلت أصغت اليك الشعوب لتسمع عندك كل جواب
اجابت مياه القناة تقول لتفصح عن سرها للورى
انا عزم شعب بناه الكفاح . فصار يحلق فوق الذرا
أنا الخير يغدق بالمعطيات ، ورب السماء له مجرا
فتحت الطريق لكل الشعوب ، ويسرت للكون ما أعسرا
أرى الفلك تقدم فى كبرياء ، وعندى بمصر تحيي الثرى
تعاليت عن مطمع الفاصبين ، وحطمت كل قيود الطغاه
وعانقت مطلع فجر جديد يكبر بالنصر . كل الصلاه

بقية مقال « اسلام سلمان الفارسى »

لم تكن آمنت بعد ـ من جانب سلمان اذ اشار بحفرها على الرسول صلى الله عليه وسلم كطريقة مهمة من طرق الدفاع فى الحروب وقال لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] اننا نستخدم الخنادق فى غزواتنا . وهكذا كان الخندق مانعا حصينا بين المسلمين فى المدينة وبين اليهود وبقية القبائل العربية التى جاءت وحاصرت المدينة تريد اقتحامها . وظلت على ذلك شهرا الى ان ارسل الله عليهم ريحا عاتية وقذف فى قلوبهم الرعب . واختلفوا فيما بينهم واخاف اليهود ما وعدوا به قريشا . « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال » . وبهذا ظهر فضل تدبير سلمان وظهر كقائد حربى يخطط فيحسن التخطيط بعد ان كان عبدا لا يحسن الا القيام على أمر النخيل.

أراد سلمان الاسلام وسعى اليه فسعى الاسلام الى سلمان واظهر منه ماكان يجب ان يظهر من بطل وعد من ابرز الابطال واعظم القواد فى غزواته مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفى حروبه فى الفتوحات الاسلاميه بعد وفاة الرسول [صلى الله عليه وسلم . ودخل فارس بلاده الاولى قائدا وفاتحا منتصرا للاسلام . كما خرج منها اميرا يسعى على قدميه الى الدخول فى الاسلام « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

الطب في الإسلام

شذرات
من تاريخ الطب في الإسلام

[٢]

لا نزال نؤكد ان الله سبحانه الذى ارتضى لعباده الاسلام دينا ، وجعله خاتمة لكل الديانات ، انما أدخر لخلود الاسلام ، وامتداد جذوره فى الارض ، عناصر ذاتية من نفسه تكفل له هذا الخلود والامتداد مهما مر عليه من عهود ومهما انقضى على حياته من أزمان ، هذه العناصر التى تكفل ولا تزال للاسلام عنصر الخلود ، والنمو ، وتهيىء له فرصة الامتداد ، والانتشار ، وانما تتلخص : في العلم والدرس ، والبحث والفكر ، ومحاولة التعرف على حقائق الكون والحياة .

الدكتورة ابتسام عبد الحليم

الا بمقدار ما يتاح لمجتمع الاسلام من ذلك بمقدار ما تتجدد عافية المجتمع المسلم ، وتزدهر حياته ، ويسهم افراده فى تدعيم وبناء الحضارة الانسانة ، ونحن لانجاوز الواقع اذا قلنا : ان حياة المسلمين فى تاريخهم الطويل منذ بزغ نور الاسلام ، والقى باشعته المضيئة على وجه الارض انما قامت فى فترات ازدهارها وستظل على دعامتين اساسيتين : العلم ، والعمل . بكل ما تعنيهما هذه الكلمات ...

لقد كان حادى المسلمين الى العلم الذى يدفعهم ويسوقهم الى التبحر فيه، والاخذ منه بنصيب وافر : هو يقينهم الكامل انهم بقدر ما يصعدون الى قمة العلم ، وينالون من حظه : بمقدار ما يكون مكانهم تحت الشمس : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » .

اما العمل من أجل البروز والتفوق فى مجال العلم ، والسبق الى نظرياته فقد كانت أمثال هذه الاية الكريمة هى حادى المسلمين الى السبق فى هذا المجال : وهى قوله سبحانه وتعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

ولقد تعرضنا فى مقال سابق الى ذكر بعض النماذج لاعلام الطب والعلم فى تاريخ الاسلام . وتحدثنا : عن الطبيب العالم ابو بكر الرازى ، والاستاذ الرئيس أبو على بن سيناء ، وابو الوليد محمد بن رشد . ولا يفوتنا فى هذا المقال : سرد اعمالهم فى مجال [الطب النفسى] الذى أصبح اليوم آفة العصر ، وأصبح العالم المتحضر وبخاصة المثقفين يعانون منها ، وجدير بالذكر : أن عددا كبيرا من المترددين على الاطباء انما يعانون من أمراض نفسية فى صورة أعراض عضوية . فهذا [أبو بكر الرازى] : يصل الى نتيجة هامة وهى أن للموسيقى ، والغناء ، واشاعة جو المرح، تأثير كبير على صحة المرضى والتعجيل بشفائهم نتيجة لتحسين حالتهم النفسية فيقول فى ذلك الشأن :

ان من واجب الطبيب أن يوهم المريض أن صحته جيدة ، وأن الشفاء قريب ، وان لم يثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس .

وقد كان [للعلامة الكبير ابن سيناء] صولات وجولات فى مجال العلاج النفسى . ومما يذكر عنه انه عالج بعض الامراض النفسية بالايحاء ، والتحليل النفسى ، ومن امثلة ذلك : ان احد الامراء كان قد أعتراه مرض نفسى ، حتى توهم أنه [ثور] وبأنه يجب ان يذبح ، وفقد شهيته للطعام حتى اعتلت صحته ولما سئل فى ذلك [ابن سيناء] اخذ بوهمه انه يجب ان يسمن حتى يستطيع ذبحه ، فاخذ المريض يأكل بشراهة وقد أعطاه الدواء مع الطعام فأخذت صحته فى التحسن وشفى من مرضه .

ومما يذكر عنه أيضا أن من بعض الحالات التى عالجها بالتحليل النفسى حالة شاب فى مقتبل العمر كان مصابا بالوهم وبأن به بعض الالام التى لا يطابقها فى الاعراض أى مرض عضوى فتبادر الى ذهنه ان به مرض نفسى ، وليس مرض عضوى ولجا الى طريقة اكتشف بها سبب المرض وذلك بأن قام بذكر أحياء المدينة التى يقطن بها الشاب فعند ذكر اسم حى معين شحب لونه ، وازداد عدد نبضه ثم قام بذكر أسماء العائلات التى تقطن فى هذا الحى : فعند ذكر اسم عائلة معينة شحب لونه وازداد عدد نبضه اكثر. من ذلك توصل الى ان السبب الاساسى لهذا المرض هو ان الشاب قد وقع فى حب فتاة فى هذا الحى فنصحه بالزواج منها حتى يشفى من علته . وفى الطب النفسى الحديث نجد أن العاطفة تلعب دورا هاما فى نفسية الانسان وصحته .

كما وان لابن سيناء كتاب فى فرع علم النفس يسمى [مبحث فى القوى النفسانية] .

وبقى ان نتعرض اليوم للحديث عن بعض من النماذج الاخرى الذين ترتبط بأسمائهم أمجاد تاريخ الطب والعلم فى الاسلام .

البقية ص ١٩٦

شخصيات إسلامية

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها

الأستاذ توفيق أبو علم

ثم قالت عليها السلام : ايها الناس اعلموا أنى فاطمة ، وأبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أقول عودا وبدءا ، ولا أقول ما أقول غلطا ، ولا أفعل ما أفعل شططا ، « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » . فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبى دون نسائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم ، ولنعم المعزى اليه فبلغ الرسالة ، صادعا بالنذارة ، مائلا عن مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم ، آخذا بكظمهم ، داعيا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يكسر الاصنام ، وينكت الهام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، حتى تفرى الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقائق الشياطين ، وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقدة الكفر والشقاق ، وفهمتم بكلمة الاخلاص ، فى نفر من البيض خماص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطىء الاقدام ، تشربون الطرق ، وتقتاتون القد ، أذلة خاسئين ، تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم ، فانقذكم الله تبارك وتعالى بأبى محمد صلى الله عليه وسلم بعد اللتيا والتى ، وبعد ان منى بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله » .

وقالت : هذا كتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهره ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهره ، وزواجره لائحة ، وأوامره واضحة ، قد خلفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تدبرون ، ام بغيره تحكمون ؟ « **بئس للظالمين بدلا** » «**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين** » ، وانتم الان تزعمون أن لا ارث لى « **أفحكم الجاهلية يبغون • ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون !** ، افلا تعلمون ؟ بلى ، قد تجلى لكم كالشمس الضاحية انى ابنته . ايها المسلمون ، اأغلب على ارثى يابن ابى قحافة ؟ أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبى ؟ . لقد جئت شيئا فريا ، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ، اذ يقول : « **وورث سليمان داود** » ، وقال فيما اختص من خبر يحيى بن زكريا عليهما السلام : « **رب هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب** » ، وقال : « **وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » ، وقال : « **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** » ، وقال : « **ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين** « ، وزعمتم الا حظوة لى ، ولا ارث من أبى ، ولا رحم بيننا **أفخصكم** الله بآية اخرج منها ابى صلى الله عليه وسلم أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست أنا وأبى من أهل ملة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وأمى وعمى ؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم اذ تندمون : « **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون** » « **من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** » ، « **ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد** » . الا وقد قلت ما قلت على معرفة منى بالخذلة التى خامرتكم ، والغدرة التى استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، وبثة الصدر ، ونفثة الغيظ ، وتقدمه الحجة ، فدونكموها فاستبقوها دبرة الظهر ، نقبة الخف ، باقية العار ، موسومة بغضب الله وشنار الابد ، موصولة بنار الله الموقدة ، التى تطلع على الافئدة ، فبعين الله ما تفعلون ، [**وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون**] ، وأنا أبنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد [**أعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون**] » .

والمشهور عن السيدة الزهراء ، رضى الله عنها ، انها كانت قوية العارضة ، خطيبة بارعة اذا ما انتبرت المنابر هزت القلوب والمشاعر ، وان خطبها على جمهرة من المهاجرين والانصار آية على ثبت بديهتها وحضور ذهنها .

أما شعرها وان لم يؤثر عنها الا القليل ، فكان واضح النهج لا تكلف فيه ولا تعسف .

وقيل أنها رضى الله عنها صارت الى قبر أبيها بعد موته صلى الله عليه وسلم ووقفت عليه وبكت وأنشأت تقول :

قل للمغيب تحت أطباق الثرى
ان كنت تسمع صرختى وندائيا
صبت على مصائب لو أنها
صبت على الايام عدن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد
لا أختشى ضيما وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل وأتقى
ضيمى وأدفع ظالمى بردائيا
فاذا بكت قمرية فى ليلها
شجنا على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنتى
ولاجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة أحمد
ألا يشم مدى الزمان غواليا

وتمثلت السيدة الزهراء ، رضى الله عنها ، عند وفاة أبيها بهذه الابيات

قد كنت لى جبلا ألوذ بظله
فاليوم تسلمنى لاجرد ضاحى
قد كنت جار حمى ما عشت لى
واليوم بعدك من يريش جناحى
وأغض من طرفى وأعلم أنه
قد مات خير فوارسى وسلاحى
حضرت منيته فأسلمنى العزا
وتمكنت ريب المنون جراحى

وقالت أيضا :

قل صبرى وبان عنى عزائى
بعد فقدى لخاتم الانبياء
يا عينى اسكبى الدمع سحا
ويك لا تبخلى بفيض الدماء
يا رسول الاله يا خيرة الله
وكهف الايتام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش والطير
كذا الارض بعد سح السماء
وبكاك الحجون والركن والمشعر
يا سيدى مع البطحاء
وبكاك الاسلام اذ صار فى النا
س غريبا من سائر الغرباء
لو ترى المنبر الذى كنت تعلو
ه علاه الظلام بعد الضياء

وأخيرا لا غرابة فى فصاحتها وبلاغتها ، لانها ـ كما قدمنا ـ نشأت فى بيت النبوة تسمع كلام ابيها ابلغ البلغاء ، ثم انتقلت الى بيت زوجها ، فعاشت سنين تسمع الكلام من الامام على رضى الله عنه ، الذى لم يختلف على بلاغته محب أو عدو ، وسمعت القرآن يرتل فى بيتها فى الصلوات ، وفى سائر الاوقات ، وتحدث الناس فى زمانها بمشابهتها لابيها ـ كما قدمنا ـ فى مشيتها وحديثها وكلامها ، كما قالت السيدة أم المؤمنين ، عائشة رضى الله عنها : « **كانت فاطمة أشبه الناس حديثا وكلاما برسول الله صلى الله عليه وسلم** » وقد أيد السيدة

عائشة فى المشابهة بين الزهراء وأبيها صلى الله عليه وسلم الكثير من الثقات .

الزهراء وفلسفة الاسلام

« ... فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء فى الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والعدل تنسيقا للقلوب ، وطاعتنا نظاما للملة ، وامامتنا أمانا من الفرقة ، والجهاد عزا للاسلام ، وذلا لاهل الكفر والنفاق ، والصبر معونة على استيجاب الاجر ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحة للعامة ، وبر الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الارحام منشأة فى العمر ومنماة فى العدد ، والقصاص حقنا للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس ، والنهى عن الخمر تنزيها عن الرجس ، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة ، وترك السرقة ايجابا للعفة وحرم الله الشرك اخلاصا له بالربوبية ، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ، واطيعوا الله فيما امركم ونهاكم عنه ، فانما يخشى الله من عباده العلماء » .

فى هذا المقطع الوضاء من الخطبة ترسم الزهراء الحقيقة الكبرى التى امتاز بها الاسلام عن سواه من الشرائع فى كونه عقيدة ونظاما ومنهجا ، فهرس الحياة الانسانية برمتها ، وبرمج متطلبات النوع الانسانى بهيكل سريعى ضخم ، طرق باب كل مشكلة من مشكلات الحياة الانسانية ، وتوفر على حلها بما يتناسب والمصلحة ، وبما يتماشى والحكمة .

وهذه الحقيقة الكبرى التى امتاز بها منهج الله تعالى قد أغفلها الكثيرون من أبناء الامة الاسلامية تأثرا بالحضارة الغربية الغازية التى فصلت الدين عن الحياة .

ولا شك أن القارىء الكريم حين يستعرض هذه الفقرة الكريمة من خطبة الزهراء رضى الله عنها يتضح له انها حين تحدثت عن فلسفة الاسلام واطاره العام لم تكن لتستهدف اقناع مخاطبيها : أن فى الاسلام نظاما يهذب الفرد ، وينظم الجماعة ، ويقيم الدولة ، وانما كان ذلك بديهيا فى حديثها ، بل من الامور التى لا يرتاب فيها مسلم مهما انخفضت درجة ايمانه بالاسلام يومذاك ، ولذا فان الزهراء عليها السلام استعرضت معالم الاسلام وتعليماته كوسيلة لتبيان حقيقة أخرى ترتبط بالحقيقة الاولى ، اذ كان همها ان تبين الاهداف السامية التى من اجلها كان التشريع الاسلامى بهذا الشكل لا بسواه ، بل انها ارادت أن ترسم العلل التى من أجلها حددت معالم الرسالة الاسلامية بهذه الصيغة المعلومة لا بسواها .

وبعد ذلك قد يكون من الضرورى أن نلم المامة سريعة بالمفاهيم الاسلامية التى جاءت فى هذه الخطبة الكريمة ، وهذه التحفة التى منحتها الزهراء أجيالنا الاسلامية المتعاقبة .

أولا ـ الصلاة :

تستعرض الزهراء عليها السلام الحكمة فى تشريع الصلاة ، فتلخصها فى جملة قصيرة حيث تقول ، « **جعل الصلاة تنزيها لكم عن الكبر** » ، فالصلاة فى منطق الزهراء رفع للانسان من حضيض التكبر الى مستوى التواضع . ان الاسلام حين يقرر العبودية لله تعالى يقصد من وراء ذلك ان يحرر الانسان ، فلئن بدات الجولة بالعبودية لله وحده ، فانها تنتهى بالحرية التامة التى تجعل الفرد لا يخضع لاية قوة مهما تكن عاتية ، والاعتراف بالعبودية لله سبحانه وتعالى يرسم للمسلم الواقعى صورة حياة مثالية متعددة الجوانب ، مطبوعة بطابع الخضوع المطلق للعزيز الحكيم ، فهى ليست اعترافا بالله كخالق للكون والحياة فحسب ، وانما هى عملية يعلن الانسان فيها أن الوجود كله لله سبحانه ، وان الحاكمية المطلقة فى خلقه له وحده ، فلا مشرع لهذا الانسان غير الله سبحانه وتعالى ، فهو وحده الذى يعلم ما يصلحه وما يفسده وما يرفعه وما يضعه .

وبعد هذا الاعتراف بالله سبحانه وصفاته المقدسة يقف المرء أمام ربه بهذا اليقين المطلق ، ليسأله العون والهداية . وهذه العملية تتكرر خمس مرات فى كل يوم ، لتكون مصدرا لتربية النفس والوجدان على الخضوع لله سبحانه الخضوع المستمر ، ولتطبع حياة الانسان كلها بطابع هذا الخضوع ، ومن ثم فان تكرار هذه العملية يشكل مناخا صالحا لصقل نفسية المسلم ومشاعره صقلا ينسجم واوامر الله ونواهيه ، لينطلق المسلم بعدها وهو أكثر قدرة على تطبيق منهج السماء وحمله والتبشير به . وقد رسم القرآن الكريم هذه الحقيقة حين أعلن [**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**] وهنا تتجلى الحقيقة التى تجعل من الصلاة مفتاحا لخلق لون خاص من السلوك بعيد عن المتاهات والانحرافات والطيش والضياع ، كما تخلق مناعة طبيعية لمواجهة جراثيم الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وجعلت الزهراء فريضة الصلاة الفريضة الاولى التى تعقب الايمان بالله سبحانه وتعالى . والسر فى أن الزهراء تعد الصلاة عملية تهذيب من الكبر والخيلاء أن المرء يشعر فى قرارة نفسه أنه وكل موجود فى هذا الكون البديع يقفون على صعيد العبودية المطلقة لله وحده . والانسان فى الوقت الذى يستشعر العبودية لله وحده فى نفسه يحس بالتحرر المطلق من كل عبودية لغير الله تعالى فالناس يعيشون فى اطار يحمل منتهى العبودية لله الكبير المتعال : وفى الوقت نفسه يعيشون على صعيد واحد من الكرامة والسؤدد ، فلابد اذن ان تلغى كل معالم الخيلاء والتكبر من المجتمع الذى يعيش فى اطار الرسالة الاسلامية الكبرى .

يتبع

بطل ومعارك

جعفر بن أبي طالب

الأستاذ محمد صالح

قال عنه أبو هريرة : كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبى طالب ، فقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يطلق عليه عبارة : أبو المساكين جعفر بن أبى طالب .

وكان المتحدث باسم المسلمين أثناء تواجده فى الحبشة مهاجرا كواحد منهم ، ولقد كان خير المتحدث باسمهم .. وكانت تلك المهمة احدى معاركه الكبرى التى انتصر فيها .

ولقد كان أحد قادة غزوة مؤتة الكبرى .. وكانت الغزوة الوحيدة التى يخرج فيها بعد عودته من الحبشة فى اعقاب فتح المسلمين لخيبر .. وقد نال الشهادة فى هذه المعركة .

• • •

كانت معركته الكبرى خلال هجرته فى الحبشة هو تأمين اقامة اخوانه المهاجرين مثله فى بلاد النجاشى ولقد كانت مهمة انتصر فيها وأداها خير ما يكون الاداء بفضل ايمانه بالله وما أنزله على نبيه .. وكانت معركة حقيقية تبدو من هذا المشهد التالى :

النجاشى : أى سفهاء تتحدث عنهم يا عمرو بن العاص ، فانى لا اعرف ان فى بلدى غلمانا سفهاء .. ولكنهم جماعة اضطهدتموهم وآذيتموهم كما عرفنا فجاءوا يقيمون بيننا آمنين .

عمرو بن العاص : لا أيها الملك ، انهم سفهاء .. فقد فارقوا دين آبائهم وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم ، لتردهم اليهم .

النجاشى : لاتبين اولا ما تقوله فيهم ، فاذا كانوا سفهاء كما تقول ، فهم لك .

ويبعث الملك فى طلب مهاجرى المسلمين فيأتون اليه .. ويستمر الحوار .. ولكن بينهم ، وعلى وجه التحديد بين جعفر بن ابى طالب والنجاشى .. فى حضور عمرو بن العاص وصحبه .

النجاشى : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الناس ، ليتحدث أحدكم .

جعفر بن أبى طالب : سأتحدث أنا أيها الملك .

النجاشى : وها انذا استمع اليك .

جعفر : أيها الملك ، كنا أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ،

ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ، وامانته وعفته ، فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئا ، الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور واكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام .

أصوات : « همهمة استحسان » .

جعفر : فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن دينا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا وظلمونا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عندك .

النجاشى ، هل معك مما جاء به من الله شىء ؟

جعفر : نعم .

النجاشى ، اقرأه .

جعفر : « **واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** » .

يبكى النجاشى ويبكى معه البطاركة ثم يقول : ان هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة .

ويوجه حديثه الى مبعوثى مكة قائلا : انطلق يا عمرو ، انطلق يا ابن ابى ربيعه ، فوالله لا اسلمهم اليكما أبدا .

ويخرج عمرو وصحبه منكسى الرءوس ولكن عمرو لا يقنع بالاياب خالى الوفاض .. فيؤكد أنه سيعود للنجاشى فى اليوم التالى بوشاية تقطع دبر المسلمين .

ويذهب عمرو الى النجاشى فى اليوم التالى ويغلظ له النجاشى فى القول متسائلا : ما الذى عاد بك يا ابن العاص الم اطلب منك مغادرتنا ؟

ويرد عمرو : ان المقيمين على أرضك من سفهاء قومنا يقولون فى عيسى قولا عظيما .

وينزعج النجاشى مهددا متوعدا ، ويطلب من رجال حاشيته أن يأتوه بمهاجرى مكة .

ويدور الحوار بين النجاشى وجعفر بن أبى طالب .

النجاشى : يا ابن ابى طالب ، ماذا تقولون عن المسيح ؟

جعفر ، نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ، هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، العذراء البتول .

النجاشى : ما عدا عيسى قدر هذا العود ، اذهبوا فانتم آمنون ، ما احب ان لى جبلا من ذهب واننى آذيت رجلا منكم ، ردوا الى مبعوثى قريش هداياهم فلا حاجة لى بها .

عمرو : ايها الملك ..

النجاشى : صه ، ما أخذ الله الرشوة منى حتى أخذها منكم .

وظل جعفر بن ابى طالب بين المسلمين المهاجرين فى الحبشة ومعه زوجته اسماء بنت عميس مقيما فى جوار النجاشى ، وعلى ارض الحبشة انجب ابناءه الثلاثة ثم عاد الى المدينة فى أعقاب الانتصار على اليهود فى خيبر وفتحها .

● ● ●

كان سرور النبى صلوات الله عليه عظيما بمقدم جعفر ، حتى أنه قال : لا أدرى بأيهما أسر ، بفتح خيبر .. ام بقدوم جعفر .

ولقد حزن جعفر على مافاته من المعارك التى خاضها النبى ، ولذلك ما ان جاءت غزوة مؤتة حتى استأذن جعفر النبى فى ان يشترك فيها .

اذن النبى لجعفر .

وراح ابن عم الرسول الى المعركة جنديا بين جنودها وفى نفس الوقت قائدا لها اذا ما اصابت الشهادة القائد زيد بن حارثة .

ونال زيد بن حارثة ثانى قادة المعركة الشهادة ، وتقدم لقيادتها خلال المعركة ثالث القادة جعفر بن ابى طالب .. ويصول ويجول وينزل عن فرسه حتى يتمكن من الروم فيحيطون به ويتكاثروا عليه وتسقط يده اليمنى بضربة سيف ولكنه لا يترك الراية تسقط منها .. بل يتلقاها بيده اليسرى ، فيتكاثروا عليه ويقتلوه .. لينال الشهادة ..

بكى صلوات الله عليه عندما عرف باستشهاد جعفر والجيش لا يزال على أرض المعركة .. فراح الى بيت ابن عمه يواسى بناته محتضنا لهم ومقبلا .. وعندما خرج النبى صلوات الله عليه من بيت ابن عمه الشهيد وعاد الى مجلسه .. تقدم حسان بن ثابت يرثى البطل جعفرا :

● **غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم**
الى الموت ميمون النقيبة ازهر
● **اغر كضوء البدر من آل هاشم**
أبى اذا سيم الظلامة مجسر
● **فطاعن حتى مال غير موسد**
بمعترك فيه القنا ويتكسر
● **فصار مع المستشهدين ثوابه**
جنان وملتف الحدائق اخضر
● **وكنا نرى فى جعفر من محمد**
وفاء وامرا حازما حين يأمر
● **فمازال فى الاسلام من آل هاشم**
دعائم عز لا يزلن ومفخر

عبد الله بن جبير الأنصاري

قدم روحه فداء للعقيدة

ارتباط الدنيا بالاخرة فى مفهوم الاسلام ، ارتباط عضوى ، ان صح هذا التعبير ، ومن هنا وهم من يقول ان الاسلام دين ودوله ، لانه الاسلام وكفى ،فعمل المرء فى الدنيا يجب ان يكون المقصود به الاخرة ، وبذلك تصبح الدنيا والاخرةموضوعا واحدا ،وانا لنا للاخرة والاولى .

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

على هذا النمط ربى الاسلام أولياءه ويتجلى ذلك فى مواقف المواجهة ، وأصدق صورة تجسده موقف عبد الله ابن جبير الانصارى فى موقعة أحـــد حين اسند اليه الرسول عليه الصلاة والسلام قيادة الرماة ، فى هذه الموقعة ، وكانوا خمسين رجـــلا ، ووقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل ، وقال لهم ! لا تبرحوا مكانكم سواء رأيتمونا ظهرنا عليهم أو رأيتموهم ظهروا علينا .

والقائد العظيم سيدنا رســول الله صلى الله عليه وسلم كان ينظر بنور الله الاحداث القادمة على حقيقتها ، وكان على معرفة دقيقة بحب الانسان لاعراض الدنيا ، وهو كقائد ملهم متأكد من أن ثبات الرماة الذى حدده لهم يجعل من المستحيل على المشركين مهما يكن عددهم وعتادهم ، وهذا امر اثبته الواقع ان يقهروهم فقد استطاع المسلمون — كما يقول محمد الخضرى فى مؤلفه « نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» بأنه لما بدأ القتال بالمبارزة قتل الزبير بن العوام حامل لواء المشركين ، فحمل اللواء طلحة ابن أبى طلحة ، فقتله على ثم حمله عثمان بن أبى طلحة فقتله حمزه ثم حمله أبو سعيد بن ابى طلحة فقتله سعد ابن أبى وقـاص ، ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات ،وفى كلها ينضحهم الرماه بالنبل ،فيتقهقرون.

ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكتف قبل بدء القتال بان حدد للمسلمين التكتيك الذى يتحتم ان يلتزموه ويلتزموا به وهو وقوفهم على ظهر الجبل ، بل أكد عليهم ، وهو يعلم كوامن من النفس البشرية ، ان الرزق يبحث عن صاحبه، كما يبحث الموت ، وكان فيما قال لهم : ألقى فى قلبى الروح الامين انه لن تموت نفس حتى تستوفى اقصى رزقها لا ينقص منه شىء ، وان ابطأ عنها ، فـأتقوا ربكم وأجملوا فى طلب الرزق ،لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد، اذا اشتكى تداعى له سائر جسده .

تعاليم واضحة مجــددة من القــائد لجنده ، ولكن كما يقول عبــد الله بن مسـعود فى شأن هذه الموقعة ، موقعة أحد ، كنا لا نعتقد ان من بين المسلمين الذين اشتركوا فيها من يريد الدنيا الى ان نزل قوله تعالى « **ولقد صدقكم الله وعـــده اذ تحسـونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنــازعتم فى الامر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم مــن يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة** » .

وحقيقــة كان بين المؤمنين من يريد الدنيا ، ذلك انه لما قتل حملة اللواء من المشركين ، ولم يقدر احد على الدنو منه ، ولى المشركون الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن ، وتبعهم المسـلمون يجمعون الغنائم والاسلاب ، فلما رأى ذلك الرمـــاة الذين يحمـــون ظهور المسلمين ، فوق الجبل ، قالوا ما لنا فى الوقوف من حاجة ونسوا أمر القائد الحكيم صلى الله عليه وسلم ، فذكرهم رئيسهم عبد الله بن جبير به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون .. أما ابن جبير فثبت وثبت من قليل منهم ، فلما رأى خالد ابن الوليد خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش ، فقتل من ثبـت مـن الرماة ، وأتى المسلمين من ورائهم ، وهم مشـــتغلون بدنياهم ، فلما رأوا البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم .

انك حين ترفع العقيدة فوق المال ، يعود المال اليك ، وتحتفظ معه بالعقيدة، ولكن حين ترفع المال فوق العقيدة يهرب منك المال والعقيدة معـــا .. ولو ان المسلمين يومئذ التزموا بتعاليم القائد ، لانتصروا واستحوذوا على المال ،وبقيت لهم حياتهم .

وقد سجل ابن سعد فى الطبقــات موقف عبد الله بن جبير من الرماة الذين تخلوا عنه ، قال : فخطبهم أميرهم عبدالله،وكان يومئذ معلما بثياب بيض، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم أمر بطاعة الله وطاعة رسوله ، والا يخالف لرســول الله أمر ، فعصــوا وانطلقوا ، فلم يبق مع عبـــد الله الا نفير ما يبلغون العشرة فيهم الحارث بن أنس ، بن رافع .

ان عبد الله بن جبير كان جديرا بان يسند اليه الرسول القائد قيادة الرماة فى موقعة لم تتكافأ فيها اسلحة القتال بين المســلمين والمشركين ، ســـواء الاسلحة المـــادية أو البشرية — ان عبد الله صمد كالطود الشامخ فى وجه أعداء الله ، بعد ان تولى عنه رفقاؤه الى أن استشهد ، فقد رمى حتى فنيت نبله ، ثم طاعن بالرمح ، حتى انكسر، ثم كسر جفن سيفه ، فقاتلهم حتى قتل، فلما وقع جردوه ومثلوا به أقبح تمثيل، وكانت الرماح قد شرعت فى بطنه حتى خرقت ما بين سرته الى خاصرته .. ان عبد الله يعطينا بموقفه هذا ،مثلا فريدا ونادرا كيف تصنع الاحـــداث الكبـــار الافئدة الذكية والانفس الحميدة والايمان الصادق والشعور بالتبعة والمسئوليـــة والاستجابة لله والرسول .

قال اخوات ابن جبير ، مررت بأخى على تلك الحال ، فضحكت فى موضع ما ضحك فيه أحد ، ونعست فى موضع ما نعس فيه أحد ، ونجلت فى موضـــع ما نجل فيه أحد ، فقيل : مـــا هى ؟ فقــال ، حملتـــه فأخـــذت بضبعيـــة [بعضديه] ، واخذ ابو جنة برجليه ، وقد سددت جرحه بعمامتى ، فبينا نحن

نحمله ،والمشركون ناحية الى ان سقطت عمامتى من جرحه ، ففزع صاحبى ، وجعل يتلفت ، ووراءه يظن انه العدو فضحكت ، ولقد شرع لى رجل برمح يستقبل به ثغرة نحرى ، فغلبنى النوم ، وزال الرمح ، كرامة — واقد رأيتنى حين انتهيت الى الحفر له بسى قوسى، وغلظ علينا الجبل ، فنزلت به الى الوادى فحفرت له بسية — مقدم — القوس ، وفيها الوتر ، فقلت لا أفسد الوتر ، فحللته ، ثم حفرت بسيتها ثم فبيناه وانصرفنا .

وبقى ثبات عبد الله بن جبير وبعض زملائه واستشهادهم في هذه الموقعة مشاعل على طريق الصمود فى مواجهة الباطل ونصرة الحق ، فقد كان هذا الثبات والاستشهاد طريقا الى اتمام نور الله ، فبالرغم مما لحق المسلمين بمخالفة رسول الله ، فان المشركين احسوا من داخلهم بانهم لم ينتصروا عليهم ، فرجعوا الى مكة ، ولم يعرجوا على المدينة ، وهذا يعنى ان المسلمين لم يهزموا بدليل أن الرسول عليه السلام نادى فى اصحابه بالخروج خلف العدو ، والا يخرج الا من كان معه بالامس فاستجابوا لله وللرسول — تأمل — من بعد ما أصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم واللواء معقود لم يحل ، فاعطاه على بن ابى طالب ، وولى على المدينة ابن ام مكتوم ، ثم سار الجيش حتى وصلوا الى حمراء الاسد — موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة — وقد كان ما ظنه الرسول حقا ، فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر ، فأصروا على الرجوع ، ولكن لما بلغهم خروج الرسول فى اثرهم فتمادوا فى سيرهم الى مكة .

وعبد الله بن جبير انصارى أوسى وهو ابن النعمان بن أمية بن البرك وهو امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف وامه من بنى عبد الله من غطفان.

بقية مقال شذرات من تاريخ الطب والعلم فى الاسلام

٤ — ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى :

وهو من الاندلس ولد فى القرن الثانى عشر الميلادى وقد أفاض فى شرح العلاج بطريق الجراحة ، ووصف ما يزيد على مائتى شكل من الالات الجراحية فى كتابه [التصريف لمن عجز عن التاليف]

٥ — ابن الخطيب :

وهو الفيلسوف الاندلسى الشهير الطبيب العالم المسلم

وقد اخذ هذا العالم بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام فى قوله : [اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها] .

وبدراسة هذا الحديث الشريف من جميع النواحى فتح للطب فرعا جديدا هو [الطب الوقائى] وتطبيق اجراءات العزل حديثا فى العالم فى حالة حدوث الوباء وذلك تجنبا لانتشار الامراض .

وهو أول من أوضح طرق العدوى بالملامسة أو المشاركة فى الاكل أو الشرب أو الملابس .

٦ — ابو حامد محمد الغزالى : الفقيه العالم الفيلسوف المتصوف .

ومن اقواله المأثورة : [ان الدين دواء : والعلم غذاء ، وليس الدواء بمغن عن الغذاء . وليس الغذاء بمغن عن الدواء] .

وقد فسر بعض الظواهر فى علم وظائف الاعضاء . فهناك نظرية تسمى [الافعال المنعكسة المشروطة] قام بها العالم الروسى [بافلوف] وذلك بدراساته عن الافرازات الهضمية [فجعل قناة الغدة النكفانية تفتح للخارج وهى احدى غدد افراز اللعاب] فى كلب من كلاب التجارب وذلك ليستطيع جمع افراز اللعاب وتحديد الكمية والنوعية تحت الظروف المختلفة . فلو وضع ضوء وهاج للكلب ثم قدم له الاكل وأعيد ذلك عدة مرات . نجد أن الضوء وحده دون وجود الاكل يزيد من افراز اللعاب، وذلك لان الضوء أصبح مرتبطا بالطعام ولكى تتحقق تلك التجربة وجب سلامة القشرة المخية . وتلك النظرية تنطبق على الانسان فى أن افراز اللعاب يكثر نتيجة لرؤية وشم رائحة الطعام فى وقت تناوله او حتى مجرد التفكير فيه .

كما أجرى الدكتور [جون واطسون] عالم النفس السلوكى تجربة على طفل يبلغ من العمر احدى عشر شهرا : كان يلهو بفار أبيض ودبر احداث اصوات عالية خلف الطفل عندما يلمس الفار، وبعد عدة مرات من هذه التجربة وجد أن الطفل أصبح يخاف من الفار بعد ذلك ولو لم تحدث الاصوات المصاحبة للمس الطفل للفار . وقد وضع نظرية الفعل المنعكس ونصها [اذا تعرض حيوان أو أنسان بجسمه تعرضا كافيا لمنبهين متلازمين تقريبا فان أحدهما بعد ذلك يكفى لاستدعاء الفعل الذى كان المنبه الاخر يستدعيه من قبل]

ولقد كان علامة الاسلام الغزالى فى القرن الخامس الهجرى بمثابة المفخرة للمسلمين جميعا اذ انه قبل حوالى تسعة قرون من اكتشاف تلك النظرية نظرية مشابهة ومماثلة لها كما جاء فى كتابه [المستصفى من علم الاصول] عن مثارات الغلط فى الحكم على الاشياء وذلك تحت عنوان [المغلطة الثالثة] حيث قال [ان أكثر الخلق تجعل قوى نفوسهم مطية للاوهام الكاذبة مع علمهم بكذبها ، وأكثر اقدام الخلق واحجامهم : بسبب هذه الاوهام فان الوهم عظيم الاستيلاء على النفس ، ولذلك ينفر طبع الانسان عن المبيت فى بيت فيه ميت مع قطعه بانه لا يتحرك ولكنه كانه يتوهم فى كل ساعة حركته ونطقه كما أن الانسان اذا رأى صورة مقرونة بالثناء ظن ان الثناء مقرون بها بكل حال ، فالمقرون باللذيذ لذيذ ، والمقرون بالمكروه مكروه ، بل ان الانسان اذا جالس من يحب فى مكان فاذا انتهى اليه احس فى نفسه تفرقة بين ذلك المكان وغيره] .

المكتبة الإسلامية

المواقف والمخاطبات

للشيخ محمّد بن عبد الجبّار النَفَّرى

الأستاذ أحمد بهجت

من اغرب الصوفيين وأعسرهم على الفهم ، صوفى غامض يحمل اسم محمد بن عبد الجبار النفرى ..

والنفرى نسبة الى بلدة « نفر » فى العراق [بكسر النون وتشديد الفاء وسكون الراء] .. والرجل غامض اشد الغموض .. سواء فى ذلك حياته أو كتاباته ..

لا نعرف متى ولد ، ولا أين عاش ، ولا أى كتابات ترك .. باستثناء كتابه العظيم الشهير : « المواقف والمخاطبات » ..

كل المعلومات التى تتجمع عنه تقع بين الظن والتصور .. انهم يظنون أنه ولد فى العراق ونسب الى بلدته « نفر » ، وهم يظنون انه عاش حياته سائحا فى الارض ينتقل من مكان الى مكان .. لا يعرف أحد أين هو ، ولا يدرى احد أين سيذهب غدا .. هو من الصوفية المسافرين دائما ، والسفر عند الصوفية قطعة من العذاب ، وادناه ان ترحل من أرض الى ارض ، ومن مكان الى مكان ، وأعلاه أن ترحل من الاكوان الى المكون ، ومن الصور الى المصور ..

ولقد كان محمد بن عبد الجبار النفرى من الذين **ينطبق** عليهم قوله تعالى « **السائحون** » ، فقد عاش سائحا فى أرض الله لا يستقر له مكان ، وزاد رحيله المستمر من غموض حياته ، وأوقع مؤرخيه فى ورطة ولهذا تراوح ما يقال عنه بين الظن والتصور ..

لا نعرف أيضا ماذا كان يلبس ؟ ولا ماذا كان يأكل ، ولا ماذا كان يعمل لكسب عيشه ..

الشىء الوحيد المؤكد الذى نعرفه عنه ، هو كتاب « **المواقف والمخاطبات** » ، وهو كتاب خطير وجليل من كتب التصوف .. وهو أيضا كتاب من أصعب هذه الكتب .. ويمثل هذا الكتاب فى الفكر الصوفى مكانة أخطر من مكانة كتب ابن عربى والمحاسبى .. **والسر فى ذلك انه ليس فى ألغاز كتب ابن عربى ، ولا هو فى بساطة كتب المحاسبى ، انما هو تجريد حقيقى للتوحيد ..**

سئل احد الصوفية : ما تجريد التوحيد ؟

اجاب : فقدان رؤية ما سواه .. « يقصد فقدان رؤية ما سوى الله عز وجل » ..

ولقد كان النفرى رجلا فى هذا المقام ..

على الاقل .. هذا ما يكشفه كتاب « المواقف والمخاطبات » ..

الكتاب قسمان : قسم للمواقف ، ويضم ٧٧ موقفا ، وقسم للمخاطبات ، ويضم ٥٦ مخاطبة ، وينتهى الكتاب بفصل عنوانه « **مخاطبة وبشارة وايذان الوقت** » ، ثم موقف الادراك .. وقد طبع كتاب « المواقف والمخاطبات » بمطبعة دار الكتب المصرية فى أول مارس سنة ١٩٣٤ ، من يومها لم

يطبع مرة ثانية ؟ وان صورته بعض دور النشر فى بغداد والعالم العربى ونشرته ..

....

يقول النفرى فى موقف البحر :

« أوقفنى فى البحر فرايت المراكب تغرق والالواح تسلم . ثم غرقت الالواح ، وقال لى لا يسلم من ركب ..

وقال لى خاطر من ألقى نفسه ولم يركب ..

وقال لى هلك من ركب وما خاطر ..

وقال لى فى المخاطرة جزء من النجاة ، وجاء الموج فرفع ما تحته وساح على الساحل ..

وقال لى ظاهر البحر ضوء لا يبلغ ، وقعره ظلمة لا تمكن ، وبينهما حيتان لا تستأمن ..

وقال لى لا تركب البحر فأحجبك بالالة ، ولا تلق نفسك فيه فأحجبك به ..

وقال لى فى البحر حدود فايها تقلك ..

وقال لى اذا وهبت نفسك للبحر فغرقت فيه كنت كدابة من دوابه ..

وقال لى غششتك ان دللتك على سواى ..

وقال لى ان هلكت فى سواى كنت لما هلكت فيه .

وقال لى الدنيا لمن صرفته عنها وصرفتها عنه ، والاخرة لمن اقبلت بها اليه واقبلت به على » ..

....

نحب ، قبل تفسير النص ، أن نقف لحظة عند معنى **«الموقف والوقفة»** .. الوقفة عند النفرى هى مصدر العلم ، والواقف يستمد علمه من داخله ، بعكس بقية الناس الذين يستمدون علمهم من العالم الخارجى .. نحن أمام علم يشبه ما تقذفه الله فى قلب العبد الذى تحدث عنه القرآن الكريم فى قصة موسى ، وكان الله تبارك وتعالى قد آتاه من لدنه علما .. هذا العلم اللدنى يختلف عن العلم الذى يكتسبه العبد بارادته ورغبته وأدوات التعليم المتعارف عليها كالقراءة والكتابة والدرس .. هو نور يقذفه الله فى قلب عباده المخلصين كما يقول حجة الاسلام الامام الغزالى ..

والوقفة فيها ذكاء كل العلوم ، وليس للعلوم ذكاؤها ، الوقفة هى روح المعرفة ، مثلما ان المعرفة روح الحياة .. وفى الوقفة تتلخص المعرفة والعلوم .. وهى لا علاقة لها بالقرب او البعد .. هى شىء وراء ذلك كله .. واذا كانت المعرفة هى كلام الله تعالى ، فان الوقفة هى حضور الحق عز وجل واستيلاؤه على قلب الانسان ..

والوقفة هى باب الرؤيا ، وهى تحرر الانسان من سجن هذا العالم ، وتوقفه فى نور الله تعالى .. حيث يصل الانسان الى مقام من القرب يصيخ فيه أذن البصيرة وعين القلب فيسمع بغير كلام ، ويرى بدون عينين ..

....

يحدثنا النفرى فى كتابه « المواقف والمخاطبات » عن التوحيد .. او عن تجريد التوحيد ..

هذا هو موضوع الكتاب من بدايته الى منتهاه .. وهو يلجأ الى الرموز كعادة الصوفية ، وأحيانا تكون الرموز شفافة تظهر ما تخفيه من معان تحتها ، وأحيانا يسدل الصوفى على معانيه رموزا كأقنعة الحجارة ، تحتاج الى جهد لتصل الى مراده وقصده ..

فى موقف البحر يتحدث عن الله .. والانسان .. والكون ..

البحر رمز للدنيا والكون .. هو رمز للصورة المخلوقة ، هو رمز للحواس والرغبات والشهوات والمطامع والامال والاحلام وكل شىء يتعلق بالارض .

الدنيا بحر كما يقول الصوفية ..

[**أوقفنى فى البحر**] .. أوقفه الله تبارك وتعالى فى البحر .. خلقه فى الدنيا ، وتركه يرى فى البدء ، ويعاين فى البدء .. ثم حدثه بعد ذلك ..

ماذا رأى الصوفى حين خلقه الله فى البدء .. [**فرأيت المراكب تغرق**] .. الاصل فى المراكب انها للعبور .. للسير على المياه .. المراكب أصلا أدوات بشرية للسير على الماء .. غرقت المراكب اشارة الى هلاك الادوات البشرية ، وبقى امل صغير يتعلق بالالواح .. [**والالواح تسلم**] .. اذن فسوف يتعلق قلب الانسان بالالواح ، متصورا انها يمكن ان تنجيه من الغرق .. غير أن هذا الامل ذاته لا يلبث ان يستسلم للموجويفرق [**ثم غرقت الالواح**] .. لقد غرق كل شىء .. المراكب والالواح وكل شىء ..

[**وقال لى خاطر من القى نفسه ولم يركب**] .. أيكون الحل فى الركوب وعدم المخاطرة ..

[**وقال لى هلك من ركب وما خاطر**] .. ليس الحل كامنا فى عدم المخاطرة ولا فى ركوب المراكب .. ان هناك حلا آخر تماما لا يلبث السياق ان يكشف عنه ..

[**وقال لى فى المخاطرة جزء من النجاة**] .. هـذا الجزء لا يكفى لان الموج سرعان ما يدمر كل شىء ..

[**وجاء الموج فرفع ما تحته وساح على الساحل**] .. ان الموج غادر .. والاطمئنان الى الدنيا والركون الى أدوات الانسان البشرية والاعتماد فيها على الالة غرور .. انما يجب ان ينصرف الاعتماد والركون والطمـأنينة الى الله سبحانه وتعالى وحده .. ان الشرك عند عامة المسلمين ان يعبد المسلم غير الله كصنم من الحجارة ، او انسان ، أو ما شابه ذلك .. والشرك عند الصوفية ان يعتمد الصوفى على شىء أو أداة .. حين ينصرف اعتماد الصوفى الى غير الله .. حين يطمئن الى غـير الله .. حين يعتقد فيمـا سوى الله .. يكون قد أشرك .. نحن أمـام توحيد شديد الرقى والنقاء .. وهو توحيد يجعل الصوفى يأخذ من الاسـبـاب ، ويسـتعد بالاسـبـاب ، ولكنه لا يرجع اليها النجاح او يعتمد عليها .. يأخذ الصوفى بالاسباب ، شـأنه شأن بقية الناس ، لان للحيـاة نواميس وقوانين وضعها الله ، لكنه يختلف عن الناس فى كونه لا يرى الاسباب بعد ان يأخذ بها ، ولا يرجع اليها الفضل حين ينجح ، انما الفضل لله أولا وأخيرا ، والاعتماد على الله أولا وأخيرا ..

يقول النفرى فى موقف البحر [**وقال لى ظاهر البحر ضـوء لا يبلغ ، وقعـره ظلمة لا تمكن وبينهما حيتان لا تستأمن**] ..

يريد النفرى ان يقول ان ظاهر الدنيا أضواء غرور وقاعها البعيد ظلمات ، وبين الضـوء والظلمة آلاف المخاطر المهلكة ، [**وقال لى لا تركب البحر فأحجبك بالالة ، ولا تلق نفسك فيه فأحجبك به**] .. يريد أن يقول ان ركوب البحر يعنى الاعتمـاد على الالة .. والاعتماد على الالة حجاب .. الاعتماد على أى شىء غير الحق تبارك وتعالى حجاب .. كما ان القـاء الانسان بنفسه فى الدنيا نوع آخر من أنواع الحجاب .. والمقصود بالحجاب هنا كل ما يحجب الانسـان عن رؤية الله عز وجل ..

ان المسلم العادى يرى قدرة الله فى الكون .. ولكن الصوفى يتجاوز رؤية الكون الى الله .. يقول أحد الصوفية : « **ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله** » .

هذا التجاوز للكون الى خالقه شىء يميز الصوفية .. فان التصوف فى رأى الجنيد « **ان يميتك الحق عنك ويحييك به** » ..

هذه الاماتة عن النفس واحياء النفس بالله هو حجر الزاوية فى توحيد الصـوفية ، أو توحيد الخواص ..

يستطرد النفرى فى موقف البحر مرتفعا بالحديث الى الذروة .. فيقول :

[**وقال لى فى البحر حدود فأيها تقلك .. وقال لى اذا وهبت نفسـك للبحر فغرقت فيه كنت كدابة من دوابه**] ..

يريد النفرى ان يقول ان كل حدود الدنيا أخطار .. والاخطار لا تقل أحدا ولا تحمل أحـدا ولا تنجى أحدا ، فاذا وهب الانسان نفسه للبحر [أى للدنيا] فغرق فيها كان كدابة من الدواب ..

لقد عاش ومات دون ان يعاين نور الله أو يرى رحمته ..

[**وقال لى غششتك ان دللتك على سواى**] ..

لا زال النفرى يستمع بقلبه الى ما يقوله الحق له .. وهذه العبارة ، على قصرها ، هى أبلغ دلالة على لب التصوف وحقيقته ..

ان اى دليل يأخذ الانسان لشىء سوى الله عز وجل هو الغش الحقيقى ..

[**وقال لى ان هلكت فى سـواى كنت لمـا هلكت فيـه**] ..

ذروة أخرى من قمم التوحيد .. أى هلاك للانسان او انغماس للانسان فى شىء ، يعنى استيلاء الشىء عليه .. ويعنى انه قد صار عبدا لهذا الشىء .. ان الله عـز وجل غيور .. وهو لا يرضى من عباده ان يكونوا لشىء سواه .. أو يأنسوا لغيره ، أو يعتمدوا على سـواه ..

أخيرا يختم النفرى موقف البحر بقوله :

[**وقال لى الدنيا لمن صرفته عنها وصرفتها عنه ، والاخرة لمن اقبلت بها اليه واقبلت به على**] ..

ان نتيجة الاخلاص الحقيقى لله ، ونتيجة التعالى على الدنيا وعدم الركون اليها وعدم الاطمئنان لها ..

ان نتيجة هذا كله ، ان تصير الدنيـا ملكا لهذا الزاهد الذى صرف قلبه عنها ، ولم يسمح لغير الله ان يسكن قلبه ..

ان موقف البحر فى كتاب « المواقف والمخاطبات » للنفرى ، يلقى ضوءا على حساسيته كموحد ، وعلى اخلاص فكره كصوفى ، وعلى ايجاز عبارته الدال على رؤياه الواسعة ..

يقول الصوفية : « كلما اتسـعت الرؤية ضاقت العبـارة » ..

ولقد اتسـعت رؤية النفرى حتى جاءت عبارته موجزة أعظم الايجاز ، موحية أشد الايحاء ..

شركة التأمين الأهلية المصرية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين

تقدم

الوثيقة المهنية

هى الوثيقة التى تعبر بك وأسرتك الحياة فى أمان وسلام

إذ تكفل لك :

- مبلغ تأمين قدره ٢٠٠٠ جنيه عند نهاية مدة التأمين .
- ٣٠٠٠ جنيه فى حالة الوفاة بحادث .
- ٢٠٠٠ جنيه فى حالة الوفاة العادية .
- ١٥ جنيه معاش عائلى بالاضافة إلى مبالغ التامين الأخرى المدفوعة فى حالة الوفاة .

دعنا نحقق لك الآمال لتستقر أمورك وأسرتك

القسط فى متناول الجميع

للاستعلام

القاهرة { ٢٣ شارع قصر النيل ت ٧٩١٠٠
٢٨ شارع طلعت حرب ت ٤٧٠٤٩ }

اسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ت ٨٠٢٣٢٨

وجميع فروع الشركة بالمحافظات

عرض لمبادئ الإسلام

تأليف
العالم الانجليزي
المسلم
اللورد هدلي
عرض وتلخيص
ابراهيم الفحام

مقـدمة :

يعد مؤلف هذا الكتاب ، من أعظم المهندسين الذين انجبتهم انجلترا ؟ وقد وضع مؤلفات عديدة مبتكرة ، في العلوم الهندسية ، ومنح عدة جوائز علمية ، من بعض الجمعيات الاسكتلندية والايرلندية ، تقديرا لكفايته ، كما كان له ولع خاص بانواع الرياضة البدنية ، مثل الملاكمة والتجديف والجولف والمبارزة بالسيف .

ويضم الكتاب الذى نعرضه هنا ، مجموعة من الخواطر والاراء ، التى كتبها تباعا فى بعض الصحف البريطانية ، قبيل الحرب العالمية الاولى ، للرد على الانتقادات التى وجهها اليه بعض مواطنيه ، عندما أعلن اعتناقه الاسلام ، بعد دراسات متعمقة ، دامت سنوات طويلة .

وقد ترجم ذلك الكتاب الى اللغة العربية ونشر فى أوائل سنة ١٩٢٣ بعنوان [ايقاظ الغرب للاسلام] وهى ترجمة غير دقيقة للعنوان الاصلى . وقد رأينا أن نعرض الكتاب هنا ، بعنوانه الصحيح . موقف الاسلام من قوى الشر !!

بدأ المؤلف كتابه بشرح موقف الاسلام من مواجهة قوى الشر ، ودعوته اتباعه الى المشاركة فى مقاومة هذه القوى ، بقدر ما اوتى كل منهم من قوة وسلطان ، والا يستسلموا للمعتدين ؛ أو يمكنوهم من التمادى فى غيهم ، ومنحهم الحق فى أن يدفعوا عن انفسهم اى عدوان .

وابدى المؤلف دهشته من أولئك الذين يعتبرون هذا الموقف من الاسلام دليلا على قسوته ، وعزوفه عن الاستجابة لدواعى الرأفة والمسالمة . واستدل على براءة الاسلام من هـذه التهمة الباطلة بشواهدها عديدة، ابرزها اسلوبه السلمى فى نشر دعوته ، عملا بقوله تعالى « لا اكراه فى الدين » ولذلك فهو لا يعتمد فى هذه الدعوة الا على التبية والاقناع ، كما ان تقديره للمسالمة والسلام، لا يبلغ حد الدعوة الى التخاذل والاستسلام .

انه لا شك أن دعوة الاسلام الى التصدى لقوى الشر ، ومعاقبة الاشرار ، وقمع العدوان ، لا يعد مظهرا من مظاهر تهديد السلام ، بل يعد — فى الحقيقة — مظهرا من مظاهر الدفاع عنه ، واقامته على أسس من العدل .

وما التغاضى عن الاساءة ، والمبالغة فى استخدام الرأفة فى غير موضعها ، الا مدعاة لترك قوى الشر تستشرى ، وحث للضعفاء ، على الاستسلام لبطش الاقـوياء .

لا وساطة بين العبد وربه :

ثم تحدث المؤلف عن انكار الاسلام لفكرة الوساطة بين العبد وربه ، التى يروج لها بعض الادعياء ، الذين يزعمون انهم منحوا قدرات خاصة تسمو على قدرات سائر البشر .

وابدى المؤلف دهشته من ان يظـل بعض البشر ، الذين وهبهم الله نعمة العقل ،يسمحون لبعض العقائد الباطلة، والادعاءات المغرضة ان تحجب عـن انظارهم صلة الله الدائمـة والمباشرة بعباده اجمعين ، سواء فى ذلك القوى والضعيف ، والعالم والجاهل ، والغنى والفقير . دون ما حاجة الى وسـيط يرفع دعـوات العباد الى خالقها ، ويستمطر السماء لـهم — اذا نالـوا رضاءه — ما يتوقون اليه من رحمـة وغفران .

وشرح مغزى الشهادة بوحدانية الله، وما تحققه من الترفع بخلق الله ، من أن يدينوا بالعبودية لغير الله .

دعوة الشعوب الغربية الى تفـهم الاسـلام :

ونعى المؤلف على قومه جهلهم بتعاليم الاسلام ، واصدارهم الاحكام الظالمـة عليه ، دون أن يعرفوا حقيقته . كما نعى عليهم قعودهم عن السـعى الى استجلاء حقائقه ، من مصـادرها الصحيحة ، غير المغرضة .

وذكر انه يعز عليه ، وقد ذاق حلاوة الاسلام ، ولمس بنفسه عظمة مبادئه، التى تكمن فيها سعادة البشرية جميعا ، أن يجد الملايين من البشر ، محرومين من مشاركته هذه السعادة الروحيـة التى اصبح ينعم بها دونهم .

ثم ذكر انه وان كان شكر الله على نعمه متاصل فى نفسـه منذ الصـغر ، والا انه منذ ان آمن بالاسلام ، احس بانه اكثر قربا من الله . واكثر احساسا بنعمه الوارفة ، وشبه نفسه بانسان

كان يعيش فى سرداب مظلم ، ثم اتيح له أن يخرج منه الى النور .

وأبدى يقينه الراسخ ، بانه اذا كلف أصحاب انبه العقول ، وأرقى المدارك فى مختلف اقطار العالم ، بالبحث — فى انصاف تام ، وتجرد كامل — عن عقيدة روحية ، تكفل التوفيق بين احتياجات البشر المادية والمعنوية ، لتوصلوا فى النهاية الى الاسلام .

ثم تساءل : أليس من أعظم النعم ان تتاح للمرء ان يعتنق دينا يتفق ومعايير العقل والمنطق ، ويرضى الفؤاد والضمير ، دون ان يعاند الاحتياجات الدنيوية الطيبة ، ثم هو يخلو فى الوقت نفسه من العقائد المصطربة والطقوس المعقدة ، والطلاسم التى يصعب فهمها الا على القلة القليلة من أدعياء العلم .

وتحدث عن التجارب والدراسات الجادة والمخلصة ، التى قام بهـا سنوات طويلة ، فى العقائد والاديان ، قبل ان يستقر رايه نهائيا على اعتناق الاسلام .

مركز المرأة فى الاسلام .

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى موضوع آخر من الموضوعات التى اعتادالغربيون أن يتخذوها مطعنا فى الاسلام : وهو ادعاؤهم أنه سلب المرأة كل حقوقها ، وجعل منها عنصرا خاملا فى المجتمع .

وبدأ حديثه عن هذا الموضوع ، بعرض لرسالة من ملكة [بهوبال] المسلمة، نشرت فى [المجلة الاسلامية] باللغة الانجليزية ، ردا على ادعاء مماثل رددته الانسة [دى سيلنكورت] ناظرة مدرسة البنات العليا فى [الله آباد] بالهند . وقد شرحت فيها فضل الاسلام فى تحرير المرأة ، وتكريمها ، وارجعت التهمة التى يوجهها الاوروبيون الى الاسلام فى ذلك الشأن ، الى جهلهم بتعاليمه الحقيقية ، وبتاريخه الذى خلق اسماء كثير من المسلمات اللائى بلغت ارقى درجات العلم ، حتى تخرج على ايديهن ، وشهد بفضلهن كثير من العلماء الرجال .

وانهت ملكة [بهوبال] رسالتها بان نسبت ما حل ببعض النساءالمسلمات من الجهل ، وغيره من مظاهر التأخر ، فى العصور الاخيرة ، الى التدهور الذى اصاب الدول الاسلامية ، لاسباب يبرأ منها الاسلام .

وصدق المؤلف على كل ما جاء فى تلك الرسالة ، وشهد بانه عاشر كثيرا من المسلمين خلال اقامته بالشرق ، فلم يسمع قط عن مسلم اساء معاملة زوجته ، واذا كان هنالك من يفعل ذلك فمن جهل كامل بمبادىء الاسلام .

ثم استدل بالقواعد التى سنها الاسلام لحفظ حقوق المرأة، وتوصيته باحترامها، والرفق بها سواء أكانت اما أم زوجة، أم غير ذلك .

ثم تعرض لدعوة الاسلام ، الى احتشام النساء فى ملابسهن ، واثبت ان ذلك لا يمكن أن يعد دعوة الى تقييد حقوقهن ، والشك فى اخلاقهن ، بل انه فى الحقيقة مظهر من مظاهر اجلاله لهن ، وحرصه على حمايتهن من المطامع والشكوك ، والترفع بهن ان يكن مثارا للفتنة والاغراء .

اسلوب الدعوة الى الاسلام .

وعاد المؤلف الى استعراض بعض الاكاذيب التى ينسبها بعض اعداء الاسلام اليه ، والى نبيه الكريم . وأبدى أسفه لذلك الحضيض الاخلاقى ، الذى ينحدر اليه بعض ادعياء العلم ، الذين لا يجدون غضاضة فى الالتجاء الى وسائل الخداع والاختلاق ، من اجل تشويه الحقائق الظاهرة ، والاساءة الى دين يقوم على الصدق ، والطهر ، والنقاء .

وابدى انكاره لاتباع مثل هـذه الوسيلة ، سواء فى الدعوة الى اعتناق احد الاديان ، أو الدعوة الى مهاجمة دين آخر .

وضرب المثل بالاسلوب الذى اتبعه النبى الكريم فى الدعوة الى رسالة ربه ، طوال حياته ، دون ان يحيد عنه ، سواء فى كفاحه الاول عندما كان يحتمل فى صبر وايمان أشد صنوف الايذاء ، مؤمنا بنصر ربه ، أم عندما استتب له الامر ، ونعم بنصر الله ، فلم يتخل فى الحالتين عن صفاته الشريفة ، التى تجمع بين العلم ، والصدق ، والرحمة ، والحكمة ، والعفو ، والشجاعة ، والاحسان . ولم يعرف عنه انه امتشق حساما الا للدفاع ، كما كان رحيما بأعدائه المنهزمين .

الخاتمة :

واختتم المؤلف كتابه بذكر بعض الايات القرآنية الكريمة ، التى تعبر عن مدى اعتماد الاسلام فى دعوته على التنبيه والاقناع ، ونهيه عن اتباع سبل الاكراه فى حمل الناس على اتباعه ، مما يؤكد كل التأكيد انه دين الحق ، والعقل ، والسلام .

النوال قبل السؤال

قال سعيد بن العاص :

« قبح الله المعروف ان لم يكن ابتدئى من غير مسألة ، فالمعروف عوض عن مسألة الرجل اذا بذل وجهه ، فقلبه خائف ، وفرائصه ترتعد ، وجبينه يرشح لا يدرى أيرجع بنجح الطلب ، أم بسوء المنقلب ؟ فتراه قد امتقع لونه ، وذهب دم وجهه ، اللهم فان كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل لى حظا فى الاخرة »

وقال أكثم بن صيفى :

« كل سؤال وان قل أكثر من نوال وان جل » .

وقال على بن ابى طالب [كرم الله وجهه] :

« من كانت له الى منكم حاجة فليرفعها فى كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة » .

بشائر بين يدى الرسالة

تأليف فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

ان اجمل ما فى الوجود هو ما يلقيه التاريخ من ضوء نحو بشائر الرسالة فما أعظم من صاحبها وما أجمل من سيرته العطرة ، التى أصبحت غذاء القلوب وحفزا للهمم ودعوة الى التقدم والرقى للعالم أجمع .

فلما شاءت العناية الالهية أن تبشر بسيد الكون محمد صلى الله عليه وسلم ، تلك الثمرة الطيبة العظيمة والدرة البهية النفيسة .

عرض : كمال حامد

لقد ظهر منذ مولد الرسول صلوات الله عليه العديد من خوارق العادات وماتحدث به كتاب السير ورواة التاريخ، وفى تلك اللحظة ظهرت تجليات وفاضت اشراقات وفتحت ابواب السماء وتزايدت أنوارها ، ونصبت اعلام البشائر ، وتحدث كل الناس — عند ولادته — انهم شهدوا أنوارا تعلو جنبات الارض ورحاب السماء ، ويد القدر تعد لونا جديدا للبشرية من الرجال ليتحمل التبعة والنهوض بالمسئولية واصلاح البشر بما يوحيه الى «محمد» النبى المنتظر وعلى يديه يخرج جيلا من الرجال لهم من خلقهم وحسن طباعهم ما يجعلهم اهلا لكل كمال ونشر للفضيلة على اوسع نطاق .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يتنقل فى الارحام الطاهرة والاصلاب الذكية استجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام عندما قال « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وتمر الايام والقدر يطوى سره فى ضمير الغيب ينتظر الميقات فى علم الله، وبقايا الصدق من آيات الكتب السابقة والمبشرة بالرسول المنتظر وبشائره النورانية ليهرع الى مصادرها الباحثون عن الحق ليمضون فى بحثهم للوصول الى الحقيقة حتى ولو عابوا على الاصنام التى يعبدها الجميع فى ذاك الوقت فى شبه الجزيرة العربية .

وحقيقة النبى — صلى اله عليه وسلم — قد تكون قبل خلق آدم افاض الله عليها وصف النبوة من ذلك الوقت فصار نبيا ثم لما حان وقت وجود جسمه — صلى الله عليه وسلم — وارتباط الروح به ظهر بكليته جسما وروحا وقد اخذ الله المواثيق على جميع الانبياء ان يؤمنوا به وان يوصوا قومهم بالايمان به ، ويقول الله سبحانه « واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » .

ان آدم رأى اسم النبى — صلى الله عليه وسلم — مكتوبا على العرش وان الله سبحانه وتعالى قال لادم — لولا محمد ما خلقتك ، ليبعث من خلق تلك الامة نبيا منهم يعلمهم ويرشدهم ويزكيهم بتعاليم السماء التى تتنزل على الانبياء من رب العالمين الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى . وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم — وقال سائله ، ما كان بدء أول امرك ؟ قال : « دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ، لقد ظلت دعوة سيدنا ابراهيم فى ضمير الغيب حتى ظهرت فى شخصية نبينا الكريم سيدنا محمد — صلوات الله وسلامه عليه — وقد ورد فى الاثر ، « ان الله اصطفى كنانه من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانه ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا دعوة ابى ابراهيم » .

ومن بشائر الرسالة ورد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم على لسان داود وهو نبى من أنبياء بنى اسرائيل وملك عليهم وقد انزل الله عليه الزبور وجاء فيه . يا داود انه سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يغضبنى ابدا وقد عفوت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة اعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء قبلهم وأمرتهم بالغسل من الجنابه ، كما أمرت الانبياء قبلهم وأمرتهم بالحج كما امرت الانبياء قبلهم وأمرتهم بالجهاد كما امرت الرسل قبلهم يا داود — فانى فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ست خصال لم اعطها غيرهم من الامم لا اؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب ارتكبوه على غير عمد اذا استغفرونى منه غفرته لهم وما قدموا لاخرتهم من شىء طيبه به نفوسهم جعلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم فى المذخور عندى اضعافا مضاعفة وافضل من ذلك . وأعطيتهم على المصائب فى البلايا اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون والصلاة والرحمة والهدى الى جنات النعيم فان دعونى استجبت لهم فاما ان أرده عاجلا واما ان أصرف عنهم سوءا واما أن ادخره لهم فى الاخرة .

يا داود من لقينى من امة محمد يشهد ان لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى صادقا بها فهو معى فى جنتى وكرامتى ومن لقينى وقد كذب محمدا وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابى صببت عليه فى قبره العذاب صبا وضربت الملائكة وجهه

وديره منذ منشره من قبره ثم ادخله الدرك الاسفل من النار .

وما اعجبنى فى كتاب [بشائر بين يدى الرسالة] لفضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد عدة نماذج سوف نطالعها وهى تسرد نبوءات بعض العرافين وأهل الكهانة من اليهود ، وخوفهم وفزعهم عندما وجدوا علامات مميزة خصها الله فى جسد الرسول عليه الصلاة والسلام .

وعندما اهتدوا او هداهم الله الى علامة خاتم النبوة فى اسفل غضروف كتف الرسول عليه الصلاة والسلام وهى تشبه التفاحة — وقد روت كتبهم سر هذه العلامة وشأن صاحبها للنبوة ، وفزعهم من انتقال النبوة من بنى اسرائيل الى العرب وأن المختار بها من افضل البيوت وأشرفها .

ويحدثنا التاريخ أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سافر مع عمه ابى طالب وفى الطريق كان بحيرى الراهب يتعبد فى صومعته ونزل الركب وفيهم محمد — عليه الصلاة والسلام — يستريحون قريبا من بحيرى فنزل من صومعته وصنع لهم طعاما ودعاهم لتناوله « ولم يكن يصنع ذلك من قبل » فقالوا يا بحيرى ان لك اليوم لشأناكم نمر عليك قبل ذلك ولم تصنع لنا شيئا فقال لهم صدقتم ، فلما اجتمعوا للطعام كانوا قد تركوا محمدا عند رحالهم لانه أحدثهم سنا ولكن بحيرى قال لهم على رسلكم لقد تخلف منكم شخص قالوا ما تخلف الا غلام فقال لا تاكلوا حتى يحضر هذا الغلام . فلما حضر ونظر اليه قال لقد تركتم سيدكم . وكان يلحظه اثناء تناول الطعام فلما انتهى الطعام تقدم منه وقال يا غلام أسألك بحق اللات والعزى فرد عليه محمد وقال لاتسألنى باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما . ثم أخذ يسأله من اشياء عن حاله فى نومه وهيئته وأموره وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يخبره فيوافق ذلك ما عنده من الكتب التى قراها والمعرفة التى وصلت اليه ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فلما فرغ الراهب « بحيرى » من ذلك ، أقبل ابو طالب فقال له . ما هذا الغلام منك . فقال ابنى فقال بحيرى . ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا . فقال انه ابن اخى . قال فما فعل ابوه .. قال مات وامه حبلى به قال صدقت . ثم قال ارجع بابن أخيك وأحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوا وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن .

يقول صاحب المواهب اللدنية وبحيرى واسمه جرجيس عرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين فقيل له وما علمك بذلك قال . انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولاحجر الاخر ساجدا ولا يسجدان الا « لنبى » وانى اعرفه بخاتم النبوه فى اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا بجده فى كتفه .

وهذا نموذج آخر حكى عن يهودى آخر كان يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حضر مجلس قريش فقال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود جديد. فقال القوم واللم مانعلم قال الله اكبر . اما اذا اخطاكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد فى هذه الليلة نبى بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانها عرف فرس فلما ذهب القوم اخبر كل منهم اهله . فقالوا ولد لعبد الله بن عبدالمطلب غلام « اسموه محمدا » فانطلق القوم الى اليهودى فأخبروه فقال اذهبوا بى حتى انظر اليه فادخلوه عند آمنة وقالوا اخرجى الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى اليهودى تلك الشامة فوقع مغشيا عليه . فلما افاق قالوا مالك قال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يامعشر قريش والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب .

يقول الله سبحانه «ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . وهذه الاية تشير الى ان اليهود الذين كانوا يسكنون يثرب — المدينة المنورة — قبل بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان يساكنهم فيها الاوس والخزرج — الانصار بعد الهجرة — وكانت تقوم حرب بين الطائفتين فكان اليهود لانهم أهل كتاب يقولون : انه سيبعث نبى وسوف نتبعه ونقاتلكم معه ونقتلكم قتل عاد وارم فلما بعث المصطفى — صلى الله عليه وسلم — وعرف اليهود من صفاته انه النبى المرتقب كفروا بغيا وحقدا وحسدا وهم يعلمون انه صادق وان صفاته هى المذكورة عندهم فى الكتب وصدق الله العظيم « الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»

ذلك موقف اليهود بعد ان علموا وعرفوا ان النبى المبعوث هو من عبدالله واذا كان موقف اليهود فيه صلف وكبرياء وتعنت وحسد فان الله لعنهم لموقفهم هذا رغم ان اليهود كانوا يشيعون ان نبيا سيبعث وسيكون اسمه محمدا فكان من يبلغه ذلك يسمى ابنه محمدا رجاء ان تدركه النبوه وقد ذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى ان من تسمى فى الجاهلية بمحمد كان رجاء ان تدركه النبوة لما كان من خبرها فقال — اخبرنا على ابن محمد بن عبد الله بن ابى سيف عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال . كانت العرب تسمع من اهل الكتاب ومن الكهان ان نبيا يبعث من العرب اسمه «محمد» فسمى من بلغه ذلك من العرب ولده محمدا طمعا فى النبوة — واخبرنا على بن محمد عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق قال — سمى محمد بن خزاعى بن حزابة من بنى ذكوان من بنى سليم طمعا فى النبوة .

ان هذا الانتظار والارتقاب والتسمى باسم « محمد » الذى اشاعه الكهان مما هو مدون فى كتبهم دليل على انهم يعرفون ان النبوة قد انتقلت من بنى اسرائيل الى العرب .

فلما ولد المصطفى عليه الصلاة والسلام وتنزلت عليه الرسالة السماوية بدأوا يحقدون عليه ويكيدون له ويجمعون الجموع لحربه والقضاء على رسالته وكانوا يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره .

ومن بشائر الرسالة ظهر الكثير من سكان الجزيرة العربية يؤمنون بالله ويعتقدون فى اليوم الاخر ويعتقدون ايضا بان نبيا سيبعث برسالة من عند الله ، وكانوا هديا للناس يبينون لهم سبيل الرشاد بالحجة والاقناع ومنهم على سبيل المثال قس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل وابو قيس صرمة بن ابى انس .

ان المسلم لابد ان يعيش مع رسول الله يذكر سيرته ويتخلق بخلقه ويسير على نهجه ويقتدى به فى امره حتى يعيش فى راحة بال وهدوء سر واحسن حال ينعم فى دنياه بالايمان ويلقى ربه يوم القيامة وهو عنه راض وان سيرة رسول الله خير عون للانسان على بلوغ مايتمناه والوصول الى مايرجوه — وصدق الله « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » جعلنا الله من السائرين على هدى نبيه الكريم وحشرنا فى زمره المتقين يوم القيامة . يوم يحشر المتقون الى الرحمن وفدا ويساق المجرمون الى جهنم وردا .

وصدق الله العظيم [الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون]

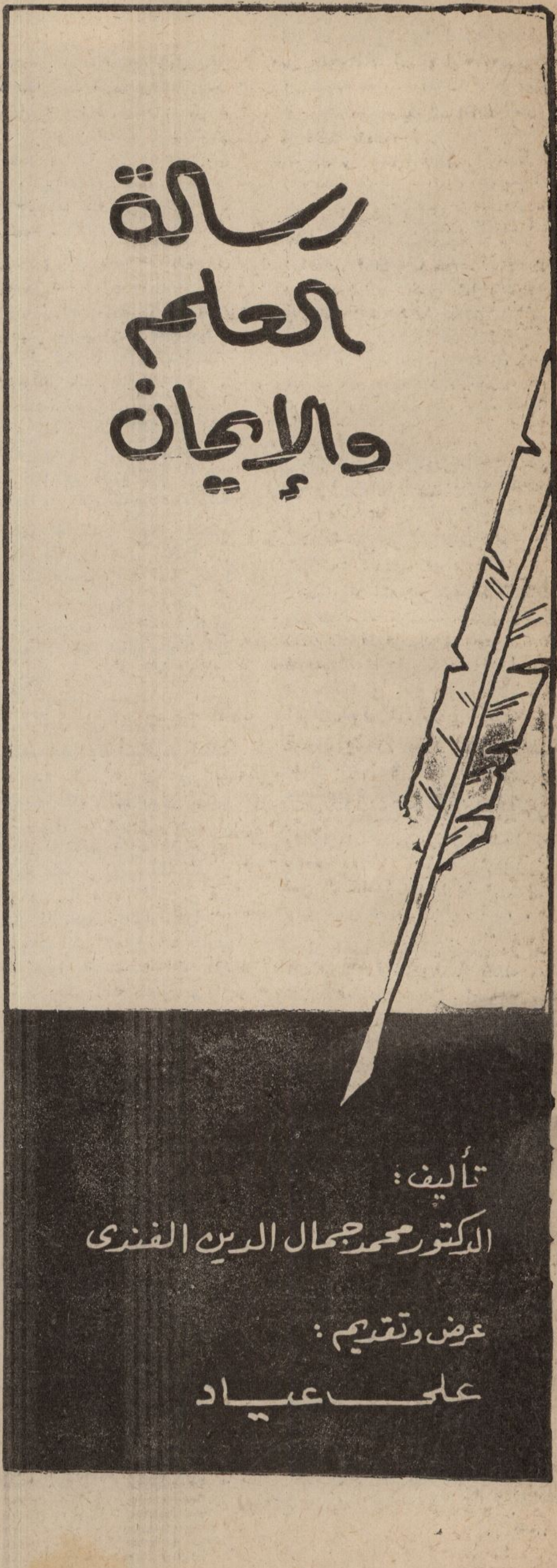

■■ الاسلام واضح فى دعوته للعلم والتعلم ، والتفكير فى ملكوت السموات والارض ، وقد اهتم الاسلام بالعقل ، لانه أداة التفكير ، والعلم ثمرته ، وبذلك كان الاسلام – وما زال – دين العقل والعلم .

■■ ويكفى للتدليل على ذلك أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم – كما يقول الاستاذ العقاد – لم يقدم برهانا على رسالته الا ما كان طريقه العقل والنظر والتفكير ، ولم يرد الله له أن يحقق لقومه ما طلبوه منه من خوارق حسية تخضع لها أعناقهم :

● « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل : انما الايات عند الله ، وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » .

■■ وكان مما يترتب على كون الاسلام دين العقل والعلم أن حذر من الانسياق وراء الظن ، وجعل من البرهان والحجة أساسا للايمان

● « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وأن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

■■ وقد اعلن الاسلام الحرب – كما يقول الشيخ شلتوت – على جهالة التقليد ، وأنكر على الانسان أن يسلم عقله لغيره ، كما اعلن الحرب على جهالة الامية ، وأوصى بتعلم القراءة والكتابة ، ورفع من شأن التعلم .

■■ والمجتمع الذى يدعو اليه الاسلام – فى رأينا – يقوم على دعامتين كل منهما ترتكز على الاخرى :

● الدعامة الاولى – القيم الاخلاقية ، ووصايا الله ، وسبيل ذلك : الايمان .

● الدعامة الثانية – القيم المادية والحسية ، وسبيلها : العلم .

■■ والايمان والعلم اذا انطلقا من مسارهما الذى حدده الاسلام ، فسوف يتحقق لنا الكثير ..

● بالعلم – نبنى ، ونحقق الرخاء ، ونسير فى ركب التطور .

● وبالايمان – نتجنب تلك التيارات التى تحول العلم الى معول يهدم ما بناه الانسان ، بل يحطم الانسان نفسه .

■■ وبهما معا – يرتفع الانسان الى المستوى الذى يجعله جديرا بخلافة الله فى الارض .

● وتلك هى رسالة العلم والايمان .

●● ويجيب الدكتور الفندى فى بداية كتابه عن تساؤل ربما دار فى ذهن القارىء عن الحكمة من وراء كتاب يحمل هذا العنوان فيقول .

● اذا اردنا أن نقصر معـــــرفتنا على مجـرد « الحقائق العلمية » وجب علينا ان نقف عند حـد المشاهدة لما فى الكون ، واذا اردنا أن نجعل من مسهدنا هذه طريق معرفه فكريه اوسع واعمق من « الحقائق العلمية » فان امامنا طريق الفلسفة . أما اذا اردنا أن نجعل من الكون كتاب يمان تطمئن اليه النفوس وتسعد به الانسانية فليس امامنا سـوى « الدين والتدين » .

●● قسم المؤلف كتابه الى ستة ابواب هي على التوالى :

- معلومات اساسية .
- مميزات الحضارة الاسلامية
- القرآن والعلم .
- من تاريخ العلوم عند العرب .
- عصر الفضاء وباب السماء .
- ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون .

●● وقد تحدث فيها جميعا عن معنى العلم ، والحقائق والنظريات العلمية ، واشارة القرآن الى القضايا العلمية العامة ، وما امتازت به الحضارة الاسلامية من تحرير للفكر ، واطلاق للعقل ، وكيف ان الاسلام خلق مجتمعا يساير الفطرة ، ويتمشى مع الناموس الطبيعى سواء من حيث ما جبل عليه الناس او ما فطر عليه الوجود .

●● ولسنا نزعم اننا نستطيع فى هذا العرض الموجز ان نلم بكل اطراف القضايا التى ناقشها المؤلف بعلم وايمان ، وحسبنا ان نشير هنا الى بعض الافكار التى نراها من وجهة نظرنا معبرة عن الفكرة الشاملة للكتاب ، من مثل :

- العلم رسالة الاسلام .
- آيات القرآن ، قواعد وقوانين كونية .
- قاعدة الايمان ..

● على أن القارىء اذا أراد الاستزادة من مادة هذا الكتاب فيمكنه الرجوع اليه فى طبعته التى اصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه فى ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

العلم رسالة الاسلام

●● دفع القرآن الكريم المسلمين الى العمل المثمر لاسباب عديدة منها

● الحض على دراسة ماحولنا من هذا الوجود ، والقرآن — كتاب الاسلام — غنى بالايات التى تحض على التفكير والدراسة لما فى الكون حتى نلمس عناية الخالق وقدرته . ومن امثلة ذلك قوله تعالى :

- « افلم يروا الى مابين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض »
- «وفى الارض آيات للموقنين . وفى انفسكم افلا تبصرون »

● مخاطبة العقل الناضج ، وتوجيه الحديث الى ذوى العلم والمعرفة ، ومن امثلة ذلك قوله تعالى :

- « .. وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » .

● الاعلاء من شان العلم والعلماء ، ولقد اشاد القرآن بهما فى العديد من الآيات من مثل :

- « بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم » .
- « انما يخشى الله من عباده العلماء » .
- « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون »

● تقسيم العلم الى فروعه الطبيعية ، والقرآن يشير اشارة واضحة الى فروع العلم المختلفة فى كثير من الآيات :

- « ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين ، وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون » .

● تميز الانسان بالعلم الذى بواسطته صار سيد هذه الارض ، وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم .

- « وعلم آدم الاسماء كلها » .

وتكون الاسماء للموجودات وصفاتها وخصائصها ، وهى بعض العلم الذى اختص به الخالق واسبغ علينا قليلا منه :

- « ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء »

ولقد قدرت الملائكة هذه الصفة التى ميز بها الخالق آدم ونسله من بعده . وبسلطان العلم ساد الانسان الارض ثم راح يغزو الفضاء محاولا الجمع بينه بين سكان العوالم الاخرى على النحو الذى نراه اليوم .

- « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » .

وبطبيعة الحال ، لا حدود لما حوى الكون من أسرار ، ونحن لا نقف منها الا كما يقف الانسان الناظر من الشاطىء الى البحر الزاخر ، ولهذا يأمل العالم دائما فى المزيد من العلم ، وفى مثل هذه المعانى الرائعة يقول كتاب الاسلام :

- « وفوق كل ذى علم علم » .
- « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .
- « رب زدنى علما » .

● اعطى القرآن العديد من القضايا العلمية العامة ، ولفت انظارنا الى ظواهر الطبيعة ، التى هى ملك للجميع ، ممثلة فى اجرام السماء وفى الفضاء والهواء والماء والسحاب وظواهر الكون المألوفة ، ومن امثلة ذلك قوله تعالى :

- « يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل » .
- « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » .
- « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا » .
- « وكل فى فلك يسبحون » .
- « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » .

● التفرقة بين الظن واليقين او الجهل والعلم ، وهذا المبدا وحده هو الاساس الذى بنى عليه صرح العلم التجريبى والعلم النظرى فى هذا العصر ، وبه بلغت حضارة البشر ما بلغت ، من رقى ، وتقدم بسرعة لم يعهدها الناس من قبل ، ويأخذ القرآن بنفس المبدا اذ يقول :

- « وما يتبع اكثرهم الا ظنا ، ان الظن لايغنى من الحق شيئا »
- « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الاالظن »
- « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن » .

● السخرية ممن يتوقعون الخوارق او الخروج على قوانين الطبيعة ونواميسها . وفى هذا المجال جاء القرآن الكريم داعيا الى التمعن فى الكون لاستنباط قوانينه الثابتة التى لاتتغير ، وهذا

النبوة هو خير دليل علمى قاطع على وجود الخالق جل شأنه ، ولهذا يقول :

— « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

والقرآن الى جانب هذا كله يجعل السعادة حتى فى الدار الاخرة رهينة العقل السليم ، والفكر الناضج المتفتح ، فيقول مثلا بلسان أهل النار :

— « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

آيات القرآن ، قواعد وقوانين كونية

●● اننا لانرى الله تعالى باعيننا ، لانه ليس كمثله شىء ، ومن الطبيعى الا تدركه ابصارنا ، ولكن يمكن مشاهدة الخالق بالقلب اذا كان الانسان مؤمنا ايمانا راسخا يجعله لايعمى الله فى شىء ، فالقلب العامر بالايمان هو وحده الذى يتسع لجلال الخالق ، وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن

— « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » ولقد تجلى الله تعالى فى كتابين خالدين : كتاب منظور هو الكون ، وكتاب مقروء هو القرآن ، واستمد القرآن معظم حكمه وامثاله من الكون وظواهره ممثلة فى السموات واجرامها ، والارض ومائها وسحابها وسائر كائناتها ، ومن هنا التقى الايمان بالعلم الذى يبصرنا باسرار الكون وما فيه .

والحقيقة ان كل آيات القرآن عبارة عن قواعد ونظم كونية سواء كانت فى مجال الطبيعة ، أو الاحياء أو الاخلاق أو الاقتصاد أو الحرب أو أى مجال آخر .

واساس المنهج العلمى هو المشاهدة والرصد لكل ما يحدث فى الكون ، اى ان العلم يتخذ من الكون معلمنا الاول الذى منه تستمد الحقائق ، واليه ترجع تلك الحقائق ، وتتلخص فروع العلم المختلفة فى كونها تعريف لنا بما يحدث فى شتى المجالات بطريقة سليمة واضحة .

ويلفت القرآن أنظار الناس الى هذه الحقيقة ، ويربط بين العلم والايمان فى عدة آيات ، منها مثلا الايات من ٣ الى ٥ من سورة الجاثية .

● ضرورة الاخذ بالاسباب ، فلكل شىء سبب او علة ، ويعلمنا القرآن هذا المبدأ العلمى الهام ، وينبذ التواكل والتقاعد ، اذ يقول مثلا :

— « انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سببا » .

قاعدة الايمان

●● يستطيع الانسان فى ظل الايمان ان ينمى ملكاته ، وان يستغل مواهبه الى أقصى حد ، فالدين يحمى الملكية ويضمن حقوق الافراد ، ثم يفتح أمامهم أبواب الخير والانسانية على مصراعيها . وهكذا يجعل لكل مجتهد نصيب ، ويحمل الانسان على عمل الخير مختارا بوازع من نفسه وضميره .. والايمان ينير لنا الطريق الى النهاية ، ويجعلنا نسلم بأن حياتنا الدنيا ، طالت أم قصرت ، انما هى مجرد اختبار لحياة أخرى أبقى وأقوم ، وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن الكريم :

— « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

— « ان الله لايظلم مثقال ذرة » .

— « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله » .

ومعنى ذلك — كما يقول المؤلف — ان الانسان لم يخلق عبثا ، وان كل ما يعمله من خير او شر سوف يراه لانه محسوب له او عليه والذى يملى علينا هذه الحقيقة الغيبية هو الايمان ، اما العلم فلا دخل له فى ذلك .

وعند هذه النقطة نرى الدكتور الفندى يؤكد على أن من واجب العلماء ان يرسموا اطارا يحدد داخله موضوع العلم ، وذلك — كما يقول — مخافة ان تصبح عقول الشباب عندنا سجينة العلم ، كما حدث فى الغرب .

ويقودنا ذلك بالضرورة الى ايجاد دراسات ومطالعات تجمع بين الايمان والعلم بلغة العصر ، بعيدا عن مجال اى تعقيد علمى أو دينى للاستعانة بها فى مراحل التعليم المختلفة .

وكلما اتسعت آفاق معرفتنا العلمية ، كلما زادت حصيلتنا من القواعد والنظم والاسرار الكامنة وراء ظواهر الكون فتضيق مساحة المجهول ، ونقترب من الخالق ، ونلمس تماما ان العلم والايمان شىء واحد .

●● واذا كان العلم والايمان شيئا واحدا ، فمن الطبيعى ان يكون ذلك هو الشعار الذى يمكن ان تقوم على اساسه دولة قوية ، وهو الاتجاه الذى سارت فيه مصر بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ومن هنا كان اهداء هذا الكتاب الى رافع لواء العلم والايمان الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

●● ونستطيع فى نهاية العرض ان نخرج من كتاب « رسالة العلم والايمان » ببعض النتائج الهامة :

● ان الحلول المادية وحدها لا تفى برغبة الانسان المتطلع الى ارضاء آدميته .

● سوف يؤدى التقدم العلمى السريع فى بعض الدول حتما الى الدمار ان لم يؤازره ويعضده درع قوى من الايمان .

● الايمان هو القاعدة الاساسية التى فى هديها يصلح أمر البشرية ومن غيره لا تستطيع المادية ان تواجه الاجابة على آيات الله فى هذا الوجود .

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور
عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

س ١ : من المواطن محمد عبد الفتاح عطية عثمان العزيزية ـ شرقية

يسأل عن كيفية زكاة البدن وزكاة الزروع والثمار وزكاة المال وقيمة النصاب فى كل منها وكيفية اخراجها ؟

الجواب :

المراد بزكاة البدن ـ كما هو المفهوم من السؤال ـ هى زكاة الفطر .

وزكاة الفطر تجب على المسلم الذى يملك أكثر من قوته وقوت عياله وحاجاتهم يوم عيد الفطر ولو كان ذلك بالاستدانة اذا كان يرجو الوفاء بالدين ـ كما يقول بعض الفقهاء ويجب أداؤها من طلوع فجر عيد الفطر ويصح أداؤها مقدما ومؤخرا الا أن المستحب اخراجها قبل الخروج الى صلاة العيد لقوله صلى الله عليه وسلم « **أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم** » ويخرجها عن نفسه وعمن تلزمه نفقته ويشمل ذلك الزوجة والخادم والوالدين والاولاد .

ومقدارها عند الحنفية نصف صاع من « بر » أى قمح أو قيمته عن الفرد الواحد ـ والصاع عند

الحنفية يقدر بالكيل المصرى بقدحين وثلث فالواجب من القمح قدح وسدس عن كل فرد والكيلة المصرية تجزىء عن سبعة أفراد اذا زاد عليها سدس قدح — ويجب من التمر والشعير والزبيب صاع كامل عن كل فرد .

والقدر الواجب اخراجه عند الشافعية صاع عن كل فرد من غالب قوت المخرج عنه والافضل البر والصاع عندهم « قدحان بالكيل المصرى » فالكيلة تجزىء عن اربعة افراد .

والواجب اخراجه عند المالكية صاع عن كل فرد والصاع عندهم قدح وثلث بالكيل المصرى ، فتجزىء الكيلة عن ستة أشخاص من غالب قوت البلد ولا يصح اخراجها من غير الغالب الا اذا كان أفضل .

أما زكاة الزروع والثمار فتجب من كل ما يخرج من الارض يوم الحصاد لقوله تعالى : « **وآتوا حقه يوم حصاده** » والواجب هو عشر الخارج من الارض اذا كانت تسقى بالراحة وبلا مئونة ونصف العشر ان كانت تسقى بآلات وتحسب الزكاة من كل ما تخرجه الارض ولا يسقط من ذلك ما تتكلفه من النفقات لان الشارع قد راعى طريقة السقى فى مقدار الزكاة تخفضها من العشر الى نصف العشر اذا كانت هناك مئونة فى السقى او كان السقى بالالات فلا يتكرر التخفيض مرة اخرى .

بقى زكاة النقدين وعروض التجارة — والنقدان هما الذهب والفضة والنصاب فيهما عشرون مثقالا من الذهب ومائتا درهم من الفضة فاذا حال الحول على النصاب وكان فارغا من الدين ومن حاجة المزكى الاصلية وحاجة عياله وجب اخراج ربع العشر ويقدر النصاب من النقود المصرية بالنسبة للذهب بأحد عشر جنيها وسبعة وثمانين قرشا ونصف قرش وبالنسبة للفضة بخمسة جنيهات وثلاثين قرشا — وربع العشر الواجب اخراجه يساوى قرشين ونصف قرش عن كل مائة قرش أى ٢٫٥ فى المائة .

وهذا الذى اراه فى التقدير بالنقود المصرية انما هو لمصلحة الفقير والمسكين لان من يملك اثنى عشر جنيها فارغة عن الدين وعن كل حاجاته الاصلية وحاجة عياله وحال عليها الحول أفلا يجب عليه أن يدفع للفقير زكاة عن ماله هذا ٢٫٥ فى المائة .

أما عروض التجارة فانها كل ما يتجر فيه بيعا وشراء فاذا بلغت هذه العروض نصابا مقدرا بالذهب أو الفضة وحال عليها الحول وهى فارغة عن الدين وعن الحاجة الاصلية للمزكى وعياله وجب اخراج ربع العشر وتقدر بالنقود المصرية بما سبق تقديره بالنسبة للذهب والفضة .

ومصارف الزكاه هم الاصناف الثمانية الذين تجمعهم الاية الكريمة « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله — والله عليم حكيم** » .

ولا تعطى الا للمسلمين من هؤلاء لقوله صلى الله عليه وسلم « **خذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم** » ويرى المالكية أن صدقة الفطر لا تعطى الا للفقراء والمساكين ولا تعطى لباقى الاصناف الثمانية .

س ٢ : من المواطن محمد على أبو اليسر شارع ٢٦ يوليو — بولاق — القاهرة

لى ابن خال والدته بنت اختى لوالدى [غير شقيقة] ووالداه اخ لوالدتى من والده [غير شقيقة ويرغب فى زواج ابنتى والمرجو الافادة عن حكم الشرع فى هذا الزواج على صفحات مجلة منبر الاسلام .

الجواب :

مفهوم من السؤال ان الولد ابن بنت عمة المطلوب زواجها وابن خال والدها ، وان البنت بنت خال أمه وبنت ابن عمته — وهى كما هو واضح قرابة بعيدة وكل من الولد والبنت رحم غير محرم من الاخر فلا يحرم الزواج بينهما مالم يكن هناك مانع آخر والله أعلم .

س ٣ : من نفس السائل

توفيت امراة أرمل عن أربع بنات وأخ شقيق توفى قبلها وله ولد واحد وبنات وأيضا لها أولاد شقيقتها اناث وأولاد عم ذكور واناث وعمة شقيقة ، والمطلوب معرفة من يرث ومن لا يرث ونصيب الوارث منهم .

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال ولم تترك المتوفاة سوى اربع بنات وابن أخيها الشقيق وبنات أخيها وبنات أختها وأولاد عمها الذكور والاناث وعمتها الشقيقة فان لبناتها الاربع ثلثى التركة فرضا يقسم بالسوية بينهن والباقى لابن الاخ الشقيق تعصيبا ولا شىء لبنات الاخ وذلك لان ابن الاخ أقرب عصوبة من اولا العم الذكور فحجبهم عن الميراث وأما بنات الاخ وأولاد الاخت وبنات العم والعمة الشقيقة فانهن جميعا من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة — والله أعلم .

س ٤ : من المواطن ابراهيم أحمد الهلالى شارع زين العابدين بالسيدة زينب

سيدة توفى زوجها ولها منه ٣ بنات فقط وله كذلك أولاد أخ وأولاد أخت ذكور واناث ـ فهل يدخل اولاد أخى المتوفى الذكور والاناث وكذلك أولاد الاخت فى الميراث ؟

الجواب :

واضح من السؤال ان الزوج المتوفى ترك زوجته وبناته الثلاث واولاد اخيه ذكورا واناثا واولاد اخته فاذا كان الامر كذلك ولم يترك سوى من ذكر فان لزوجته ثمن تركته فرضا ولبناته الثلاث **الثلثان** فرضا يقسم بالسوية بينهن والباقى لابناء الاخ الذكور تعصيبا يقسم بالتساوى بينهم ولا شىء لبنات الاخ ولا لاولاد لاخت ذكورا كانوا او اناثا لان بنات الاخ واولاد الاخت من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة ـ وهذا اذا كان أولاد الاخ اولاد اخ شقيق أو أب فان كانوا أولاد اخ لام **فلا ميراث لهم** لانهم جميعا يكونون من ذوى الارحام وحينئذ يكون للبنات الثلاثة باقى التركة بعد نصيب الزوجة فرضا وردا ـ والله أعلم .

س ٥ : من نفس السائل .

زوج توفيت زوجته وله منها ٣ بنات فقط ولها اخوة واخوات فهل يدخل الاخوة والاخوات فى الميراث ؟

الجواب :

واضح من السؤال ان الزوجة توفيت وتركت زوجها وبناتها الثلاثة واخوتها واخواتها فاذا كان الامر كذلك ولم تترك المتوفاة سوى من ذكر فان للزوج ربع التركة فرضا ولبناتها الثلاث الثلثان فرضا والباقى للاخوة والاخوات تعصيبا للذكر ضعف نصيب الانثى . وهذا اذا كان الاخوة والاخوات جميعا اشقاء أو كانوا جميعا اخوة لاب فان كانوا مختلفين اخذ الاشقاء باقى التركة بعد نصيب الزوج والبنات وحجب الاخوة لاب عن الميراث بالاخوة الاشقاء وان كان الاخوة اخوة لام فلا شىء لهم فى الميراث لحجبهم بالبنات ووزعت التركة كلها على الزوج والبنات الثلاثة للزوج الربع والباقى للبنات الثلاثة فرضا وردا ـ والله أعلم .

س ٦ : من نفس السائل .

بنات يتيمات الاب والام ولهن أملاك بأسمائهن ملكوها عن طريق الشراء فى حياة الاب والام ـ توفيت احداهن ـ فهل يقتصر الميراث على شقيقاتها ام يدخل فيه أولاد العم والخالات ؟

الجواب :

مفهوم من السؤال ان المتوفاة توفيت ولم تترك سوى اخواتها الشقيقات وأولاد عمها وخالاتها ـ فاذا كان الامر كذلك فان لاخواتها الشقيقات ولأولاد عمها وخالاتها . فاذا كان الامر كذلك فان لاخواتها الشقيقات تتى تركتها فرضا يقسم بالتسوية بينهن يستوى فى ذلك ما ملكته بالشراء وما ورثته عن أبيها وأمها والباقى وهو الثلث للذكور من أولاد العم تعصيبا بالتساوى بينهم ولا شىء لبنات العم ولا للخالات لانهن من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة ـ وهذا اذا كان ابناء العم متحدين فى قوة القرابة بأن كانوا جميعا ابناء عم شقيق او ابناء عم لاب فان كان منهم ابناء عم شقيق وابناء عم لاب فالباقى من التركة بعد نصيب الاخوات لابناء العم الشقيق لانهم اقرب عصبة من ابناء العم لاب فيحجبونهم من الميراث ـ والله أعلم .

س ٧ : من المواطن عبد الحق محمد عبد الحق ـ من دنشواى .

هل يحرم ختم الصلاة فى المسجد عقب الصلاة ؟

الجواب :

ختم الصلاة عقب الصلاة المفروضة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد او فى غيره فقد روى البخارى فى باب « الذكر بعد الصلاة » ان ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى البخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **جاء الفقراء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور من الاموال بالدرجات العلا ، والنعيم المقيم ، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتمرون ، ويجاهدون ويتصدقون فقال : الا احدثكم بما ان اخذتم به أدركتم من سبقكم ، ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم الا من عمل مثله : تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين .. الخ** » .

وروى البخارى عن سفيان عن مالك بن عمير عن وراد كاتب للمغيرة بن شعبة قال أملى على المغيرة فى كتاب الى معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة مكتوبة « **لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير** .

اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

ومن هذه النصوص يؤخذ أن ختم الصلاة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسبيح الله ثلاثا وثلاثين وتحميده ثلاثا وثلاثين وتكبيره ثلاثا وثلاثين ثم يقول المصلى : **لا اله ألا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ثم يدعو بالدعاء المأثور أو بما شاء من الادعية .**

س ٨ : من نفس السائل .

هل يحرم الاذان الثانى يوم الجمعة الذى يكون عقب صعود الخطيب على المنبر ؟

الجواب :

لا يحرم الاذان الثانى يوم الجمعة بل هو الاذان المسنون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الذى كان على عهده صلوات الله وسلامه عليه وعهد الخليفة الاول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعهد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وصدر خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولما كثر الناس واتسعت المبانى سن أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله عنه الاذان الاول حين يدخل وقت الجمعة ليكون اعلاما بدخول الوقت وليستمع اليه اكثر الناس مع الابقاء على الاذان الثانى الذى يكون بين يدى الخطيب وهو ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر على سيدنا عثمان أحد من الصحابة فكان ذلك اجماعا – ومن المعروف أن ما يسنه أحد الخلفاء الراشدين الاربعة يعتبر سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ** » وقد استقر العمل بذلك حتى يومنا هذا .. وبهذا يكون الاذان الاول لدخول وقت الجمعة ثابتا بالسنة والاجماع .

س ٩ : من نفس السائل

يقول بعض الناس ان زيارة أضرحة الاولياء حرام فهل هذا صحيح أم أن زيارتها جائزة ؟

الجواب :

زيارة اضرحة أولياء الله الصالحين جائزة شرعا بل هى سنة دعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها قبور وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور بعد ان كان قد نهى عنها . قال صلى الله عليه وسلم : **كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها** » وزيارة القبور شرعت للعظة والاعتبار ، وينبغى للزائر أن يشتغل بالدعاء والتضرع الى الله ، والاعتبار بالموتى ، وقراءة القرآن والدعاء للميت فان الدعاء ينفعه بفضل الله تعالى .

يندب للزائر ن يقول : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية** » .

ومما ورد فيما يقوله الزائر عند رؤية القبور « اللهم رب الارواح الباقية والاجسام البالية . والشعور المتمزقة ، والجلود المتقطعة ، والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة انزل عليها روحا منك وسلاما منى » .

س١٠ : من المواطن العربى : رياض محمود . فلسطين

وضع شخص « لزقة » على جسمه وهو طاهر . ثم صار جنبا بعد ذلك فماذا يعمل فى الطهارة من الجنابة . وكذلك فى الوضوء اذا كانت « اللزقة » على أحد أعضاء الوضوء .

الجواب :

اللزقة هنا تأخذ حكم الجبيرة أو الخرقة « الرباط » الذى يشد به العضو اذا كسر أو جرح . وقد قرر الفقهاء أن الانسان اذا كان لا يستطيع غسل العضو ولا يستطيع مسحه وجب المسح على أكثر ما شد به العضو .

فاذا كان السائل لا يستطيع غسل ما تحت اللزقة ولا يستطيع مسحه وجب عليه مسح اللزقة أو أكثرها حسب استطاعته . يفعل ذلك فى الغسل وكذلك فى الوضوء .. ولا يبطل المسح بسقوط الجبيرة أو ما شد به العضو قبل الشفاء . ويجوز تبديلها بغيرها . ولا يجب اعادة المسح عليها . والافضل اعادته . فان لم يضره غسل ما فوق اللزقة غسله . وان ضره الغسل مسح على الوجه المذكور . ولا فرق فى ذلك بين الطهارة من الحدث الاكبر أو الاصغر والله أعلم .

س ١١ : من المواطن العربى : ابراهيم حسين – الاردن

هل يجوز غسل ملابس الرجل الذى يصلى فى الاناء الذى تغسل فيه ملابس الحائض والاولاد الصغار .

الجواب :

من المقرر فقها أن الاناء النجس يطهر بغسله بالماء الطهور حتى يزول أثر النجاسة . ما لم تكن نجاسته بولوغ الكلب فيه . فانه لا يطهر الا بغسله سبع مرات احداهن بالتراب لقوله صلى الله عليه وسلم « **اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات احداهن بالتراب** » وبناء على ذلك فانه يجوز غسل ملابس المصلى فى الاناء بعد تطهيره من اى نجاسة فيه . على الوجه المذكور . والله أعلم .

س ١٢ : من المواطن العربى ـ عبد القادر أحمد مشطة ـ الاردن

هل تعاد الصلاة التى تكون بتيمم من الجنابه . ويستمر التيمم لمدة ثلاثة أيام أو أكثر أو أقل . فهل تعاد الصلاة عند وجود الماء ؟

الجواب :

شرع الله التيمم بالصعيد الطيب عند العجز عن استعمال الماء لفقده أو لغير ذلك من الاعذار المبيحة للتيمم للطهارة من الحدث الاكبر والاصغر .

قال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين . وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** » ويصلى بالتيمم ما شاء من الفرائض والنوافل مادام العذر المبيح للتيمم قائما . طال وقت العذر أو قصر . فاذا زال العذر وجب عليه أن يتطهر بالماء ولا يعيد شيئا مما اداه بالتيمم .

فان زال العذر المبيح للتيمم وهو فى أثناء الصلاة كأن وجد الماء وهو فى أثناء الصلاة بطل تيممه وبطلت هذه الصلاة فقط والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يسر
شركة النصر للغزل والنسيج والتريكو
الشوربجى
أن
تقدم
إنتاجها الجديد
من
الملابس الجاهزة
• اللانجيرى
• الأقمشة النوفوتيه
• شراب ترواكار
• جوارب كولونات
شوربجى
CHOURBAGUI

الأسرة المسلمة

أجرة الحضانة والتبرع بها

المستشار أحمد محمود خليل

ختاما لبحثنا السابق عرضه فى العددين السابقين عن حق الحضانة ، نتناول فيما يلى استحقاق الحاضنة لاجرة الحضانة ومسكن الحضانة والتبرع بها .

استحقاق الحاضنة لاجرة الحضانة : اذا كانت الحضنه غير الام ، فلها أجرة الحضانة ما لم تكن متبرعه بالحضانة ، واذا كانت الام هى الحاضنة لولدها فلا تستحق الاجرة حال قيام الزوجية بينها وبين أبى الصغير . وكذا اذا كانت لا تزال فى العدة بعد أن فارقها زوجها . لانها تستحق نفقة عدتها عليه فلا تجمع بين نفقتها عليه وأجرة حضانتها لولدها منه . لان ما تأخذه الحاضنة فى نظير الحضانة ليس أجرا خالصا بل له شبهان : شبه بالاجرة وشبه بالنفقة . فمن جهة أن الحاضنة تقوم بخدمة الصغير وتربيته فان ما تأخذه فى نظير ذلك يعتبر أجره على عملها ، ومن جهة أن أجرة حضانة الصغير من نفقته ، وان نفقته واجبة فى ماله ان كان له مال والا فهى واجبة على من تجب عليه نفقته يعتبر ما تأخذه فى نظير حضانته من نفقته . فلوحظ هذا المعنى فى استحقاق الحاضنة لاجرة الحضانة . واذا كانت المعتدة الحاضنة غير مستحقة نفقة عدة كما اذا كانت معتدة لوفاة أو معتدة من طلاق على الابراء من نفقة عدتها فانها تستحق أجرة حضانة ولدها الصغير . اذ لا تكون حينئذ قد جمعت بين نفقة عدتها وأجرة حضانتها . والمعتدة التى أمرت بالكف عن المطالبة بنفقة عدتها لمضى سنة من تاريخ طلاقها تستحق أجرة الحضانة . اذ لا نفقة لها على أبى الصغير . واذا انتهت عدة الام فانها تستحق أجرة حضانة ولو كانت بعد انتهاء عدتها قد تزوجت بذى رحم محرم للصغير كعمه . واما اذا تزوجت بأجنبى عن الصغير فلا حق لها فى الحضانة .

ولما كانت أجرة الحضانة فى نظير عمل تقوم به الحاضنة فهى تستحقها من وقت قيامها بالحضانة بدون توقف على قضاء القاضى وتكون دينا صحيحا لا يسقط الا بالاداء أو الابراء .

من تجب عليه أجرة الحضانة : أجرة الحضانة مثل أجرة الارضاع تعتبر من نفقة الصغير فتجب على من تجب عليه نفقته . فان كان للصغير مال فهى واجبه فى ماله كما يجب فيه نفقته من طعام وكسوة وغير ذلك مما هو فى حاجة اليه ولو كان أبوه موسرا . وان لم يكن للصغير مال فأجرة حضانته واجبة على من تجب عليه نفقته . فتجب على الاب اذا كان قادرا بيساره أو بكسبه ، وان كان أبوه ميتا أو كان فقيرا معسرا عاجزا عن الكسب تجب أجره حضانة الصغير على من تجب عليه نفقته من أقاربه .

أجرة مسكن الحضانة : اذا كان للحاضنة مسكن مملوك لها كانت تسكنه قبل الحضانة أو كانت متزوجة بذى رحم للصغير فلا حق لها فى طلب أجرة مسكن للحاضنة . لانها تسكن فى منزلها المملوك لها او فى منزل زوجها ، واقامة المحضون معها فى مسكنها لا تستدعى زيادة على ما كانت تنفقه من قبل . وان لم يكن لها مسكن مملوك تسكن فيه أو لم تكن متزوجة بمحرم ، وطلب أجرة مسكن للحضانة تحضن فيه الصغير فانها تجب على من تجب عليه أجرة الحضانة على التفصيل السابق فيمن تجب عليه أجرة حضانة الصغير ، وكذا أجرة خادم للصغير ان احتاج الى خادم .

التبرع بالحضانة : اذا طلبت الام أن تحضن ولدها الصغير وهى أهل للحضانة وكانت متبرعة بحضانته فلا يسلم الى غيرها من الحاضنات اللاتى هن أهل للحضانة . لان الام اولى النساء وأحقهن بحضانة ولدها متى كانت أهلا للحضانة ، وفى قيامها بحضانته مصلحة للصغير . لانها أقدر وأصبر وأشفق عليه من سواها فى خدمته وتربيته وتعهد شئونه . واذا أبت الام ان تحضن ولدها بدون أجر فى الحالة التى تستحق الام أن تأخذ أجرا على حضانة ولدها ، ووجدت حاضنة متبرعة من محارمه كالجدة لاب أو لام ، والخالة والعمة وكانت أهلا للحضانة . فان كانت أجرة حضانته واجبة على أبيه وكان موسرا تقوم الام بحضانة ولدها وبأجر المثل – ولو طلبت أكثر من اجر المثل – ولا يسلم الى المتبرعة بحضانته مراعاة لما هو الانفع للصغير . حيث أن الام أصلح من غيرها فى حضانته . وفى باب الحضانة تراعى مصلحة الصغير فتقدم مصلحته على مصلحة أبويه . ولا ضرر على الاب فى الزامه بأجرة الحضانة لكونه موسرا .

وفيما عدا هذه الصورة يؤخذ الصغير من أمه ويسلم الى الحاضنة المتبرعة بحضانته فتقوم بحضانته . ويشمل ذلك حالتين :

أ – أن تكون أجرة الحضانة واجبة فى مال الصغير بأن كان له مال . وفى هذه الحالة يسلم الصغير الى المتبرعة بحضانته محافظة على مال الصغير بقدر الامكان . وقد أمكن ذلك بقيام المتبرعة بحضانته ، ولا ضرر على الصغير فى ذلك لكونها من محارمه وان كانت أقل شفقة ورعاية من الام .

ب – أن تكون الاجرة واجبة على الاب مع فقره واعساره بأن كان قادرا بكسبه . وفى هذه الحالة يسلم الصغير الى المتبرعة بحضانته . اذ لو قامت الام بحضانته مع ابائها أن تحضنه بغير أجر لكان فى ذلك اضرار بالاب . حيث يلزم بالاجرة مع كونه فقيرا معسرا . وقد قال تعالى فى كتابه العزيز « **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** » .

واذا لم توجد متبرعة بالحضانة من محارم الصغير وأبت الام أن تحضنه بالمجان ، وكان الاب والصغير فقيرين أجبرت الام على الحضانة . وتفرض الاجرة على الاب ويؤديها عنه من تجب عليه نفقة الصغير بعد الاب على أنها دينٌ على الاب يؤخذ منه اذا أيسر .

هذا اذا كان الاب فقيرا قادرا على الكسب . ولكنه لا يكسب بالفعل . واما اذا كان عاجزا عن الكسب فانه يعتبر كالميت . فتكون أجرة حضانة الصغير واجبة على من تجب عليه نفقته من أقاربه لو كان أبوه ميتا .

الفرق بين التبرع بالحضانة والتبرع بالرضاع

١ – يشترط فى المتبرعة بالحضانة لتقدم على الام غير المتبرعة ، أن تكون من محارم الصغير كالجدة والعمة والخالة والاخت بعد أن تتوافر فيها الشروط اللازمة فى الحاضنة . فلو كانت المتبرعة أجنبية عن الصغير ولو كانت قريبة غير محرم له كبنت الخالة وبنت العمة فلا يسلم اليها لتحضنه . بل تقوم الام بحضانته بأجر المثل ولو من مال الصغير . لان الاجنبية لا حق لها فى الحضانة أصلا فلا عبرة بتبرعها بالحضانة . بخلاف المتبرعة بالارضاع فلا يشترط فيها أن تكون من محارم الرضيع ، ويسلم اليها لارضاعه ولو كانت أجنبية عنه لا قرابة لها به .

٢ – أن الصغير لا يؤخذ من أمه التى تأبى حضانته بدون أجر اذا وجدت حاضنة متبرعة من محارمه الا فى الحالتين السابقتين . بخلاف الارضاع فان المتبرعة بالارضاع تقدم على الام غير المتبرعة بالارضاع فى كل الاحوال أى سواء كانت أجرة الارضاع واجبة فى مال الصغير أو واجبة على الاب موسرا كان أو معسرا قادرا على الكسب .

والسبب فى التفرقة ان الغرض من أرضاع الطفل تغذيته ، وهذه تتحقق من المرضعة سواء أكانت ذات قرابة محرمية للرضيع أم أجنبية عنه بدون ضرر يلحق الطفل ، فليس ما يدعو الى الزام الزوج بأجرة الارضاع ، أو الى دفعها من مال الصغير للام التى تأبى الارضاع بلا أجر ، فى الحالة التى تستحق الام ان تأخذ أجرا على ارضاع ولدها – مع وجود المتبرعة بالارضاع .

وأما الغرض من الحضانة فهو تربية الطفل ، واحاطته بالرعاية والعناية ، وخدمته ، وتعهد شئونه على الوجه الاكمل بقدر الامكان . وقلما يتحقق ذلك اذا كانت الحاضنة أجنبية عن الصغير . ولهذا المعنى لا يثبت حق الحضانة الا للمحارم من القرابة النسبية . وقيام الام بالحضانة أصلح وأنفع للصغير لكونها أكثر شفقة وأشد حنانا عليه ورعاية له . فلا يعدل عنها الى غيرها الا لضرورة كالمحافظة على مال الصغير وكاعسار الاب .

الى من يضم الصغير والصغيرة بعد انتهاء مدة الحضانة ؟ اذا انتهت مدة حضانة النساء للصغير والصغيرة فأحق الناس بامساكهما وضمهما اليه أبوهما متى كان متوافرا فيه الشروط فى حضانة العاصب . فان لم يوجد الاب أو لم يكن أهلا لضمهما اليه فحق ضمهما وامساكهما للاقرب فالاقرب من العصبات بحسب الترتيب السابق فى حضانة الرجال بشرط أن يكون محرما للصغيرة ، وأما الصغير فيضم الى العاصب وان كان غير محرم له كابن العم .

لان الصغير فى هذه المرحلة من حياته يحتاج الى التخلق بخلق الرجال والى التعليم والتثقيف ، كما أن الصغيره فى هذه الفترة من حياتها فى حاجة الى حفظها وصيانتها . وعصبتهما اقدر من النساء على القيام بهذه الامور . ولا خيار فى هذا للصغير ولا للصغيرة ، ولا لمن له حق امساكهما وضمهما اليه . حتى لو امتنع عن امساكهما من له حق ضمهما وامساكهما أجبر على ذلك رعاية لمصلحة الصغير والصغيرة . ولان هذا حقهما الثابت لهما شرعا ، فلا يملك أحد تفويت حقهما واسقاطه .

واذا لم يوجد عصبة ولا وصى يترك الصغير عند حاضنته من النساء المحارم الا اذا رأى القاضى ان مصلحته فى أخذه منها وجعله فى يد غيرها . والقاضى مطالب شرعا برعاية مصلحة الصغير وحياطتها .

واذا لم يكن للصغيرة عاصب محرم يضعها القاضى عند امرأه أمينة قادره على صيانتها والمحافظة عليها و يبقيها عند حاضنتها اذا راى مصلحتها فى ذلك .

ويبقى الصغير فى يد من له حق ضمه اليه وامساكه الى ان يبلغ خمس عشرة سنة ، او الى أن يرى احدى علامات البلوغ . واذا بلغ مأمونا على نفسه فانه يبقى عند من له حق امساكه حتى يصير مأمونا على نفسه .

وتبقى الصغيرة فى يد من له حق امساكها الى أن تتزوج ، أو الى أن تصير مسنة مأمونة على نفسها . وحينئذ تكون أحق بنفسها وليس لصاحبها المحرم الحق فى اجبارها على الاقامه معه . واذا طلقت من زوجها أو توفى عنها زوجها وكانت مأمونة على نفسها فانها أحق بنفسها فلها أن تنفرد باقامتها .

والله الموفق لما فيه رضاه .

الامـــام الشـــافعى

روى عبد الله بن محمد البلوى قال : كنت أنا وعمر بن نيامة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد ، فقال لى عمر : ما رايت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى [رضى الله عنه] : خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا ، وكان الحارث تلميذا لصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصـوت ، فقرأ هذه الاية : « **هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون** » ، فرأيت الشافعى [رحمه الله] قد تغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطرب اضطرابا شديدا ، وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق جعـل يقول : أعوذ بك من مقـام الكاذبين ، واعراض الغافلين : اللهم لك خضعت قلوب العـارفين ، وذلت لك رقـاب المشتاقين ، الهى هب لى جودك وجللنى بسترك ، واعف عن تقصيرى بكرم وجهك .. قال : ثم مشى وانصرفنا .

فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصـلاة ، اذ مر بى رجل فقال لى : يا غلام احسن وضوءك أحسن الله اليك فى الدنيا والاخرة ، فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره . فالتفت الى فقال : هل لك من حاجة ؟ .. فقلت : نعم .. تعلمنى مما علمك الله شيئا . فقال لى : اعلم ان من صدق الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا ، أفلا أزيدك ؟ .. قلت : بلى .. قال : من كان فيه ثلاث خصـال فقد استكمل الايمان : من أمر بالمعروف وائتمر ، ونهى عن المنكر وانتهى ، وحافظ على حدود الله تعالى .. الا أزيدك ؟ .. قلت : بلى .. فقال : كن فى الدنيا زاهدا ، وفى الاخرة راغبا ، واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين .. ثم مضى ، فسألت من هذا فقالوا : هو الشافعى .

من تعاليم الإسلام العامة

لقد بينا فيما سبق تشريع الطلاق فى الاسلام ، وانه ينبنى على مبرر ولسبب يبيحه مما يؤدى الى مصلحة الزوج والزوجة معا . ونبين هنا : حكمة جعل الطلاق بيد الرجال .

لقد جعل الاسلام اجراء الطلاق بيد الرجال دون النساء . وهذا حكمة من حكم الاسلام فى احكامه . وذلك لسرعة النساء خلقة فى تصرفهن للامور ، قبل التدبر فيها ، ولغلبة الهوى عليهن وقلة صبرهن وضعف تفكيرهن فى عواقب الامور ، كما هو مشاهد عند أكثرهن والواقع فى أغلب الاحوال .

فلو كان ايقاع الطلاق بيد النساء لوقع هذا المبغوض [فى أكثر الاوقات] بلا سبب موجب ، أو على هوى فيؤدى الى تخريب بيت الزوجية بأتفه الاسباب .

مع ان هذا النوع من الايقاع يقع على أيدى بعض الرجال ايضا ، وذلك لضعف الديانة والتفكير ، ولشدة الغضب ، وغلبة الجهالة ، ولكن البناء فى التشريع والتقنين انما يكون على الاكثرية .

ومن هنا يعلم ان عدم جعل الطلاق بيد المرأة ليس تنقيصا على حقها ، وانما هو ماتقتضيه الحكمة فى المجتمع بل انه يتم لمصلحتها ، كما يتم لمصلحة الرجل ولصلاح بيت الزوجية .

الأستاذ مبشر الطرازى الحسينى

واقول : مع اننا اذا نظرنا الى احكام الاسلام فى ايجاب النفقة بأنواعها تماما على ذمة الزوج مع ما يكلفه تربية الاولاد من الاموال . وعدم ايجاب الخدمة وحتى الارضاع على الزوجة كما بيناه فيما سبق . فان ذلك كله يخول للرجل حقا واحدا فحسب ، الا وهو ابقاء العلاقة الزوجية بينه وبين زوجته بحسن المعاشرة ، او قطعها بالطلاق لسبب معقول شرعى ، وهذا شىء يحكم به الضمير الانسانى للزوج بلا معارضة .

وقد سجل رأيى هذا بالقبول فى وزارة العدل فى تاشكند [طشقند] عاصمة تركستان فى ضمن تقرير شامل عن حقوق المرأة فى الاسلام اجابة لدعوة الوزارة ، حتى ان مستشارا المانيا استأذن لترجمة التقرير الى اللغة الالمانية ، وقد اندهش لما فى الاسلام من رعاية المرأة وابتناء احكامه بشأنها على الحكمة ومصلحة المجتمع الانسانى .

وكان ذلك حينما كنت قاضى الشريعة الاسلامية سنة ١٩٣٦ الميلادية هذا . مع ان الشريعة الاسلامية قد اعطت المرأة حق طلب الطلاق او فسخ النكاح على زوجها بشكوى الى القاضى ، لبعض الاسباب التى تظهر من الزوج مثل العنة والجنون والبرص والجذام والعجز عن النفقة والكسوة والسكنى ، فعند ذلك يقوم القاضى [بعد الاثبات] بايقاع الطلاق ، اوفسخ النكاح على رغم الزوج ، حتى يكون للزوجة حرية الزواج بمن تشاء .

ثانيا — ان للمرأة [بنتا كانت او ثيبا] او لولى أمرها حقا آخر الا وهو اشتراط كون الطلاق بيدها عند عقد النكاح ، لاحد هذه الاسباب الاربعة :

١ — اذا تركها الزوج بلا نفقة الى ستة اشهر

٢ — اذا ضربها بدون سبب شرعى .

٣ — اذا تزوج عليها زوجة اخرى بدون رضاها .

٤ — اذا خرج بها من بلد أهلها الى بلد آخر [خارج بلادها] بدون موافقتها

وهذا النوع من الاشتراط عند عقد النكاح معمول به فى بلاد تركستان وبخارى ، مما فيه بعد النظر الى عاقبه الامر فى الحياة الزوجية والرعاية الكاملة لشأن المرأة .

[افادة مزيدة]

لقد قلنا فيما سبق أن الطلاق محذور فى أصله ، وأنه أبغض الحلال عند الله عز وجل ، ولا يكون ايقاع الطلاق الا عند الاضطرار والضرورة ، وبحكمة وتدبير فى عواقبه التى تعود على الزوجين وعلى اولادهما وسمعة اسرتهما فى المجتمع الاسلامى .

ولهذا يفهم من احكام الاسلام ان الطلاق مكروه بل حرام [كما قلنا] فى حالة استقامة الزوجين وقيامهما بحقوق الزوجية ، حتى لايكون ايقاعه على هوى ، لانه تخريب لبيت الزوجية .

٢ — وأن يكون ايقاع الطلاق [على المرأة التى تحيض] فى طهر لم يجامعها فيه . ويكره ان يكون فى حالة الحيض او النفاس . ذلك لكيلا يطول عليها مدة العدة ، لانها تحصى عليها بعد طهرها من الحيض او النفاس [والعدة ثلاثة قروء] فتطول وفيه ضرار للمرأة. والاصل فيه قوله تعالى [فطلقوهن لعدتهن، واحصوا العدة واتقو الله ربكم] الاية ١ — الطلاق ، اما الامر باحصاء العدة فانه للعلم ببقاء زمان الرجعة ، ذلك لان الزوج ربما يندم على الطلاق ، او الزوجة ربما تندم على نشوزها الذى كان سبب الفراق ، فيمكن الرجعة ، وفى هذا مراعاة لمصلحة بيت الزوجية وحماية له من الخراب .

ثم ان احصاء العدة أمر ضرورى أيضا لمراعاة حق النفقة والسكنى للمرأة المطلقة حتى تنقضى العدة .

٣ — يجب أن يكون ايقاع الطلاق تطليقه بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال بدفعة واحدة ، وان لايجمع الطلقات الثلاث ، وذلك لكى يمكن الرجعة فيعيش بعدها الزوجان عيشة مرضية فى حياة زوجية احسن مما مضى ، لما فى الطلاق من الزجر والانزجار ، وفى هذا يقول الله سبحانه : [الطلاق مرتان] اى مرة بعد مرة بتطليقة واحدة [فامساك بمعروف] اى بعد الرجعة بمراعاة حقوق الزوجية وحسن الصحبة [او تسريح باحسان] بان يؤدى الزوج لزوجته المطلقة جميع حقوقها المالية ، وان لايذكرها بعد المفارقة بأى سوء ينفر الناس عنها فيعوق زواجها .

٤ — ولا يمكن الرجعة بعد وقوع ثلاث طلقات فى دفعات [او دفعة واحدة] الا بالتحليل ، وانما ذلك زجرا للجانبين ، أو جانب أراد التفريق بدون تفكير لعواقبه ، ولا نظر الى احتمال الندامة وامكان الرجعة وفى هذا يقول الله تعالى [فان طلقها] اى مرة ثالثة بعد المرتين ، [فلا تحل له من بعد] اى بعد التطليقة الثالثة [حتى تنكح زوجا غيره] اى حتى تتزوج المطلقة بعد انقضاء عدتها زوجا غير زوجها الاول .

قال الامام النسفى فى تفسيره « والفقه فيه ان الزوج لما اقدم على فراق لم يبق للندم بعده مخلص لم تحل له مطلقته الا بدخول فحل عليها ، ليمتنع من ارتكابه » وفى هذا اشارة الى ماقلناه انفا . وقال صاحب كتاب « محمد المثل الكامل » فى هذا الباب ما نصه :

[فقد رأى فقهاء المسلمين فى قوله تعالى] فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره] تحذيرا لكل من الزوجين من الطلاق تبيينا لسوء مغبته ومنعا من الاقدام عليه دون ترو وتأمل] ثم قال : [ان اشتراط اتخاذ زوج آخر قبل الرجوع الى الاول اكبر مانع من ايقاع الطلاق [يعنى ثلاثا] عند قوم كالعرب عرفوا بشدة الغيرة والحمية ، واقوى رادع لهم عن ممارسة هذه العادة التى كانت شائعة عند اليهود وعرب الجاهلية والنصارى ، فجاء القرآن بأكبر زجر لامة من اقوى امم الارض شعورا نمس منها مكان العزة والشرف] الى ان قال : [ولا جرم ان الناس فى جملتهم متشابهون [يعنى مع اختلاف جنسياتهم] فلا نعرف احدا يرتاح ضميره ان يتزوج غيره من امراته ثم الخ . الا من فقد الغيرة الانسانية] انتهى .

[فان طلقها] الزوج الثانى بعد الوطء [فلا جناح عليهما] اى على الزوج الاول وعلى الزوجة ، [أن يتراجعا] ان يرجع كل واحد منهما لصاحبه بالزواج الثانى ، وانما ذلك بعد انقضاء العدة [ان ظنا ان يقيما حدود الله] حقوق الزوجية فى حياة زوجية ثانية بعد الندامة والانزجار [وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون] .

[تنبيه واجب]

ومما يجب التنبيه عليه ان يكون نكاح زوج غير الزوج الاول عاديا بدون نية التحليل. والا فان نكاحه يكون باطلا ويسمى الناكح تيسا مستعارا ، قال الخازن فى تفسير الاية : [اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهو نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد ، لما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وروى انه قال هو التيس المستعار، ولو تزوجها ولم يشترط فى النكاح ان يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة، غير انه مكروه اذا كان فى غرمهما ذلك وبه قال الشافعى وابو حنيفة ، ودليل ذلك ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك ، فوجب القول بانتهاء الحرمة ، وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحللها للاول . فقال : « الا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم] ص ٢٠١ ج ١ — الخازن هذا . وقد انكرت هذا النوع من التحليل حينما كنت قاضى الشريعة الاسلامية فى تركستان ولم اعتمد عليه عندما عرضوا على ، وذلك لحرمته وبطلانه، او كراهته وشناعته . مع انه كان شائعا بين الناس عند الابتلاء والاضطرار .

افادة مهمة

قلنا فيما سبق : انه لايمكن الرجعة بعد وقوع ثلاث طلقات فى دفعات أو دفعة واحدة ونفيد هنا : ان ايقاع الطلقات الثلاث بدفعة واحدة حرام ، وعلى الاقل مكروه ، ذلك لان الطلاق محذور فى اصله كما قلنا ، وانه ابغض الحلال الى الله سبحانه ، حتى أن فقهاء الاسلام اختلفوا فى وقوع الطلقات الثلاث بدفعة واحدة .

٢ — اذا طلق الرجل زوجته وهو مريض يريد به أن يحرم الزوجة من الميراث اذا مات بهذا المرض ، فانه يسمى طلاق الفار ولا يقع شرعا ، ولا تحرم الزوجة من ميراث الزوج ولو وقع . كما فى الكتب الفقهية ولا يخفى ما فى هذا الحكم من حماية الاسلام لحق من حقوق المرأة المسلمة .

انتهى هنا ما اردناه من بيان الطلاق قبل الاسلام [فى الجاهلية] والطلاق بعد الاسلام ، قبل تناول موضوع «حقوق المرأة وهى مطلقة » الذى سنبحث عنه فى العدد المقبل .

والله ولى التوفيق

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الآخرة ١٣٩٥	يونيو ١٩٧٥	فجر		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	١١	٠٧	٤	٥٤	١٢	٣٠	٤	٥٦	٧	٢٩	٩
الخميس	٢	١٢	٠٧		٥٤		٣٠		٥٧		٢٩	
الجمعة	٣	١٣	٠٧		٥٤		٣٠		٥٧		٢٩	
السبت	٤	١٤	٠٧		٥٥		٣١		٥٧		٣٠	
الأحد	٥	١٥	٠٧		٥٥		٣١		٥٧		٣٠	
الاثنين	٦	١٦	٠٧		٥٥		٣١		٥٧		٣٠	
الثلاثاء	٧	١٧	٠٧		٥٥		٣١		٥٨		٣١	
الأربعاء	٨	١٨	٠٧		٥٥		٣١		٥٨		٣١	
الخميس	٩	١٩	٠٧		٥٥		٣١		٥٨		٣١	
الجمعة	١٠	٢٠	٠٧		٥٥		٣١		٥٨		٣٣	
السبت	١١	٢١	٠٨		٥٧		٣٢		٥٩		٣٣	
الأحد	١٢	٢٢	٠٨		٥٧		٣٢		٥٩		٣٣	
الاثنين	١٣	٢٣	٠٨		٥٧		٣٢		٥٩		٣٣	
الثلاثاء	١٤	٢٤	١٠		٥٨		٣٣		٠٠	٨	٣٣	
الأربعاء	١٥	٢٥	١٠		٥٨		٣٣		٠٠		٣٣	
الخميس	١٦	٢٦	١٠		٥٨		٣٣		٠٠		٣٣	
الجمعة	١٧	٢٧	١٠		٥٨		٣٣		٠٠		٣٣	
السبت	١٨	٢٨	١٠		٥٨		٣٣		٠٠		٣٣	
الأحد	١٩	٢٩	١٠		٥٨		٣٣		٠٠		٣٣	
الاثنين	٢٠	٣٠	١٠		٥٨		٣٣		٠٠		٣٣	
الثلاثاء	٢١	أول يوليو	١١		٥٨		٣٤		٠٠		٣٣	
الأربعاء	٢٢	٢	١١		٥٨		٣٤		٠٠		٣٣	
الخميس	٢٣	٣	١١		٥٨		٣٤		٠٠		٣٣	
الجمعة	٢٤	٤	١٣		٥٩		٣٥		٠٠		٣٣	
السبت	٢٥	٥	١٣		٥٩		٣٥		٠٠		٣٣	
الأحد	٢٦	٦	١٣		٥٩		٣٥		٠٠		٣٣	
الاثنين	٢٧	٧	١٥		٠٠	١	٣٥		٠٠		٣٣	
الثلاثاء	٢٨	٨	١٥		٠٠		٣٥		٠٠		٣٣	
الأربعاء	٢٩	٩	١٥		٠٠		٣٥		٠٠		٣٣	

منهج الإسلام
فى تربية الشباب

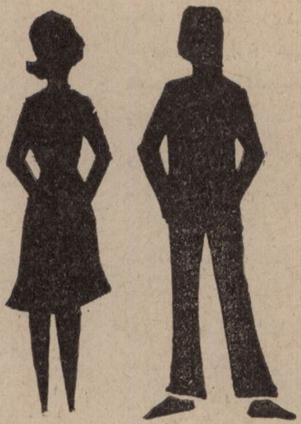

ان الشباب اهتم به القرآن وهو دستور المسلمين وضرب له أمثلة حية من واقع المجتمعات التى عاشت على الكرة الارضية والقرآن عندما تعرض بضرب أمثلة من القصص الحية التى عاشت فانه يعقب بقوله « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب .. » والشباب الذى يبدأ منذ صغره على آداب الدين وحثه على التمسك به واقامة شعائره ليكون يقظ الضمير يشعر برقابة الله عليه فانه يكون نافعا لامته مفيدا لوطنه يخدم الانسانية ويعيش وهو سعيد النفس مطمئن القلب هادىء البال لان الدين سكينة واطمئنان وصدق الله العظيم « والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » (*)

فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

ثم ان نبينا صلى الله عليه وسلم صور لنا العلاج الواقى للشباب فى أى بيئة وفى أى زمان ووضع له النماذج الطيبة التى تهديه وتقوده الى سبل الخير وأسس السعادة فهو صلى الله عليه وسلم يخاطب الشباب خطاب الناصح الامين والرائد الموجه فيقول لهم .. **يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء** هذا التوجيه السديد للشباب يقصد به حمايتهم وعدم انتشار الامراض بينهم والانزلاق الى مهاوى الرذيلة والضياع فى دنيا تتلفه وتذهب بشبابه ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « **عجب ربك من شاب ليس له صبوة** » بمعنى أنه لا تجرفه النزعات الشهوانية ولا تقوده الغريزة وانما يجمع نفسه خوفا من حساب الله فاذا كان الشاب بهذه الصورة تقى النفس نقى الضمير سلوكه حسن فان الرسول صلى الله عليه وسلم يبشره بالفوز والسعادة دنيا وأخرى لذلك يقول فى حديث طويل سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله . وذكر من هؤلاء السبعة **وشاب نشأ فى عبادة الله . كما أنه قد ورد فى حديث قدسى عن رب العزه أحب ثلاثا وحبى لثلاثة أشد أحب التائبين وحبى للشاب التائب أشد . ان الاسلام** بما فيه من محاسن وضع أمام الشباب طريقا مستقيما لا عوج فيه ولا انحراف لانهم عدة الامة وأملها وعقلها المفكر ومرحلة الشباب تبدأ من بعد العشرة الاولى الى أواخر العشرة الثالثة وفى بدايتها يبدأ الشاب مرحلة انتقالية تتسم بالنضج الجسمانى وتبدأ بالتطلع الى الاكبر منه سنا ومحاولة تقليده ليثبت وجوده ومن هنا كان على

المجتمع ان يهيىء له الظرف المناسب وتهيئة المناخ امام عينيه ليتلاءم مع هذا النضوج والتغير . ولما كان الشاب يتنقل بين البيت والمدرسة والمجتمع كان لابد من التعاون بين تلك الاجهزة لتقديم الزاد الذى يفيد الشباب من قدوة طيبه تتمثل فى الاب والمدرس وما يقدم اليه من كلمة مقروءة أو مسموعة وان يستعان بمختلف العوامل والمؤثرات التى تناسب فكره ويستطيع الاستفادة منها والعمل على ازالة أسباب الفساد من أمام عينيه وتنقية الكلمة التى تلقى على مسامعه والصورة التى توضع أمام عينيه ليشب قوى العقيدة له عزيمة وارادة يعيد كل البعد عن الميوعة والتخنث والطراوة وربط جوانب شخصيته بكتاب الله الذى يصور له الحياة الدنيا وما فيها والعمل الصالح وثمرته واتقان الصنعة ونتيجتها كل ذلك بأسلوب يعبر عما تنطوى عليه نفسه لان القرآن الكريم هو كتاب الله خالق القوى والقدر والذى خاطبنا به من علياء سمائه وهو فى نفس الوقت تعبير عما يجيش بخواطرنا وما تنفعل به نفوسنا وسوف تقف الان امام شخصية كانت فى سن الشباب سن الانفعال والتأثر والانزلاق ولكن تلك الشخصية التى يبين القرآن معالمها اعتصمت بالله فهديت الى صراط مستقيم انها شخصية الصديق الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب وعندما نقرأ سورة يوسف نستخلص منها ما يأتى : —

١ — يوسف شاب صغير نشأ فى أسرة متدينة تلتزم بتعاليم السماء وتطبق هدى الانبياء ولها سمعة طيبة فى البيئة التى تعيش فيها وكان يتمتع بمنظر جميل وشخصية لها مميزات جسمانية غير متوفرة فى أخوته لهذا تآمر أخوته على سبيل ابعاده عن مسرح حياتهم والبيئة التى يحيون فيها .

٢ — استأذنوا آباهم فى أن يذهب يوسف معهم فقال انى أخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ولم يكن يدور بخلد يعقوب ما بيته أخوته من التخلى عنه وذهبوا به ورموه فى الجب وشاءت المقادير أن يأتى أحد المارة فيذهب بالدلو ليأخذ الماء فيتعلق يوسف به فيصبح آخذ الماء من فرحه ويقول يابشرى هذا غلام ويذهب به هذا الركب الذين كانوا مع من أحضر لهم الماء ويبيعون يوسف وتأتى به المقادير فى بيت عزيز مصر .

٣ — عزيز مصر رجل متزوج ويعيش فى حالة من اليسر ورخاء العيش وأسباب النعمة ميسرة فى بيته وزوجته تتمتع بهذا النعيم وليس هنالك ما يشغلها غير نظرات تقع منها على يوسف الذى فاق حسنه كل شىء وقعت عليه عيونها فأخذت تتبعه أينما سار وتلحظه اينما حل وتقترب منه ايتما وجد ولكن يوسف الشاب فى قلبه ايمان وعنده ضمير فرغم جماله الفتان وحسنه الباهر وقوام عوده ومميزات الجمال الجسمانية الظاهرة عليه لم يكن يلتفت الى تلك المرأة التى شغلت به وأصبحت وكأنها هى عبدته لانها انقادت لهواها ومن انقاد لهواه فقد هوى رغم مكانتها الاجتماعية ومنزلتها فى البيئة التى تعيش فيها فقد تحدث الناس عنها وقال نسوة فى الحى امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وحكموا عليها بأنها فى ضلال مبين وهذا الحكم من النسوة يعطينا دليلا على أن الانحراف والخروج عن جادة الصواب والانزلاق الى مهاوى الرذيلة هو غى وضلال وخروج على مقتضى الفطرة ومع هذا الكلام الذى جرى على لسان النسوة فان امرأة العزيز لم ترعو ولم تنزجر فكم باتت ساهرة العين مرهفة الحس لتسمع أنفاس يوسف تتردد فى أى مكان لتهب مذعورة ذاهبة اليه تناجيه تتوسل اليه تبسط يدها بالمودة ولكن يوسف كان يقول حاشاى أن أخون من أحسن الى وان أسىء الى من أنعم على وأن انتهك عرض من آوانى فى بيته ثم ان فعلت ذلك فأين أذهب من الله فترد المرأة قائلة ان الابواب مغلقة والستائر نازلة والشبابيك موصدة وان أحدا لن يرانا لقد هيأت لك الاسباب ولكنه يرد عليها اذا كانت الابواب مغلقة ونحن بين جدران أربع فان الله معنا يرانا ويسمع كلامنا ويرى ما يجرى بيننا وربى هذا هو الذى خلقنا وسوانا وانعم علينا بالصحة والعافية واسبغ علينا نعم ظاهرة وباطنة افيليق بنا ان نعصاه لقد أمرنا بالاستقامة ووعدنا عليها الخير ونهانا عن الرذيلة وتوعدنا عليها بالشر الذى نلقاه فى يوم لا ينفع مال ولا بنون والشر الذى اخاف منه نار حامية وقودها الناس والحجارة فأين المفر ولكن المرأة تتشبث به وتنظر اليه فى استعطاف مبدية زينتها ناشرة ثوبها باسطة يدها بالمودة ولكنه يقول انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون فلما وجدت أن توسلاتها ضاعت وتحركت غرائزها قفزت اليه هالعة ففر أمامها ومد يده الى الباب ليفتحه وتعلقت هى بملابسه من خلفه ورغم تمزق ملابسه الا أنه تشبث بالباب ففتحه فوجد رب الدار أمامه وزوجها يرى هذا المنظر وقد تعلقت بملابسه وهى فى كامل زينتها ولكن يوسف الامين الصادق لم تهتز له شعرة لانه لم يرتكب جريمة ولم يحاول خيانة سيده ولا فكر فى هذا لذلك وقف رافع الرأس يتكلم بلسان فصيح ورغم ان المرأة هى التى كانت

تجرى وراء يوسف فقد وقفت ودموعها تسيل على حديها وتقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم ولكن الحق يجرى على لسان يوسف ويقول هى راودتنى عن نفسها ويشهد الشاهد ويحتكم الجميع الى ملابس يوسف ان كانت ممزقة من أمام أم من خلف ويقول الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم توجه الى يوسف وقال اعرض عن هذا ولا تبح به لاحد ولا تتكلم به فى مجلس حتى لا تفضح أمرنا ويخوض الناس فى عرضنا وقال لزوجته استغفرى لذنبك واحجمى غرائزك وهذبى خلقك واستقيمى فان الاستقامة خير ومضت الايام وزج بيوسف فى السجن ودخل السجن وهو مظلوم ورغم ذلك لم يتنازل عن مبدئه ولم يتخل عن عقيدته وكان وهو فى السجن يدعو الى الخير ويهدى الى الرشد ويبين للمساجين العقيدة الصحيحة من العقدة الفاسدة ويقول لهم « **ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من** دونه الا اسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من **سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون »** .

ان نور العقيدة اذا غمر النفس طمأنها وبوأها مكان صدق وأسدل عليها الراحة والسكون لذلك مضت الايام ويوسف فى السجن لا يتبرم لانه يعلم ان الظلم له ساعة يقف عندها . اما الحق فهو الذى ينتصر فى النهاية والصراع بين الخير والشر باق حتى تقوم الساعة ولكن الخير ينتصر فى النهاية اذا وجد النفوس التى تحمله والقلوب التى تأويه ولن نستطرد فى ذلك ولكننا نصل عند مرحلة معينة لهذا النموذج الفريد من البشر الذى سقناه ليكون لنا عبرة ولشبابنا قدوة فلقد رأى الملك رؤية وطلب من يعبرها له فدلوه على يوسف وفسرها تفسيرا يطابق الحقيقه والواقع وفرح الملك بالتأويل وطلب الملك أن يؤتوه به وأن يفرجوا عنه ويخرجوه من سجنه وكان المفروض فيه أن يفرح لان العفو الشامل صدر له وسوف ينطلق الى الحرية ولكنه وقف وقال للرسول الذى جاءه ارجع الى ربك « الملك » فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وما هو الكلام الذى جرى على لسان النسوة وما موقفه من كل ذلك وهل هو مذنب أم برىء واذا بالنتيجة بعد البحث والتحرى يتبين ان يوسف مظلوم وبرىء وشاب نزيه وأمين وتقول امرأة العزيز الان حصحص الحق أى وضح وظهر ولابد من قول الحق والصدق انا راودته عن نفسه وانا التى حاولت اغراءه ومهدت له الاسباب ولكنه اعتصم بايمانه وخاف من ربه ورعى آمانة سيده وانه لمن الصادقين فيقول يوسف ليعلم الملك ويعلم الناس أننى لم أخن ولن أخون لان الخيانه ذل وعار ورغم ذلك لا ابرى نفسى ثم يطلب يوسف أن يتبوأ خزائن الارض بمعنى ان يكون وزيرا للمالية والتموين ان صح هذا التعبير ويتبوأ يوسف مقاليد الامور وتساق أليه الزعامة لان الامين لا يتحلى عنه رب العالمين ونقف عند هذا الحد فى تلك القصة الطريفة التى جرت أحداثها على أرض مصر أرض الخير والبركة ونقول لشبابنا ياشبب اليوم هذا رائد لكم على الطريق فاقرءوا قصته فى صدق كلام وبأحسن أسلوب أعجز الفصحاء والبلغاء لتستفيدوا وينتفع بكم المجتمع ولتعلموا ان المبادىء الفاضلة هى التى يكتب لها البقاء « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » ولعفة خير من الاستهتار وعلى الشاب ان يضيع وقته فى النافع المفيد . وصدق الله العظيم « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلوة ان كنتم مؤمنين » والى حديث آخر عن رائد من الرواد الاوائل على طريق الخير لشبابنا .

مثل للمرأة المسلمة

٣٧

الأستاذ محمد دياب

قديما قالوا : ان المرأة هى التى تهز المهد بيمينها وتحرك الكون بيسارها .

وهذا القول ليس صحيحا على اطلاقه .

فليس مجرد انجاب الاولاد خيرا للاسرة والمجتمع .. وليس مجرد اشتغال المرأة بأعمال الحياة المتنوعة مصدر سعادة للحياة .

هناك ضوابط لدور المرأة فى المهد وفى الكون .. فاذا هى التزمت تلك الضوابط استطاعت أن تهز فؤاد الوجود كله .. واذا لم تلتزمها أصابت هذا الوجود بالعقم والشيخوخة .

ومن هنا .. تصبح المرأة نعمة أو نقمة .. تصبح جنة تفعم الحياة بالزهور والثمار .. او جحيما يصيب الحياة بالحريق والبوار .

ومن هنا أيضا .. كانت أهمية تربية المرأة وتنشئتها على أقوم السبل .. باعتبارها المدرسة الاولى التى تخرج الاجيال وتبنى الامم والشعوب .

ولاريب فى ان للرجل دوره الاساسى بجانبها .. انه يبنى معها عش الزوجية ويكون معها خلية الاسرة . ويشاركها فى حماية هذه الخلية وتنميتها .. ولكن دور المرأة يظل أعمق أثرا وأكثر فعالية .

ان مهمة الرجل الاولى — بحكم قوامته وقوته واحتماله — هى اعاشة الاسرة والكد والسعى لاعالتها ومهمة المرأة الاولى — بما اودعه الله فيها من حنان وحب وصبر — هى تربية الاسرة والسهر على تنشئة الاولاد .. بل وعلى تزويد الزوج نفسه بمدد متصل من الرعاية والحدب وشد الازر والتشجيع .

واذا كانت كلتا المهمتين تكمل الاخرى .. فان مهمة المرأة تسبق فى أولويتها مهمة الرجل .. فالحياة لا تبنى ولا تزدهر بمجرد الكسب وجمع المال .. ولكنها تقوم أول ما تقوم وأقوى ما تقوم على القيم والفضائل والاخلاق .

ولاهمية دور المرأة — كما أرادته حكمة الله العليا مصدرا لسعادة الانسانية — فقد عنى الاسلام بتربية المرأة واعدادها . وتعهدها طفلة وفتاة .. زوجة واما عاملة ومجاهدة .

وفى مدرسة الاسلام الاولى تخرجت أعظم أمهات المؤمنين .. واعظم مجاهدات الاسلام . ومن بين هذا الرعيل من الفضليات المؤمنات أخذ النضال الاسلامى اروع ابطاله وقادته ومفكريه ومصلحيه ..

لقد كانت المرأة فى صدر الاسلام مثلا عاليا للتماسك الذى لا يهتز امام اغراء .. والايمان الذى لا يتزعزع امام باطل . والصمود الذى لا يلين من أجل الحق .

كانت تضحى بكل شىء حتى بالزوج وبالوالد وبالولد فى سبيل الله .. كانت تصابر وتجالد وتجاهد ولاء لله وللحقيقة .. كانت تؤمن بان كل ما عدا الله باطل .. وكل ما خلا عقيدة التوحيد ومكارم الاخلاق زائل .. وعلى دربها السوى الطهور قامت اقوى الاسر واروع الابناء وأمتن المجتمعات .

وعند مثل واحد من امثلة عديدة نتوقف لحظات نرى فيها كيف كانت المسلمة الاولى تلتقى فى عناق حميم مع الخلق القويم والايمان الصميم .

مع أم المؤمنين .. أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن حرب رضى الله عنها . نتأمل موقفين من أنبل واكرم مواقفها الخالدة .

لقد اسلمت رملة بنت ابى سفيان قبل ابيها وحسن اسلامها . وهاجرت الى الحبشة ضمن من هاجر من المسلمين مع زوجها عبيد الله بن جحش الاسدى .. وهناك ولدت بنتها « حبيبة » التى كنيت بها .

وفى الحبشة ارتد زوجها عبيد الله عن الاسلام واعتنق النصرانية .. ولكن أم حبيبة فضلت الولاء لله ولرسوله عن الولاء لزوجها .. كان ابن جحش بعد ارتداده يمر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى ارض الحبشة . ويقول لهم ساخرا : ابصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد !

ووقفت أم حبيبة بطهرها واسلامها ضد زوجها الصبىء حتى هلك فى الحبشة . ثم أحسن الله الى هذا الطهر والايمان فأصبحت أم حبيبة من أمهات المؤمنين .

يقول ابن اسحاق : حدثنى محمد بن على بن حسين ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فى أم حبيبة الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى ، فخطبها عليه النجاشى ، فزوجه اياها ، وأصدقها رسول الله اربعمائة دينار ، وكان الذى زوجها للنبى هو خالد بن سعيد بن العاص .

قال محمد بن على : ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار الا عن ذلك .
وهكذا عادت أم حبيبة الى المدينة فى العام السابع للهجرة اما للمؤمنين .

ومثلما وقفت أم حبيبة - رضى الله عنها - موقفها المؤمن الرائع من عبيد الله بن جحش .. كان موقفها الثانى من أبيها - أبى سفيان - أكثر ايمانا وروعة .

عندما نقضت قريش عهد الحديبية ، اوفدت ابا سفيان الى المدينة تسأل النبى الموادعة .. ولم يجب الرسول ابا سفيان - وهو يومئذ أبلزوجه - الى ما ذهب اليه .

فماذا كان موقف أم حبيبة من أبيها مبعوث قريش ؟

لقد رفضته وامتنعت عليه .. وظلت ترفض رؤيته ولقاءه على الكفر حتى كان يوم فتح مكة .

فى هذا اليوم المنتصر .. لقى العباس بن عبد المطلب ابا سفيان فى وادى الاراك .. فاخذه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطلب له الامان . ولما رأى رسول الله ابا سفيان قال له : ويحك يا أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟

قال أبو سفيان : بأبى أنت وأمى .. ما أحلمك وأكرمك واوصلك ، والله لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لا غنى عنى شيئا .

قال رسول الله : **ويحك يا أباسفيان .. الم يان لك** أن تعلم أنى رسول الله ؟

قال ابو سفيان : بأبى انت وأمى .. ما احلمك وأكرمك وأوصلك .. أما هذه والله فان فى النفس منها حتى الان شيئا .

فقال له العباس : ويحك .. اسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. قبل أن يضرب عنقك .

وهنا شهد أبو سفيان شهادة الحق وأسلم .

وقال العباس ، يا رسول الله .. ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا .

قال رسول الله : نعم . من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .. ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن .

عندئذ قرت عينا أم حبيبة باسلام أبيها .. ورضيت أن تلقاه على الاسلام والفتح ..

....

....

هكذا كانت المرأة المسلمة ترجمة صادقة لاسلامها وايمانها . وهكذا ربت أسرتها الاسلامية على فضائل الصدق والحق والمبدأ عندما كانت هى نفسها كلمة الصدق والحق والمبدأ .

وما أجدر المرأة المسلمة اليوم بوصل ما انقطع .. عودة الى أصالة الاسلام وأخلاق الاسلام .

من الادعية المأثورة

قال الاوزاعى : كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول فى دعائه : « اللهم أسألك التوفيق لمحابك من الاعمال ، وحسن الظن بك ، وصدق التوكل عليك » .

وقال الاوزاعى : من قال : « اللهم انى استغفرك لما تبت اليك منه ثم عدت اليه ، واستغفرك لما وعدتك من نفسى واخلفتك ، واستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك،واستغفرك للنعم التى انعمت بها على فتقويتبها على معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنب اذنبته أو معصية ارتكبتها » .. من قال ذلك غفر الله له ولو كانت ذنوبه عدد ورق الشجر ورمل عالج او مطر السماء [وعالج : مكان بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه فى بعض] .

محمد بن بشر العبدى قال : حدثنا بعض اشياخنا ، قال : اعتمر على [كرم الله وجهه] فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة ، وهو يقول : [يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه الحاح الملحين ، أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك] ، فقال على [كرم الله وجهه] : والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والارضين ذنوبا لغفر لك .

وقال أبو كعب : سمعت عطاء السلمى يقول : [اللهم ارحم غربتى فى الدنيا ، ومصرعى عند الموت ، ووحدتى فى القبور ، ومقامى بين يديك] .

وسمع من الصالحين من يقول داعيا : [اللهم انى أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدنى بعافيتك ، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطت اليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه عن الناس بسترك ، واتكلت فيه على أناتك وحلمك ، وعولت فيه على كرم عفوك] .

ودعا أعرابى عند الملتزم فقال : [اللهم ان لك على حقوقا فتصدق بها على وللناس قبلى تبعات فتحملها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى ، وأنا ضيفك فاجعل قراى الليلة الجنة] .

من الاحاديث النبوية الجامعة

قال معاذ [رضى الله عنه] لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] : أى عمل اذا عملته دخلت الجنة ؟

فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : « بخ بخ سألت عظيما وهو يسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة ، وان شئت نبأتك براس هذا الامر ، وعموده ، وذروة سنامه : اما رأسه فالاسلام ، من أسلم سلم ، وأما عموده فالصلاة ، وأما ذروة سنامه فالجهاد فى سبيل الله ، وان شئت نبأتك بجوامع من الخير ، الصيام جنة ، والصدقة تمحو الخطيئة ، وقيام العبد فى جوف الليل ، ثم قرأ : « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم** » الاية .. وان شئت نبأتك بما هو أملك بالناس من ذلك — وأشار باصبعه الى لسانه — فقلت : وانى لمأخوذ بما تكلمت به ؟] ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، وهل يكب الناس على وجوههم فى النار الا السنتهم » ؟ .. انك سالم ما سكت ، فان تكلمت فلك أو عليك » .

مع القراء

إعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء

تحمل فرحة العالم باعادة فتح القناة من المعانى والمفاهيم والمضامين ما يؤكد ما لهذا العمل الجليل من أبعاد وأهداف تدفعنا جميعا ونحن نحتفل بهذا اليوم المجيد — وهو الخامس من يونيه فى ثوبه الجديد — أن نستخلص المواقف ، وأن نستقرىء الاحداث ، لنكون دوما على أهبة الاستعداد لتتويج الاعمال العظيمة بما يزيد من عظمتها ، ويصون عـ تها ، ويوسع رقعتها ، ويدحر أعداءها ..

وهو ما عبر عنه الرئيس السادات من فوق ظهر المدمرة « ٦ أكتوبر » ، التى تقدمت موكب تحرير القناة ، ايذانا بافتتاحها ، وتراقصت أسراب الحمام الابيض فى الفضاء على موسيقى حرس الشرف فكان مهرجانا بحريا رائعا ، تغنت فيه سفن القوافل ومزامير شعب القناة ، بل ان دشم خط بارليف وقد راعها المهرجان البحرى العظيم ، كانت تشارك فى استحياء ، شاكرة المولى جل وعلا أن حررها من ثوب الغدر والخيانة ، وأتاح لها ان تشهد موكب الاحرار ...

ومن خلال هذا النصر العظيم ، والحفل العالمى الجليل ، يترجم السادات فى حكمة وكياسة مشاعر الشعب العربى فى هذه اللحظات من خلال كلمات وجيزة الالفاظ ، عظيمة المدلول ، جامعة شاملة لكل ما يجب ان نعرفه ويعرفه العالم أجمع ، اذ يقول :

باذن الله وتوفيق منه ، وأمام العالم أجمع ، أعلن أن قناة السويس المصرية قد تم تطهيرها .. بعد العبور المجيد فى السادس من أكتوبر سنه ١٩٧٣ ، وأصبح طبيعيا ان يكمل هذا الشريان المصرى الحيوى مسيرة العبور فى سبيل سعادة الاسرة الانسانية ورخائها .. رافدا للسلام ، وشريانا للازدهار والتعاون بين البشر ..

واذ يقدم الشعب العربى فى مصر هذه المبادرة ، فى اطار اسهامه الحضارى ورسالته العالمية .. ومصر اذ تواصل عطاءها الانسانى ، تكرر انها مصممة على القيام بواجبها المقدس نحو أرضها والارض العربية الطاهرة التى لا زال العدو يحتلها فى الجولان وسيناء وفلسطين ونحو الحقوق العربية المغتصبة وسلام على العالمين ..

وتحية منا لشعبنا العربى الاصيل ، وجيشنا الفدائى العظيم وقائدنا المؤمن البطل الامين .. ودعاء الى المولى جل وعلا ان يحقق لنا على يديه كل حق ويقين ..

• • •

الدين والحرية

بقلم الصديق عادل القادرى
الشرقية — مصر

اليوم وبعد ثورة التصحيح فى عهد زعيم مصر نجد ان الحرية شملت مجالات كثيرة فمثلا «الصحافة» نجد الان ابوابا تنقد الفراش والوزير والرئيس حرية مطلقة فى ظل القيادات السليمة ولكن للحرية حدود فمثلا ما نقرؤه ونسمعه فى الاذاعات المعادية والصحف عن سياسة مصر . عن الحرية . عن الصحافة المصرية . كل هذا بعد انتصار اكتوبر . بعد التصحيح بعد وبعد . وكما يقول « رسول الله صلى الله عليه وسلم » ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له « ما تصنع ؟ » قال هو مكانى اصنع فيه ما شئت فان اخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا » صدقت يا رسول الله .. نجد ان الحديث الشريف يعطى الحرية للفرد ولكن هذه الحرية مقيدة بخير الجماعة ومصلحتها العامة . فاذا استغل الفرد حريته للاضرار بالجماعة أو بالمجتمع كأن اعتدى على حق غيره ومجتمعه او تهاون فى خير بلاده — كذلك نجد فى الحديث ما هو يدعو الى الترابط والتعاون والاتحاد . والجماعة تتحد ضد اى فرد يريد ان يستغل قدرته على ان يفسد فى الارض والبلاد .

أخيرا تحية قلبية لكل صفحة من صفحات « منبر الاسلام » وتحية الى كل قارىء لمجلة منبر الاسلام ويسعدنى أن أقدم أسمى تقدير للاخوة العرب والمصريين حتى نستطيع ان نسير على نور الحرية — على شمس الحرية .

الله أكبر

للشاعر محمد خير محمد
ام الطيور — عطبرة — السودان

الله أكبر يا رجــــال
هــذا نداء وافتخــار
الله جــلّ جــلالــه
وهب العطايا والبحار
وهب الحــدائق نشــوة
وهب المساكن والديار
فــاذا هزمت بمنظـــر
جاءت مناظر بانتصار
فاشــكر الهك يا فتى
فالشــكر أخـلاق الكبار
حــب الاله يهــزنا
حب الفضــائل والجمال
هـــو خالق ومصـــور
هـــو ذو التجلة والجلال
نرجـــوه تحقيـــق المنى
نرجوه تحقيـــق الســؤال
فالفقـــر فينـــا ظـــاهر
والفضل منــه والنـــوال
الله أكبر يا رجـــال
قولوا معى هذا المقـــال

• • •

الرحمـــــة

بقلم الصديق احمد على محمـــد السيد
التأمينات الاجتماعية — جرجا

يقول أحد الحكماء « لولا الفضيلة لكانت الحياة مزرعة مــن الاشجار الشائكة لا ثمرة ترجى منها .. ولا مكان تحتها لمستظل .. وقال أخر « لولا ظلال من الفضيلة تظل الأرض لكان انهــدموا من ظهرها . اذ لن يكون على ظهرها سوى الجحيم بعينه ... وحقا ما قالا ... واذا كانت الفضائل فى جملتها هى زينة الحياة وأنسها ورخائها وسعادتها فان لفضيلة « الرحمة » من بينها شأن وأى شأن .

وصدق الله العظيم حيث يقول « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ووصف رســوله الكريم بقوله « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

ويقول « وكان بالمؤمنين رحيما » .. ولا غرو ولا عجب فى أن تكون « الرحمة » من صفة المولى عز وجل « الرحمن الرحيم » « الرؤوف الرحيم » ... « الغفور الرحيم » .

والصادق الامين صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة الا رحيم » « والراحمون يرحمهم الرحمن ... ارحمــوا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » .

فالى من قست قلوبهم ... والذين لا تعرف الرحمــة نفوسهم ... الرحمة ... الرحمة ... حتى مع أنفسكم فالرحيم من يرحم نفسه وغيره .

مختــــــارات

للصديق صبرى متولى الشرقاوى
مدرس — بميت غمر

من القــرآن الكريم :

قال الله تعالى فى كتابه الكريم « **وابتغ فيمــا آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** » صدق الله العظيم .

من الحديث الشريف

قال سيدنا محمد صلوات الله عليه فى حديثــه الشريف « ليس خيركم من ترك الدنيا للاخــرة .. ولا الاخرة للدنيا .. ولكن خيركم من أخذ من هــذه وتلك » .

من أقوال الصوفية :

قال سيدى أحمد البدوى « هذه طريقتنا مبنيــة على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الاذى وحفظ العهود » .

من أقوال الشــعراء :

قال المرحوم الشاعر محمد اقبال :

اذا الايمــان ضــاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحى دينـــــا
ومن رضى الحيــاة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قرينـــــا

• • •

أنت رحمة الرحيم

من ديوان « المصطفى »
للشاعر مصطفى محمد عبد الدايم

نور عينى أحــلام من ضــياك
وســادتى بنــاها رضــاك
أنت أغلى الناس عندى فما و
جـــددت عاطفــا على عــداك
منــك بالحب ارتويت فهــل بـــ
ـــغيره يــكون منى جـــزاك
اشـــتريت راحـــتى بالشــقاء
وفنيت فى ســـبيلى صــباك
تـــؤثرينى عليــك لابـــقى
ليتنى أســـتطيع شـــكر نداك
أنت رحـمـــة الرحيم وجنـــ
ـــته فى الدنيا وذان حــلاك
فاقبــلى شــعرى هدية يامن
فـــوق جنـــة علت قـــدماك

● **نتمنى لك المزيد من التوفيق فى حياتك وفى عالم الشعر أيضا ومبروك ديوانك الجديد .**

• • •

الى الصديق عبد العظيم رشوان التراس
التاجر بتلا — منوفيـــة

تجد فى الصفحة الثانية من مجلة منبر الاسلام طريقة الاشتراك فى المجلة ،هذا ويمكنك أن تشترك فيها ابتداء من أى شهر أمـا عن سؤالك الخــاص بالافتاء فسوف تجد الاجابة عنه فى عدد قادم بأذن الله ولا داعى لارسال طوابع بريد والله الموفق .

الاسم : رمزى بن شعبان
البلد : تونس
السن : ١٧
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة والاطلاع
والاستماع للقرآن
الكريم
العنوان : ٨ نهج رحادة

الاسم : ميرة محمد
البلد : المغرب
السن : ٢٢
المهنة : طالب جامعى
الهواية : تبادل الاراءوالاطلاع
العنوان : ١٦٣ شارع
المرينيين ــ فاس

الاسم : سرياك عبد المالك
البلد : الجزائر
السن : ١٨
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والاطلاع
وتبادل المناظر الطبيعية
العنوان : بواسطة الطبيب
محمد تامر ببريكة
ولاية الاوراس

الاسم : منير كمون
البلد : تونس
السن : ١٩
المهنة : طالب حقوق
الهواية : المراسلة وجمع
الطوابع
العنوان : حى الكارفال الجامعى
عمارة [1] غرفة ٢٤
ادينة الجديدة

الاسم : اسامة عصمت عبده
عنانى
البلد : مصر
السن : ١٦
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل
الاراء وجمع الطوابع
العنوان : ١٦ عطفة الشرقاوى
متفرع من ش ريحان
عابدين ــ القاهرة

الاسم : محمد اسماعيل حسن
البلد : مصر
السن : ٢٧
المهنة : موظف
الهواية : الزجل والمراسلة
وجمع الصور
العنوان : ١١٩ شارع عزيز
فهمى سيدى جابر
اسكندرية

الاسم : كمال اللومى
البلد : تونس
السن : ١٩
المهنة : طالب
الهواية : والمراسلة والاطلاع وجمع الطوابع البريدية
العنوان : نهج الصياغين زنقة ٣٩ صفاقس

الاسم : عبد الواحد جمال الدين
البلد : الجزائر
السن : ٢٠
المهنة : طالب
الهواية: الرحلات وتبادل الافكار
العنوان : حى القاضى رقم ٢ منزل ٥ مغنيسة ولاية تلمسان

الاسم : لابد بن عودة
البلد : الجزائر
السن : ١٩
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل المناظر
العنوان : ١٢ شارع سيدى عابد — غليزان

الاسم : عاطف كمال السيد
البلد : مصر
السن : ١٨
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : القليوبية الخانكة ش ٢٣ يولية البولاقى

الاسم : حسن البنا محمد احمد
البلد : مصر
السن : ٢٠
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الطوابع والمناظر
العنوان : ش. احمد عرابى دكرنس دقهلية

الاسم : محمد خليفة احمد
البلد : مصر
السن : ٢٢
المهنة : موظف
الهواية: الشعر والاطلاع
العنوان : قرية علوان مركز اسيوط

الاسم : المنجى الهدار
البلد : تونس
السن : ٢٠
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء
العنوان : ٨ نهج امبير

الاسم : سلمان ابراهيم سلمان
البلد : مصر
السن : ١٥
المهنة : طالب
الهواية : التعارف وتبادل الافكار
العنوان : مديرية التحرير مدرسة النجاح الاعدادية

اقــــرأ في هذا العدد

■ **معالم الطريق :**

العالم يحتفل مع شعب مصر وقائده الرئيس المؤمن محمد أنور السادات بافتتاح قناة السويس ٥ يونيو سنة ١٩٧٥ . . . . ٧

■ **دراسات قرآنية :**

تفسير سورة البقرة	الاستاذ أحمد حسنين	١٢
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	١٩
التوبة والكبائر	الدكتور أحمد الحوفى	٢٢
العلم فى القرآن	الدكتور أحمد حسنين القفل	٢٥
تطور الانسان فى القرآن	الاستاذ فتحى رضوان	٢٩
الفاتحة معجزة القرآن	الاستاذ محمد العفيفى	٣٤
الحياة من القرآن	الدكتور محمد القيعى	٣٩
قضايا فكرية فى فهم العربية	الدكتور محمد بدرى عبد الجليل	٤٢
من أخلاق القرآن	الدكتور أحمد الشرباصى	٤٥
تاملات فى البيان القرآنى	الدكتور ابراهيم عوضين	٤٩
القرآن والانبياء	الاستاذ محيى الدين بلتاجى	٥٢
ضرورة الحرب فى القرآن	الاستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب	٥٥
الكون والانسان فى القرآن	الدكتور عبد الغنى الراجحى	٥٧
خصائص الحوار القرآنى	الاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر	٦٠
القرآن والاحرف السبعة	الدكتور عبد العزيز رضوان...	٦٢
السيرة فى ضوء القرآن الكريم	الاستاذ محمد شديد	٦٦
وحدانية الله	الاستاذ محمد رجاء حنفى	٦٩
والعمل الصالح يرفعه	الدكتور زكى مشعل	٧٢

■ **التشريع الاسلامى :**

طريق النور	الاستاذ أحمد زين	٧٦
الاعجاز العلمى للسنة النبوية	الدكتور عبد الرازق نوفل	٧٨
مفاهيم ومبادىء فى الاقتصاد الاسلامى	الدكتور شوقى اسماعيل شحاته ...	٧٩
أنواع الخير	الدكتور محمد سعاد جلال	٨٤
السمو الانسانى فى ديننا الحنيف	الشيخ أحمد كامل الخضرى	٨٧
منازل الناس عند الله	الشيخ على فريج حسنين	٩١
التوبة النصوح من رحمة الله بعباده	الاستاذ عبد المعطى عباده	٩٤
من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها	الشيخ محمد خاطر	٩٦
أحكام البيع فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس	٩٨
المحافظة على المال العام	الاستاذ مصطفى حسن	١٠٠
اقتران العقد بالشرط فى الفقه والقانون ...	الدكتور عبد العزيز عزام	١٠٢

■ **التصوف :**

الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١٠٦
أضواء على التصوف الاسلامى	الشيخ محمود هاشم	١١١

العلم والايمان :	دعم للجبهة الاسلامية يسد الطريق أمام الاستعمار	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١١٤
	المسلمون قوة دولية خطيرة	الاستاذ صبرى أبو المجد	١١٦
	رسالة الدعوة الاسلامية واهداف العمل الوطنى	الدكتور حامد محمد شعبان جمعة	١٢١
	أثر اللغة العربية على اللغة الفارسية	الدكتور مير ولى خان المسعودى	١٢٧
	نماذج من الرجال	الاستاذ عبد العظيم منصور	١٣١
	صحائف مشرقة فى حياة عثمان بن عفان	الشيخ محمد هلال عبد الرسول	١٣٤
	ضوابط النفس	الاستاذ عبد المنعم مغربى	١٣٧
	مع كلمات للسيدة نفيسة	الاستاذ صلاح عزام	١٣٩
	دعائم بناء المجتمع القوى	الشيخ عبد الرحمن النجار	١٤٠
	أعظم حوار ديمقراطى فى الاسلام	الاستاذ ابراهيم مصباح	١٤٢
	الدعاة الى الله فى فجر الاسلام	الدكتور محمد خليفة	١٤٥
	ملامح شخصية المؤمن	الاستاذ مصطفى الجندى	١٤٧
	معبود بنى اسرائيل	الشيخ فراج أحمد دردير	١٤٩
	هل تصبح العربية لغة العالم الاسلامى كله ؟	الاستاذ أنور الجندى	١٥٢
	ماذا تقصد بالعربية فى الاسلام ؟	الشيخ عبد الحكيم سرور	١٥٤
	الاسلام دين الانسانية	الاستاذ عبد الفتاح العدوى	١٥٦
	رسول الله قائدا	الاستاذ أحمد وافى	١٥٩
	نظرية المعرفة الاسلامية فى فكر ابن حزم	الاستاذ محمود معوض	١٦٢
	الاسلام ضرورة فطرية	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٦٥
الفن :	الزخارف الايرانية	الاستاذة ثريا نصر	١٧٠
	الزجاج المموه بالمينا	الاستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل	١٧٢
القصة :	اسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه	الدكتور ابراهيم هلال	١٧٦
الشعر :	آيات القدرة فى مشاهد الطبيعة	الشيخ الصاوى شعلان	١٨٠
	أنا يا رب بين يديك	الشاعرة روحية القلينى	١٨١
	مواكب الاحرار	الشاعر محمد صلاح عفيفى	١٨٢
	يا قائد الثورات	الشاعر عبد المنعم القن	١٨٤
	ان من الشعر لحكمة	الشيخ محمد خليل الخطيب	١٨٥
	حكاية قناة السويس	الشاعر أحمد عثمان المراغى	١٨٦
الطب :	شذرات من تاريخ الطب	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٨٨
شخصيات اسلامية :	السيدة فاطمة الزهراء	الاستاذ توفيق أبو علم	١٩٠
	بطل ومعارك	الاستاذ محمد صالح	١٩٣
	عبدالله بن جبير الانصارى	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	١٩٥
المكتبة :	المواقف والمخاطبات	الاستاذ أحمد بهجت	١٩٨
	عرض لمبادىء الاسلام	عرض ابراهيم الفحام	٢٠٢
	بشائر بين يدى الرسالة	عرض كمال حامد	٢٠٤
	رسالة العلم والايمان	عرض على هياد	٢٠٦
الافتاء :	أنت تسال والمفتى يجيب	الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	٢١٠
الاسرة المسلمة :	اجرة الحضانة والتبرع لها	المستشار احمد محمود خليل	٢١٦
	من تعاليم الاسلام العامة	الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٢١٩
	منهج الاسلام فى تربية الشباب	الشيخ منصور عبيد	٢٢١
	مثل للمرأة المسلمة	الاستاذ محمد دياب	٢٢٤
	مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٢٧
	بريد التعارف		٢٢٩

علامة هادية ..
ترشدك إلى الطريق الصحيح
للسعادة والاستقرار ..
وتقودك أنت وأسرتك
إلى المستقبل الآمن المضمون

تعطيك من المزايا مالم
يتوفر فى وثيقة من
قبل .. اقرأ مزاياها
وابدأ حياة جديدة لك
ولأسرتك .

وثيقة الشرق الجديدة

- فى حالة بقاء المؤمن عليه على قيد الحياة حتى نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين .
- تدفع الشركة للمستحقين فوراً مبلغ التأمين الأصلى مضافاً إليه زيادة سنوية قدرها ٥ ٪ عن كل سنة تأمينية بحد أقصى ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة مبلغ التأمين الأصلى بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق فى حالة الوفاة العادية .
- فى حالة الإصابة بعجز كلى دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة وفاة الأرملة (بعد وفاة المؤمن عليه وقبل نهاية مدة التأمين) تدفع الشركة مبلغ التأمين الأصلى مرة أخرى دون سداد أقساط .
- للمؤمن عليه الحق فى الحصول على قرض بعد سداد أقساط سنتين فقط ويعفى هذا القرض من الفوائد فى حالة الحج أو التقديس أو العمليات الجراحية .
- يغطى أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافى .

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسى :
١٥ شارع قصر النيل
القاهرة

مطابع الأهرام